

حرب تشرين / أكتوبر ١٩٧٣

وجهات نظر وتحليل

مجموعة باحثين

ترجمة

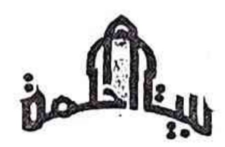
خليل ابراهيم حسين الزوبعي

اللواء الركن محمد نجم الدين النقشبندي



اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 03 / ذو القعدة / 1445 هـ
الموافق 10 / 05 / 2024 م

سرمد حاتم شكر السامرائــي



م. سرمد حاتم شكر

حرب تشرين / أكتوبر ١٩٧٣

وجهات نظر و تحليل

تقديم و تحليل

الفريق الركن طارق محمود شكري

تمهيد

برغم ما قيل في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ من إنها كانت حرباً محدودة الأهداف (وهي كانت كذلك فعلا) أو إنها كانت حرباً للتحريك وليس للتحرير الكامل وهذه أيضا حقيقة أثبتتها الحوادث والوقائع والوثائق ، إلا أن ذلك كله لم يكن ليحجب براعة التخطيط السوقي (الستراتيجي) والميداني . ولعل أحد اكبر الانجازات هو خطة المخادعة الستراتيجية الكبرى التي نجحت على الرغم من المظاهر الواضحة لعملية التحشد وبروز بعض المؤشرات القوية عن قرب تحقيق النيات العربية ومنها مثلا قيام السوفيت باجلاء جماعي لعوائل خبرائهم قبل موعد التنفيذ بأيام ، أو اصرار محلل المعلومات الصهيوني في القيادة الجنوبية في حالتين منفصلتين على تأكيد نيات الهجوم العربية . . ويعدّ هذا بحق انجازاً عظيماً على المستوى السوقي (الستراتيجي) . . ومع براعة التخطيط ونجاح العمل العسكري العربي المشترك المحدود ربما للمرة الأولى في التاريخ العربي المعاصر . إلا أن الانجاز الأعظم كان ذلك المقاتل العربي الشجاع الذي عبر القنال واقتحم الجولان وقصف مراكز القيادة الصهيونية في عمق الأراضي العربية المحتلة دونما تحديد لانتمائه القطري فقد كان هؤلاء الابطال عراقيين ومصريين وسوريين ، ثم التحق بهم مقاتلون اشقاء عرب آخرون . كانت القضية هي الأساس والثأر من العدو اللئيم هو الهدف وهذا ما كان . . فقد تجاوز المقاتل العربي نكبة حزيران بكل صفحاتها وهي نكبة لم يكن له ذنب فيها ، إذ إنه قد حرم القتال بسبب عدم كفاءة قياداته الميدانية التي لمْ تحسب للأمر حسابه على ما ينبغي .

مرّ أكثر من ربع قرن على هذه الملحمة الباسلة ، ورأى قسم الدراسات السياسية في بيت الحكمة أن يقف عليها عارضا أهم الأفكار والتحليلات الاجنبية التي كتبت عنها . وكذلك العربية ، فعهدت إلى فريق من خيرة ضباط قواتنا

عنوان الكتاب : حرب تشرين / اكتوبر ١٩٧٣
وجهات نظر وتحليل
تقديم وتحليل : الفريق الركن طارق محمود شكري
الناشـــــر : بيت الحكمة / بغداد
الطبعـــــة : الأولـــى / ٢٠٠٢

بيت الحكمة / بغداد/ العراق/ ص ب : ٥٣٦٤٠ باب المعظم
هـــــاتف : ٣ - ٤١٤١٢٠١ فاكـــــس ٨٨٦٣٠١٥

المسلحة بترجمة وجهات نظر امريكية وبريطانية على مختلف الصور وعرضت خلاصة لتقرير القاضي الصهيوني اغرانات الذي حقق في تقصير القوات الصهيونية الشائن في تلك الحرب لايضاح الصورة . . وعهد بهذا كله إلى السيد الفريق الركن طارق محمود شكري وهو من المحللين والكتّاب العسكريين المرموقين ليقوم مشكوراً بتحليل وتقديم هذا العمل إلى القارئ الكريم . .

ونظرا لأن وجهات النظر المعروضة كافة كانت تتحدث عن ساحة العمليات نفسها لذلك فقد تقرر تزويد الكتاب بملحق بالخرائط الشاملة لصفحات الحرب كافة لتجنب ارباك القارئ الكريم بالعديد من الخرائط . .

وبعد فإن بيت الحكمة وهو يقدم هذا العمل المتميز للقراء والباحثين من ذوي الاختصاص العام والخاص ، ليرجو بانه قد أسهم في اغناء الفكر الستراتيجي العربي من دون تبني أي من وجهات النظر المعروضة فيه التي لاتعبر في حقيقة الأمر إلا عن وجهة نظر كاتبيها .

والله الموفق

د . قيس محمد نوري

تقــــديم

الفريق الركن
طارق محمود شكري

تعود بي ذكرى حرب تشرين ١٩٧٣ إلى ما يزيد على ربع قرن ، وبالتحديد ثمانية وعشرون عاماً ، يوم كنت آمراً لأحد التشكيلات التي كان لها شرف المشاركة والذهاب إلى بلاد الشام مع القوات العراقية الأخرى ، لخوض معركة الشرف ضد العدو الصهيوني . ولكن مع الاسف لم يحظَ بعضنا بفرصة الاشتباك مع العدو في تلك المعارك ، حيث توقفت الحرب ونحن لا نزال في الطريق المؤدية إلى الشام . إلا أن غيرنا من رجال الجيش العراقي قد سبقنا وقاتل ، وأبلى بلاءً حسناً . كما تذكرني مسيرة تشرين الأول ١٩٧٣ دوماً ، بمسيرة خالد بن الوليد ، يوم تحرك من العراق عام ١٣ هـ لنجدة جيوش المسلمين في الشام ، وتحرك الجيش العراقي هو الآخر لنجدة العرب في الشام أيضاً . فهناك في بلاد الشام تقع معارك المصير ، فالانتصار في معركة اليرموك أنهى الوجود الاجنبي على الأرض العربية وإلى الابد وأرسى اركان الدولة الإسلامية ، وبطرد الصهاينة وإلى الابد نرسي اركان الدولة العربية الكبرى . وينبغي لنا أن لا ننسى أن الحروب الصليبية دارت رحاها على أرض بلاد الشام أيضاً .

لقد كُتب الكثير عن حرب تشرين ١٩٧٣ على شكل مذكرات لمن شارك فيها من جميع الأطراف ، ولم يترك الباحثون والمحللون العسكريون في ما بعد مجالاً من تلك الحرب إلا وناقشوه وأشبعوه تشريحاً وانتقاداً ، ولم يُبقوا شاردة أو واردة. وجاء بعض تلك الدراسات والمذكرات منحازاً أحياناً ، وبعضها الآخر يُظهر الادوار الشخصية أو دفاعاً عن النفس وتبريراً للاخطاء ، أو وضع اللوم على الآخرين . ولاشك في أن البحوث التي يحويها هذا الكتاب لا تخلو من ذلك ، ولا تخفى على القارئ اللبيب . خاصة إنها قد صدرت بعد الحرب بفترة قليلة نسبياً - عدا البحث الأخير - وحينها كانت النفوس تزهو بنشوة النصر - للنصر

ألف أبٍ وأب ، والهزيمة لقيطة – أو كيل الاتهامات والرد عليها ، فلم تكن موضوعية في جميع جوانبها ، وتغلب عليها المبالغة . ولكن بعد أن هدأت النفوس ، وتجاوز الزمن الأحداث بما يزيد على ربع القرن ، يمكن تحليل تلك الحرب بعقلانية وترو ، من خلال عين فاحصة ناقدة بحيادية وموضوعية ، ففيها الكثير من الدروس الجديرة بالافادة واتخاذها عبراً للمستقبل . وهذا هو شأن التاريخ العسكري ، حيث يبحث في الحروب من أجل استثمار دروسها في أية حرب لاحقة ، مع ملاحظة الظروف والمتغيرات التي طرأت ، والعمل بما يلائم الحاجة . فلا يزال العسكريون يدرسون الحروب التي مضى عليها آلاف السنين برغم تغير العدة والسلاح ، والتطورات العلمية والتقنية والظروف والبيئة ، التي تُخاض فيها حروب اليوم .

إن الدراسات التي يضمها هذا الكتاب غير متجانسة من حيث الحجم ، فبعضها يتجاوز مئة صفحةٍ ، وبعضها الآخر لا يزيد على الثلاثين صفحة إلا قليلاً، وجاء كل منها بتحليل يخدم الاغراض التي جرت من اجلها الدراسة . إن أول البحوث جاء لغرض الدراسة الاكاديمية ، وما تلاه وجهة نظر سياسية ، وثالث انطوى على وجهة نظر مهنية لجندي محترف ، ويليه آخر يمثل وجهة نظر عربية، وختامها بحث استخلص درساً حيوياً من الحرب ، ألا وهو الأمن . ولكن البحوث بمجموعها تقدم دراسة متكاملة ، فما أغفله أحدها عالجه الآخر ، وما بدا مبالغاً فيه في بحث ، ناقشه الآخر بموضوعية متوازنة تنم عن اعتدال الرأي . وكلي ثقة أن من يقرأ الدراسات الخمس بامعان وبعين فاحصة ، ترى ما بين السطور ، يستطع أن يستخلص الكثير من الحقائق لمجريات حرب تشرين ١٩٧٣، وعلى الاخص إذا كان ذا رؤية مهنية خبيرة ، تميّز بين الغث والسمين .

لنعُد إلى الدراسات ونلق عليها نظرة ، وعلى كتابها ، فإن ذلك ولاشك سوف يجعل الأمور أكثر وضوحاً ، ويستطيع القارئ أن يعرف الدوافع التي حدت بالكاتب وجعلته يقول ما قاله في بحثه . فكل منهم انطلق من خلفيته ودوافعه ، وما يرمي إليه من أهداف ، وما يتطلع إليه من أمور يريد ايصالها إلى القارئ .

١. قراءات تعبوية مختارة من حرب الشرق الأوسط ١٩٧٣ - كلية القيادة والأركان الأمريكية - لفنورث .

إن هذا البحث دراسة اكاديمية صِرف تخدم الغرض الذي اعدت من اجله ، ألا وهو تعليم نخبة من الضباط دروس الحرب واسلوب تحليلها ، للافادة من ايجابياتها وتجنب سلبياتها ، خاصة إنها حرب حديثة استخدمت فيها اسلحة وتقنيات طرفي الحرب الباردة ، وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (آنئذٍ)، وكانت فرصة لهما لمعرفة كفاءة وأداء تلك المنظومات .

أعدت البحث مجموعة من ضباط الكلية اعتمدت البحث الاكاديمي من أجل بلوغ الغرض المنشود .

ولذلك اختاروا عناوين رئيسة للدروس التي توصلوا إليها كما هي العادة في دراسة التاريخ العسكري لغرض تشبيع الدارسين بمفاهيمها وعِبرها .

٢. أما البحث الثاني فموسوم (وجهة نظر بريطانية سياسية بشأن حرب تشرين ١٩٧٣) ، أعدته اليزابيث مونرو ، وهي باحثة في المعهد الدولي للدراسات الستراتيجية ، وصدر ضمن منشورات اوراق ادلفي .

ركزت الدراسة على الجوانب السياسية وجذور المشكلة ، والخلافات بين الأطراف العربية ذاتها ، وبينها وبين الكيان الصهيوني من ناحية أخرى قبل حرب تشرين ١٩٧٣ ، وكيفية تأثير ذلك في مجريات الحرب . وهي دراسة مفيدة تجعل القارئ على بينة مما حدث وتسهل عليه فهم تشابك العلاقات ، خاصة إن الباحثة متخصصة في شؤون المنطقة وفي الصراع العربي - الصهيوني .

٣. أعد البحث الآخر الموسوم (حرب تشرين الأول ١٩٧٣ - وجهة نظر بريطانية) ، اللواء هوكلي ، مدير التطوير القتالي في الجيش البريطاني ، واصدرته منشورات اوراق ادلفي أيضاً .

جاء هذا البحث مهنياً يعالج الحرب من وجهة نظر عسكرية لضابط محترف يدير التطوير القتالي في جيش بلاده ، ويهمه كثيراً معرفة تفاصيل تلك الحروب

ليستثمر ما يفيده منها في تطوير جيشه ، وهي تجربة تحمّل اعباءها الآخرون في جميع المجالات ، وخاصة خسائرها البشرية والمادية ، واستخلص منـــها دروساً حسب قناعته واجتهاده ، وأخذ منها ما يشاء من دون عناء أو مشـقة في خوض غمارها .

٤. جاء البحث الرابع موسوماً (حرب تشـــرين الأول ١٩٧٣ - وجهـة نظـر عربية)، من اعداد الأستاذ خليل إبراهيم حسين الزوبعي ، وهو الوحيد الـــذي عرض خطط كل من مصر وسورية وقواتهما بصورة مفصلة أكثر من غـيره ، وأعطى الصورة الواضحة عن الاستحضارات وسير المعركة ، وكـــانت بحـق وجهة نظر عربية كما هو إسمها ، بيّنت ما للعرب وما عليهم .

٥. وأخيراً ، ما جاء في الكراسة العسكرية البريطانيـــة الموسـومة (اسـتخدام القوة)- المجلد الأول ، الجزء الأول ، المرقمة ٧١٣٣٤ في ١٩٨٥ - التـي تعدّ الكراسة الأساس التي تستند إليها جميع الكراسات الأخرى ، لأنها تضـع النهج الواجب اتباعه وتطبيقه في القوات المسلحة . لقد أدخلت هذه الكراسـة موضوع (الأمن) وتطبيقاته في جبهة قناة السويس كدرس يحتـــذى بـه ، وينبغي توخيه في ضوء تلك الممارسات ، التي حققت المباغتة الكاملـة فـي هذه الجبهة . ومما لاشك فيه أنهم لا يُدخلون ذلك المبـــدأ عبثـاً ، بـل بعـد اقتناعهم أن ما انجز في بابه يستحق الاقتباس والاعتبار .

إن دراسة البحوث الخمسة ، وما طرحته مـــن آراء ومناقشـــات ، وافكـار تعطي العسكريين المهتمين خاصة ، رؤية واضحة عن طبيعة الصراع الـــذي دار في المنطقة في حينه ، وما رافقه من ملابسات ، وسيكون في استطاعتهم التعرف على الكثير من الحقائق ، التي لم تكن معروفة لهم ســـابقاً ، خاصـــة إن أربعـة بحوث من الخمسة كتبها اجانب ، لم تخلُ من انحياز في بعض جوانبها ، للتقليـــل من شأن رجال الجيوش العربية وانجازاتهم ، واطراء الصهاينة والمبالغة في مـــا قدموه وانجزوه . ولكنهم برغم ذلك لم يســـتطيعوا طمـــس الحقيقـــة ، وســـجلوا

باقلامهم ما انجزه العرب في تلك الحرب وانهاء اسطورة (الجيش الذي لا يقهر)، إشارة إلى جيش الكيان الصهيوني - الاعتراف سيد الادلة - .

إن هذا الكتاب سوف يسد فراغاً كبيراً في مجـــال تحليـل حــرب تشــرين ١٩٧٣، الذي تفتقر إليه المكتبة العسكرية . كما إنه في الوقت ذاته يرينـــا نمطـــا من التفكير والتحليل في مثل هذه المستويات التي اعدت البحوث ، فكلها أطـــراف لها وزنها وتنتسب إلى معاهد ومؤسسات لها سمعتها العالمية ، وتعتمد اصداراتها مراجع موثوقة ، ولكن تبقى وراء مقاصدها في البحث والتحليل ، وعلينا أن نمـيز الغث من السمين ولا ننساق وراء رؤيتهم وآرائهم ولا نبني عليها قناعات نهائية، فالفحص والتمحيص والتعمق مطلوب ، فلا يزال هناك الكثير من الحقائق محفوظـة في صدور الرجال ، ولابد لها من الظـــهور يومـــاً ، وعندهـــا تتغـير المفـــاهيم والقناعات .

الفصل الاول

قراءات تعبوية مختارة

من حرب الشرق الأوسط ١٩٧٣

كتاب مرجعي يمثل وجهة النظر الأمريكية

صادر عن

كلية القيادة والأركان العامة لجيش الولايات المتحدة الأمريكية

الرقم **2-R P 100**

الفصل الأول

المبحث الأول

التمهيد

لكي يكون لدينا تصور واضح عن آخر الحروب في الشرق الأوسط، فمن الضروري أن نأخذ بالحسبان الأحداث التي أدت إلى إنشاء [دولة (الكيان الصهيوني) الحديثة] في عام ١٩٤٨ ، وما بعدها بصورة موجزة . تعود جذور الصراعات الحديثة بين العرب ـ و(الكيان الصهيوني) كافة إلى رغبة الخصمين ـ الفلسطينيين واليهود ـ في السيطرة على الرقعة الجغرافية من الأرض نفسها . لقد جاء تأسيس (الكيان الصهيوني) في عام ١٩٤٨، كثمرة لجهود المنظمة الصهيونية العالمية خلال (٥٠) عاما الماضية . وقد أعطى وعد بلفور أول قوة دافعة خارجية مهمة لذلك ، وتعهدت فيه الحكومة البريطانية بإسناد تأسيس موطن قومي لليهود في ارض فلسطين على نحو لا يعرض الحقوق المدنية والعسكرية التي تتمتع بها الأغلبية العربية للأذى . وستكون فلسطين دولة مستقلة تحت الحكم البريطاني لحين بلوغها النضج السياسي .

وعلى كل حال ، توصل البريطانيون بعد فترة (٣٠) عاماً من ذلك إلى أن التطبيق العملي لاعلأن بلفور أصبح في حكم المستحيل ، نتيجة عناد العرب والصهاينة بشكل رئيس . ومع تقديم سلسلة طويلة من مقترحات دستورية لحل المشكلة ، كان هناك على الدوام رفض قاطع من هذه الجهة أو تلك عبر سنوات من الحكم البريطاني الذي أستمر طويلا . وخلال هذه الفترة ، أستخدم العنف والإرهاب من كلا الجانبين باتجاه تحقيق غايات معينة . أصبحت مخاوف العرب الفلسطينيين من ظهور أغلبية يهودية في المنطقة نتيجة استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين معضلة رئيسة .

ازداد عدد اليهود بين عامي(١٩٢٢ ـ ١٩٣٩) من(٤٨٠٠٠) إلى (٤٤٥٠٠٠) نسمة، ويمثل هذا العدد ثلث العدد الكلي لسكان فلسطين آنذاك(*).

مع بداية عام ١٩٣٠ ، فرضت أنواع مختلفة من التحديدات على هجرة اليهود إلى فلسطين من قبل البريطانيين بناءا على إصرار العرب. وأصبح تعزيز هذه الإجراءات، على الرغم من كونها غير مؤثرة على الأغلب ، يكوّن صعوبة للبريطانيين بصورة خاصة، نتيجة بدء النازيين باضطهاد اليهود وانتشار هذه الأعمال على نطاق أوربا.

قامت بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية بعرض قضية فلسطين على الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقررت هذه المنظمة العالمية في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، تقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين، إحداهما للعرب والأخرى لليهود . (راجع الخرائط ، خطة تقسيم الأمم المتحدة). كانت الإجراءات التفصيلية لخطة الأمم المتحدة مشابهة تماما لمحتويات المقترح الصهيوني المقدم قبل سنة من ذلك الوقت . لقد جاوزت الأراضي التي خصصت للدولة اليهودية الحديثة من ناحيتي الكمية والنوعية الحد الذي كان يمثل التوزيع المتوازن على أساس عدد النفوس . وهكذا تمت مكافأة الصهاينة بالجزء الأكبر من البلاد ، بضمنها اكثر المناطق الساحلية أهمية على الرغم من كون عدد نفوسهم يمثل الحد الأدنى من نصف عدد سكان فلسطين .

رفض العرب الفلسطينيون الالتزام بقرار الأمم المتحدة ، وبدأوا بالتهيؤ لخوض الحرب . على الرغم من مشاركة المتطوعين من الدول العربية الأخرى في القتال بجانب اخوتهم الفلسطينيين ، إلا أن القوات غير النظامية العربية التي كونت على عجل لم تتمكن من منافسة القوات الصهيونية المنظمة بشكل جيد .

---

* من الضروري الانتباه على عملية لي الحقائق المتفشية في الكتابات الغربية والتي تجعل من الضحايا (العرب) والمغتصبين (الصهاينة اليهود) على الدرجة نفسها من الحقوق.. إن ما سيرد في هذا البحث يمثل وجهة نظر امريكية لا تلزمنا بشيء. (المترجم)

أعلن عن تأسيس (الكيان الصهيوني) في ١٤آيار١٩٤٨ ، واعترف به فور الإعلان كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. اتجه الانتداب البريطاني تباعا نحو الزوال ، وباشرت قوات من مصر والأردن وسورية والعراق ولبنان بالدخول الى (الكيان الصهيوني) في محاولة لسحق هذه الدولة الحديثة وإنهائها . أصبح مجموع القوات العربية المشاركة في البداية بحدود (٢٥٠٠٠) رجل فقط، مقابل قوات (صهيونية) كانت تقدر بحدود (٣٥٠٠٠) رجل . ازدادت القوات العربية المنتشرة في المنطقة في منتصف شهر تشرين الأول بحدود (١٠٠٠٠٠) رجل . وباستثناء اللواء العربي المشكل من قبل البريطانيين في الأردن ، فان القوات العربية كانت ناقصة التدريب ولا تتمتع بأية خبرة عملية في القتال . بينما كانت القوات (الصهيونية) تعمل على المناورة على الخطوط الداخلة ، وتتضمن بحدود (٢٠٠٠٠ ــ ٢٥٠٠٠) رجل من ذوي الخبرة والدراية نتيجة مشاركتهم في معارك الحرب العالمية الثانية . حقق العرب بعض النجاحات الأولية إلا أن تقدمهم الذي جرى أُحبط لاحقا.

أحكمت (القوات [الصهيونية]) زمام سيطرتها في شهر كانون الثاني ١٩٤٩ على المنطقة التي حددت كأراضٍ (صهيونية) وحتى حزيران عام ١٩٦٧، على الرغم من أن مساحتها كانت أكبر من الأراضي التي حددت بقرار الأمم المتحدة. أما القسم الباقي من فلسطين والذي كان بيد العرب فقد كان محدودا بتلك المناطق الممسوكة من قبل اللواء العربي الأردني إضافة إلى قطاع غزة الذي كان تحت تصرف القوات المصرية . وقد الحق القطاع الذي كان ممسوكا من قبل اللواء العربي الأردني بالأردن ، ويشار إليه بالضفة الغربية . أما مدينة القدس فقد قسمت بين (الكيان الصهيوني) والأردن[*] . وفي نفس العام تم توقيع معاهدة هدنة منفصلة بين (الكيان الصهيوني) من جهة والدول العربية المجاورة من جهة أخرى .

---

* القدس لم تقسم ولكن سيطر الصهاينة على القسم الغربي نتيجة لحرب ٤٨ (المترجم).

أسست الدولـة اليهودية القديمـة المشـخصة[1] (بأرضـها وشعبـها ودينها والسيادة السياسية لهـا) . لم تعترف بوجودهـا أي مـن الـدول العربية ، ومع ذلك ، عدَت هذه الدول إنها في حالـة حرب مستمرة معـها ، على الرغم من توقيع معاهدة الهـدنـة . واعتادت هذه الدول إطـلاق تسـمية (فلسطين المحـتلة) على (الكيان الصهيوني) .

استمرت حالة التوتر خلال الأعوام (١٩٤٩ ــ ١٩٥٥) بيـن (الكيـان الصهيوني) من جهة والدول العربية من جهة أخـرى ، وازداد التوتـر شـدة نتيجة خروج (٩٠٠٠٠٠) لاجئ عربي فلسطيني من ارض فلسطين . شـنت خلال هذه الفترة عمليات ضد (الكيان الصهيوني) في إطـار حـرب عصابـات منظمة بين حين وأخر من إحدى الدول العربية المجاورة لها أو اكثر . وجـد (الكيان الصهيوني) أن حدوده الموسعة غير أمينة و كانت تعـاني الظـروف الاقتصادية الصعبة نتيجة سيطرة العرب على قناة السويس من جهة ومضيـق تيران من جهة أخرى. أرادت الدول العربية فرض المزيد من الضغـط علـى (الكيان الصهيوني) وبالأخص من خارج حدوده المثبتة في قرار التقسيم للأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ ، وطلبت من (الكيان الصـهيوني) إعـادة اللاجئيـن العرب الفلسطينيين إلى أراضيهم السابقة .

شارك (الكيان الصهيوني) في الهجـوم على مصر مع القوات البريطانيـة والفرنسية في تشرين الأول ١٩٥٦ ، وتمكنت وبسرعة كبيرة من احتلال قطاع غـزة وشبه جزيرة سينـاء . استهدف (الكيان الصهيوني) من هذه العمليـة السيطرة على مضيق تيران والممرات المؤدية إلى قناة السويس ، بينما كـانت الدول الساندة له تأمل استعادة السيطرة على قناة السويس التي تم تأميمها من قبل مصر في شهر تموز من العام نفسه. تمكنت الولايات المتحدة والاتحـاد السوفيتي من فرض ضغوط منفردة ومشتركـة من خلال الأمـم المتحـدة ، لإيقاف إطلاق النار، وأجبرتا القوات البريطانية والفرنسية على الانسحاب مـن مصر. كما أجبرت القوات الصهيونية على الانسحاب من سيناء وقطاع غـزة، إلا إنها حصلت لها على ممـر من خلال مضيق تيران مقابل ذلك .

---

[1] راجع هامشنا السابق ولاحظ المغالطة التاريخية الواردة هنا . (المترجم)

استمرت هجمات العصابات والضربات المدفعية العربية على المناطق السكنية الصهيونية بين عامي ١٩٥٧ ـ ١٩٦٦، أعقبتها ردود فعل (صهيونية)، وهكذا استمر التوتر بأعلى درجات الشدة . وازداد النزاع عنفا نتيجة أحكام (الكيان الصهيوني) سيطرته على المناطق المنزوعة من السلاح وطروحاته بصدد تحويل مجرى مياه نهر الأردن لأغراض الارواء . تعهد الرئيس ناصر في تشرين الثاني ١٩٦٦ بمساعدة السوريين في حالة قيام (الكيان الصهيوني) بالهجوم عليها . وبعد فترة قصيرة من هذا الوعد ، باشرت العصابات بشن هجماتها على (الكيان الصهيوني) من الأراضي السورية ، وبالمقابل بدأ (الكيان الصهيوني) بتصعيد عملياته الانتقامية . رد ناصر على إعلان سورية قيام (الكيان الصهيوني) بحشد قواتها على الحدود ، بعدة خطوات استفزازية . وطلب الرئيس ناصر الانسحاب الفوري لقوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة من خط الهدنة بين (الكيان الصهيوني) ومصر ، واغلق مضيق تيران بوجه الملاحة (الصهيونية) بالكامل إضافة الى أية سفينة تحمل على ظهرها مواد ستراتيجية (الكيان الصهيوني)، وأعلن النفير للقوات المسلحة المصرية وباشر بحشدها على الحدود المصرية في سيناء ، كما وأعلن نياته في تدمير (الكيان الصهيوني) . استجاب (الكيان الصهيوني) لهذه الأعمال بالقيام بشن عملية هجوم مباغت أطلق عليه (الهجوم بالشفعة أو الهجوم الاستباقي) وذلك في صباح يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ ، أدت إلى اندحار القوات السورية والأردنية والعراقية [١] والمصرية . وحالما أصبح قرار وقف إطلاق النار ساري المفعول بعد (٦) أيام ، احتل (الكيان الصهيوني) قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء من مصر ، والضفة الغربية من الأردن ومرتفعات الجولأن من سورية . (راجع الخرائط) .

حدث هذا الاندحار الكاسح نتيجة التقديرات الخاطئة للمصريين للعوامل المتحكمة في ميزان القوة العسكرية . لقد اقتنع ناصر

---

[١] لم تتح الفرصة للقوات البرية العراقية بالاشتراك الفعلي في القتال وبالاخص على الجبهة الاردنية إذ شن الهجوم وكانت القوات العراقية في المراحل التمهيدية (التحشد والتنقل للتحشد). (المترجم)

بآراء مستشاريه من القادة العسكريين بان مصر تمتلك تفوقاً عسكرياً ساحقاً على (الكيان الصهيوني) ، وعدت انتصاراتهم السابقة نتيجة مشاركة قوى خارجية لإسنادهم وليس بسبب عدم كفاءة المصريين . لذا كان اهتمام ناصر الجدي منصبا فقط على إمكانية تدخل الأمريكان فيما إذا بدأت مصر بالهجوم أولا . وهكذا حصل على التأكيدات من قياداته في الجيش والقوة الجوية بان مصر قادرة على امتصاص الضربة الأولى (الصهيونية) وتحقيق النصر عليها . وقد جاء التقدير الحرج (القاتل ـ المترجم) من قائد القوة الجوية المصرية ، صدقي محمود ، الذي كان يعتقد بان فقدان الطيران المصري لا يتجاوز اكثر من نسبة ٢٠% من المجموع الكلي للقدرة الجوية المصرية في حالة قيام (الكيان الصهيوني) بهجوم إستباقي. والواقع اثبت أن مصر فقدت أكثرية قواتها الجوية وطائراتها وهي جاثمة على الأرض يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ . دمر الجيش المصري الذي كان يقاتل من دون غطاء جوي بسهولة بالغة وتحطم نتيجة إجراءات كبيرة ضده في صحراء سيناء . ويتذكر المصريون مدى وهن الدروع تجاه الهجوم من الجو في حرب عام ١٩٧٣ . وقد أدت الثقة العالية التي كان المصريون يعتقدون بأنهم يمتازون بها إلى فشلهم الكبير في استيعاب المساعدات من العالم العربي وتنسيق جهودها بشكل مؤثر مع القوات السورية والأردنية ضد (الكيان الصهيوني) .

وهكذا فان حرب ١٩٦٧ ، أقنعت العرب بان القبول بالضربة الأولى (الصهيونية) لم تكن صحيحة ، وشعروا بان مزيدا من الجهود العربية المنسقة والموحدة بات ضروريا ، كما وأجبرت الدول العربية على إعادة تقويم التوازن العسكري وإعادة بناء الجيوش المندحرة بشكل كامل .

اعتمدت مصر وسورية في عملية إعادة بناء قواتها المسلحة على الاتحاد السوفيتي ، وركزتا على الجوانب الواهنة فيها والتي أظهرتها حرب الأيام الستة من جهة ومن جهة أخرى كان التركيز منصبا على معالجة الأسلحة (الصهيونية) الأكثر نجاحا في المعركة ـ القاذفة ـ المقاتلة والدروع .

هذا من جانب ومن جانب آخر ، فإن النصر السهل والسريع الذي تحقق (للكيان الصهيوني) عزز من القاعدة (الصهيونية) القوية من (أن القوات العربية جبانة وعديمة القدرة على أي عمل). وهكذا حقق ضم (الأراضي

المحتلة) (للكيان الصهيوني) حدود آمنة نسبيا للمرة الأولى في تاريخها ، وبصورة خاصة تجاه مصر من الغرب . واعتمادا على الإحساس العالي وبشكل كبير بالأمن والقدرة التي يمتازون بها ، فقد أصر (الصهاينة) بأن الدول العربية ستوافق على دخول مفاوضات مباشرة معهم من دون شروط مسبقة . ومع كل ذلك ، قررت الدول العربية في مؤتمر الخرطوم الذي انعقد في آب ١٩٦٧ بالإجماع إصرارهم على انسحاب (الكيان الصهيوني) من الأراضي المحتلة كشرط مسبق ضروري لأية مفاوضات مقبلة .

وافق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على القرار ٢٤٢ بالإجماع في تشرين الثاني ١٩٦٧و أطلق عليه (سلام عادل و أخير)، والذي اعتمد على مبدأين :

(١) انسحاب قوات (الكيان الصهيوني) من أراض محتلة في الصراع الحالي[1]،

(٢) إنهاء المطالب كافة أو حالات الاشتراك الفعلي في الحرب واحترام السيادة وتكامل الأراضي والاعتراف بالاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها في الحياة بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها من دون تهديدات أو أعمال قوات .

ويجزم القرار أيضا على ضرورة :

أ . ضمان حرية الملاحة عبر الممرات المائية الدولية في المنطقة.

ب. تحقيق حل عادل لمشكلة اللاجئين .

جـ. ضمان عدم انتهاك الأراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة، من خلال إجراءات خاصة تشمل إنشاء منطقة منزوعة من السلاح.

ولسوء الحظ ، فان محاولات كونار يارنك ، ممثل الأمم المتحدة وكبار رجالات الدولة في العالم لتنفيذ قرار مجلس الأمن أو أيجاد أسس أخرى للمفاوضات لم تجد نفعا. لان الطلب بصدد انسحاب (صهيوني) من (الأراضي

---

[1] يمثل هذا النص الترجمة الملتوية للقرار ٢٤٢ ، التي لم تعرف الاراضي بل تركتها بدون اداة التعريف الانكليزية (The) كعادة الانكليز (صانعي مشروع القرار) في ترك بعض الجوانب مبهمة لاغراض المساومة . (المترجم)

المحتلة في الصراع الحالي) كان يحوي بعض الغموض ، فيما إذا يعني من الأراضي كافة أو من بعض منها؟ وأين هي (الحدود ...الآمنة) ؟؟ .

لم يتحقق أي تقدم يذكر نحو سلام دائم وثابت منذ نهاية الأعمال العدائية في عام ١٩٦٧ ولحين الشروع بحرب عام ١٩٧٣ . واتخذ (الكيان الصهيوني) إجراءات إدارية من جانب واحد بإلحاق القطاع العربي من القدس اليه ، انتهاكا لعدة قرارات للأمم المتحدة وزادت هذه الإجراءات من إثارة غضب العرب واستمرت هجمات عرب فلسطين الإرهابية [1] واستمرت معها عمليات (الكيان الصهيوني) الانتقامية ووصلت إلى أعماق جديدة من التفسخ والوحشية . أما عبر قناة السويس ، فكانت حرب استنزاف مستمرة بالمدفعية والقوة الجوية ووصلت إلى ذروتها في عام ١٩٧٢ .

وقد أظهرت هذه العوامل كلها ان حرباً رابعة بين العرب و(الصهاينة) أصبح من المتعذر تجنبها ، وخاصة بالنسبة للدول العربية ولاجل كسر الجمود السياسي باشرت مصر وسورية بالتخطيط وممارسة هجوم مباغت على (الكيان الصهيوني) . وفي إطار عمليات الممارسة على الهجوم ، قامت مصر بتحريك جيشها للهجوم على المواضع الكائنة على القناة ما لا يقل عن (٤١) مرة خلال السنوات التي سبقت الحرب . وعلى الشاكلة نفسها أكملت سورية نفير قواتها وحركت جيشها بأكمله نحو مرتفعات الجولان في كل صيف خلال سنوات عديدة ماضية .

هناك عاملان مؤثران بشكل قوي على القرار العربي للهجوم . أولهما ، هو أن المصريين كانوا يخشون من استمرار الانفراج بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والذي ربما يؤدي إلى تجميد حالة عدم الاستقرار في الشرق الأوسط ، وهذا يضمن (للكيان الصهيوني) استمرار التحكم بـ(الأراضي المحتلة) . وثانيهما ، هو أن تدفق المعدات السوفيتية وفرق خبراء التدريب قد أوصلا الجيوش المصرية والسورية إلى درجة عالية من

---

[1] لا يجوز من وجهة نظر القانون الدولي اطلاق صفة (الارهاب) على المقاومة المسلحة للاحتلال ولا على حرب التحرير الشعبية . (المترجم)

حالة الاستعداد وقادا إلى الأمل ضمن القيادات العسكرية العربية وبدا الهمس بصدد إمكانية تحقيق النصر في الوقت الحاضر .

اعتمدت خطط السوريين والمصريين للهجوم المباغت على (الكيان الصهيوني) من العوامل التالية :

- كانت القوات (الصهيونية) في أعلى درجات الثقة الزائدة بالنفس .
- كان القادة السياسيون (الصهاينة) منهمكين بالانتخابات القادمة وكانوا معارضين بدرجة كبيرة لأية تعبئة (إعلان النفير – المترجم) لقواتهم بشكل غير ناضج .
- كان الاهتمام في (الكيان الصهيوني) منصبا على النجاح الكبير الذي حققته العصابات الفلسطينية في النمسا .
- عدم سماح القوة البشرية والموقف الاقتصادي في (الكيان الصهيوني) بتحمل خسائر كبيرة أو بتمديد التعبئة لفترات طويلة .
- تقلصت الفوائد السابقة التي جناها (الكيان الصهيوني) من اعتمادها على المناورة على الخطوط الداخلة نتيجة احتلالها الأراضي المحتلة حيث أصبحت المسافة بين الجبهتين الشمالية والجنوبية بحدود (٥٠٠ كم) .
- أخذت مصر بنظر الاعتبار الفوائد التي جناها (الكيان الصهيوني) من التفوق الجوي والتقدم التقني والتدريب الشاق لقواتها . وتم اختيار يوم ٦ تشرين الأول موعدا للهجوم لضمان المتطلبات التالية:

- يكون ضوء القمر ليلا في أطول فتراته الممكنة نتيجة بزوغ القمر مبكرا وأفوله متأخرا ، وهذا ملائم جدا ولصالح بناء الجسور .
- تكون سرعة التيار المائي داخل القناة في أدنى حد ممكن ، وتساعد هذه على عملية العبور .
- سوف تكون ردود فعل (الكيان الصهيونية) بطيئة ، لمصادفة هذا اليوم موعد(عيد الغفران) ، وهو من اكثر الأعياد قداسة في التقويم الديني لليهود ، وسيكون أغلبية الجنود (الصهاينة) في إجازة .
- لا يتوقع (الكيان الصهيوني) أي هجوم خلال هذا الشهر ، لان شهر رمضان هو الشهر الذي يصوم فيه المسلمون خلال ساعات النهار .

يبدو أن الساعة ١٤٠٠ ، هي ساعة الشروع بالهجوم ، وقد اتفق عليها بين المصريين والسوريين . أراد السوريون أن تبدا ساعة الشروع بالعملية مع الصباح الباكر حيث تكون أشعة الشمس في ظهورهم وبالمقابل تكون في عيون (الصهاينة) ، بينما كانت رغبة المصريين أن تبدا ساعة الشروع بالعملية مع الغسق ، حيث تكون أشعة الشمس خلف ظهورهم ، وهذا يعطيهم الستر من الظلام لغرض إكمال بناء الجسور عبر القناة .

وهكذا ، وفي الساعة ١٤٠٠ من يوم ٦ تشرين الأول ١٩٧٣، قامت القوات المسلحة المصرية والسورية مسندة من معظم الدول العربية الأخرى بالهجوم على مواضع (الكيان الصهيوني) عبر قناة السويس ومرتفعات الجولان.

المبحث الثاني

التنظيم وتصميم المعركة

كانت فلسفة التنظـيم العـام وتأليـف القوات المسلحة للخصمين المتقابلين كما مدون في أدناه :

(الكيان الصهيوني)

تبعاً لمحدودية عدد السكان ومتطلبـات المؤسسـات والمعـامل الصناعيـة المتنافسة للأيدي العاملة ، اعتاد (الكيان الصهيوني) تبني خيار الاحتفـاظ بقـوة عسكرية عاملة صغيرة للدفاع ضد أي هجوم لحين إكمال عمليـة تعبئـة قواتـها الرئيسة الاحتياطية . ونتيجة تحصن قوات (الكيان الصهيوني) خلف موانع طبيعية أرضية التي احتلتها مثل شبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان ولثقتـها العاليـة بالقدرة القتالية لقواتها ، فأنها ألغت تعبئة قواتها الاحتياطية بسرعة كبـيرة بعـد حرب حزيران ١٩٦٧ واكتفت بقوات مسلحة عاملة صغيرة تقدر بـــــ(٩٥٠٠٠) شخص ، وانشات مواضع دفاعية جديدة . لذا يمكـن القـول ان قـوات الدفـاع (الصهيوني) اتخذت موقفا دفاعيا ضعيفا إلى حد ما ، إلا إنها بدأت بتطويـر تلـك العناصر من قواتها التي حققت لها النصر في حـرب عـام ١٩٦٧ ، أي القـوة الجوية والألوية المدرعة .

وخلال حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ وفي سيناء أُنشئ خط بارليف على طول قناة السويس . كان الخط على شكل سدة ضيقة على حافة القناة إلا إنـها كـانت ضخمة ، ونُظم فيها بين (٣٠) إلى (٤٠) حصنا، يبعد الواحد عن الأخر مسـافة (٣) كم . جرى أشغال هذا الخط الكبير بألوية المشاة التي كانت مهمتـها كشـف وتعويق أية محاولة لعبور القناة . اسند هذا الخط من الخلف باحتياط من القـوات المدرعة ، مع (٢٠) قاعدة للمدفعية والدفاع الجوي وتسـهيلات إداريـة . كـان المطلوب من القوات الاحتياطية المدرعة القيام بالعمل التعرضي وتامين القبضـة الفولاذية لرد أية محاولة مصرية لعبور القناة . كانت العناصر الأمامية كلها بإمرة

مقر فرقة مرتبة إضافة للواء مدرع آخر كاحتياط في منطقة قريبة من بنر جفجافة (راجع الخرائط) .

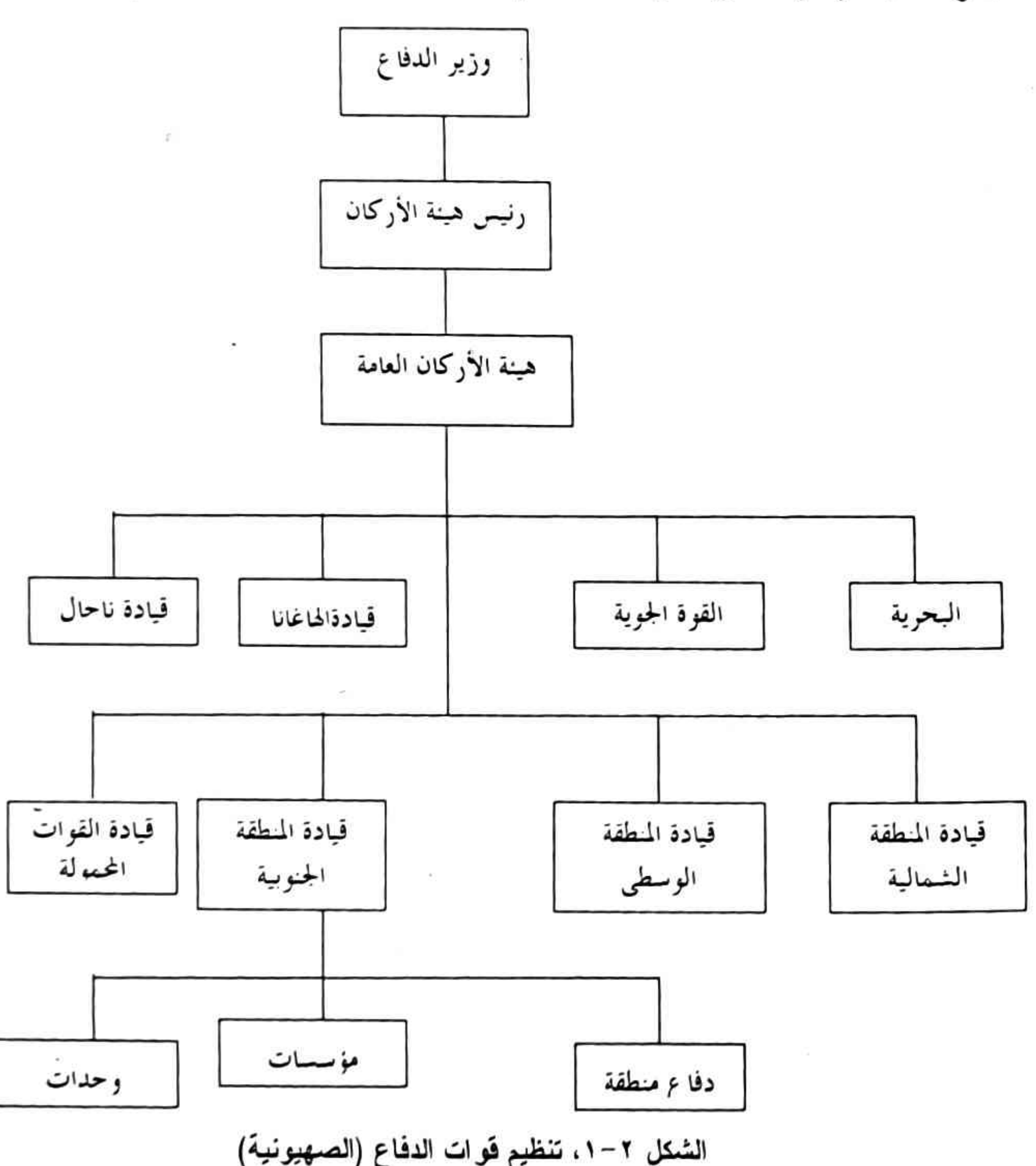
كان الموقف في مرتفعات الجولان مشابها لذلك تماما ، مع بعض الاختلافات في التنظيم الداخلي والذي تتم مناقشته بالتفصيل لاحقا . أُنشئ (١٢) حصنا قويا على خط وقف إطلاق النار في عام ١٩٦٧ ، والمعروف بخط (بوربل)، ويدخل ضمن هذا الخط موضع جبل الشيخ أيضا . جرى إشغال جميع الحصون القوية بفوجيْ مشاة موزعة على شكل جحافل سرايا وفصائل ، وكانت مهمة هذه القوات هي كشف وتعويق أية محاولة معادية للقيام باختراق الخط . اسندت وحدات المشاة في الحصون بلواءين مدرعين صغيرين ، وكانت مهمة القطعات المدرعة هي التحرك إلى الأمام واشغال مواضع نار مهيأة مسبقا حسب الأوامر (يطلق عليها خط مقاومة الخرق في العقيدة التعبوية الغربية ـ المترجم) ، جرى إسناد هذه القطعات بـ(١١) بطرية مدفعية . كانت هذه القطعات بإمرة مقر قيادة بحجم فرقة في منطقة (كفر نفاخ) (راجع الخرائط) .

كانت جميع الألوية المفتوحة في الجبهة متهيئة لاستيعاب قوات إضافية لتصبح بحجم فرقة خلال عملية التعبئة استعدادا لخوض حرب شاملة .

كان هناك أجمالي (٧) ألوية قتالية منظمة ضمن الجيش العامل ، وخلال استدعاء الاحتياط على وفق خطة التعبئة المعتمدة ، كان في مقدور (الكيان الصهيوني) إدخال من (٣٤) إلى (٣٦) لواء في الميدان . تؤمن القيادة والسيطرة في المستوى الأعلى من اللواء من قبل (١١) مقر فرقة يطلق عليه بالعبرية (أوغداس ـ Ugdahs). تتألف الفرقة (الصهيونية) من مقر فرقة زائدا وحدات إسناد قتالي(مثل المدفعية والدفاع الجوي والهندسة والمخابرة ..الخ ـ المترجم) ووحدات إسناد خدمات إدارية (مثل الطبابة والتموين والنقل والهندسة الآلية الكهربائية ..الخ ـ المترجم) ، وهي أي الفرقة مستعدة لقيادة أي عدد من الألوية على وفق مهمتها . (الشكل ٢ ـ ١ ، الترتيبات الخاصة بالقيادة والسيطرة العليا) [تنظيم قوات الدفاع الصهيونية].

جرى تقسيم البلد من الناحية الجغرافية إلى قيادات منطقة شمالية ووسطى وجنوبية . يكافئ كل قيادة منطقة بشكل عام مقر قيادة فيلق أمريكي ، والاختلاف الرئيس يكمن في أن قيادة منطقة (صهيونية) محددة بمنطقة جغرافية ثابتة.

خصصت لكل قيادة منطقة عناصر إسناد قتالي وإسناد خدمات قتالية عضوية حسب الحاجة . تجري السيطرة على قيادات المناطق الثلاث والقوة الجوية والبحرية من مقر مركزي واحد يطلق عليه مقر قوات الدفاع (الصهيوني) أو (مقر الجيش) . يعين رئيس أركان الجيش (الصهيوني) بمنصب قائد العام للقوات (الصهيونية) خلال الحرب . يكون مسؤولا أمام وزير الدفاع الذي يواجه القيادة المدنية بدوره . ومن الجدير بالملاحظة أن القوة الجوية والبحرية تعتمد أساسا على القوات العاملة بنسبة ١٠٠% على عكس القوات البرية التي تعتمد على القوات الاحتياطية خلال تنفيذ خطة التعبئة .



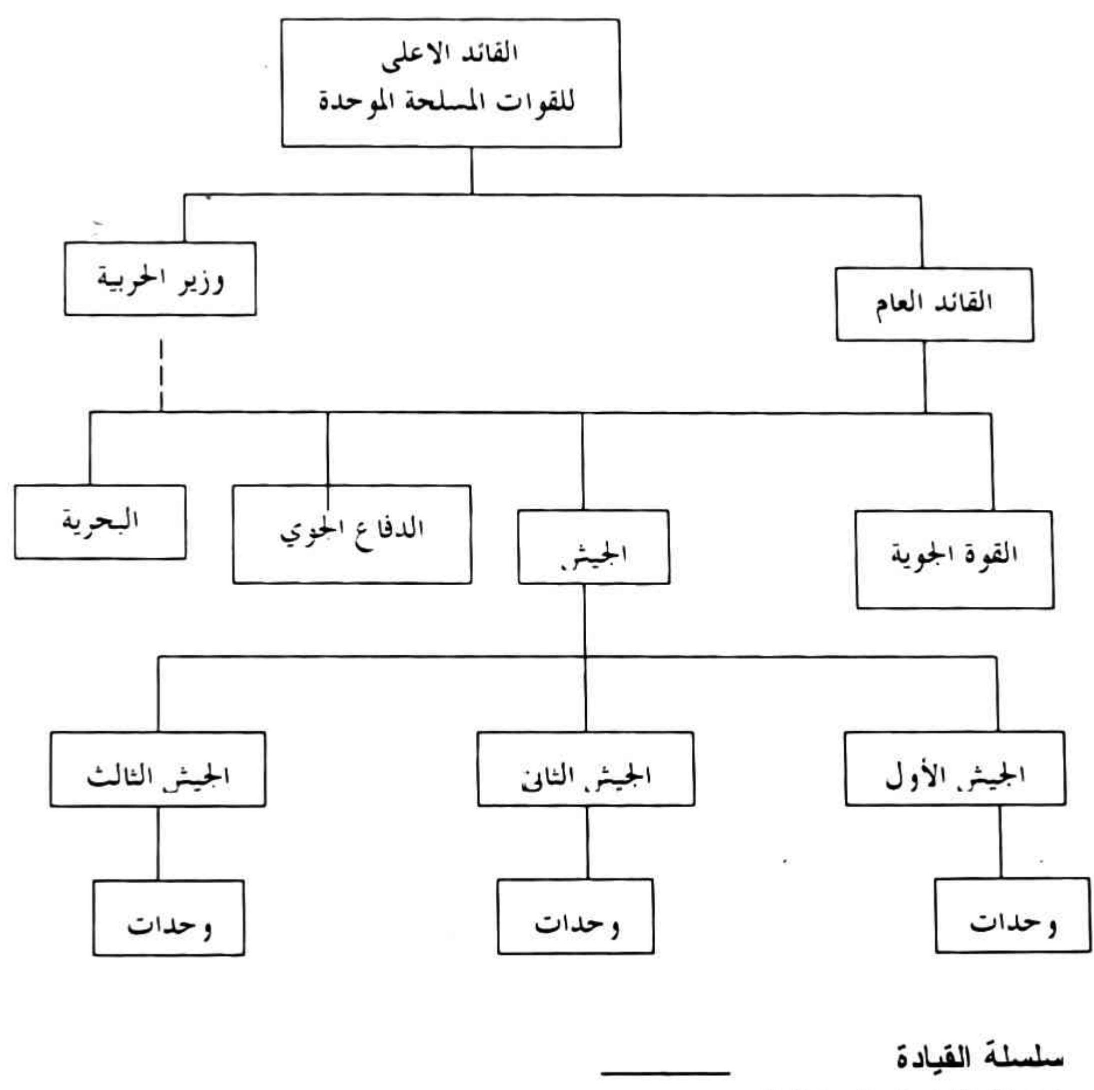
الشكل ٢-١، تنظيم قوات الدفاع (الصهيونية)

مصر وسورية

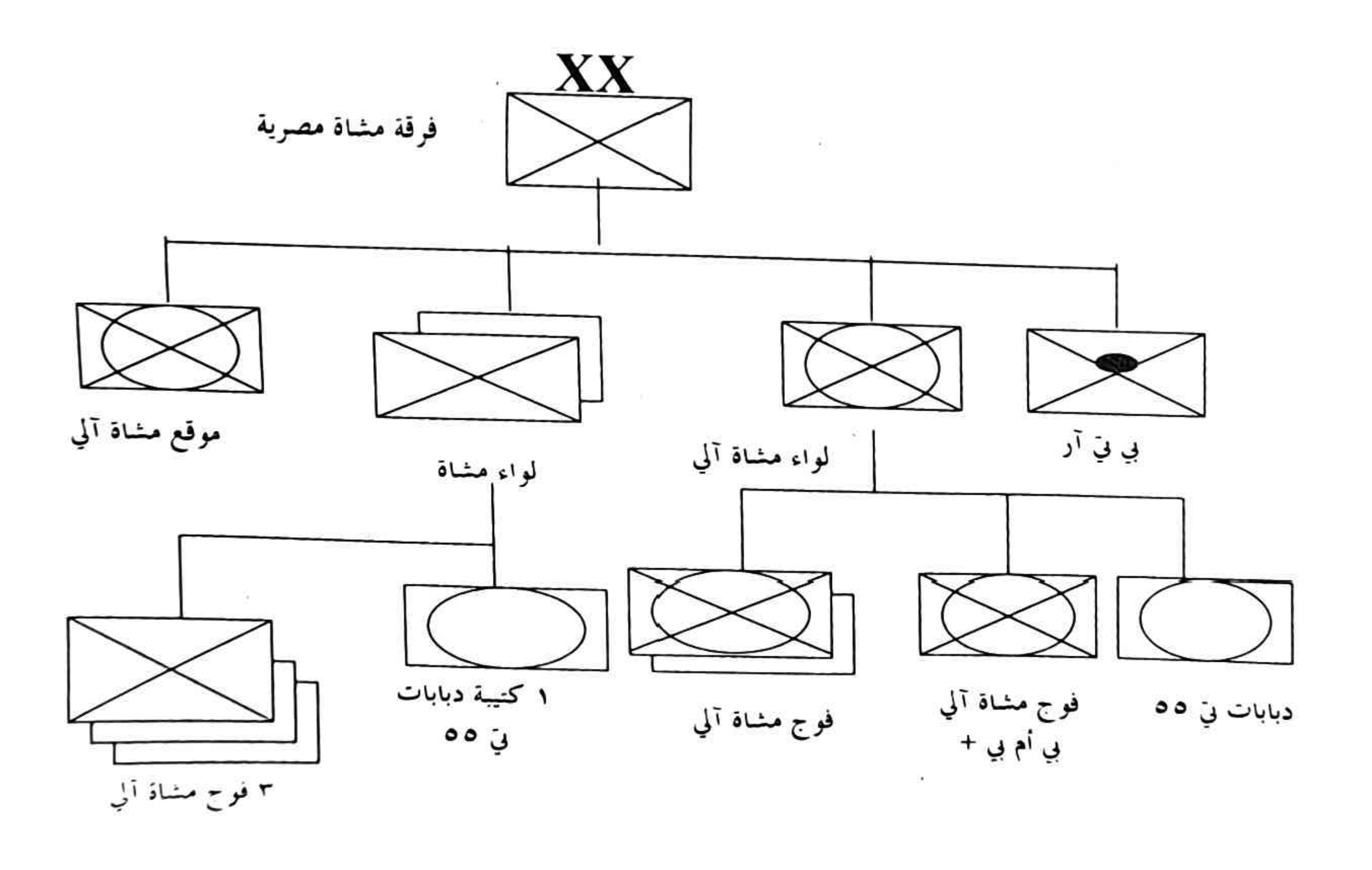
باشرت مصر وسورية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وبمساعدة الاتحاد السوفيتي بإعادة بناء قواتهما المسلحة من أدنى مستوى حتى الأعلى . استمرت مصر على الاحتفاظ بالمفاهيم البريطانية المعتمدة سابقا في تنظيم الوحدات والتشكيلات على أساس تنظيم ثلاثي ولا سيما في مستوى الفرقة ، إلا أن السوريين اتبعوا المفاهيم التنظيمية المعتمدة في القوات المسلحة في الاتحاد السوفيتي . وعلى كل حال ، فان كلاهما أعاد بناء قواته المسلحة بالاعتماد على المعدات السوفيتية كأساس .

يوجد لدى المصريين مقر مركزي واحد على غرار (الصهاينة) ، مع قائد عسكري واحد يقود القوات العسكرية كافة : الجيش والقوة الجوية والقوة البحرية والدفاع الجوي (الشكل ٢ ــ ٢) . ويكون هذا القائد مسؤولا أمام رئيس الدولة مباشرة . وكانت القوات المصرية التي شاركت في الحرب مؤلفة بشكل رئيس من عناصر من القوة العاملة .

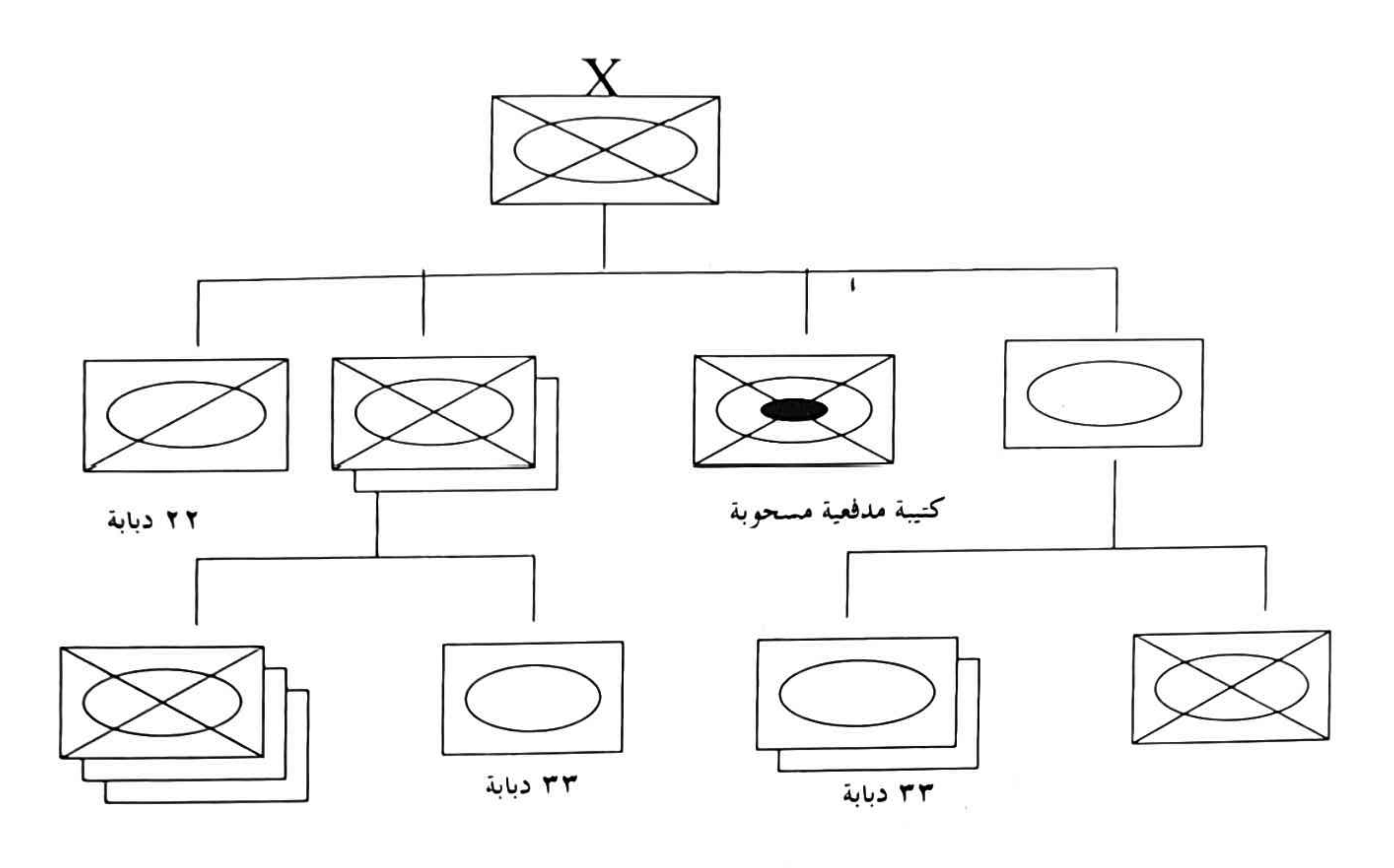
كان الجيش المصري منظما على أساس ثلاثة جيوش ميدانية ، ويأتي مستوى الفرقة كمستوى ثانٍ مرؤوس ، وهو يشبه جيش الصنوف المشتركة السوفيتية . كان الاعتقاد السائد في بداية حرب ١٩٧٣ هو أن القوات المسلحة المصرية مؤلفة من خمسة فرق مشاة كحد أدنى وثلاث فرق مشاة آلية مع فرقتين مدرعتين ، أما بالنسبة للقطعات الإضافية ، فكانت تقدر بلواءي مشاة ولواءي مظليين و لواءين مدرعين منفصلين و بحدود (٢٦) فوج صاعقة . كان من المعروف بان الجيشين المصريين الثاني والثالث هما اللذان قاما بإدارة الهجوم وكان لديهما بحدود (٥) فرق مشاة و(٣) فرق آلية وفرقتان مدرعتان. وكان السؤال الذي يراود الذهن آنذاك فيما إذا كانت الفرق المدرعة بإمرة القوات الهاجمة أم كانت تحت السيطرة المركزية للمقر الأعلى ؟ . وعلى كل حال ، ظهر فيما بعد بان لكل جيش ميداني فرقة مدرعة ولواء مدرعاً مستقلاً مجهزاً بدبابات تي ٦٢ إضافة إلى فرق المشاة وفرق مشاة آلية .



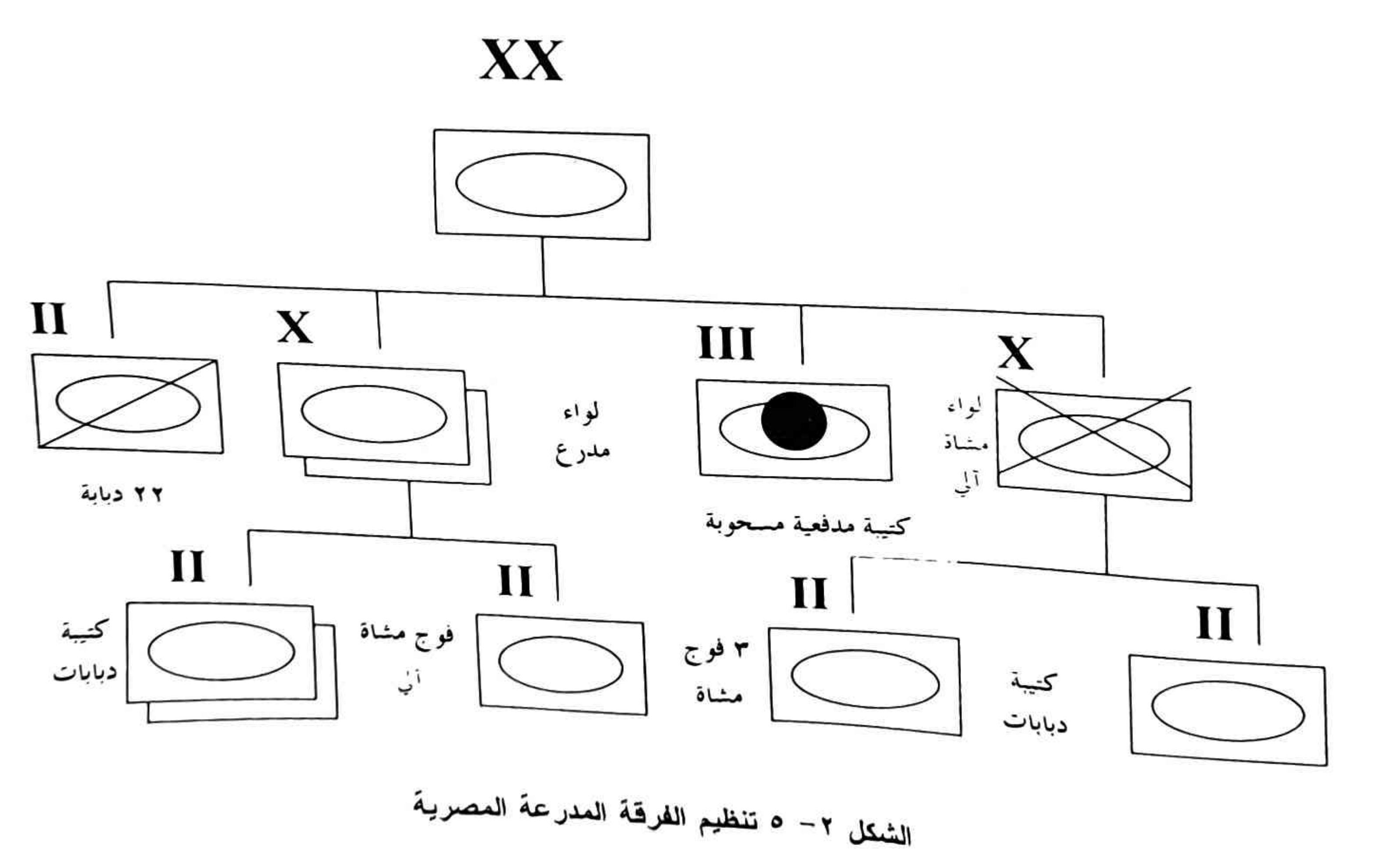
الشكل ٢-٢ . تنظيم القوات المسلحة المصرية
جرى توضيح التنظيم الداخلي للعناصر القتالية الرئيسة لكل نوع من أنواع الفرق في الأشكال ، ٢-٣ و ٢-٤ و ٢-٥.



الشكل ٢-٣ . تنظيم فرقة المشاة المصرية



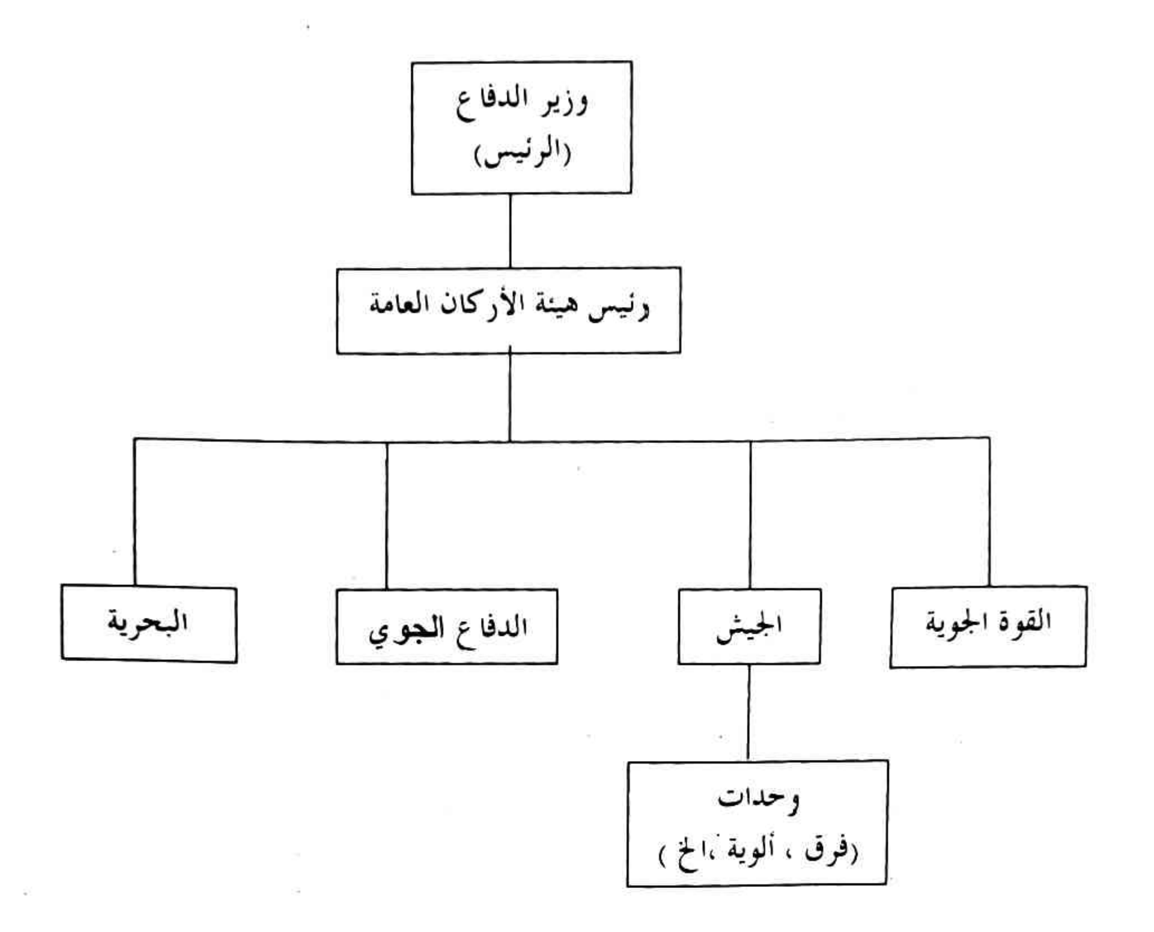
الشكل ٢-٤. تنظيم فرقة المشاة الآلية المصرية



الشكل ٢- ٥ تنظيم الفرقة المدرعة المصرية

نظم السوريون قواتهم بدرجة من المركزية تفوق ما لدى المصريين (الشكل ٢-٦). يقود رئيس الدولة القوات المسلحة أيضا كونه ضابطاً عسكرياً . نظمت القوات المسلحة السورية من أربعة فروع هي القوة الجوية وقيادة الدفاع الجوي والجيش والقوة البحرية . تقوم قيادة الدفاع الجوي بتنسيق الدفاع الجوي التعبوي مع الجيش والدفاع الجوي السوقي مع القوة الجوية . تتألف القوات البرية من ثلاث فرق مشاة وفرقتين مدرعتين . يعتقد بان القوات الإضافية التابعة للمقر العام تشتمل على ثلاثة ألوية مظلية ولواءي صاعقة ولواء مشاة آلي وثلاثة ألوية مدرعة . تعتمد القوات المسلحة السورية أيضا على القوات العاملة بشكل رئيس .

قامت مصر وسورية منذ عام ١٩٦٧ بتدريب وتنظيم وتهيئة قواتهما بدرجة عالية من الإتقان بأمل استعادة الأراضي التي فقدوها في حرب حزيران وذلك باستخدام الوسائل العسكرية فيما إذا فشلت المساعي السياسية . فحشدت قدرة قتالية كبيرة بعد إكمال تطويرها بهدف شن هجوم مباغت على قوات الدفاع (الصهيوني) الواثقة من قدرتها والمنتشرة في الجبهة بشكل ضعيف . باشرت في عشية يوم ٦ تشرين الأول القوات المصرية المتكونة من (٥) خمس فرق مشاة مسندة بـ(١٥٠٠) قطعة مدفعية ومدعمة بفرقتين مدرعتين ، بعبور قناة السويس ضد (٢-٣) ألوية (صهيونية) . أما في مرتفعات الجولان ، فان القوات السورية المؤلفة من (٣) ثلاث فرق مشاة مسندة بـ(٨٠٠) قطعة مدفعية ومدعمة بفرقتين مدرعتين ، هي الأخرى هاجمت ضد لواءين (صهيونيين) . ومن الجدير بالملاحظة إن قوات دفاع (الكيان الصهيوني) في حالة إكمالها لتعبئة قواتها الاحتياطية عندئذ ستتمتع بالقدرة على المناورة على الخطوط الداخلة، وحينها ستكون بحالة متوازنة أو متفوقة نسبيا على أي جانب بالمقارنة مع القوات البرية التي زجت بالمعركة . وطالما أن التهديد الأكثر أهمية لدى (الكيان الصهيوني) كان من الجبهة الشمالية ، لذا حشدت قواتها على هذه الجبهة كأسبقية أولى .



الشكل ٢-٦ . تنظيم القوات المسلحة السورية

المبحث الثالث

حملة مرتفعات الجولان

تحليل الأرض

هناك جرف عالٍ على وادي نهر الأردن شمال بحيرة طبرية يبدأ بالارتفاع حتى (٨٠٠ ــ ١٠٠٠م) يعرف بـــ(مرتفعات الجولان) ، والذي يهيمن على قعر الوادي الكائـــن في أسفـــله (الخارطة) . كـــانت المدفعيـــة الســـورية وهجمـــات الصاعقة العربية تسبب إزعاجا كبيرا لسكان (الكيان الصهيوني) فـــي وادي نـــهر الأردن منذ عام ١٩٤٩ ، ويعدّ ذلك أحد أهم الأســـباب الرئيســـة لانـــدلاع حـــرب ١٩٦٧، واحتلال (الكيان الصهيوني) مرتفعات الجولان في ذلك الوقـــت وإجـــراء تحصينات قوية فيها .

يبرز جبل الشيخ بقممه العديدة التي يصل ارتفاع أعلاها إلـى (٢٨١٤م) ، ويهيمن على المناطق المجاورة له كافة . ومع نهاية حـــرب حزيـــران ١٩٦٧ ، تمكن (الكيان الصهيوني) من احتلال القمة الجنوبية الغربية من الجبـــل ، وأنشـــأ موضعاً حصيناً يكفي لسرية مشاة لغـــرض تـــامين الرصـــد والاتصـــالات . كـــان الراصدون يتمكنون من موضعهم على قمة جبل الشيخ من رصد ضواحي مدينـــة دمشق في الشرق ، ورؤية البحر المتوسط في الغرب .

يقع في اسفل جبل الشيخ وبالتحديد في القسم الشمالي منـــه أحـــد اكـــبر البراكين في العالم . وهي منطقة صخرية قاحلة ، تكثر فيها الرياح وخاليـــة مـــن المزروعات ، وهي مؤلفة من شبكة من الصخور البركانيـــة . ونتيجـــة لذلـــك ، تكوّنت سلسلة من جبال مذهلة على شكل جدران ناتجة عـــن الحمـــم البركانيـــة ، وهي مستحيلة الاجتياز حتى بالآليات التي لها القدرة على التنقل خارج الطرق لان الانحدارات فيها تتجاوز(٤٥) درجة ، كما ان سحب الآليات عـــبر هـــذه الحمـــم البركانية متعذر جدا هو الآخر . هناك نحو (٢٠ ــ ٣٠) فوهة بركانية مندرســـة ، إلا إنها بارزة فوق الأرض المحيطة بها وبارتفاع بين (١٠٠ــ ٢٠٠) م. تحتـــوي هذه المنطقة على صخور من كل الأحجام ، بضمنها أحجار كبيرة بدرجـــة يمكـــن إخفاء أشخاص أو معدات خلفها.

تحدد العجلات بالطرق أو بأكتاف الطرق في المنطقة الشمالية لمرتفعات الجولان .هنالك طريق واحد معبد يبدأ من سورية ويمر بمدينة(القنيطرة) ويؤدي إلى (جسر بنات يعقوب) على نهر الأردن ومن ثم إلى (تل أبيب) . هناك طريق فرعي نيسمي ضيق على بعد (١٧) كم شمال مدينة القنيطرة يؤدي إلى سفوح جبل الشيخ بجوار (مسعدة) .

تكون الأرض في منطقة (الرفيد) في القاطع الجنوبي لمرتفعات الجولان اكثر تموجا وتسمح في بعض أقسامها بمرور الآليات التي لها القابلية على التنقل خارج الطرق . هنالك طريق يبدأ من منطقة جنوب شرقي الرفيد ويتجه نحو الشمال الغربي عبر الأراضي المرتفعة ويلتقي مع الطريق الرئيس العام تماما في اسفل مدينة (القنيطرة) . ويمر طريق آخر باتجاه الجنوب الغربي من (الرفيد) نحو (بحيرة طبرية). والطريق الذي يمر بشكل مواز مع الطريق المتجهة نحو الشمال الغربي والذي يبدأ من (الرفيد) هو خط الأنابيب العربية (التابلاين) المطمور تحت الأرض . أن اقتران الأراضي الأقل وعورة والكائنة على المقتربات المؤدية إلى منطقة الرفيد مع عقدة الطرق / خط الأنابيب ، تؤمن بشكل معقول – على الرغم من كونه غير مباشر – مقتربا مناسبا خلال مرتفعات الجولان . وعلى كل حال ، ففي حالة الحركة غربا خارج مرتفعات الجولان باتجاه بحيرة طبرية ، تصبح الأرض على شكل سلسلة من الانحدارات متجهة من الشرق نحو الغرب ، وتصبح الوديان على شكل الأصابع وتصب في واد ضيق يصل عمقه إلى (٢٠٠) م ويجبر على الحركة باتجاه شرق – غرب . تشتمل الأراضي المسيطرة على مرتفعات الجولان على جبل الشيخ ، والطريق المعبد المؤدي إلى جسر بنات يعقوب على نهر الأردن من القنيطرة ، وكذلك الطريق / خط الأنابيب من شمال الرفيد إلى الطريق الرئيس .ومن وجهة النظر التعبوية، فان القمم البركانية التي تسيطر على الطرق العامة في المقترب تعدّ هي الأخرى مناطق أرضية حاكمة رئيسة .

أنشأ (الكيان الصهيوني) ابتداءا من عام ١٩٦٧ سلسلة من (١٢) موضعاً حصيناً ، على المقتربات المهمة المؤدية إلى مرتفعات الجولان . وكانت المواضع بحجم فصائل، وبُنيت من صخور كبيرة بدرجة أصبحت قادرة على تحمل ضربات المدفعية الثقيلة ، وتؤمن هذه المواضع رصدا جيدا على المواضع

السورية . ربطت هذه المواضع الحصينة بعضها ببعض بخنادق حمايوية وبنيت فيها مصاطب مرتفعة مهيأة لرمي الدبابات لستر خط وقف إطلاق النار .

أمنت لهذه المواضع الكائنة بين جبل الشيخ ومدينة القنيطرة، نيران ساترة لتغطية منظومات الألغام والموانع التي أنشئت للافادة من طبيعة الأراضي الوعرة في المنطقة . صممت المنظومة بشكل يجبر أية مناورة مدرعة للخرق على التوجه إلى مناطق قتل مختارة بعناية . حفرت خنادق لمقاومة الدبابات أمام المواضع من جبل الشيخ وحتى منطقة الرفيد لزيادة تقوية المنظومة . وكان الخندق بعرض بين (١٠ـ ١٥) م وبعمق بين (٣ـ٤) م، وكانت الحافة المواجهة (للكيان الصهيوني) مثلومة في بعض مناطقها . وعلى أية حال فقد أعاقت طبيعة الارض المفتوحة جنوب الرفيد الاستخدام الاقتصادي والمؤثر لحقول الالغام ومنظومات الموانع الاخرى .

أنشأ الكيان الصهيوني خلف دفاعاته ، منظومة طرق مدروسة بعناية غطت مرتفعات الجولان كلها ، وأمنت طرقاً سريعة ومرنة لانفتاح القوات والوصول إلى أي مكان في المنطقة و سهلت منظومة الطرق هذه بشكل كبير الهجمات المقابلة الصهيونية الأولية ، وعلى كل حال لم تظهر القيمة الكاملة لمنظومة الطرق هذه لحين قيام الجنرال (روفائيل ايتان) باستخدامها لنقل دروعه بسرعة يوم ١١ تشرين من مواضع بعيدة في الخلف إلى خط الشروع الأولى عبر خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ . ويعود السبب الرئيس لنجاح الهجوم إلى المباغتة التي حققتها سرعة تنقل ايتان عبر أراضٍ كانت تعدّ صالحة للدروع بشكل محدود.

تنظيم المواضع الدفاعية الصهيونية

قسمت مرتفعات الجولان إلى منطقتين تعبويتين ، وكانت الحدود الفاصلة بينهما تمر في نقطة اسفل مدينة القنيطرة . كانت فكرة الدفاع (أي تصميم المعركة الدفاعية ـ المترجم) في كلتا المنطقتين مبنية على أشغال خط أمامي من مواضع حصينة بشكل خفيف بالمشاة لستر المنطقة الخاضعة للإدارة المدنية، مسندة بقوات مدرعة تتحرك للأمام أما لاشغال مصاطب رمي مهيأة مسبقا أو للقيام بعمل تعرضي خلال (٣٠) دقيقة من هجوم العدو. يدافع عن كل منطقة بلواء مدرع معزز بـ(١٢) إلى (٢٥) جندياً من اللواء الجولاني لاشغال كل

موضع من المواضع الحصينة . حُشدت بعض الدبابات قرب المواضع الحصينة الأمامية وبشكل خاص تلك الكائنة على الطرق الرئيسة للمقترب . فكانت المنطقة الشمالية ضمن مسؤولية اللواء المدرع السابع بإمرة (العقيد يان يوش) بينما كان (العقيد شوها مز) آمر اللواء المدرع ٨٨ في الجنوب مع لوائه . لم يكن اللواء ٨٨ بكامل قواته، حيث كانت إحدى كتائب دباباته من دون طوانف ، وهي بانتظار التحاق قوات التعبئة .

كانت قيادة اللواءين المدرعين المجهزين بـ(١٧٧) دبابة و(٧) أفواج مشاة مع (٤٠) سبطانة مدفع مفتوحة في (١١) موضع بطرية ، مناطة بمقر فرقة (الجنرال روفائيل ايتان) . كان مقر القيادة (بالقرب من كفر نفاخ)، وكانت بإسناد هذه القوات النظامية العاملة ثلاث فرق مدرعة مخصصة للاستخدام على مرتفعات الجولان في حالة اندلاع الحرب . وقسمت المنطقة إلى قاطعين تعبويين ، حدد القاطع الشمالي منها للفرقة المدرعة التي بإمرة (الجنرال روفائيل ايتان) للدفاع عنه ، على أن يكون اللواء المدرع السابع ضمن تشكيلاتها. وحدد القاطع الجنوبي منها للفرقة المدرعة التي بإمرة (الجنرال دان لانيير) ، على أن يكون اللواء المدرع ٨٨ ضمن تشكيلاتها . وخصصت الفرقة المدرعة التي بإمرة (الجنرال موسى بليد) لتكون القوة الاحتياطية لمرتفعات الجولان. ووضعت هذه القوات تحت قيادة مقر قيادة المنطقة الشمالية (A F N) بإمرة (الجنرال إسحاق عوفي) .

ينبغي الادراك بان عنصر القتال الرئيس في قوات الدفاع الصهيوني هو اللواء المبني على ثلاث وحدات مناورة (أفواج) . أما الألوية في مرتفعات الجولان فكانت لها أربعة أفواج من المشاة . تتألف أفواج الدبابات من (٢) إلى (٣) سرايا دبابات ، وفي كل سرية (١٣) دبابة، إضافة إلى سرية مشاة آلية مزودة بناقلات أشخاص مدرعة . تعد هذه السرايا الآلية كدروع اكثر من كونها كمشاة في قوات الدفاع الصهيونية ، وعموما تقاتل من داخل ناقلاتها . يسند كل لواء فوج مدفعية بالإسناد المباشر عادة ويكون مجهزا بهاونات (١٦٦ملم) ذاتية الحركة أو بمدافع أقواس (١٥٥ملم) ، إضافة إلى عناصر من إسناد خدمات القتال الاعتيادية والمطلوبة لجعل اللواء قادرا على إدامة نفسه .

XXX
القيادة الشمالية

XX
قاطع جولان

X

الجنرال روفائيل ايتان

العقيد شوهاز

العقيد يان يوش

X

X

فعال : لواء كامل

عند النفير : كحد ادنى (١١) لواء في إطار (٣) فرق

ثبتت اسماء آمري الألوية وقادة الفرق

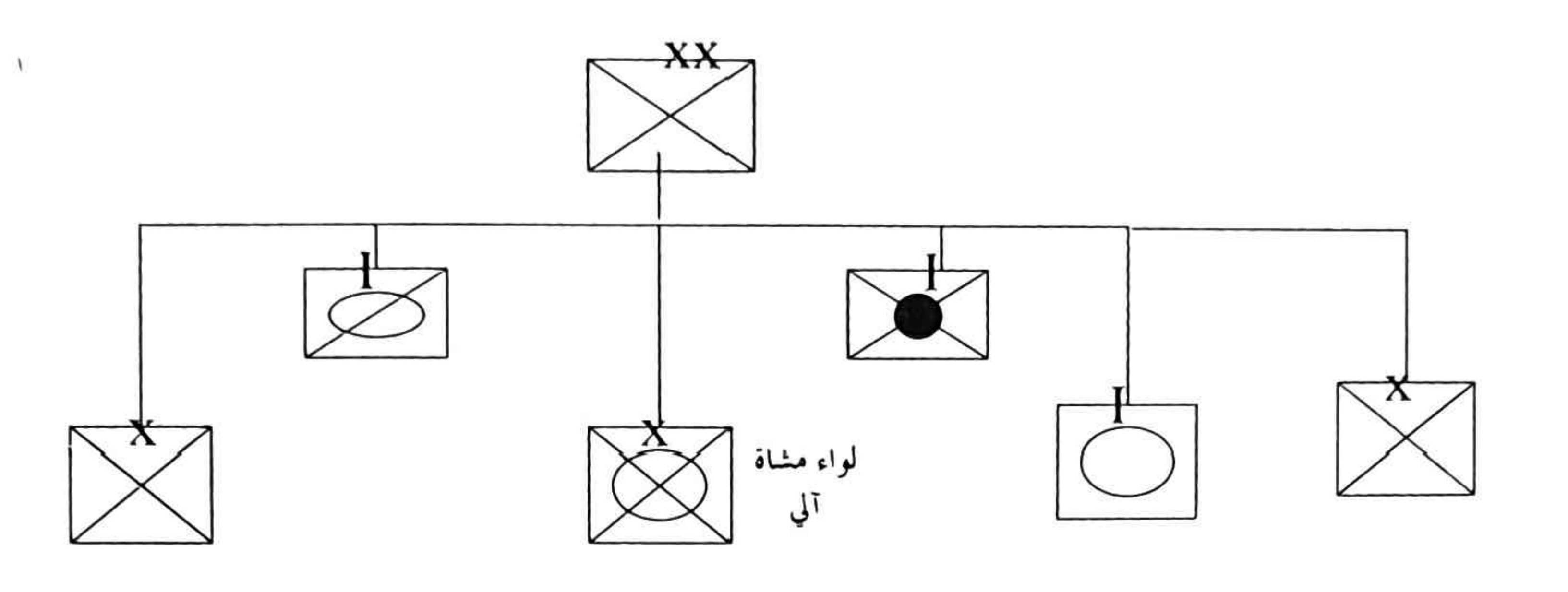
شكل رقم ٣ - ١

الاستعدادات السورية

كان الجيش السوري مؤلفا من خمس فرق ـ ثلاث منـــها مشـــاة واثنتيـــن مدرعة- تتألف كل فرقة مشاة من لواءين مشاة ولواء مــــدرع باســـتثناء فرقـــة المشاة التاسعة حيث كان أحد ألويتها آليا (الشـــكل ٣ــ٥) . كـــانت خلـــف فـــرق المشاة فرقتان مدرعتان مع عدد من ألوية وأفواج صاعقة مستقلة. يقدر الجيـــش السوري بحدود (١٢٥٠٠٠) رجل مع (١٧٠٠) دبابة تقريباً منها (٣٠٠) دبابـــة سوفيتية من نوع T-62 الاحدث.

طوَر السوريون دفاعا يعكس وبشكل كبير عقيدة وتنظيم القوات الســــوفيتية السائدة لهم وذلك بعيد حرب عام ١٩٦٧ . وقد نظم الدفاع بـــالعمق علـــى شـــكل ثلاثة خطوط دفاعية كما موضح في (ملحق الخرائط). أُشـــغل الخطـــان الأوليـــان بقطعات وبشكل خفيف في جميع الأوقات ، وكانت تعزز بقوات كبيرة عند دعـــــوة السوريين قواتهم للنفير في كل صيف لأغراض تدريبية . وتشتمل هذه الخطـــــوط على تحصينات دفاعية مثل الملاجئ وحقول الألغام ومصا ئد الدبابات . ولم يعـوف إلى أية درجة كان الخط الأخيـر الكائن على ضواحـــي مدينـــــة دمشـــق مـــهيأ ومشغولاً بقطعات .

اعتاد الجيش السوري في كل صيف الانفتاح داخل المنطقـــــة المواجهـــة لمرتفعات الجولان لأغراض المناورة ، وتعود الأمور إلى مجاريـــها بعـــد إكمـــال المناورة . يحتـــفظ الجـيش السوري اعتياديا بقوة هيكلية على خط وقف إطـــلاق النار لعام ١٩٦٧ في مرتفعات الجولان في اشهر الشتاء القارس، ويسحب معظـــم قواته الرئيسة إلى الخلف لأغراض التدريب . كان هذا سياقا اعتياديـــا باســـتثناء أوقات التوتر بين الكيان الصهيوني وسورية ، عندئذ تقوم سورية بتعزيز المواقـــع الحدودية بصرف النظر عن الموسم . لقد حدث مثل هذا الموقــــف فـــي ١٣ / ٩ عندما أسقطت القوة الجوية الصهيونية (١٣) طائرة سورية في القتال الجوي فـــي أجواء سورية والبحر المتوسط . وبعد هذا التاريخ ، كانت سورية تحتفظ بكامل قوة وحداتها على خط وقف إطلاق النار في الأغلـــب . هـــذا الانفتـــاح باســـتثناء اللواءين المدرعين المستقلين ٤٧ و٥١ اللذين لم يصلا بعد . إن أهمية بدء هــــذا التكامل قبل وصول اللواءين ومـــن ثـــم وصولـــهما قـــد أغفلتـــها الاســـتخبارات الصهيونية .



الشكل ٣ - ٥
تنظيم فرق المشاة السورية الخامسة والسابعة (فرقة المشاة التاسعة ليس لها لواء آلي)

الهجوم السوري (٦ - ٧) تشرين ١٩٧٣

اعتمدت الخطة السورية للهجوم بثلاث قدمات على العقيدة السوفيتية . كانت مهمة فرق المشاة الثلاث القيام بتنفيذ القدمة الأولى والثانية لخرق الدفاعات الصهيونية الأولية ، تعقبها الفرقة المدرعة الأولى والألوية المستقلة في الاستثمار (أي القدمة الثالثة) . يبدو أن جسر بنات يعقوب كان الهدف التمهيدي للهجوم . دعت الخطة إلى تحقيق مباغتة تعبوية وكان السوريون يأملون تحقيق مباغتة سوقية أيضا . من الجدير بالملاحظة إن خطة الهجوم السورية كانت منظمة بشكل يكون المجهود الرئيس أي فرقتان من فرق المشاة الثلاث باتجاه القاطع الجنوبي لتجنب الدفاعات الصهيونية القوية والاستفادة القصوى من المقترب الأرضي على خط الأنابيب . وفي يوم ٦ تشرين الحق السوريون لواء مدرعاً مستقلاً بكل من الفرقتين التاسعة والخامسة في القاطع الجنوبي وادخل (١١٥) بطرية مدفعية إلى المواضع .

وأخيرا أدرك الصهاينة ان الهجوم وشيك الوقوع ، وبدأوا بتنفيذ خطة التعبئة في الساعة ٠٨٣٠ من يوم ٦تشرين ، وغيروا من وحداتهم في خط الجبهة بهدف إمكانية شن الهجوم في الساعة ١٨٠٠ من اليوم نفسه . وعلى كل حال بدأ السوريون بضرب المواقع الدفاعية الصهيونية ومواقع القيادة وتحشدات الدروع والملاجئ الخاصة بالقوات شبه العسكرية على طول مرتفعات الجولان بالمدفعية والقوة الجوية . وبعد (٥٥) دقيقة من القصف التمهيدي ، باشرت ثلاث فرق مشاة بإسناد (٩٣٠) دبابة (١٥٠) منها كانت من نوع تي ٣٤ في مواضع ثابتة بالزحف للأمام خلف سد ناري مدفعي زاحف وخصص سرب جوي لإسناد كل فرقة مشاة ، كانت القدمة الأولى لفرق المشاة السورية مؤلفة من لواءي مشاة على خط الجبهة ، تقدمت هذه الألوية بإسناد كتائب الدبابات العضوية معززة بعناصر هندسة قتالية مزودة بالبلدوزرات ومعدات عبور الثغرات لردم خندق ضد الدبابات الصهيونية . كانت مهمة القدمة الأولى هذه هي اجتياز حقول الألغام وخندق ضد الدبابات وتخطي المواضع الحصينة لمسك موطئ قدم في الجانب الذي يحتله الصهاينة .

تركت الفرقة المدرعة الأولى معسكرها خارج دمشق تباعا واتجهت جنوبا لإسناد الهجوم السوري الرئيس الذي قامت به فرقتا المشاة الخامسة والتاسعة في منطقة (الرفيد) . زامنت الصولة الجوية الناجحة لفوج الصاعقة /٨٢ على المواضع الصهيونية في قمة جبل الشيخ الهجوم السوري الرئيس الأولى ، وحققت هذه الصولة مباغتة القوة الصغيرة المدافعة بشكل تام ، وهكذا حرم (الصهاينة) موقع الرصد المهم ذا الفائدة الكبيرة هذا .

اخترقت القدمات الأولى للفرقتين في القاطع الجنوبي الدفاعات الصهيونية شمال وجنوب (الرفيد)، وتمكنتا من تخطي المواضع الحصينة والمسيطرة على خط وقف إطلاق النار ، واندفعتا خلال أربعة محاور بعد مرورها من نقاط الخرق الأولية بالقرب من (الجوخدر –ALJUKHADR) و(الخشنية – KHUSHNIYAH) . اندفعت الفرقة الكائنة في أقصى الجنوب على محورين ، اتجه الرتل الأول على محور جنوب غرب باتجاه الطريق المؤدي إلى (نـي ١ أي ١ –E1A1)، والرتل الآخر على محور شمال غرب مع خط الأنابيب .أما الفرقة الكائنة شمال هذه الفرقة قليلا ، فاندفعت غربا باتجاه (الخشنية) والى الشمال اكثر على الطريق المؤدي إلى مدينة (القنيطرة) . تمكنت القدمات الأولى من تخطي المواضع الحصينة (الصهيونية) في ضوء العقيدة السوفيتية ، إلا إن القدمات المعقبة فشلت في إكمال تدمير هذه المواضع . كانت القوات (الصهيونية) قادرة على مشاغلة القدمات المعقبة السورية ولاسيما العجلات المدرعة من الأجنحة بالرمي عليها بالدبابات وأسلحة ضد الدبابات . وبقدر تعلق الأمر بهذا الجانب ، فقد عزز الموضع (الصهيوني) في (تل الفرس) بالدبابات كونه المفتاح الرئيس بشكل خاص.

واجهت الفرقة السابعة السورية الهاجمة في القاطع الشمالي بثلاثة ألوية باتجاه مدينة (القنيطرة) و (مسعدة) مصاعب آنية ، كون خندق ضد الدبابات كوّن مانعا مهما حال دون تمكن العجلات المدرعة والدبابات الهاجمة من اجتيازها . وحالما وصلت الدبابات (الصهيونية) إلى مواضعها المهيأة مسبقا وانفتحت بسرعة خلف خندق ضد الدبابات ، باشرت بمشاغلة العجلات المدرعة والدبابات السورية التي كانت واقفة أمام المانع . تعرضت القوة التي تحركت على

المحور الشمالي في اسفل جبل الشيخ والتي تقدر بـ (٢٠٠) عجلة مدرعة أغلبيتها للتدمير نتيجة الضربات المدمرة لفوج من دبابات مؤلف من (٢٤) دبابة اخذ مواضع رمي خلف ثلاثة خنادق حمايوية والذي أمن له ساحة رمي جيدة . كان قرار الجنرال روفائيل ايتان بانفتاح قواته المدرعة سرية بعد سرية، أي حالما تتكامل كل سرية، قد سهل الاحتلال السريع لهذه المواضع المهيأة خلف الخنادق الحمايوية في إيقاف الاندفاع السوري الأولى على خط وقف إطلاق النار . وهكذا ففي القاطع الشمالي تمكن المشاة السوري فقط من عبور المانع واختراق المواضع الصهيونية لعدة كيلومترات خلف خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ .

باشرت القدمة الثانية لفرق المشاة السورية والمؤلفة من خمسة ألوية مدرعة والية عضوية أو ملحقة بها بالهجوم مع منتصف الليل (الخارطة) . كانت مهمة القدمة الثانية المؤلفة من (٤٠٠) دبابة هي استثمار النجاحات الأولية من قبل القدمة الأولى والتي تم تحقيقها بصورة جزئية في القاطع الجنوبي فقط .

اجتاز اللواء المدرع /٤٣ خط وقف إطلاق النار وتوجه نحو الطريق المؤدي إلى القنيطرة . نظمت سرية دبابات مؤلفة من (٨) دبابة من اللواء المدرع السابع من جيش الدفاع الصهيوني والتي كانت داخلة في المأوى خارج الطريق العام ومستترة بالظلام كمينا للواء المدرع/ ٤٣ الذي كان يقود الهجوم بجبهة كتيبتي دبابات . تمكنت السرية من تدمير دبابات الكتيبتين كلها . استمرت الكتيبة الثالثة من اللواء بالهجوم باتجاه (كفر نفاخ) ، وفي منتصف نهار اليوم الثاني وصلت (١٠) دبابات منها إلى كفر نفاخ ، مما اجبر مقر قيادة الجنرال روفائيل إلى إخلاء المنطقة . لم تكن هذه الدبابات مسندة بالمشاة السوري لذلك دمرت فيما بعد أو أجبرت على التراجع من قبل الوحدات المدرعة الصهيونية في المناطق المجاورة .

تمكن السوريون في القاطع الجنوبي من الجبهة ومع فجر يوم ٧ تشرين من قطع منطقة (الرفيد) والاندفاع داخل مرتفعات الجولان ، حيث كشف بعض القوات السورية جنوب شرقي (الخشنية) وبعضها الآخر شمال (رمات مغشميني) .

استمر الصهاينة بتعويق تقدم السوريين في القاطع الجنوبي والوسطي خلال نهار يوم ٧ تشرين . وفي حدود الساعة ١٢٠٠ من اليوم نفسه زج السوريون بالقدمة الثالثة التي تقدر بـ(٤٠٠) دبابة (الخارطة) . تحرك اللواء المدرع المستقل/٤٧ لشن الهجوم في البداية من قاطع فرقة المشاة الخامسة ، ثم اندفع باتجاه الغرب والجنوب الغربي . وأخيرا هاجم كل من اللواء الآلي/ ١٢١ ولواء الأسد المدرع المستقل باتجاه القنيطرة . كانت الحقيقة القائلة بان لواء الأسد قد تم زجه ضمن ٣٠ ساعة بعد الشروع بالحرب بمثابة الإشارة الأولى بلن السوريين قد زجوا بكل شيء في المعركة . لان لواء الأسد يعدّ وحدة متكاملة لها قدرة تدميرية عالية كونها مجهزة بأحدث الدبابات السوفيتية من نوع تي ٦٢ ويقوده شقيق الرئيس أسد.

وفي هذا الوقت ، وصلت فرقة مدرعة صهيونية بقيادة الجنرال لانيير إلى القاطع الجنوبي لمرتفعات الجولان . وتولى الجنرال روفائيل قيادة القاطع الشمالي، وقد تعرض الجانبان إلى خسائر فادحة في هذا القاطع ، واستمر المشاة السوري من دون هوادة بالضغط من دون أي إسناد من الدروع .

وصلت الفرقة المدرعة الأولى إلى موقع شرق الرفيد بـ(١٥) كم مع الساعات الأخيرة من مساء يوم ٦تشرين . عبرت العناصر الرئيسة منها إلى مرتفعات الجولان بعد ظهر يوم ٧ تشرين ، وتحركت باتجاه الشمال الغربي . شوهدت دبابات تي ٦٢ التابعة لهذه الفرقة على الطريق المؤدي من القنيطرة إلى كفر نفاخ قبل تدميرها . أما الوحدات التي عبرت إلى هذه المنطقة سابقا فإنها وصلت إلى مكان تمكنت من رؤية بحيرة طبرية . وعندما بدأت الفرقة المدرعة الأولى بالهجوم مجددا مع الساعات الأخيرة من مساء يوم ٧ تشرين كانت للقوات الصهيونية فرقتان مدرعتان في مرتفعات الجولان ، حيث كان الجنرال روفائيل في الشمال والجنرال لانيير في الجنوب . وفي هذا الوقت كانت فرقة الجنرال بيليد المدرعة في حالة المسير من معسكرها في الجنوب وبدخولها في المنطقة تصبح للصهيونيين ثلاث فرق مدرعة في مرتفعات الجولان .

شعر القادة الصهاينة بضغط معنوي يجبرهم على أجراء عملية إنقاذ للجنود الصهاينة الذين وقعوا في المصيدة في الموضع الحصين على قمة جبل

الشيخ ، لذا هاجمت نخبة من لواء المشاة الجولاني في يوم ٧ تشرين . تعرقلت صولة المشاة نتيجة ضباب كثيف على الجبل الذي أدى إلى صعوبة بالغة في تامين الإسناد الجوي والإسناد المدفعي المطلوب . لم تشغل قوات الصاعقة السورية الموضع الحصين، بل اتخذت لها مواضع جيدة على سفح الجبل وعلى الطرق المؤدية إلى القمة ، حقا كانت حركة تعبوية سليمة تدل على إدراكهم الكبير قراءة الأرض . فشل الهجوم نتيجة تكبد القوات الصهيونية (٥٠) قتيلا . جرت محاولة أخرى في اليوم التالي إلا إنها فشلت هي الأخرى وأدت إلى تكبد القوات الصهيونية (٨) قتلى و(٢٢) جريحاً . لم تجر أية محاولة أخرى للاستيلاء على موضع جبل الشيخ حتى الأيام الأخيرة من هذا الصراع المسلح .

استمر اندفاع السوريين في القاطع الجنوبي ودخلوا في أعماق مرتفعات الجولان ، حيث وصلت طلائع قواتهم إلى أقصى ما يمكن من العمق في تلك الليلة. ففي القاطع الشمالي وصلت القوات إلى موقع على بعد كيلومترات من (ني ١ ــ أي ١) شرق بحيرة طبرية . تقدمت قوة أخرى من (الجوخدر ــAI JUKHADER) إلى منطقة (جورماية)، بينما كانت القوات المتقدمة على المحور الرئيس ربما تعدّ من اخطر الاختراقات ، حيث وصلت إلى خط يمتد من (سنابر ــ التي تطل على جسر بنات يعقوب) وحتى (كفر نفاخ) ، أي بعمق (٣٠) كم داخل المناطق الصهيونية . وبحلول الليل ، تحركت قوة من المشاة أيضا باتجاه الشمال من منطقة (الخوشنية) ودخلت إلى مدينة القنيطرة . وفي هذا الوقت بالذات هبطت القدرة القتالية للواء المدرع /١٨٨ الصهيوني إلى (١٣) دبابة سنتورين واصبح غير مؤثرا ، وقتل آمره (العقيد شوهام) .

عند مقارنة قدرة منظومات موانع مقاومة الدبابات الصهيونية في القاطع الشمالي مع نظيرتها في القاطع الجنوبي من مرتفعات الجولان، يظهر لنا مدى الفوائد الناجمة من اتخاذ استحضارات مسبقة بشكل واضح . تمكن (الصهاينة) في القاطع الشمالي من صد المشاة السوري المسند بالدروع بشكل حاسم من خلال الافادة القصوى من التسهيلات التي قدمتها طبيعة الأرض إضافة إلى منظومة موانع مقاومة الدبابات وحقول الألغام ومصاطب رمي الدبابات . أما في

القاطع الجنوبي ونتيجة عدم اتخاذ مثل هذه التدابـــير الحمايويــة ، فقــد تمكــن السوريون من تحقيق نجاح أولي خلال الصفحات الأولية من الهجوم .

تحركت الألوية الأمامية لفرق لانيير وبيليد خـــلال ليلـــة ٨/٧ تشـــرين ، وأصبحت قريبة من القوات السورية ، وبدأت باتخاذ الإجراءات والاســـتحضارات الأولية لشن هجوم مقابل مع الصباح الباكر من اليوم التالي .

الهجوم المقابل الصهيوني (٨-١٠) تشرين الأول ١٩٧٣

فشلت محاولة سورية في شن صولة متنقلة جوا بالسمتيات علـــى موضـــع حصين صهيوني في قمة تل الفرس والذي سبب لهم إزعاجا كبيرا (الخارطـــــة) . بدا الهجوم بضربة جوية بطائرتي ميك على منطقة الإنزال ومن ارتفاع منخفـــض جدا ، ثم ظهرت (٨) طائرات سمتيه محملة بقوات متنقلة جوا وحاولت الإنزال في المنطقة المنتخبة والتي كانت قريبة من قوة مدرعة صهيونيــــة . أدى رد الفعــل الصهيوني إلى تدمير طائرتين منها في الجو واثنتين أخريين منـــها علـــى الأرض وهكذا تم إجهاض الهجوم .

وفي الوقت نفسه ، أدامت عناصر من فرقتي لانيـير وبيليـد التمـاس مـع القوات السورية على محوري الجنوب والوسط في مرتفعات الجولان. تقدمت فرقة بيليد باتجاه الشمال الشرقي بلواء من (جورماية) نحو (الجخادر) ، بينما توجـه اللواء الآخر على الطريق من (ني١ـــأي١) نحو (رامات مغشميني). كان الـــهدف النهائي المحدد لبليد هو استعادة خط (بوربل) في منطقة (الرفيد ـ الخشـــنية) . أما الفرقة التي كانت على المحور الوسطي بقيادة الجنرال لانيير ، فهاجمت كـــلا جناحي القوات السورية التي وجدت بالقرب من (سنابر) بهدف إنهاء هذا النتـــوء البارز ، وحال إكمال هذه المهمة كان على الفرقة الاستمرار بالتقدم باتجاه الشـمال الشرقي لتعزيز قوات الجنرال روفائيل المحصورة في القنيطرة .

على الرغم من أن المجهود الرئيس لبيليد كـــان موجـــها تجـاه المجـــهود السوري الرئيس الذي كان متوجها من (الخشنية) باتجـــاه (كفــر نفـــاخ) إلا أن ألويته واجهت الوحدات الأمامية السورية المنتشرة على طرفي المحاور الممتـــدة (الخارطة) وجها لوجه . نجح المشاة السوري في نشر قوات مقاومة الدبابات فـــي

المنطقة وتمكن من الحفر بشكل جيد ، لذا كان تقدم القـوات الصهيونيـة صعبا وسرعته كانت بطيئة واقل مما كان متوقعا .

كان قائد الفرقة المدرعة السورية واثقا من حتمية إدارة انسحاب منظم فيما إذا أراد تخليص مقر قيادته من التدمير المؤكد .

وبحلول الليل حققت القوات الصهيونية المتقدمة على المحورين وبإسناد جوي تعبوي وإسناد مدفعي نجاحا كبيرا وقطعت مسافة تقدر بـ(١٧) كم ، ووصلت طلائعها إلى مواضع جنوب(تل الفرس والجخادر) . جعلت طبيعة الوديان الضيقة وخطوط السلاسل والمنحدرات الحادة في المنطقة القوات السورية المنسحبة فريسة سهلة أمام القوة الجوية الصهيونية . التحق اللواءان المعقبان التابعان لـ(بيليد من اصل أربعة ألوية) بالعمل في أواخر ذلك النهار ، وكلف بالتحرك على الجناح الأيمن للفرقة (بشكل مواز مع خط بوربل) ، بينما اللواء الأخر كلف بالتحرك على الجناح الأيسر للفرقة من (الجخادر) لمنع القوات السورية من إشراك قوات اكثر على محور خط الأنابيب .

عملت طوائف الإدامة لقوات بيليد خلال الليل على تصليح وتشغيل الدبابات غير العاملة ، وبحلول النهار ازداد عدد الدبابات القادرة على العمل إلى الضعف قياسا على موقف عدد الدبابات في مساء اليوم الماضي . وكان على الفرقة الاستمرار بالتقدم تجاه القسم الأكبر للقوات السورية في منطقة (الخشنية) . لم تكن لدى الصهاينة في أي وقت من الأوقات خلال الحرب اكثر من (٤٠٠) دبابة في مرتفعات الجولان .

قام السوريون خلال ليلة ٨ ـ ٩ تشرين بمحاولة أخيرة لمهاجمة القوات الصهيونية في مرتفعات الجولان (الخارطة) . هاجم اللواء المدرع /٩١ من الفرقة المدرعة السورية الأولى في الوسط، واللواء المدرع /٨١ من الفرقة المدرعة السورية الثالثة على دفاعات لواء المدرع السابع التابع للقوات الصهيونية الكائنة شمال القنيطرة . كانت وحدات اللواء المدرع /٨١ مجهزة بدبابات حديثة من نوع تي ٦٢، وكان اللواء يعمل بإمرة فرقة المشاة السابعة . هذا هو اللواء السوري الخامس الذي يهجم على اللواء السابع التابع للقوات الصهيونية . دخل اللواء المدرع السابع الحرب وكان موجوده من الدبابات (١٠٠) دبابة سنتورين العلامة

٥ مصنوعة في عام ١٩٥٠ واعيد تحديثها من قبل الصهاينة . هبط موجود الدبابات في اللواء إلى (٣٥) دبابة حتى صباح يوم ٩ تشرين الثاني ومع ذلك كان صامدا تجاه الهجمات السورية المتتالية ودمر مئات الدبابات والعجلات السورية ومعظمها في أقصى المدى . وخلال ثلاثة أيام من الحرب ، شن السوريون كحد أدنى هجومين نهاريين وهجوماً ليلياً في محاولة لإزاحة هذا اللواء بأمل فتح مجاز آخر للاختراق داخل مرتفعات الجولان . استغرق الهجوم السوري الأخير ليلة ٨ تشرين الاول بحدود سبع ساعات دفع السوريون بأفواج المشاة واحدا تلو الآخر .
استنفد اللواء المدرع السابع عتاده ولم يبق في مواضعه أي نوع من العتاد ، بينما كان السوريين مستمرين بهجماتهم . وفي هذا الموقف طلب آمر اللواء السماح له بالانسحاب إلى مواضع في الخلف ، وكان مقر الجنرال روفائيل في هذا الوقت خلف اللواء مباشرة ، وكان رد الجنرال هو ((انتظروا خمس دقائق أخرى! وليس اكثر من ذلك ، أبق لهذا الوقت أبق لخمس دقائق أخرى !)) . جمعت (١١) دبابة من مختلف الوحدات ووضعت باتجاه الجنوب ، وشكلت منها وحدة بإمرة آمر فوج مدرع من القوات الصهيونية ، واحتلت هذه الوحدة موضعاً حصيناً صهيونياً في الجنوب الشرقي من اللواء المدرع السابع ، حيث يمكنها توجيه نيران جانبية على التشكيلات المدرعة السورية الهاجمة . وتمكنت هذه الوحدة من كسر الهجوم السوري في اللحظة الحرجة النهائية بالنسبة الصهاينة ، بينما وصل موجودها من الاعتدة إلى ٢ ــ ٤ قنابل، وقد عزا العقيد يا نوش انتصارات لوانه إلى (انتخاب جيد للأرض وشجاعة مقاتليه وكفاءة الرماة) . قال الجنرال روفائيل لاحد ضباطه : كانت تلك الليلة ليلة رهيبة ، كانت هناك لحظات عندما كان الموقف معلقا بشعرة من الرأس .
وبحلول منتصف النهار انتهى القتال في القاطع الشمالي ، وترك ميدان المعركة ، ميداناً ضخماً مليئاً بأكوام من أعداد كبيرة من دبابات تحترق في المناطق الصخرية . وفي نهاية يوم ٩ تشرين عادت القوات الصهيونية إلى مواضعها الدفاعية الأصلية عبر القاطع الشمالي على خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ .

قامت الطائرات الصهيونية خلال يومي ٨ و ٩ تشرين بضرب مركز سيطرة الحسَابات الذي كان يزود منظومات (سام) السورية بالإحداثيات المطلوبة كافة . أدى هذا العمل معاً مع الهجمات الجوية على مواضع (سام) السورية إلى تدمير الجيش السوري بأكمله ، حيث أصبحت عناصره الساندة كافة واهنة أمام الهجمات الجوية . وهكذا حقق الصهاينة مع حلول المساء التفوق الجوي ليس على مرتفعات الجولان فحسب بل على السماء السوري كله . باشرت القاصفات الصهيونية بضرب المطارات القريبة من دمشق في محاولة لتدمير القوة الجوية السورية على ارض المطارات . أعلنت مصادر الأعلام السورية بان الهجمات الجوية الصهيونية قد أوقعت خسائر كبيرة في المدنيين بضمنهم دبلوماسيون وآخرون تابعون للأمم المتحدة .

أطلقت العناصر (الإرهابية)[1] الفلسطينية الصواريخ من قواعد لها في جنوبي لبنان على المناطق السكنية في شمال الكيان الصهيوني ، وباستثناء هذه الهجمات كان العمل العسكري عبر الحدود اللبنانية بأدنى مستوى له نسبيا. ومع ذلك وجدت القوات الصهيونية بالضرورة الاحتفاظ بقوة عبر الحدود اللبنانية خلال الصراع لحماية الكيان الصهيوني من الهجمات الإرهابية .

انتهت المعركة الفاصلة بين القوات السورية القائمة بالهجوم المقابل بالفرقة المدرعة الأولى وبين فرقة الجنرال بيليد خلال يومي ٩ و ١٠ تشرين الأول في القاطع الجنوبي (الخارطة) . أصبحت المنطقة مقبرة لكتلة كبيرة من معدات حربية كانت تحترق طوال يوم ١٠ تشرين . واخيرا استولت فرقة بيليد على (الخشنية) بعد قيامها بثلاث صولات عزوم . احتل أحد الألوية (الجخادر) و (تل الفرس) وشكل خطا بالقرب من منطقة رافد ، واستمر في صد الهجوم المقابل السوري قرب (الجخادر) حيث يكون الطريق موازٍ لخط الأنابيب .

أكملت الفرقة الجنوبية اندفاعها الأخير يوم ١٠ تشرين باستعادة خط (بوربل)، وبذلك انتهى الخرق السوري في القاطع الجنوبي . شن لواء المشاة الآلي /١٥ مع وحدة من الفرقة الثالثة هجوماً مقابلاً محلياً شمال شرقي رافد بهدف منع القوات الصهيونية من عبور الخط . اتخذت فرقة بيليد في هذه المنطقة

---

[1] يتساءل المرء كيف يطلق الباحث صفة الارهابيين على مقاتلين يخوضون حربا تقليدية . (المترجم)

موقفا دفاعيا على الخط الأصلي لوقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ ، وبقيت الفرقة هناك خلال ما تبقى من أيام الحرب .

ساد الجبهة نوع من الاستقرار على الأرض حيث اتخذ الجانبأن مواضع دفاعية على خط (بوربل) . استمر القصف المدفعي الثقيل المتبادل خلال ساعات النهار . استنفذت الفرقة السابعة السورية قوتها بعد فقدانها أكثرية دباباتها إضافة إلى مقتل ضابطين كبيرين برتبة جنرال ، فأصبحت واهنة أمام الضغط الصهيوني في القاطع الشمالي من مرتفعات الجولان .

تركت كميات كبيرة من الدبابات والمعدات الحربية السورية في مرتفعات الجولان ، وتقدر عدد الدبابات المتروكة والمدمرة بـ(٨٠٠) دبابة من اصل (١٢٥٠) دبابة شاركت بالهجوم . جرى تصليح ثلث هذا العدد من الدبابات وكانت ضمنها دبابات حديثة من نوع تي٦٢ والتي استخدمت لاحقا من قبل الصهاينة .

يعدَ يوم ١٠ تشرين يوما مهما بالنسبة للسوريين بقدر تعلق الأمر بالعمق القتالي في الجو ، حيث شنت القوة الجوية السورية هجمات جوية متكررة على الارتال المدرعة الصهيونية المتقدمة للأمام باتجاه خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ . واجهت الطائرات النفاثة الصهيونية هذه الهجمات وحدثت معارك جوية كبيرة فوق مرتفعات الجولان ، أعلن كلا الجانبين انتصاره على الآخر في الجو .

كرد على الهجمات بالصواريخ والمقذوفات خلال الليلة السابقة ، شنت القوة الجوية الصهيونية هجمات جوية بالقاصفات ضد المنشاءات العسكرية والمراكز الصناعية السورية في الساعات الأخيرة من اليوم التالي . هاجمت الطائرات النفاثة من طراز الميراج وأف ٤ مطار دمشق الدولي والمدن الصناعية مثل (حمص) والموانئ مثل (اللاذقية و طرطوس) . اخبر المسافرون المغادرون لدمشق عن العديد من المعارك الجوية في سماء مطار دمشق الدولي واغلق المطار في اثر ذلك. وعلى الرغم من أن منظومة الدفاع الجوي السورية أصبحت واهنة إلا أن الصهاينة فقدوا عددا كبيرا من طائراتهم الهاجمة وفعلا كانت الخسائر ثقيلة بالنسبة لهم .

التعرض الصهيوني من ١١ حتى ١٣ تشرين ١٩٧٣

تعرضت المواضع الدفاعية السورية في القاطع الشمالي مع فجر يوم ١١ تشرين للضربات الجوية ونيران المدفعية الصهيونية وبشكل مكثف . تحركت عناصر من فرقة روفائيل باتجاه الشمال على عدة محاور خلال ساعات الليل مستخدمة عدة طرق سبق وانشئت قبل الصراع الحالي (الخارطة) . تحشدت هذه العناصر في ساعة الهجوم تماما شمال (مسعدة) وجنوب جبل الشيخ ، وانفتحت هذه القوات بسرعة كبيرة واتخذت تشكيل الهجوم من الحركة وعبرت خط إطلاق النار لعام ١٩٦٧ وذلك في الساعة ١١٠٠ ، حيث رفعت النار الساترة إلى أهداف صهيونية في العمق . حققت المناورة الصهيونية مباغتة للقوات السورية ، حيث كان الاعتقاد السائد هو أن طبيعة الأرض في هذه المنطقة لا تساعد على استخدام الدروع ، لهذا السبب كانت الدفاعات السورية على سفوح جبل الشيخ ضعيفة قياسا بالدفاعات في المناطق الأخرى . وضمن دقائق من الهجوم الصهيوني، ردت المدفعية السورية على القوات الصهيونية المتقدمة . تمكنت المراصد السورية من تعديل نيران المدفعية على أهداف القصف المقابل لعزل القوات الصهيونية من إسنادها الناري إلا أن بطريات المدفعية الصهيونية تمكنت من تغيير مواضعها إلى المواضع البديلة والمهيأة سلفا لضمان استمرار إسناد القوات الهاجمة . أسهم هذا التنقل السريع والتحول الكفء للإسناد الناري في ضمان استمرارية النيران وأدامتها خلال صفحة الصولة الحرجة . وبعد ساعتين من المبارزة بالمدفعية ، تركت الدبابات الصهيونية الطرق وانفتحت خارجها أمام المواضع السورية . وحالما أكملت المدفعية تنفيذ مناهجها في القصف التمهيدي على المواضع السورية ، شنت الدبابات صولتها على الاستحكامات السورية وطردت المدفعية السورية للخلف . انسحبت القوات السورية من مواضعها عبر واد عريض كائن خلف الخط الدفاعي الأول بأمل احتلال مواضع جديدة على الخط الثاني على المرتفعات الكائنة في الخلف . كانت طبيعة الأرض في الجانب السوري من خط وقف إطلاق النار اكثر ملائمة للتجهيزات والمعدات التي لها القدرة على العمل خارج الطرق . هاجمت الدبابات الصهيونية التي كانت تطارد القوات السورية في الوادي العريض الدبابات

السورية التي كانت تحاول اتخاذ مواضع جديدة، ومع حلول ساعات الظلام وقـــع قتال شديد بين الدبابات الصهيونية والسورية وتحطم بالنتيجـــة الخـــط الدفـــاعي السوري الأول في القاطع الشمالي . اخترقت القوات الصهيونية لعمق (١٠) كـــم ووصلت طلائعها تماما شمال الطريق الرئيس المؤدي إلى دمشق وبدأت بالتوجـــه جنوب شرق نحو الطريق العام . وفي الوقت نفسه ، تحركـــت أعـــداد كـــبيرة مـــن عجلات إدامة (الوقود والعتاد ومؤن القتال الأخرى) علـــى الطـــرق عـــبر مرتفعات الجولان لسد حاجة قوة الواجب المتقدمة للأمام . وخلال النهار استمرت الطائرات الصهيونية بمهاجمة المنشآت الستراتيجية في عمق الأراضي السورية ، كما واغارت الزوارق الصاروخية الصهيونية على الموانئ السورية في (اللاذقيـــة وطرطوس) مسببة أضرار كبيرة إضافة الى منع استمرار عمليات التفريغ فيها .

وفي يوم ١٢/ تشرين الأول ، استمرت فرقتا روفائيل ولانيير بالتقدم علـــى محورين باتجاه الشمال الشرقي (الخارطة). اتجهت إحـــدى القـــوات باتجـــاه (مزرعـــة في بيت جن) ، بينما الأخرى توجهت نحو الطريق الرئيـــس المـــؤدي إلى (سعسع) . حددت طبيعة الأرض الارتال المتقدمة مرة أخرى بالطرق الضيقـــة في البداية . مع كل ذلك تقدم الصهاينة لمسافـــة (٢٠) كم خلال النـــهار ، كمـــا أدار السوريون عملية تعويق ماهرة وحققوا للقوات الباقية فـــي الخلـــف الوقـــت المناسب لاشغال وتحسين خط الدفاع الثاني والذي ذكر أنفا (الخارطـــة) . تمكنـــت القوات السورية من فرض التأخير المطلوب من خلال هجمـــات مقابلـــة مدرعـــة والضربات المدفعية المكثفة على الطرق الرئيسة والتي خلقـــت معـــاضل كبـــيرة لعمليات إعادة الإملاء وسد النقص للقوات الصهيونية وبالأخص العناصر القتاليـــة الأمامية . كانت القوات المشتركة السورية قادرة على الانفتاح حول النتوء البـــارز الناشئ من اختراق القوات الصهيونية المواضع السورية وحصر الخـــرق بشـــكل كامل . وخلال النهار وسعت فرقة لانيير الجيب بالتحرك باتجـــاه (ديـــر العـــدس) (الخارطة) . وبحلول الليل انفتح المشاة السوري داخل مواضع دفاعية تمتد مـــن (سعسع) وحتى (دمشق) ، بينما انفتحت القوات المدرعة على أجنحة الخرق .

أتاحت المباغتة التعبوية التي حققتها القوات الصهيونية فرصة ممتازة لـــها لضمان الحشد السريع لقواتها في مواقع غير متوقعة وبالتالي اختراق خط الدفـــاع

السوري الأول يوم ١١ تشرين الأول . وعلى الرغم من أن الارتال المدرعة الصهيونية دخلت الأراضي السورية إلا إنها وجدت صعوبة بالغة في استثمار نجاحها . كان التأخير الذي فرضه السوريون على القوات الصهيونية بعد حصر الاختراق مناسبا بينما جرى إعداد موضع دفاعي رصين في الخلف . حددت طبيعة الأرض الوعرة في القاطع الشمالي ميدان المعركة ومناورة القوات المدرعة لكلا الجانبين . سقط (تل الشمس) وهو تل صغير يطل على (سعسع) بيد قوات مشاة ومحمولة صهيونية من خلال إدارة عملية هجوم ليلي ليلة ١٢/ ١٣ تشرين بعد أن تمكنت القوات السورية من صد هجومين مدرعين صهيونيين خلال النهار . وهكذا اصبح هذا المكان الحد الأخير لتقدم القوات الصهيونية .

الالتزامات العربية لسورية

اشتركت الدول العربية الأخرى في الحرب بطريقة وأخرى لمساعدة السوريين قبل وقوعها ودخول السوريين إلى مرتفعات الجولان. أسهمت القوات المغربية في الحرب منذ البداية ، كما واستجاب العراق فور وقوع الحرب فأشركت فرقة مدرعة قوامها (١٦٠٠٠) شخص و(٢٥٠) دبابة بدأت بالدخول إلى سورية ليلة ٨/٩ تشرين الأول، وقد تعرضت هذه القوة لهجوم جوي صهيوني أثناء تنقلها عبر سورية باتجاه مرتفعات الجولان ولم يعرف نتائج هذه الضربات الجوية. وفي يوم ١١ تشرين ، وصلت الطلائع الأمامية من القوات العراقية بالقرب من (كفر شمس- عقربه) أي بحدود (٣٠) كم من شرق (قنيطرة) .

وبحلول ليلة ١٢/١٣ تشرين ، تحرك لواء مدرع عراقي معزز باتجاه أحد أجنحة الخرق لقوات لانيير (الخارطة) . وبعد دخول العراقيين قليلي الخبرة داخل الكمين هاجم الصهاينة اللواء المحاصر بإسناد من القوة الجوية وذلك في وضح النهار والحق به تأثيراً مدمراً . لم يكن العراقيون قادرين على الخروج من المصيدة وتم تدميرهم خلال (٩٠) دقيقة . ومع ذلك ، فان هذا التدخل العراقي

فوت الفرصة على القوات الصهيونية من إمكانية إحاطة الجناح الأيسر للقوات السورية المستند أمام مدينة (دمشق) .[1]

انزل الصهاينة قوة صغيرة على مسافة (١٠٠) كم جنوب شرقي دمشق على الطريق العام بغداد ـ دمشق وذلك ليلة ١٢ /١٣ تشرين الأول . قامت هذه القوة بحجز التنقلات الإدارية لقوات عراقية كبيرة متجهة نحو سورية وذلك بتدمير جسر حيوي على الطريق العام . وهيأت هذه القوة المعلومات الكافية لشن هجوم بطائرات مقاتلة وقاصفة عند الطلب . انسحبت القوة الصهيونية بعد تنفيذها مهمتها بينما كانت القوة الجوية الصهيونية مستمرة بمهاجمة أهدافها في المنطقة.

جاء التزام الأردن متأخرا بعد ضغط عربي شعبي على الملك حسين . وفي وقت مبكر من يوم ٧ تشرين الأول ، قام الملك حسين بتعبئة قوة قوامها (٦٠٠٠٠) شخص من القوات المسلحة الأردنية واكد عزمه على مقاومة أي تدخل صهيوني في الأراضي أو الأجواء الأردنية، ومنع القيام بالأعمال العدائية تجاه الكيان الصهيوني لحين تأكده من انتصار العرب بنسبة ٥٠% كحد أدنى . ومع كل ذلك ، ضغطت الحكومات العربية المشاركة في الحرب إضافة إلى العرب الفلسطينيين على الملك حسين لفتح جبهة ثالثة على نهر الأردن . قام الملك في اثر ذلك وبعد دراسة مستفيضة للأفكار المطروحة أمامه بصنع قراره بزج اللواء المدرع /٤٠ (قوامه ٤٠٠٠ رجل و١٠٠دبابة) مع قوة احتياطية تقدر بـ(٤٠٠٠) رجل على جبهة سورية وفي مرتفعات الجولان (الخارطة) . وكان من أسمى الاعتبارات في قراره هو درجة وهن المملكة الأردنية تجاه هجوم جوي صهيوني ، حيث لا تمتلك الأردن غير قوة جوية صغيرة (فقط ٥٠ طائرة مقاتلة) كما وليس لديها دفاع جوي كفء ، لذا لا تتمكن من خوض المبارزة مع القوة الجوية الصهيونية . كانت ستراتيجية الملك حسين سليمة في جعل جبهة نهر الأردن هادئة بدرجة كانت السابلة المدنية الاعتيادية مستمرة في العبور ذهابا وإيابا عبر الحدود الأردنية ـ الصهيونية من دون تدخل من أية جهة . وكما تبين في الأخير ، فان انفتاح القوات الأردنية شرق مرتفعات الجولان مع القوات

---

[1] يعترف الامريكيون بهذا الوصف المبتر بحماية القوات العراقية لمدينة دمشق . . ومع ذلك انظر: التحليل للاطلاع على تقويم لدور القوات المسلحة العراقية في حرب تشرين . . (المترجم)

العراقية ، سمح للقيادة السورية من تحريك قواتهم هناك إلى الشمال لحماية دمشق من أي تعرض صهيوني جديد . وفي ١٣ تشرين الأول ، أعلنت المملكة العربية السعودية إشراك قوات سعودية على الجبهة السورية .

استقرار الجبهة (من ١٣ - ٢٢) تشرين الأول ١٩٧٣

نجحت المدفعية السورية الكائنة شرق جبل الشيخ خلال نهار يوم ١٣ تشرين الأول في صد القوات الصهيونية وإيقافهم تماما على الطرق المؤدية إلى (سعسع) و(مزرعة بيت جن) . استمكن موقعا رصد للقوات السورية على تلين حاكمين ، تمكنا من تعديل نيران المدفعية على عجلات القتال وعجلات إعادة الإملاء الصهيونية على الطرق ، وعلى الرغم من أن الضربات الجوية السورية على منطقة الخرق الصهيونية كانت ذات فائدة في إيقاف تقدم القوات الصهيونية إلا إنها كانت اقل تأثيرا من ضربات المدفعية المركزة والمستمرة . كان لجهود إعادة التجهيز من الاتحاد السوفيتي وبشكل كبير وسريع ، مقرونا بالالتزامات العربية من العراق والمملكة الأردنية والمملكة السعودية تأثير كبير في مضاعفة الإمكانات السورية ورفع معنويات قواتها . لم تتراجع القوات السورية المواجهة لقوات بيليد في القاطع الجنوبي على الرغم من تحقيق القوات الصهيونية النجاح في القاطع الشمالي من مرتفعات الجولان ، إلا إنها كانت في موقف خطير في حالة قيام قوات لانيير بالهجوم عليها من الخلف بعد (اندحار) القوات العراقية . تحرك اللواء الأردني / ٤٠ واتخذ موضع صد ستراتيجي قبل قيام القوات الصهيونية بالمناورة وهكذا تمكن من منع الجناح الجنوبي لمنطقة الخرق الصهيونية من القيام بأي عمل (الخارطة) . اصبح واضحا في هذا الوقت بان الاندفاعات الصهيونية قد أوقفت تماما . كان لاستخدام السوريين المدفعية على شكل تجمعات نارية كبيرة دور كبير في إيقاف تقدم القوات الصهيونية داخل سورية . انفتحت مراصد المدفعية السورية في أماكن ممتازة بدرجة كانت قادرة على رصد ارتال عجلات إعادة الإملاء الصهيونية وتعديل النيران عليها بكفاءة ، وهذه العجلات هي بالأصل عجلات خفيفة الحماية تحمل مؤن القتال الحيوية والمطلوبة لإدامة زخم تقدم القوات الصهيونية . اضطرت العناصر القتالية

الصهيونية على تقليل سرعة تقدمها نتيجة إمكانية إعادة الإملاء المحدودة . ومع كل ذلك كان الصهاينة قريبين بدرجة كافية من العاصمة دمشق- أي على بعد (٣٠) كم منها – لمهاجمتها بنيران المدفعية بعيدة المدى ، وأدى هذا الموقف إلى بعض التحركات على الجانب السياسي . باشرت القوات الصهيونية بإعادة تنظيم قواتها على المناطق التي احتلتها حديثا ، وبدأت بإنشاء موضع دفاعي وتحولت القوة الجوية الصهيونية التي شاركت أكثريتها في هذه الجبهة إلى جبهة سيناء .

استمر السوريون خلال يوم ١٤ تشرين الأول في إدامة الضغط على الجناح الأيسر الصهيوني ، وكان معظم الفعاليات على شكل ضربات بالمدفعية الثقيلة وهجمات جوية مركزة ، وحددت هذه الفعاليات التحركات الصهيونية بدرجة كبيرة. واستمر الأردنيون في القاطع الجنوبي على إكمال مواضع الصد على الطريق العام درعا ــ دمشق .

لم يجر أي عمل مهم خلال النصف الأول من نهار يوم ١٥ تشرين الأول ، إلا أن القوات الصهيونية قامت بعد الظهر بالتعرض على بقية فرقة عراقية ، وكان التعرض من ثلاثة محاور ، حقق تدمير عشرات من الدبابات ومئات العجلات الأخرى ، وأدى ذلك إلى إنهاء فرقة عراقية كقوة قتالية مؤثرة .[١]

قامت القوات الأردنية بالاندفاع للأمام على شكل راس سهم ، وهاجمت الجناح الجنوبي لمنطقة الخرق الصهيونية ، إلا إنها تراجعت للخلف بعد تكبدها خسائر تقدر بــ(١٢) دبابة سنتوريون (الخارطة) . وقد علم فيما بعد ان القوات الأردنية تعرضت إلى هجوم جوي جدي من قبل القوة الجوية السورية . ولمضاعفة الأخطاء، فشلت القوات العراقية في شن الهجوم في الوقت المحدد والمفروض أن يكون هجوما مشتركا مع القوات الأردنية . لذا اضطر الأردنيون إلى التراجع عندما تعرضت اجنحتهم للرمي من قبل القوات الصهيونية .

لم يحدث مزيد من الأعمال المهمة على الجبهة السورية حتى قيام القوات المشتركة بهجوم مقابل رئيس من اتجاهين يوم ١٩ تشرين الأول. هاجمت القوات السورية من الشرق بينما شنت القوات المشتركة الأردنية والعراقية هجوما على الجناح الجنوبي من منطقة الخرق . اخبرت القوات الصهيونية على الجبهة

[١] راجع الهامش السابق .

السورية كافة بقيام العرب (بالضغط للأمام) مع حلول ظلام الليل، كما أخبرت هذه القطعات بالحصول على المزيد من المكتسبات . وضعت القيادة الأردنية مزيدا من القوات تحت سيطرة القيادة السورية ، وكانت تقدر بـ(٨٠٠٠) رجل في ذلك الوقت . وخلال ليلة ٢٠ /٢١ تشرين قام المشاة السوري بالهجوم على منطقة قريبة من (سعسع) ، تمكنوا من إجبار القوات الصهيونية على التراجع بضعة كيلومترات جنوب المدينة، وادعى الصهاينة بأنهم تمكنوا من صد الهجوم وهكذا أصبحت الجبهة مستقرة .

معركة جبل الشيخ (٢١ ـــ ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣)

بدأت الصفحة الأخيرة من حملة الجولان في الساعة ١٤٠٠ يوم ٢١ تشرين الأول عندما شنت القوات الصهيونية صولة بقوات برية وقوات متنقلة جوا لاستعادة جبل الشيخ (الخارطة) . بدأت هذه العملية المعقدة بضربات جوية على المنطقة كلها ، أعقبتها بإنزال عناصر من لواء المظلي خلف القمة الكائنة في أقصى الشمال. بينما كان الصهاينة ينزلون قواتهم بالسمتيات على جبل الشيخ ، حاول السوريون شن هجوم مقابل بقوة سمتيه . ونتيجة المعركة ، أسقطت ثلاث سمتيات سورية وانسحبت البقية . وفي الوقت نفسه، شن فوج مشاة صهيوني من اللواء الجولاني هجوما ارضيا على الجناح الغربي من جبل الشيخ في محاولة لإدامة الاتصال مع القوات المظلية المتنقلة بالسمتيات على القمة . وبعد قتال عنيف ، تمت إدامة الاتصال ، وانتهت العملية بشكل كامل مع نهاية يوم ٢٢ تشرين الأول . هناك المزيد من تفاصيل هذه العملية في المبحث الخامس تحت عنوان (مناقشة قضايا منتخبة) .

وقف إطلاق النار (٢٢ـــ ٢٤ تشرين الأول / ١٩٧٣)

اقترحت الأمم المتحدة يوم ٢٢ تشرين الأول وقف إطلاق النار ، مسنداً من قبل القوى العظمى، بناءا على اعتبارات سورية ووافقت عليها الأردن والكيان الصهيوني ورفضتها العراق . وفي ٢٣ تشرين وافقت سورية على وقف إطلاق

النار ، وانتهت الأعمال العدائية مع فجر يوم ٢٤ تشرين مع اعتبار الخط الأخير هو خط إدامة التماس بشكل أساسي في سورية (الخارطة).

تم التفاوض بشأن اتفاقية فك الاشتباك من خلال وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية كيسنجر حيث أعيدت الأراضي السورية المحتلة من قبل الكيان الصهيوني خلال حرب تشرين كافة إضافة إلى مساحة من الأرض تقدر بـ(٥٠- ٦٠) كم مربعاً من الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ . تبين (الخارطة) المنطقة الحاجزة بين القوتين حيث وضعت فيها قوات من الأمم المتحدة يقدر عددها بـ(١٢٥٠) جندياً . وتقرر إناطة إدارة هذه المنطقة الحاجزة بإدارة مدنية سورية. أما على طرفي هذه المنطقة ، فكانت هناك قوات محدودة ومنطقة مسلحة بعرض يقدر بـ(١٢ ميلا) . وفيما إذا كانت اتفاقية فك الاشتباك هذه هي خطوة نحو سلام بين سورية والكيان الصهيوني أم هي وقفة في صراع مسلح بينهما ، هذا ما يمكن رؤيته لاحقا .

المبحث الرابع

حملة سيناء

تحليل الأرض

شبه جزيرة سيناء ، منطقة مثلثة الشكل ، تقدر مساحتها بـ(٢٣٦٠٠)[١] ميل مربع ، يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الشمال الشرقي (الكيان الصهيوني)[٢] وفي الجنوب الشرقي خليج العقبة أما في الغرب فخليج وقناة السويس (الخارطة) .

تعتبر قناة السويس[٣] أحد مانعين رئيسين أمام أية حركة باتجاه شرق – غرب عبر سيناء ، ويقدر معدل عرضها بـ(١٥٠) م وأقصى عمق لها بـ(١٥)م، وطولها بـ(١٦٠) كم . وعلى كل حال ، فإنها غير صالحة لعمليات عبور الأنهر بالقوة في مناطقها كافة . تحدد البحيرات المرة الكبرى والصغرى في الجنوب ، والمستنقعات الملحية المكثفة وغير القابلة للاجتياز بالآليات والموجودة على طرفي القناة من (القنطرة) إلى (بور سعيد) عمليات العبور بحجم كبير، بمسافة تقدر بنصف طول القناة وبالذات بثلاث مناطق عموما . تقع هذه المناطق بين (القنطرة – الإسماعيلية) و(الإسماعيلية ـ البحيرات) واخيرا (البحيرات – مدينة السويس) .

تتكون شبه الجزيرة من ثلاثة أنواع متباينة ومتميزة من الأراضي: السهل الساحلي في الشمال والغرب ، الهضبة والتلال في أواسط سيناء ، والمنطقة الجبلية الوعرة في الجنوب .

يعد السهل الساحلي أرضا منبسطة يميل إلى الارتفاع بشكل هادئ، يخترقه عدد من الوديان والقطوع والجداول دائمة الجريان . يكون عرضه في الشرق بين

---

[١] تعادل ٦٠٣٩٦ كم٢ . (المترجم)

[٢] والمقصود فلسطين (المترجم).

[٣] العرض والاعماق هي كما في تشرين الأول ١٩٧٣ قبل إعادة تشغيل القناة . المترجم

عدد قليل من الكيلومترات في قطاع غزة إلى (١٤٥) كم في منطقة قناة السويس. يستمر السهل الساحلي جنوبا على طول القناة وحتى خليج السويس حيث يضيق عرضه كلما تقربنا نحو مدينة السويس . يبدأ بالارتفاع تدريجيا من البحر المتوسط ويصل إلى ارتفاع (٣٠٠) م في أقصى الجنوب حيث يحادد منطقة الهضبة ، ونادرا ما تتجاوز نسبة الارتفاع ١٠% باستثناء مناطق التلول الرملية.

إن معظم مناطق السهل الساحلي مغطاة بالرمال والحصى (يمكن ملاحظة طرق نيسمية رملية اللون بالقرب من الساحل ، إلا أن الرمال في المناطق الأخرى تكون اكثر نعومة واغمق لونا) . من الشائع وجود تلال رملية تأخذ أشكالا هلالية أو سلاسل طويلة . ترتفع هذه التلال عادة من (٩ ــ ١٥) م فوق سطح الأرض وقد ترتفع إلى (٥٠) م أحيانا . تحافظ هذه التلال على أشكالها على الرغم من هبوب الرياح السائدة عليها . تقدم المناطق المغطاة بالرمال او بالحصى في السهل الساحلي فرصة جيدة للتحرك عليها بالآليات التي لها القدرة على العمل خارج الطرق . تعيق البحار الرملية (التلال الرملية المتحركة) والوديان والمضائق الحركة خارج الطرق، ولكن بالإمكان تجاوزها عادة . تعدَ منطقة المستنقعات المكثفة شرق بورسعيد غير قابلة للاجتياز بالآليات. لا توجد أستار في السهل الساحلي ، ويتعذر الاختفاء فيها ، كما ويندر إيجاد مياه صالحة للشرب فيها .

تعدَ هضبة سيناء الممتدة من السهل الساحلي ، من اكثر المناطق وعورة حيث القطوع عميقة على شكل وديان وجداول ويكون ارتفاعها من (٣٠٠) م في الشمال (بجوار السهل الساحلي) إلى (٦٠٠) م في أقصى الجنوب . نادرا ما يتجاوز الارتفاع (٦٠) م نسبة للأراضي المحيطة بها ، أما الانحدارات فنادرا ما تتجاوز نسبة ١٠% . من الملاحظ أن طبيعة الأرض فيها حجرية مخلوطة برمال طينية وغرين وحصى مع مناطق وعرة ذات أرضية حجرية . معظم الوديان فيها عريضة وعميقة مليئة بالغرين والحصى إلا إنها صالحة للتنقل . وعلى كل حال، فان مسالك هذه الوديان غالبا ما تكون متعرجة ولا تؤدي إلى مناطق معينة .

تتحدد حركة الأشخاص والعجلات إضافة إلى هذه الوديان بطبيعة الأرض التي هي هشة وغير قوية بشكل عام . والتي تندر فيها المياه ، وحتى في حالة

وجودها فانها تكون مالحة قليلا . يؤمن الجرف والجدران الحادة للوديـــان نوعـــا من السّتر ، أما مدى إمكانية الغش والاختفـــاء فيـــها ، فتكـــون بيـــن المنعدمـــة والضعيفة .

هناك سلسلة عريضة تكون الخط الثاني لمانعين رئيسين لأية عملية اجتيـــاز لصحراء سيناء ، تقع على مسافة (٦٥) كم شـــرق قنـــاة الســـويس ، ويمكـــن ملاحظة ذلك عند الذهاب من الشمال إلى الجنوب خلال السهل الساحلي ومنـــاطق الهضبة . يتحدد التنقل في هذه المنطقة المتكونة من سلســـلة مـــن التـــلال فـــي الهضبة والتلال الرملية في السهل الساحلي فقط بممرات قليلـــة ، أهمـــها (ممـــر المتلا) و(ممر الجدي) . تعد هذه الممرات المفتاح الرئيـــس والمســـيطر علـــى التنقلات في صحراء سيناء كافة.

تتكون المنطقة الجبلية لسيناء ، من مجموعة تلال وعرة وجبال كائنة جنوب المنطقة المجاورة للقناة . جزئت هذه المنطقة بوديان عريضة ذات ضفاف عاليـــة يتعذر اجتيازها . يصل ارتفاع المنطقة في بعض الأماكن إلى (١٢٠٠) م ، وفـــي الجزء الجنوبي لشبه جزيرة سيناء ، هناك جبال يصل ارتفاعها إلـــى (٢٧٠٠) م . غالبا ما تكون الانحدارات بنسبة ٣٠% ، لذا فان التنقلات محـــددة بطـــرق غـــير معبدة وبعدد قليل من الطرق الصالحة . تعد العمليات العسكرية في هذه المنطقـــة صعبة ، ولم يكن تاريخيا لهذه المنطقة غير دور قليل في الحـــروب العربـــية – (الصهيونية).

هناك أربع طرق رئيسة عبر سيناء ، عند الذهاب من منطقة قناة الســـويس باتجاه الشرق (الخارطة) . يتفرع الطريق الكائن في أقصى الجنوب إلى فرعيـــن حال اجتيازه ممر المتلا . أما الطريق الشمالي(عبر المزرعة)، فيعقب ساحل البحر المتوسط ، والذي يبدأ من (القنطرة) على قناة الســـويس ويمـــر بـــ(العريـــش) و(غزة) إلى (تل أبيب) . وفي داخل الكيان الصهيوني ، توجد شبكة مكثفـــة مـــن الطرق للسابلة باتجاه هذا الشريان المؤدي شرق – غرب . وعلـــى كـــل حـــال ، لايوجد غير عدد قليل من الطرق الثانوية في سيناء . هناك خط سكة حديد يمتـــد بموازاة هذا الطريق ، إلا أن السكك التابعة لهذا الخط جرى تفكيكها في المنطقـــة الكائنة على السهل الساحلي الغربي . تعوق حركة السابلة علـــى هـــذا الطريـــق الشوارع الضيقة لمدينتي العريش وغزة ، وكذلك حركـــة التـــلال الرمليـــة فـــي

المنطقة. هناك طريق آخر يبدا من الإسماعيلية على قناة السويس ويمر بـ(بئر جفجافة) ثم إلى (نيزانا - Nizzana) على الحدود الصهيونية ومن ثم إلى (بئر السبع) . ويمر طريق آخر من مدينة السويس إلى ممر المتلا ، ثم يتفرع إلى فرعين ، يمر أحدهما باتجاه الشمال الشرقي إلى (نيزانا) ، أما الآخر فباتجاه الجنوب الغربي إلى (ايلات) . وأخيرا ، فان الطريق الأقل أهمية بين هذه الطرق ، هو الذي يبدا من البحيرة المرة الصغرى ويتجه نحو ممر الجدي ، ثم يلتقي مع الطريق العرضاني الذي يربط الطريق الجنوبي بالطريق الوسطي الذي جرى وصفه آنفا .

هناك طريقان رئيسان فقط يتجهان من الشمال إلى الجنوب في سيناء . الأول، يجاور قناة السويس ويمر بمحاذاتها من بور فؤاد في الشمال إلى النهاية الجنوبية لشبه جزيرة سيناء في (شرم الشيخ) . أما الطريق الثاني فيقع شرقه بحدود (٢٥ إلى ٣٠) كم وهو الآخر مواز لقناة السويس . أنشأ الكيان الصهيوني سلسلة من طرق ثانوية مؤخرا في المنطقة على بعد (١٠) كم من القناة وبموازاتها ، إضافة إلى الطرق الرئيسة.

تتشابه طبيعة الأرض في الجانب المصري من القناة إلى حد كبير لطبيعتها في سيناء . حيث يمتد السهل الساحلي المشابه للصحراء غربا من القناة، وهو بعرض (٨٠) كم في منطقة الإسماعيلية ، وبعرض(٨) كم مقابل البحيرة المرة الكبرى ، وبعرض(٣٠) كم في ضواحي مدينة السويس . تقع في شرق السهل الساحلي هضبة مشابهة تماما لهضبة سيناء . وتقع جنوب هذه الهضبة سلسلة جبال تعرف بـ(جبل عتق) . أما في الجانب الغربي من البحيرات المرة ، هناك مناطق زراعية مشجرة تنتهي بأراض مفتوحة أخرى . يقدر عرض المنطقة المشجرة بكثافة بـ(٥) كم والتي تمتد على طول القناة من الإسماعيلية وحتى مدينة السويس. تروى هذه المنطقة بالمياه الواردة من نهر النيل من خلال منظومة متقنة من اقنية الري .

تنظيم الدفاع الصهيوني

كانت الخطة الصهيونية للدفاع عن القناة مبنية على اقتران الدفاع على خط بارليف بالعمل التعرضي بالفرق المدرعة الاحتياطية . انشىء خط بارليف

عام ١٩٦٩ خلال حرب الاستنزاف ، وسميَ باسم رئيس هيئــة الأركــان العامــة الصهيونية آنذاك الفريق حاييــم بارليف . ويتكون الخط أساسا من (٣٠) موضعاً حصيناً ، أنشأت على القناة مباشرة، وتفصل الواحد عن الآخر مسافة (٣) كـــم ، وربطت هذه المواضع الحصينة بعضها ببعض بسدة ترابية مستمرة بارتفاع مــن (١٢ ــ ٢٠)م، وبعرض (١٠) م في سطحها العلوي . أغلقــت عــدة مواضــع حصينة منها خلال السنين الماضية بينما جرت تقوية البقية الباقية منــها . وفــي يوم ٦ تشرين الأول كان الخط يعتمد على (١٥ ــ ١٦) موضعاً حصيناً منها .

نظمت المواضع الحصينة المستحكمة على المناطق الحاكمة علــى المحــاور الرئيســة فــي المنطقــة والملائمــة للعبــور، وتقــدر مســاحة كــل موضــع بــ(٢٠٠×٣٥٠)م، محاطة بالأسلاك الشائكة وحقول الألغــام بعمــق (٢٠٠) م . نظمت فيها مزاغل ومواقع رمي لأنواع من الأسلحة بضمنها الرشاشات والهاونات والمدفعية والدبابات وفي الاتجاهات كافة ، وكان لها مدخــل واحــد فقــط . كمــا واعدت فيها ملاجئ لراحة الأشخاص بعدة طبقات ، وبدرجة عالية مــن الحمايــة لغاية تحمل قنابل زنة (١٠٠٠) رطل. وجهزت المواضع بنظــام جيــد للتهويــة ومعدات التطهير تجاه أسلحة التدمير الشامل . زودت المواضع بمنظومات جيــدة للتكيف ومعدات مشابه أخرى . تقدر كلفة بناء هذا الخط بحــدود (٢٣٨) مليــون دولار أمريكي من وجهة النظر الصهيونية، ويعدَ واحــداً مــن أقــوى الخطــوط الدفاعية.

وضعت تحت اثنين من هذه المواضع الحصينة سلسلة من خزانــات زيــوت (قابلة للحرق من نوع النابالم) ربطت بمرشات واسعة على الحافة القريبــة مــن القناة. كانت سيطرة هذه المنظومة من خلال مفاتيح داخل المواضــع الحصينــة، وتشغل المنظومة بمضخات دافعة تنثر الزيت على شــكل رذاذ لتغطــي المســطح المائي للقناة . يحرق الزيت عند الحاجة بقنابل حراريــة مــهيأة لذلــك . وكــان المتوقع من النار الناتجة من احتراق الزيت إمكانية منع أية قوة صائلة من عبــور القناة .

أنشا الصهاينة طريقاً يعرف بطريق المدفعية على بعد (١٠ــ١٢) كــم إلــى الشرق من القناة . وضعت (٢٠) قاعدة للمدفعية والدفاع الجوي ومواقع للاحتيــاط المدرع وتسهيلات إدارية أخرى على هذا الطريق .

يبدو ان الخطة الصهيونية للدفاع في خط بار ليف كانت بسـيطة ومباشـرة وسليمة . انفتح لواء مشاة في المواضع الحصينة بهدف القيام بكشف أية عمليـة عبور بحجم كبير ، ولتفعيل منظومة إشعال النيران واسـتخدام نـيران الأسـلحة الخفيفة العضوية والملحقة إضافة إلى نيران المدفعية والدبابات وطلب الضربـات الجوية والمدفعية الثقيلة وحتى طلب الضربات المدرعة الاحتياطية عند الحاجـة . يبدو أن الصهاينة قدروا انه من غير المحتمل قيـام المشـاة المصـري بصولـة عاصفة على هذا الخط الدفاعي بقوة ومسك راس جسر عبر القنـاة . وحتـى إذا تمكن المشاة المصري من تحقيق ذلك على الضفة الصهيونية من القنـاة ، فكـان المقدر بان الهندسة المصرية بحاجة إلى فترة من الوقت تكون بيـن (٢٤ ــ٤٨) ساعة بعد تأسيس راس الجسر لفتح السدة الترابية المانعـة ومـن ثـم إنشـاء الجسور عبر القناة لتعبير الدبابات والمعدات الثقيلة الأخـرى . كـان الصهاينـة واثقين من ان الوقت المطلوب لضمان تأسيس موطئ قدم علـى الضفـة البعيـدة إضافة إلى فترة من (٢٤ ــ ٤٨) ساعة الضرورية لاكمال عملية التجسير ستكون كافية لتكامل القوة الجوية والقطعات المدرعة الصهيونية من الخلف تمهيدا لسحق راس الجسر.

كان خط بار ليف مشغولا بعناصر من لواء (القـدس) /١٦ فـي صبـيحة يوم ٦ تشرين (الخارطة) . كان تشكيل المشاة الاحتياطي هذا في دورته التدريبيـة الاعتيادية وكان قد ترك للتو معسكره الدائمي . وكـانت قوتـه الكاملـة (٨٠٠) شخص، وفي يوم الهجوم كان موجوده من الأشخاص بحـدود(٦٠٠) شـخص ، لتمتع البقية الباقية بإجازة عيد يوم الغفران . عزز اللواء برعيل من الدبابات فـي معظم المواضع الحصينة من قبل اللواء المـدرع / ١٤ وآمـره العقيـد آمنـون رشيف. وكان هذا اللواء هو أحد تشكيلات الفرقة المدرعة النظاميـة التـي كـان قائدها (الجنرال مندلـر) في سيناء . أما اللـواءان الآخـران فكانـا علـى قـوة الكادر(أي هيكلية فقط ــ المترجم) ويجري إكمالهما بقوات احتياطية مـن الخـط الأول . كانت هذه القوة هي القبضة الحديد للدفاعات في سيناء والتي من المؤمـل أن تسحق أية محاولة مصرية لعبور القناة .

كانت الخطة الدفاعية الصهيونية مبنية على أساس أشغال خـط بـار ليـف باللواء المدرع /١٤ ولواء آخر ، وعليهما الرمي عبر القناة في حالة اسـتصحاب

أية قوة صولة لمعدات العبور ، ويبقى اللواء الثالث بالاحتياط ومستعداً للتحرك للأمام حالما يتم القرار على تحديد مكان الهجوم الرئيس للمصريين .

وعندما بدا الهجوم المصري ، كان الانفتاح الصهيوني في الواقع يعتمد على احتياط الخطة الآنف ذكره فقط . كان اللواء المدرع/١٤ هو الوحيد على الجبهة مع نصف أعداد دباباته في الأمام لتعزيز المواضع الحصينة وبالذات في ثلاثة مواضع حصينة فقط . أما البقية الباقية فكانت في مواضع في الخلف على بعد من (٨ – ١٠) كم . كان اللواءان اللذان فيهما قوة الكادر فقط أمام الممرات الجبلية ببضعة كيلومترات ، وكان مجموع الدبابات يصل إلى (٢٤٠) دبابة في جبهة سيناء ، ومعظمها من نوع باتون أم / ٤٨ ، وكانت(١٠٠) دبابة منها تعود إلى اللواء المدرع/١٤ وآمره (رشيف) . فشلت الاستخبارات الصهيونية في تزويد القوات الصهيونية بإنذار لفترة (٤٨) ساعة لتعزيز الوحدات الأخرى من الاحتياط، وعندما تقرر أخيرا يوم ٦ تشرين بان المصريين سوف يقومون بالهجوم ، افترضت أن تكون ساعة (س) بالساعة ١٨٠٠ بناءا على الخبرات السابقة للمناورات المصرية التي كانت تبدا دائما في هذا الوقت ، لذا أوعزت للقطعات المدرعة الصهيونية بعدم التقدم للأمام قبل الساعة ١٦٠٠ ــ قرار سياسي في المستوى الوطني لتجنب أية أعمال استفزازية . تمكنت براعة العرب وللمرة الأولى من التغلب على دهاء اليهود وشكوكهم .

الاستعدادات المصرية

اعتمد التخطيط والاستعدادات المصرية لعملية العبور بشكل منطقي جدا على تسلسل المعا ضل التي ينبغي معالجتها حسب الترتيب لكي يكون العبور ناجحا .

كانت المعضلة الأولى في العملية هي أيجاد وسيلة ناجعة للتغلب على اللهيب والنار المحرقة التي ستغطي المسطح المائي للقناة حالما تبدا عملية العبور . حيث قام المهندسون المصريون بعدة تجارب عملية لتقويم تأثيرات المنظومة الصهيونية والإجراءات المضادة المتنوعة تجاهها . وتوصلوا خلال مدة قصيرة من التجارب إلى أن المنظومة الصهيونية فعالة جدا ، وان الحرارة المنبعثة من احتراق الزيت تؤدي إلى حروق شديدة للأشخاص على بعد (٢٠٠) م من موقع النار واللهب ، ركزت الخبرات الأولية على الطرائق الملائمة لإخماد اللهب ،

فاكتشفوا بان إخماد اللهب يتطلب جهودا غير اعتيادية إضافة إلى أن النار ستبقى مستمرة كحد أدنى لمدة (٣٠) دقيقة قبل إخمادها نهائيا . والأكثر من ذلك ، فان إضافة أية مادة قابلة للاحتراق خلال هذه الفترة سيسهم في احتفاظ النار بكثافتها الأولية . لذا قرر المصريون بان الحل الأفضل هو تخريب منظومة توزيع الزيت قبل الهجوم بمدة مناسبة . وكما جاء على لسان رئيس هيئة الأركان العامة المصرية (الفريق الشاذلي) :

"كانت غايتنا إرسال متسللين لغلق هذه الأنابيب بالأسمنت ، وفي الوقت نفسه إناطة مهمة مسك هذه الخزانات سالمة وبقوة في حالة فشل محاولة غلق الأنابيب بقوات الكماندو المصرية . وكأجراء احتياطي درست سرعة التيار داخل القناة في كل ساعة خلال النهار . نجحت العملية بشكل تام، ولم يتمكن العدو حتى من رمي اطلاقة واحدة على سطح القناة . مسكت مخازن المواد الحارقة بشكل سالم مع ملحقاتها كافة. والأكثر من ذلك ، اسر الضابط المهندس الصهيوني المصمم للمنظومة . واخبر بأنه جاء لتفتيش المخازن للتأكد من صلاحية المنظومة للعمل وذلك قبل يوم من اندلاع الحرب " .

كانت المعضلة الثانية هي كيفية إزالة السدة الترابية على الضفة الصهيونية من القناة . كانت الضفة البعيدة ذات انحدار حاد وغير منظم بدرجة يتعذر على العجلات البرمائية والمسرفة التي تمكنت من عبور القناة من التسلق على السدة الترابية في الضفة البعيدة بالاعتماد على قدراتها الذاتية . كما وأن استخدام معدات التجسير للعمل في الضفة البعيدة هو الآخر في حكم المستحيل ، بسبب عدم وجود دكة لاستعمالها من قبل هذه المعدات لمهاجمة السطح الضيق للسدة . والأكثر من ذلك، كان مقدار التراب المطلوب نقله كبيرا جدا لفتح ثغرة بسعة (٧) م في السدة الترابية ويتطلب نقل (١٥٠٠) متر مكعب من التراب . وطالما أن خطة العبور المصرية بحاجة إلى فتح (٦٠) ثغرة ، فان المجموع الكلي لكمية التراب المطلوب نقلها يصل إلى (٩٠٠٠٠) متر مكعب . أجرى المصريون في البداية تجارب في استعمال المفرقعات والمدفعية ، إلا أن النتائج كانت غير مشجعة واقل مما يرضيهم. وعلى كل حال ، فان استعمال المفرقعات كان ضمن جزء من خطة المصريين حتى أواسط عام ١٩٧١ ، عندما جاء ضابط هندسة حديث باقتراح لاستعمال الماء تحت ضغوط عالية لغسل التراب وابعاده . أثبتت

التجارب صحة اقتراحه ونجاح أسلوبه قياسا على الأساليب السابقة الأخرى كافة . حسنت التجارب المتكررة من تأثير المعدات التي جرى استخدامها ، وكمثال ، جرت زيادة قدرة المضخات العائمة لحين وصولها إلى إمكانية فتح ثغرة بعرض (٧) م في وقت يكون بين (٢ ــ ٥) ساعات .

في الوقت الذي اثبت هذا الأسلوب كونه مؤثرا بدرجة كبيرة في منطقة عمليات الجيش الثاني ، إلا أن السدة الترابية في منطقة عمليات الجيش الثالث كانت متكونة من خليط من التراب والصلصال غير النافذ أدى إلى تعويق عملية العبور فيها إلى الحد الذي اضطرت فيه القوات المدرعة التابعة للجيش الثالث إلى تغيير اتجاهها والعبور من الجسور العائدة للجيش الثاني في منطقة الإسماعيلية.

تتضمن المعضلة الثالثة تقليل تدخل المواضع الحصينة لخط بارليف على عملية العبور خلال مراحلها المختلفة . تقرر مهاجمة المواضع الحصينة بقصف تمهيدي ثقيل ومباشر وبنطاق كبير بحيث تؤدي بالقوات الصهيونية في هذه المواضع بالبقاء داخل ملاجئهم . وحالما تتحول نيران المدفعية لمهاجمة أهداف أخرى إلى الشرق من الخط اكثر للسماح للمشاة المصري بعبور القناة ، تتسلق الدروع المصرية المصاطب المعدة للرمي في الضفة الغربية لصب النيران بالرمي المباشر الدقيق والثقيل جدا على المواضع الحصينة . تستمر هذه النيران خلال عملية العبور لحين اكتساح وتدمير المواضع الحصينة واحتلالها أو تطويقها تمهيدا لاكمال احتلالها من قبل قوات الموجة الثانية للمشاة المصري .

كانت المعضلة الرابعة والأكثر حراجة هي كيفية حماية قوات العبور من تأثيرات القوة الجوية والدروع الصهيونية خلال اكثر الفترات حراجة في عملية العبور أي بين تأسيس راس الجسر الأول من قبل المشاة وعبور أعداد كبيرة من الأسلحة الثقيلة والدبابات بجسور ثابتة أو جسور عائمة .

ركز الحل المصري على الاهتمام بالسرعة في العبور واستخدام الجندي الفرد في المشاة المصري لمنظومة صواريخ موجهة ضد الدبابات نوع (ساغر) وصواريخ (أر بي جي ٧) ضد الدروع ، وصواريخ موجهة ضد الطائرات نوع (سام ــ٧) المحمول على الكتف . كما لوحظ مبكرا ، توقع الصهاينة بان تكون لديهم مدة (٤٨) ساعة كحد أدنى منذ اطلاق الرصاصة الأولى للقيام برد فعل . في الواقع تمكن المهندسون المصريون من فتح (٦٠) ثغرة في السدة الترابية

ونصب (٥٠) طوافة ، وإنشاء (١٠) جسور عائمة خلال فترة كانت بين (٦ ــ ٨) ساعات منذ بداية الهجوم . يمكن أن يؤدي هذا العمل البطولي الفذ إلى :

- إخماد المواضع الحصينة بسرعة وبصورة مؤثرة .
- السرعة في اختراق السدة الترابية .
- استخدام معدات التجسير الروسية نوع ريبون القياسية إضافة إلى الجسر العائم الروسي الحديث .
- الحماية المؤثرة تجاه الهجمات الجوية والدروع الصهيونية .

كان المصريون يقومون غالبا بتمارين ومناورات بحجم فرقة في المنطقة القريبة من القناة خلال الـ(٩) اشهر السابقة لاندلاع الحرب . بنى المهندسون المصريون خلال الفترة الماضية مصاطب وتحكيمات على الضفة الغربية ، وهي لا تؤمن السيطرة على المواضع الصهيونية عبر القناة فحسب ، بل تؤمن ستر واخفاء المناطق الخلفية للقوات المصرية أيضا . كدست كميات كبيرة من الاعتدة والمواد الإدارية الأخرى ، إضافة إلى تأسيس شبكة اتصالات ميدانية متطورة .

لم تلاحظ أية زيادة في فعاليات القوات المصرية من راصدين في المواضع الصهيونية على خط بار ليف إلا في الأسبوع الأخير قبل الهجوم . وكمثال ، في ١تشرين الأول دخل رتل من عجلات حاملة لقاذفات الصواريخ إلى مدينة الإسماعيلية ، وكان هناك المزيد من الضوضاء الناتج عن حركة العجلات خلف الضفة الغربية للقناة . كما جرى رصد مجموعات صغيرة من الضباط المصريين على الضفة الغربية للقناة . ومع كل ذلك ، عندما استمرت الفعالية الرئيسة على الضفة الغربية من القناة كان يبدو إنها اعتيادية تماما . استحم جنود غير مسلحين في القناة والتحركات الاعتيادية كانت مستمرة من دون أي تدخل حتى حين موعد ساعة الشروع .

عندئذ فقط أدرك الصهاينة ان المصريين يقومون بعملية مخادعة مؤثرة تماما. وخلال تمرين (تحرير ٤١) الذي سبق الهجوم الحقيقي ، كانت الألوية تنفتح في الأمام خلال ساعات النهار ثم تنسحب الأفواج على شكل فردي خلال الليل محدثا ضوضاء لاعطاء انطباع بان الوحدة قد غادرت بأكملها . نظم برنامج تمرين (تحرير ٤١) ليستمر من (١ ــ٧) تشرين ، أعلن عن تطبيقه بشكل واسع

في أجهزة الأعلام . جلبت معدات العبور إلى مناطق قريبة من القناة في آخر لحظة ممكنة ، ووضعت في حاويات أثناء نقلها لتجنب معرفة محتوياتها .وكأجراء احتياطي إضافي ، نقلت هذه المعدات إلى الأمام في الليل فأخفيت في أماكن مهيأة مسبقا للاحتفاظ بها لحين ساعة الشروع .

بنيت خطة عمليات المصريين على أساس تنفيذ العملية بثلاثة صفحات (الخارطة) . ففي الصفحة الأولى ، يقوم الجيش الثاني بقيادة اللواء سعد مأمون والجيش الثالث بقيادة اللواء عبد المنعم واثق بالهجوم في آن واحد بفرق المشاة الخمسة التابعة لهما لتحقيق راس جسر بعمق من (١٠ ــ١٥) كم مربع وإلى أقصى الجنوب حتى حد حقول النفط في رأس الدر وعلى أن يستعدا للاستمرار بالهجوم عند الطلب . كان المفروض أن يتم إكمال الصفحة الأولى خلال (٤ - ٥) أيام . وكانت النية متجهة تماما في الصفحة الأولى إلى إنشاء خط دفاعي قوي لمواجهة الهجوم المقابل المدبر للقوات المدرعة الصهيونية . أما في الصفحة الثانية، فتقوم القوات المدرعة والمشاة الآلي بالتخلل من مواضع فرق المشاة والاندفاع باتجاه ممرات (المتلا والجدي) بهدف استعادة سيناء الغربية حتى حد الخط المار من الشمال ــ إلى الجنوب عبر (بئر جفجافة) . تنجز هذه الصفحة بعد فشل القوات الصهيونية في محاولتها غير الناجحة لإزالة المشاة المصري الذي أسس راس جسر خلال الصفحة الأولى . كان المفروض ان لايستغرق ضمان احتلال الخط من الشمال إلى الجنوب غير (٤ ــ٥) أيام إضافية . أما الصفحة الثالثة ، فستكون بإنشاء مواضع دفاعية قوية بعد النجاح التام في الصفحة الثانية . ستتحرك فرق المشاة للإمام لتبديل القوات المدرعة والآلية على الجبهة . عندئذ تنسحب القوات المدرعة والآلية إلى الغرب أي إلى مواضع للخلف وعلى مسافة مناسبة . يبدو الآن بان هذا هو الهدف العسكري المباشر للمصريين إذا لم يكن هو الهدف النهائي لهم .

ظهر فيما بعد ان الهدف العسكري للمصريين كان دحر القوات الصهيونية في الجانب الغربي من سيناء وبذلك سيتبدل جو (ألَلا سلم وألَلا حرب) السائد في الوقت الحاضر . وكان الهدف النهائي هو تحقيق تنازلات سياسية . كان اهتمام مصر منصب على التحدي بدرجة خاصة، وإذا كان ممكنا تحطيم أسس السياسة الخارجية الصهيونية الثلاثة وهي: أسطورة قوات الجيش الصهيوني التي لا

تقهر، وحدود آمنة مبنية على الواقع الجغرافي ، وسلام يفرض على وفق المفهوم الصهيوني . وهكذا بدأت مصر بشن حرب عسكرية لتحقيق أهداف سياسية .

الهجوم المصري (٦ - ٧) تشرين الأول ١٩٧٣

بحدود الساعة ١٤٠٠ من يوم ٦ تشرين ، هاجمت (١٥٠) طائرة ميك أهدافا على خط بار ليف وفي عمق سيناء ، واشتملت الأهداف الرئيسة للضربات الجوية الأولى على مراكز الاتصالات في بئر جفجافة وبئر الثمادة ومقرات القيادة الأمامية في (الطاسة ـ TASA) (الخارطة) . كانت هذه الهجمات ناجحة تماما وحققت تدميرا كبيرا ، مما أدى إلى رد فعل غاضب من القوة الجوية الصهيونية من قواعد بعيدة في عمق الكيان الصهيوني . كانت أسبقية الأهداف للضربات الجوية الصهيونية هي الجسور والقطعات المدرعة . وعلى كل حال ، أصبحت تعبية الطيران الواطئ التي كانت مؤثرة جدا في الاشتباكات السابقة مع العرب غير مجدية لأن الطائرات الصهيونية كانت تواجه سدا منيعا من صواريخ محمولة على الكتف من قبل المشاة المصري من نوع (سام ـ ٧) ، إضافة الى منظومات صواريخ نوع (سام ٦) المحمولة على العجلات ومدافع ضد الطائرات محمولة على المسرفات من نوع (زد اس يو-٢٣ - ٤) (الشيلكا المترجم) .

أعقب الهجوم الجوي المصري الأول على خط بار ليف مباشرة أربع رشقات مدوية لنيران المدفعية من (١٥٠٠) مدفع مخفي في الضفة الغربية من القناة . وبعد رمي الرشقة الأخيرة على المواضع الحصينة على خط بارليف ، حولت المدفعية نيرانها على أهداف عميقة في الصحراء . عندئذ باشر المشاة المصري مع وحدات من قوات الكماندو المصرية بالعبور بسرعة فائقة للقناة باستخدام زوارق مطاطية وقوارب خشبية .اسند المشاة القائم بالعبور بنيران النبابات بالرمي المباشر من المواضع المهيأة لها في الضفة الغربية ، وتم صعود السدة الترابية الصهيونية باستعمال الحبال والقصب ، وكانت مهمة الموجة الأولى من المشاة هي تخطي المواضع الصهيونية على خط بارليف والاختراق عميقا إلى الصحراء لإخماد الدروع الصهيونية . رفعت قوات الكماندو المصرية بالسمتيات

واجتازت القناة معا مع المشاة ، إلا إنها توجهت نحو مواضع بالعمق الصهيوني في سيناء ، أي تجاه المنشآت الصهيونية الرئيسة لخلق حالة الذعر والإرباك والفوضى في محاولات العدو لتعزيز المواضع الأمامية بالوحدات المدرعة .

وكما خطط لها ، فان الهجمات المقابلة الصهيونية كانت قد أخمدت بشكل مؤثر من قبل موجات المشاة الأولى المجهزة بأسلحة ضد الدبابات موجهة بالسلك من طراز(ساغر) وصواريخ أر بي جي ٧ ، والتي كانت مهمتها تخطي المواضع الحصينة لخط بارليف ، والاختراق عميقا إلى الصحراء ومشاغلة وتدمير أية محاولة مدرعة صهيونية للتدخل في عملية العبور . وفعلا تمكنت هذه القوات من تدمير ثلث القوة المدرعة الصهيونية خلال اقل من (٣٠) دقيقة . بدأت عملية (غسل التراب) وأحداث الثغرات في السدة الترابية الصهيونية على القناة مباشرة، واعقبتها عمليات نصب الجسور ، باستعمال معدات عبور الأنهر السوفيتية . تمكن المصريون من فتح (٦٠) فتحة في السدة الكائنة على الضفة البعيدة ، ونصبوا (١٠) جسور إضافة لـ(٥٠) جسرا عائما لارباك سياقات التهديف الصهيونية . استخدم الدخان أيضا لاخفاء مواقع الجسور ، وأخيرا اتخذت الإجراءات كافة لتصليح الجسور خلال ساعة أو اقل باعتماد أسلوب تبديل الأجزاء المعطوبة في حالة تعرض أي جسر إلى الضربة الجوية .

كانت عناصر من القدمة الثانية من الدروع والعجلات وحاملات المقذوفات والسيارات الخفيفة وبطريات المدفعية التابعة للقدمة الأولى لفرق المشاة التابعة للجيشين الثاني والثالث تعبر القناة بسرعة فائقة حالما يكمل نصب جسر أو تشغيل طوف . وكمساعدة لحركة الوحدات العابرة، استخدمت قابلوات المخابرة واشرطة بألوان مختلفة لضمان عبورها بسهولة إضافة إلى دلالتها نحو أهدافها بعد إكمالها عبور القناة .

تأخرت عملية العبور الأولى للجيش الثالث نتيجة كون المانع الترابي الصهيوني في القاطع الجنوبي يحوي كميات من الصلصال والجبس اللذين كانا اقل تجاوبا من التراب العادي مع عملية الغسل . وتبعا لذلك ، كان على الوحدات المدرعة التابعة للجيش الثالث عبور القناة من خلال الجسور العائدة للجيش الثاني قرب الإسماعيلية ، لذا ينبغي لهذه الوحدات التقدم والهجوم لمسافة (٤٠) ميلا باتجاه الجنوب عبر منطقة سيناء الممسوكة من قبل القوات الصهيونية لإدامة

التماس مع رأس الجسر الخاص بالجيش الثالث . وهكذا كان تقدم الجيش الثالث على الأرض بطيئاً بعض الشيء . وعلى كل حال ، ومع هبوط الظلام ، عبر المصريون القناة بقوة ، واكتسحوا المواضع الحصينة الرئيسة في خط بار ليف ، واندفعوا على الأرض بدرجة كافية لتأسيس ثلاثة رؤوس جسور صغيرة إلا إنها كافية لاستيعاب بعض الدبابات ، ومنظومات الدفاع الجوي الأمامي وعدد مناسب من أسلحة مقاومة الدبابات . وخلال الليل ، عبر القسم الأعظم من فرق المشاة الأمامية القناة . ومع الصباح الباكر ليوم ٧ تشرين ، عبر المصريون بحدود (٢٥٠) دبابة . استمرت الوحدات المصرية بالعبور، ووصل عدد الدبابات العابرة مع الساعات الأولى لظهر هذا اليوم ، أي بعد مضي نحو (٢٤) ساعة على ساعة الشروع بالعملية ، إلى (٤٠٠) دبابة ، إضافة إلى الدبابات العضوية في فرق المشاة الصائلة ، وباشر بعض من قوات القدمة الثانية للجيشين بالعبور . وبحلول هذا الوقت ، مزق المشاة الصائل اكثر ما يمكن من خط بارليف ، وهدد باكتساح بقايا اللواء المدرع /١٤ العائد للعقيد (رشيف) . وهكذا خسر الجيش الصهيوني حتى حد الآن من (١٥٠ ــ ٢٤٠) دبابة في سيناء . أدار الصهاينة هجماتهم المقابلة المحلية على شكل مراحل وعلى غرار الهجمات المقابلة في عام ١٩٦٧ بوحدات من الدبابات فقط (بينما كان المشاة لا يزال في طور النفير) ، وبإسناد قليل من المدفعية (وهي الأخرى كانت في طور النفير) ومن دون إسناد من الجو أحيانا . وبدلا من مواجهة الدبابات المصرية كما خطط لها ، كانت الدبابات الصهيونية تواجه حائطا متراصا من نيران أسلحة مقاومة الدبابات من المشاة المصري المفتوح في سيناء ، وكذلك من القلاع الطينية المصرية في الضفة الغربية من القناة والتي كانت مسيطرة تماما على الجانب الصهيوني . أدرك الصهاينة بشكل متأخر جدا بان هذه القلاع الطينية هي اكثر من كونها مواقع للرصد . فقد خدمت هذه القلاع كمصطبات عالية للرمي بالدبابات بشكل مباشر وكذلك لنصب قاذفات صواريخ مقاومة الدبابات من نوع (ساغر) لمشاغلة الدبابات الصهيونية القائمة بالهجوم المقابل . كانت الدبابات الصهيونية محملة بشكل كامل بالاعتدة الخاصة بمقاتلة الدبابات ، لذا كانت غير قادرة على معالجة المشاة المصري الذي كان منتشرا داخل خنادق في الرمال يصعب تميزهم ، وكانوا مجهزين بصواريخ (ساغر) و(أر بي جي ٧) .

ومع الصباح الباكر ليوم ٧ تشرين ، اكمل الجيشان الثاني والثالث عبور العناصر الرئيسة من قوات القدمة الثانية لهما ، وبدآ باتخاذ الإجراءات الضرورية لتبني الموقف الدفاعي . وفي كثير من الأحيان ، لم تكن المواضع الدفاعية كاملة من ناحية الحفر فحسب ، بل كانت فعلا كاملة حتى من ناحية مد الأسلاك الشائكة وزرع حقول الألغام أيضا . كان الحزام الدفاعي الأول في منطقة كل جيش من الجيشين واضحا لاحتوائه فرق المشاة ، أما الحزام الدفاعي الثاني فكان يحوي فرق المشاة الآلية ، فضلا على اللواءين المدرعين المنفصلين . بينما كانت الفرقتان المدرعتان اللتان سوف تتحكمان بالأحداث التالية ، ما زالتا في الضفة الغربية من القناة كاحتياط عام . ظهر ان الحزام الدفاعي الأول في مستوى فرق المشاة ممسوك بلواءي مشاة ، بينما الحزام الدفاعي الثاني كان ممسوكا باللواء المدرع العضوي في الفرقة . أما في مستوى اللواء، فاحتفظت بالدبابات المصرية بشكل واضح خلف الحافة الأمامية لمنطقة المعركة بشكل جيد . وظهر بشكل مشابه أن أفواج المشاة كانت في الحزام الأول بينما أفواج الدبابات العضوية في اللواء وضعت في الخلف بدرجة مناسبة . وهكذا حقق المصريون في هذا الوقت تفوقا حاسما في القدرة القتالية بالنسبة للقوات البرية على الصهاينة . أثار استخدام هذا التفوق لتوسيع رؤوس الجسور المنفصلة وجعلها راس جسر واحد متكامل ، مع وجود ثغرة صغيرة بين الجيشين بدلا من الاندفاع نحو الممرات الحيوية انتقادات شديدة في الأوساط العسكرية .

بدأت وحدات الاحتياط الصهيونية بالوصول إلى المنطقة بحدود هذا الوقت . وكانت من أولى الوحدات هي من اللواء الاحتياطي (للعقيد غابي) من فرقة (الجنرال برن أدنز) . وصلت هذه الوحدة إلى بئر جفجافة حال مباشرة المصريين بالهجوم ، واشتبكت مباشرة بالمعركة. بدا اللواء الثاني من فرقة (أدنز) بامرة (العقيد نيتكي نير) بالوصول مع الصباح الباكر ليوم ٧ تشوين من منطقة بئر السبع ، على بعد (١٣٠) ميلا . حالما توقفت ناقلات الدبابات في منطقة (روماني) لانزال الدبابات ، وقعت هذه الوحدة في كمين نصبته قوات المغاوير المصرية والمؤلفة من (٢٥٠) فرداً مجهزين بالأسلحة الخفيفة وقاذفات الصواريخ من نوع (ساغر) و(أر بي جي ٧) . تسللت قوات الكماندو المصرية بالسمتيات خلال ظلام الليل ونزلت واتخذت مواضع لها على مسافة من (٣- ٥)م

من الطريق العام المؤدي باتجاه القناة . أدى هذا الحادث إلى توقف اللـــواء لمـــدة ساعتين ، وخسر اللواء نتيجة فعالية المغاوير دبابة سنتورين و(٣) ناقلات نصـف مسرفة وقتل (٦) جنود وجرح (٢١) آخرون. اشتبك هذا اللواء الثاني مـــع راس الجسر يوم ٨ تشرين . لم يصل اللواء الثالث للجنرال أدنــز حتى يوم ٩ تشرين .

وصل (الجنرال شارون) إلى موقع القيادة الأمامية للجبهـــة مـــع الصبـــاح الباكر ليوم ٧ تشرين وقبل وصول وحداته ..كان معظم دباباته في حالة تنقل علـى الطريق من بئر السبع ، ومن غير المتوقع وصولها قبل الضياء الأخير لهذا اليوم. وصلت وحدات كثيرة إلا إنها كانت من دون معدات كاملة، كما ولم تكن الدبابـــات بكامل حمولتها من العتاد والوقود . كانت الرشاشات والنواظير لفوج الاســـتطلاع ناقصة إضافة إلى عدم وصول آمري الدبابات . استغرقت فرقة الجنرال شـــارون طوال يوم ٨ تشرين بالاستعدادات للدخول بالمعركة ، بينما كـــانت تتحـول مـــن موضع إلى موضع حسب التغييرات في الموقف والخطة . وحتى حد هـــذا الوقــت كان الصهاينة يرقصون على أنغام مصرية أي أن ردود فعلهم كانت علـــى وفــق فعاليات القوات المصرية .

يجب أن لا يغرب عن البال خلال هذا الوقت ، بان الأسبقية الأولى للجهد فـي المنطقة كلها ، وبشكل خاص في مجال الإدامة وفعاليات القوة الجويـــة ، وكذلــك القسم الأعظم من القدرة القتالية للقوات البرية الصهيونية، كانت موجهة باتجـــاه الجبهة السورية التي كانت الجبهة الأكثر أهمية بالنسبة للكيان الصهيوني . وفـور استعادة خط وقف إطلاق النار لعام١٩٦٧ في يـــوم ١٠ تشـــرين علـــى الجبهـــة السورية، بدا التحول بالجهد والتركيز باتجاه سيناء ، وحرر هذا التغيير في الجـهد بعض الألوية التي كانت في الاحتياط لغرض الاستخدام في مرتفعات الجولان .

الهجوم المقابل الصهيوني ــ التكامل المصري من (٨ - ١٣) تشرين ١٩٧٣

تبلورت الحرب في سيناء خلال الأيام من (٨ ــ ١٣) تشرين ، مـــن قبــل المصريين بإعادة الإملاء والتعزيز والتكامل ، بينما بالنســـبة للصهاينـــة فكـــانوا منهمكين بأعمال التعويق والهجمات المقابلة المحدودة وعمليات التكامل المستمرة لقواتهم . شكل الالكيان الصهاينة قوة واجب آلية بقيادة (العميد كالام ما غـــان) ،

وأعطيت له مسؤولية القاطع الكائن شمال فرقة آدن . وكـــانت إحـــدى مهماتـــها معالجة المغاوير المصرية العاملين في ذلك القاطع . أما في القاطع الجنوبي ، فقـد كانت هناك فرقة أو قوة واجب بحجم فرقة بقيادة (الجنرال ميـــرون) رئيس شـعبة التدريب في الجيش الصهيوني . ومع نهاية اليوم الثالث من الحرب ، أعيد تشكيل الفرقة النظامية في الجيش الصهيوني بقيادة (الجنرال مينـد لــر) خلف خطـوط الجبهة ، بعد أن كانت عناصرها تعمل مع فرق أخرى . قتل الجنرال ميندلر يـوم ١٣ تشرين نتيجة إصابة ناقلته المدرعة بالمدفعية المصرية . ومن المحتمــــل أن المصريين تمكنوا من استمكان موقع ناقلته من خلال أجهزة اسـتمكان المحطـات اللاسلكية ، بينما كان يتحدث على الجهاز اللاسلكي في ذلك الوقت . حل (الجـنـرال ماغـــان) محل الجنرال ميندلر ، ومات هو الآخر بعيد انتــــهاء الحـرب نتيجـة للسكتة القلبية .

شنت فرقة الجنرال أدان أول هجوم مقابل رئيس للجيش الصهيوني في يـوم ٨ تشرين الأول (الخارطة) . بدأ الهجوم بفوجين من لواء (غابيـز) في السـاعة (٠٧٥٩) . حقق الهجوم في البداية بعض النجاح وحالما اقترب الفـوج الأمـامي من المواضع المصرية ، وقع في كمين من المشاة المصري المجهزين بصواريـخ ضد الدبابات الموجهة من نوع (ساغر) و (أر بي جي ٧) . لم يكن مـــع فـوج الدبابات هذا أي عنصر من المشاة أو المشاة الآلي ، كما وكان هناك نقص كبـير في الإسناد المدفعي والجوي . كانت هناك وحدة قريبة منها ، إلا إنها هي الأخـرى قد استنفدت اعتدتها ، ولم تكن قادرة على إبداء المساعدة لها . كما وكانت هنـاك وحدة تابعة لفرقة الجنرال شارون ، إلا إنها رفضت إبداء المساعدة بسبب تضارب في الأوامر. وهكذا فشل الهجوم وتكبد الفوج الأمامي خسائر تقدر بـــ(٦) دبابـات. لم يكن مقر القيادة الجنوبية مهتما بالفشل الذي حدث ، لأن جميع التقارير كـــانت جيدة ، وكان هناك انقطاع في الاتصالات بين مقر الجنرال ادان وألويتـــه . وفـي هذا الوقت بالذات كانت قوات الجنرال ادان تعيد تنظيم نفسها لشن هجـوم ثـانٍ . وكان المفروض أن يكون هناك هجوما منسق باللواءين على أن تكـون وحـدات (العقيد نيـر) هي بمثابة الجهد الرئيس . كانت المعلومات عن العـدو والصديـق غامضة والأوامر كانت موجزة وغير كاملة . هاجم العقيد نيـر بفوجين في الأمـلم في الساعة ١٤٣٠ ، إلا أن اللواء الآخر لم يكن مستعدا للهجوم لذا اصبح الهجوم

بشكل فردي وغير مشترك كما كان مطلوبا . أوقع المصريـــون أفـــواج الـــهجوم الرئيس في كمين منظم بشكل جيد، وتمكنوا من تدمير (١٨) دبابة من مجمـــوع (٢٢) دبابة . ومن الجدير بالملاحظة إن إحدى الدبابات التي هربت من المعركـــة كانت تحمل آمر اللواء . أسر (المقدم عـساف ياتوري) الذي كان آمـــرا لاحـد الأفواج ، وعرض في التلفزيون المصري في اليوم التالي بصفته آمرا للواء .

بدأ الهجوم المقابل المصري بينما كان الجنرال أدان مجتمعـــا مـــع آمـــري ألويته. هرع الضباط بسرعة إلى وحداتهم . لم يبق في لواء (العقيد نـــير) غـير (١٠) دبابات صالحة للعمل . في بداية الهجوم كان على الصهاينة خوض المعركة والشمس في عيونهم ، واصبح المصريون اقرب للانسحاب من الصهاينة . كـــان جو المعركة في البداية يبدو انه لصالح المصريين ، ولكن حـــال ظـــهور الشــفق وتمكن الرماة الصهاينة من الرؤية جيدا تغير الموقف كليا وأخيرا كسرت صولـــة القوات المصرية . ومع الساعات الأخيرة من النهار، لم يبق غير عدد قليل مـــن الدبابات الصهيونية في القاطع الشمالي بين القوات المصرية وأهدافهم . لم تضغط مصر على التقدم للأمام كثيرا ، لذا ضاعت فرصة ممتازة أمامهم .

لوحظ في هذا الوقت بان الحرب بدأت تميل إلى الاستخدام الناجح للمصريين لمنظومات مقاومة الدبابات (ساغر) تجاه التشكيلات المدرعـــة الصهيونيـــة. فـــي الواقع استخبر الجيش الصهيوني قبل الحرب بان فرق المشاة المصرية لها سـرايا مجهزة بصواريخ ضد الدبابات من نوع (ساغر) ضمن تشكيل اللواء ، وكحد أدنـــى فوج صواريخ (ساغر) في مستوى الفرقة . والذي جعلهم يفشلون في التقدير هـــي الثقة الزائدة بأنفسهم وبكفاءتهم وبقدرتهم على استخدام قواتهم المدرعة . لوحـــظ وجود منظومات (ساغر) بثلاثة أشكال : الشكل الأول محمولة على عجلة استطلاع مدرعة ومدولبة سوفيتية تدعى (بردم ــ٢) ، والشكل الثاني محمولة مع مدفـــع ٧٣ ملم على عجلة قتال مدرعة مسرفة خاصة بالمشاة، سوفيتية تدعـــى (بـــي أم بي ــ ١)، والشكل الثالث منصوبة على الأرض بالإمكان رميها عـــن بعـــد ٢٥ م منها من قبل جندي واحد ، وهي تحمل من قبل جندي واحد ، مرزومة على شـــكل جنطة يد . وكانت أكثرية أعداد هذه المنظومة من النوع المحمول من قبل الجنود.

يطلق الرامي المقذوفة أولا ثم يتابعها بالعين المجردة لمسافة (٥٠٠) م كحد أدنى ، وبعد ذلك يقوم بطيرانها إلى داخل مجال نظـرِه فـــي المرقـــب ، ويحـــاول

الرامي الاحتفاظ بها بارتفاع مناسب لحين تقربها من الهدف ، ثم يوجهـــها علـــى شكل انقضاض على الهدف - تتطلب العملية كلها إلى دقة الملاحظـــة والتنســـيق الرائع بين العين واليد- ، وبالأخص في المدى الأقصى الذي هـو (٣٠٠٠) م . إن معرفة المدى المؤثر لــ(ساغر) لا يعدَ كافيا ، وتقتضي الضرورة تعليـــم وتدريـــب رعيل الدبابات في كيفية التعامل معها والتخلص منها . لا يعـدَ الحـل اليســـير ـ السباق للأمام مهما كانت الكلفة ـ هو الجواب الشافي في كل موقف .

يشار إلى المدة ما بين (١٠ إلى ١٢) تشرين بمدة الـــهدوء فـــي العمليـــات التعرضية عند كلا الجانبين ، حيث كان القادة منهمكين في وضع ســـتراتيجياتهم والتخطيط لعملياتهم المقبلة .

علم المصريون من مصادرهم يوم ١٢ تشرين ، باتباع الصهاينـــة أســـاليب مغايرة لتشكيلات هجومهم ، ولم يعودوا إلى الاندفاع بدروعهم فقط ، بل يؤكـــدون تكامل دروعهم مع المشاة والمدفعية في إطار فريق الصنوف المشتركة .

أصبحت مصر في هذا الوقت تحت ضغط شديد من سورية التي كانت تطـــالب مصر بشن هجوم بهدف تخفيف الضغط الصهيوني على الجبهة الشـــمالية . لـــذا وجه (الجنرال إسماعيل) يـــوم الثلاثـــاء ، المصـــادف ١١ تشـــرين ، الجيـــوش الأماميـــة لتوسيع منطقـــة راس الجسر باتجاه الشرق .

عبرت الفرقتان المدرعتان القناة خلال مدة مـــن (١١ إلـــى ١٣) تشـــرين ، وأصبح المجموع الكلي لعدد الدبابات في الضفة الشرقية بحدود (١٢٥٠) دبابـــة . ينبغي الإدراك بان الاستنزاف الكبير حصل في الدبابات العضوية في فرق المشـــاة الأمامية ، لذا كان عدد الدبابات اقل من (١٢٥٠) بكثير والتـــي كـــانت صالحـــة للعمل وتمتاز بالكفاءة القتالية .

وعلى كل حال ، حتى لو ان الاحتياط المصري يتوجه شرقا عبر القناة ، فان الدروع الصهيونية التي جرى تعبئتها نتيجة التهديد السوري، بدأ فعـــلا بـــالتحرك غربا عـــبر ممرات سيناء . ومع فجر يوم١٣ تشرين، رصدت القوات الصهيونية غمامة كبيرة من الغبار المتحرك عبر ضفاف القناة من منطقة البحيرات المـــرة . يبدو أن المجهود الرئيس للهجوم المصري وشيك الوقوع سيأتي إلى المركز مـــن هذا المكان .

الهجـوم المصـري (١٤) تشرين ١٩٧٣

((بسم الله الرحمن الرحيم))

((بدأت قواتنا المسلحة بتطوير التعرض شرقا على وفق للخطة المرسـومة ابتداءاً من الساعة ٠٦٠٠ من هذا اليوم ... تتقدم قواتنا المدرعة والآلية بنجـاح تام عبر خط المواجهة))

البيان العسكري الرقم ٣٦

القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية

شنت مع الفجر الطائرات المقاتلة القاذفة مـن طـراز الميـك والسـوخوي ضربات جويـة لمـدة (٩٠) دقيقة قبـل تنفيـذ المدفعيـة منهجـها للقصـف التمهيدي. وبعد الفجر مباشرة شن كل جيش ميداني هجوما كبيرا كل في قاطعـه وباتجاه الممرات في سيناء . كان الـهجوم الرئيـس للجيـش الثـاني بالفرقـة المدرعة/٢١ باتجاه بئر جفجافة ، مع هجوم ثانوي نحو (عبر معرسـة ـ Via Maris) ، بينما وجه الجيش الثالث هجومه الرئيس نحو (ممر متلا) مع هجـوم ثانوي باتجاه (ممر الجدي) . اشتبكت الدبابات في اكبر معارك للدبابات في العـالم منذ الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ ، وشاركت في هـذه المعركـة زهـاء (١٠٠٠) دبابة مصرية مع (٦٠٠) دبابة صهيونية وبحدود (١٠٠٠) عجلة آليـة أخرى . عمليا جاوزت هذه المعركة معركة العلمين في الحرب العالمية الثانية التي اشتركت فيها (١٤٥٠) دبابة. لم يكن معروفا غير الخطط المجملة للمعركة .هـاجم المصريون بارتال من الصنوف المشتركة ، حيث واجهوا الدبابات الصهيونية التـي كانت بالانتظار في مواضع مخفية بين الوديان والتلال الرمليـة . وبينمـا كـانت الدبابات المصرية تقترب من المواضع الصهيونية، أصبحت خارج حماية أسـلحة مقاومة الدبابات الخاصة بالمشاة كما وخرجت من نطاق مظلـة الدفـاع الجـوي الممثلة بمنظومات (سام) وللمرة الاولى خلال هـذه الحـرب . دحـر الصهاينـة الدبابات الهاجمة باستخدام مزيج من مواضع رمي مضاعفة ومن حالة الوقـوف ، وتحديد الأهداف لنيران الدبابات المسيطر عليها ، وهجمات من الأجنحة، وإسـناد

جوي قريب ، إضافة إلى منظومات صواريخ مقاومة الدبابات الموجـهة بالسـلك من نوع (أس أس ـ ١١) . على الرغم من أن الإسناد الجوي القريب كان يقـوم بدور متزايد في سيناء ، إلا أن منظومات الدفاع الجـوي المصريـة حـالت دون استخدامه بحرية ، وفعلا أسقطت طائرتان من نوع (أف ـ ٤ فانتوم) كحد أدنـى بمنـظومات (سام ـ ٦) خلال المعركة الطويلة لذلك النهار .

وبالطريقة نفسها الآنف ذكرها ، صدت الموجة الثانية من الدبابات الهاجمـة والمسندة بمدافع الصولة بعد تكبيدها خسائر كبـيرة . قـدرت خسـائر القـوات المصرية خلال اليومين الماضيين بـ(١٥٠ إلى ٢٠٠) دبابة . أدت نتـائج هـذه الهجمات إلى أضعاف الجيشين الثاني والثالث بشكل تطلبت الحاجـة إلـى إعـادة تنظيم واسعة في دفاعاتهما يوم ١٥ تشرين .

عمليـة الغزالـة (١٥ - ١٧) تشرين ١٩٧٣

نفذت القوات الصهيونية خطتها لعبور القناة ليلة ١٥ تشرين ، وهي عمليـة اقترحها(الجنرال شارون) منذ يوم ٧ تشرين ، إلا إنها أجلت وتغيرت عدة مـوات. وكانت الخطة النهائية مبنية على أساس تنفيذ العملية بصفحتين . كـانت مهمـة فرقة شارون فتح الطريق من (الطاسة) إلى مواقع العبور وتطهيرها ، ومن ثـم تأسيس راس جسر صغير على الضفة الغربية من القناة ، وإنشاء ثلاثـة جسـور عبر القناة ، واخيرا إبداء المساعدة لتخلل قوات العبور . لم يكن واجب شـارون تعبيراي قسم من قواته عبر القناة في هذه الصفحـة . خطـط لعبـور القـوات الرئيسة خلال الصفحة الثانية من العبور، وكلفت فرقة الجنرال ادان مهمة القـوة الرئيسة ، وتحركت باتجاه الجنوب ، وتحشدت شرق قوات شارون . كانت الخطـة تؤكد قيام لواء مدرع واحد من قوات شارون بتعقيب فرقة ادان بعد تخللـها مـن قوات شارون وعبورها القناة، ومن ثم تباشر العناصر الرئيسة لقـوات الجـنرال ماغان . وتنص الخطة على ضرورة بقاء فرقة شارون عدا اللواء المدرع وبقيـة قوات ماغان بسيناء لتثبيت القوات المصرية .

انتخبت مواقع العبور تماما شمال مدخل قناة السويس في البحـيرة المـرة الكبرى . وقيل أن هذا الموقع جرى أعداده مسبقا لمثل هذه الحالـة قبل ثـلاث

سنوات عندما كان الجنرال شارون قائدا لقيادة المنطقة الجنوبية. وفي هذا الموقع أجريت استحضارات كبيرة لاكمال المداخل إلى القناة واشرت بالطابوق الأحمر .

شملت القوات المخصصة للجنرال شارون لتنفيذ المهمة على ثلاثة ألوية مدرعة ولواء مشاة بضمنه بعض القطعات المظلية ولواء مدفعية وقطعات هندسية اختصاصية ومعدات الإنزال وزوارق ومعدات التجسير. أما القوات المصرية التي كانت في مواجهة شارون في المنطقة، فتشتمل على الفرقة المدرعة /٢١ وفرقة المشاة /١٦ . وعلى الرغم من معاناة كلتا الفرقتين من معارك يوم أمس واندحارهما ، إلا انهما تعدّان خصمين مرعبين . دمرت قوات شارون بحدود (١٠٠) دبابة من الفرقة /٢١ ، إلا إنها مازالت تمتلك (٢٠٠) دبابة صالحة . كما أن مشاة الفرقة /١٦ مجهزين بالصواريخ وقد اتخذوا مواضع لهم على طرفي الطرق المؤدية إلى القناة من (الطاسة) . لذا ينبغي تطهير هذه الطرق من القوات المصرية قبل وصول معدات التجسير إلى مواقع العبور.

شن لواء مدرع من قوات شارون المتحشد شمال الطريق العام (الطاسة ــ البحيرة المرة الكبرى) بالساعة ١٧٠٠ هجوما ثانويا باتجاه الغرب نحو الإسماعيلية (راجع الخرائط) . جرى الاشتباك في البداية بالمديات الطويلة ، وحقق الهجوم هدفه بسحب الثقل الرئيس للفرقة /٢١ باتجاه الشمال نحو طريق الطاسة ــ إسماعيلية . وبعد ساعة من موعد الشفق ، توجه لواء مدرع ثان نحو طريق الطاسة ــ البحيرة المرة الكبرى من على طريق نيسمي صحراوي ، وكان متجها نحو الجنوب ، ثم غير ناصيته غربا نحو البحيرة المرة الكبرى . كان هذا اللواء هو اللواء نفسه الذي قاده العقيد امنون رشيف وواجه الهجوم المصري الأولى يوم ٦تشرين . حيث أعيد تنظيمه واكملت نواقصه والحق بفرقة الجنرال شارون . كانت وحدة استطلاع الفرقة تقود التقدم ولأنها سبق واكتشفت ثغرة بين الجيش الثاني والثالث يوم ٨ تشرين وقامت باستطلاع البحيرة . تحركت القوات تحت جنح الظلام من خلال الثغرة ، وصل اللواء إلى الطريق العرضاني المار بمحاذاة ساحل البحيرة من الشمال إلى الجنوب ، واصل اللواء تقدمه نحو الشمال من البحيرة ضامنا جناحه الأيسر . وحالما وصل اللواء إلى الطريق (الطاسة ــ البحيرة المرة الكبرى) ، وجه قوة واجب غربا من مفرق الطرق (ي) وامن مواقع العبور على القناة . واصل القسم الأعظم من اللواء التقدم شمالا لضمان

منطقة دائرية وتأسيس قوة صد خلف الفرق المدرعة /٢١ . وعلى كل حال ، وقعت قوة الواجب المكلفة قيادة التقدم من اللواء تحت وابل من نيران المدفعية المصرية بعد قطعه عدة آلاف من الأمتار من مفرق الطرق (ي) ، واستمرت المعارك في هذه المنطقة ولم تنته إلا بعد عدة أيام .

لا يزال المقترب المؤدي إلى مواقع العبور والذي ينبغي ان تسلكه القوات المظلية والآلية لم يجر فتحه وتطهيره بعد . حيث قطع من قبل فرقة المشاة /١٦ المصرية . ارسل شارون فوجا واحدا من الدبابات من لواء رشيف باتجاه الشمال في محاولة لأزاحتهم من الخلف . حقق هذا الهجوم نجاحا جزئيا لان الطريق لم يجر فتحه بشكل كامل . وفي هذا الوقت بألذات ، تأخرت العملية عن موعدها على وفق الجدول الزمني ، وكانت القوات المظلية التي ينبغي لها ان تضرب العدو عبر القناة ما زالت جالسة في منطقة (الطاسة) . وبحلول منتصف الليل تمكنت قوة الواجب للضفة الشرقية من الاختراق وإدامة التماس مع اللواء المظلي لـ(دانني) والمهندسين . وفي الاتجاه المعاكس ، قادت الدبابات في هذا الوقت العجلات نصف المسرفة للقوات المظلية مع قوارب مطاطية قابلة للعوم وبالاعتماد على (أمجادهم) الماضية والكبيرة من إعادة بعض الاطواف المجهزة بوسائل التنقل خارج الطرق من العودة على الطريق النيسمي وتسلمتها قوات رشيف . وعلى كل حال ، لم يكن اللواء قادرا على المتابعة .

بحلول الساعة ٠٣٠٠ وصل لواء دانني إلى القناة ونجح في تأسيس راس جسر صغير وعلى شكل نصف دائرة بعمق (٦٠٠) متر على الضفة البعيدة . ومع الضياء الأول من اليوم التالي وجه المصريون مدفعيتهم على مفرق الطرق ، بينما وصلت الأطواف ومعدات التجسير على الدعامة الأفقية على القناة . دمر أحد الاطواف نتيجة الرمي ، بينما كان الثاني يعمل جيدا ، وباشرت الاطواف بالعمل مع منتصف النهار . وبحدود الظهر ، عبرت (٢٧) دبابة إلى الضفة البعيدة لتعزيز القوات المظلية .

قسم شارون قواته إلى جماعات إغارة صغيرة ـ على الرغم من عدم المباشرة بنصب جسره كما ولم يجر ضمان راس جسره ـ وارسلهم إلى خارج رأس الجسر للبحث عن مواقع صواريخ (سام) وأكداس العتاد والوقود وبطريات المدفعية بهدف الإغارة عليها وتدميرها . تعرضت أربع دبابات مصرية إلى

الإصابة والتدمير بأسلحة المشاة ضد الدبابات كأولى الخسائر المصرية على الضفة البعيدة . وبحلول منتصف النهار زاد عدد الجماعات المغيرة بعد أن عززت بالعدد القليل من الدبابات والعجلات نصف المسرفة التي عبرت بالاطواف ، وتمكنت من تدمير أربعة مواقع لصواريخ (سام) . أبدى هذا العمل مساعدة كبيرة للقوة الجوية الصهيونية وذلك بفتح مجاز لها حيث مكنت الطائرات النفاثة من المرور خلاله والعمل في المنطقة بحرية اكثر .

لم يتخذ أي جهد منسق من قبل المصريين لطرد القوات الصهيونية أو تدميرهم على الضفة الغربية . كانت المناوشات بين القوات المصرية والصهيونية عموما على شكل اشتباكات بعضهم لبعض . وكانت مفاجأة كبيرة للصهاينة عدم الإشارة إلى هذه الاشتباكات في التقارير الدورية التي كانت ترفع للقيادة المصرية. تسلم مقر قيادة الجنرال إسماعيل في البداية تقارير غير دقيقة عن قوة صهيونية مؤلفة من عدد صغير من دبابات برمائية، والتي يمكن تدميرها بسرعة . وبينما كان الصهاينة منهمكين في توسيع راس جسرهم ، كان هناك قطع غير واضح في منظومات اتصالات القوات المصرية ، كما وتعرضت منظومات (سام) والدبابات وأكداس العتاد والوقود ومؤن القتال الأخرى إلى هجوم وتدمير. توصل المصريون أخيرا إلى ضرورة الاعتراف بان هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة ليست على بينة تامة بمدى التدخل الصهيوني لاخر (٣٦) ساعة الماضية . وقد عزي السبب إلى قلة الاستطلاع والإرباك في المواصلات والفوضى الناتجة عن التحول الحالي للمسؤوليات بين القادة الرئيسين في هذا القاطع . حيث كان الجميع يعيش بهدوء على الضفة الغربية .

كانت القصة مختلفة تماما في الضفة الأخرى من القناة ، ففي سيناء أصبحت المنطقة كلها ميدانا لمعارك كبيرة .عمليا كانت الطرق مغلقة ، ولم يبق غير الطريق النيسمي المؤدي إلى الجنوب عبر التلال الرملية مفتوحا . أفاد شهود عيان حدوث معارك ثقيلة بالقطعات المدرعة خلال الليل على الطرق والى الشمال، وكانت النتيجة تدمير عشرات الدبابات والعجلات المدرعة الأخرى ، منها مثقوبة ومنها محترقة تماما . كانت الدبابات المصرية والصهيونية متروكة في ميدان

المعركة وهي قريبة وعلى بعد أمتار عن بعضها بعضاً . وفي بعض الأحيان نجدها بتماس مع بعضها بعضاً . نزل عدد الدبابات في لواء رشيف إلى (٢٧) دبابة ، مما الحق باللواء المدرع الثالث (جيام) التابع لفرقة شارون . خاض لواء (جيام) قتالا ضاريا للوصول إلى القناة ، وباشر بالعبور بالأطواف . اشتبك لواء العقيد (غابي) من فرقة (أدان) في قتال لصد هجوم من الشمال قام به اللواء المدرع المستقل /٢٤ المصري .

واصل المشاة المصري وبعناد التمسك بالطرق والمحافظة عليها . وطالما كان المشاة مطلوبا ، فقد نقل لواء مظلي صهيوني بالسمتيات من الخليج إلى السويس . عجز هذا اللواء عن تحقيق أي شيء والاستمرار بالعمل بسبب كون المصريين يجنون فوائد تفوقهم بالقوة النارية والاحتماء بالمواضع الدفاعية .

لم يكن إنقاذ راس الجسر العائد لشارون في النهاية نتيجة لبراعة شارون ، بل نتيجة فشل المصريين في الاستجابة السريعة ، لشن عملية يشترك فيها الجيشان الثاني والثالث ، كانت الضرورة تقضي بتدوير الأوامر الخاصة بالعملية بين أربع هيئات ركن مختلفة لضمان توقيع الضباط عليها . عمليا لم يجر تحريك أية قوة مصرية لسد الثغرة بالقوة حتى خيم الظلام يوم ١٦ تشرين .

خاضت فرقة ادان قتالا ضاريا في طريقها إلى الحقل الصيني واعادة فتح ممر خاص بها . وكان على هذه الفرقة مع بقايا اللواء المدرع /١٤ العائد لـ(رشيف) التصدي للهجمات المصرية التي تجددت في المنطقة . استجابت فرقة ادان بسرعة كبيرة صباح يوم ١٧ تشرين لرسالة لاسلكية مصرية التقطت من قبلها، وهي موجهة إلى لواء المدرع المستقل /٢٥ المصري ، فيها أمر للواء بالتحرك شمالا لإبداء المساعدة في غلق الثغرة . وفي الساعة ٠٦٣٠ من اليوم نفسه ، وقع اللواء في كمين من الأمام والجناح الأيمن ، وتكبد اللواء خسائر كبيرة ، ولم يبق منه غير (٦٠) دبابة من نوع تي ٦٢ . واكد الجيش الصهيوني بعدم حدوث أية خسائر في قواته خلال هذه المعركة .

الآن بدأ الجنرال ادان بتحويل قواته باتجاه الخلف مع الجنرال شارون للاستمرار بالضغط على القوات المصرية ودفعها ببطء باتجاه الشمال . وأخيرا

فتح الطريق الجنوبي ، فأصبحت الدبابات المكلفة سحب أقسام الجسور قادرة على المرور باتجاه القناة . ركزت المدفعية المصرية على موقع العبور وتمكنت من تدمير أحد الرعائل . وبحلول الظهر ، صد الصهاينة آخر جهد مصري في الهجوم المقابل . قدر عدد الدبابات المصرية التي دمرت خلال الأيام الثلاثة الماضية بـ(٣٦٠) دبابة . أدى الرمي الكثيف للمدفعية المصرية على مواقع العبور إلى التقليل من سرعة العناصر الهندسية الصهيونية بدرجة كبيرة في إكمال نصب الجسر وحتى الساعة ١٥٣٠ ، والذي تأخر كثيرا ، ومع كل ذلك ، لم تكن قوات ادان مستعدة للعبور لأنها كانت ما زالت مشتبكة في معارك في منطقة الحقل الصيني ، وهي بحاجة إلى إعادة الإملاء بالوقود والعتاد قبل المباشرة بالعبور . وفي الساعة ١٩٤٥ من يوم ١٧ تشرين ، بدأت الألوية الثلاثة العائدة للجنرال ادان بالتدحرج عبر الجسور إلى داخل الأراضي المصرية . كان لواء العقيد نير هو اللواء الأول الذي لا يزال بحاجة إلى إعادة الإملاء بالوقود والعتاد . وبحلول هذا الوقت اصبح راس الجسر الصهيوني على الضفة الغربية من القناة أمينا .

عزل الجيش الثالث (١٨ - ٢٤) تشرين ١٩٧٣

لم تتدخل القوة الجوية المصرية حتى الآن في الفعاليات القائمة في الضفة الغربية للقناة . اشتبكت القوات الصهيونية العابرة مع قوات متزايدة بعد أن اصبح حجمها معروفا . شنت القوة الجوية المصرية أول هجوم كتلوي على الجسر الصهيوني يوم ١٨ تشرين . شنت القوة الجوية ثلاث ضربات منفصلة بطائرات الميك والسمتيات . خسر المصريون في المحاولة الأولى بين (٨ ـ١٥) طائرة ميك إضافة الى السمتيات الأربعة، أما في المحاولة الثانية ، فقد خسروا (٧) طائرات ميك ومزيدا من السمتيات ، أما في المحاولة الثالثة فلم تتحقق أية نجاحات أخرى . لم تؤد الأسلحة الخفيفة وأسلحة مقاومة الطائرات الصهيونية دورها فحسب بل كانت القوة الجوية الصهيونية هي الأخرى تقوم الان بعمليات جوية بكامل قدرتها بسيناء .

في الواقع ، لوحظ ثقل القوة الجوية الصهيونية بشكل متزايد منذ المباشـــرة بعملية العبور للضفة الغربية . ويعود سبب ذلك إلى عاملين هما: الأول ، تحويـــل الأسبقية للقوة الجوية من مرتفعات الجولان إلى سيناء . أمـــا الثـــاني ، فـــهو أن القوة الجوية الصهيونية أصبحت لها الحرية في السماء على خطوط الجبهة نتيجة صابة منظومة الدفاع الجوي المصرية بخسائر فادحة . ولم يبق مع موعد وقـــف إطلاق النار الثاني في ٢٤ تشرين سوى (٨) مواقع صواريخ (سام) مـــن اصـــل (٦١) موقعاً. حققت القوة الجوية هذه المهمة في معظم الأحـــوال ولاسـيما فـــي المواقع القريبة من بور سعيد وقنطرة ومدينة السويس . دمرت القـــوات البريـــة (١٠) مواقع منها فقط في منطقة مهمة بالنسبة لراس الجســـر، أمـــن بذلـــك أول فسحة كبيرة في مظلة الدفاع الجوي المصرية .

بدأت القوات الصهيونية مع الصباح الباكر ليوم ١٨ تشرين بالاندفـــاع مـــن راس الجسر في الضفة الغربية . كانت الخطة النهائية للقوات الصهيونية مبنيـــة على أساس قيام شارون بالاندفاع شمالا نحو الإســـماعيلية ، بينمـــا يندفـــع ادان جنوبا نحو البحيرات المرة ، على ان يقوم ماغان بتعقيب ادان ثـــم يندفـــع إلـــى الغرب اكثر. كان الهدف هو احتلال مدينة الســـويس وتطويـــق الجيـــش الثـــالث المصري .

وأخيرا بدأت القيادة المصرية خارج القاهرة الآن برد فعل جدي تجاه عبـــور القوات الصهيونية . انفتحت قوات الصد على المقتربات المؤدية إلـــى القـــاهرة . وبعد أن أدرك المصريون أخيرا هدف القوات الصهيونية ، قـــاموا بـــردود فعـــل سريعة وعلى مراحل . وكان أول رد فعل لهم ، إرسال لواء آلي معزز من الجيـــش الثاني لصد قوات ادان وشارون. في الحقيقة لم يكن للواء القوة الكافيـــة لإنجـــاز هذا الواجب.

وبينما كان ادان يتقدم نحو الجنوب ، كان على قسم من قواته خوض قتـــال في منطقة البساتين التي يتراوح عرضها بين (٥ ــ ١٠) كـــم غـــرب البحـــيرات المرة . كان التقدم بطيئا ، كون المشاة المصري كان لا يزال منهمكا بالاســتعدادات لخوض القتال مع الدبابات الصهيونية على مسافات قريبة . خسر أحد أفـــواج ادان

(٩) دبابات وناقلتي أشخاص مدرعة قبل أن يتمكن من تخليص نفسه من المصيدة الممثلة بالأشجار ذات الأوراق الكثيفة واقنية الري والموانع الكثيرة . ومزيدا إلى الغرب ، كانت قوات ماغان تعمل في منطقة صحراوية مفتوحة مشابه لطبيعة الأرض في سيناء .

بحدود يوم ٢١ تشرين ، نقلت القوات الصهيونية ٥٠ % من إمكانياتها من الدبابات في سيناء إلى الضفة الغربية من القناة عبر ثلاثة جسور . نصب الجسر الثاني يوم ١٨ تشرين ، وهو من نوع (جسر صولة متدحرج) يسحب بـ(١٢) دبابة ، وهو الجسر الذي فشل شارون في نصبه . أما الجسر الثالث ، فنصب يوم ٢١ تشرين ، وهو جسر أحادى عائم بريطاني . استخدم الجسر الأحادي العائم البريطاني من قبل كلا الطرفين المصري والصهيوني . لم يتمكن المصريون من التنبؤ بشكل جدي بسريان السابلة على الجسور الصهيونية ، وكلف ذلك كلا الجانبان ثمنا باهظاً . كانت خسائر المهندسين الصهاينة تقدر بـ(٣٥) قتيلاً و(١٥٠) جريحاً ، بينما فقد المصريون كحد أدنى (١٨) طائرة و(٧) سمتيات يوم ١٩ تشرين فقط في محاولاتهم لتدمير الجسور.

تميز تقدم قوات شارون باتجاه الشمال بالبطء . كان على قواته تطهير ضفتي القناة بينما تتقدم إلى الأمام . كان شارون قادرا على التقدم وبسرعة على الضفة البعيدة باتجاه الإسماعيلية ، إلا أن منطقة راس الجسر في الضفة الشرقية من القناة كانت ضيقة . ولم تكن قوات شارون قادرة على إجبار القوات المصرية هناك إلى الرجوع إلى الخلف .

في الوقت الذي كان موعد تطبيق وقف إطلاق النار الدولي يقترب، لم يجر بعد إكمال تطويق الجيش الثالث المصري . وصلت قوات ادان إلى خط كائن شمال الطريق العام القاهرة ـ مدينة السويس تماما ، بينما كانت قوات ماغان تترصد الطريق العام من منطقة كائنة إلى الغرب اكثر. وفي الساعة ١٨٥٢ صدرت الأوامر إلى كل من ادان وماغان بإيقاف إطلاق النار ، إلا أن الأمر لم يطبق على شارون . غاصت وحدات الاستطلاع لقوات شارون في ضواحي مدينة الإسماعيلية، واستغرقت المدفعية الصهيونية نحو (٤) ساعات لتخليص قوات

شارون من المحنة التي واجهتها . وبحدود منتصف الليل ، أصبحت أخيرا الجبهة في منطقة الإسماعيلية هادئة ، ولكن عند الذهاب إلى الجنوب اكثر ، كان الجانبان ينتهكان وقف إطلاق النار.

استمر الكيان الصهيوني بدفع القوات والمعدات عبر القناة منتهكاً بذلك قرار الأمم المتحدة بـ(انهاء الفعاليات العسكرية كافة فورا) . كانت قوات المغاوير وفرق المشاة المصرية ، تقوم باختراق معسكرات الدروع الصهيونية لضرب الدبابات وناقلات الأشخاص المدرعة بصواريخ أر بي جي ٧ . ومع الصباح الباكر خرق وقف إطلاق النار من كلا الجانبين وذلك بتبادل الرمي بالمدفعية .

مع بزوغ فجر يوم ٢٣ تشرين ، صدرت الأوامر إلى كل من ادان وماغان بإكمال تطويق الجيش الثالث . وجهت الجهود المصرية كافة الآن لمنع تحقيق ذلك. اربك ادان سبع محاولات قام بها الجيش الثالث لاعادة نصب الجسور على القناة بهدف العبور راجعا من سيناء . تمكنت وحدتان من وحدات ادان من القيام بإحاطة مزدوجة واسعة لمدينة السويس، بينما تمكنت قوات ماغان من القيام بإحاطة بشكل أوسع . عندئذ تكامل تطويق الجيش الثالث في يوم ٢٣ تشرين ، ولم يجر مسك مدينة السويس .

حدثت اشتباكات اكثر عنفا داخل مدينة السويس – وهي المعارك الوحيدة التي تحدث في المناطق المبنية – حيث قامت يوم ٢٤ تشرين عناصر استطلاع تابعة للجيش الصهيوني بعملية جس النبض للمواضع المصرية . لم تكن هناك أية استجابة لرمي الدبابات الصهيونية ، وتوصلت هذه العناصر بان مدينة السويس أما هي مدينة الأشباح أو أن القوة التي فيها صغيرة وغير منظمة . وفي الحقيقة ، كان لا يزال هناك داخل المدينة لواء مصري كحد أدنى ، منظم بشكل جيد .

وفي الساعة ١٠٣٠ ، تقدمت قوات ادان برتلين من الشمال والغرب . لم يسبق التقدم أي قصف مدفعي تمهيدي ، كان يقود التقدم فوج من الدبابات ، تعقبه قوات مظلية داخل ناقلات نصف مسرفة وناقلات أشخاص مدرعة مع وحدة

من الاستطلاع . لم يكن هناك أي تدخل ، وكـــانت منظومـــة الـــهواتف الخاصـــة بالمدينة ما زالت عاملة بشكل طبيعي . تحرك الرتل داخل شوارع ضيقة محاطـــة بأبنية عالية من الجانبين . وفجأة ، سحب المصريون سلك مصيدتـــهم ــ وذلــك بقذف الرمانات اليدوية داخل العجــلات نصــف المســرفة ونــاقلات الأشــخاص المدرعة، وبدأت صواريخ ار بي جي ٧ تتوالى على الدبابات وناقلات الأشـــخاص المدرعة من كل الجوانب ــ وكان الحل الوحيد المفتوح أمام القـــوات الصهيونيـــة هو التراجع للخلف وبسرعة . وكانت المعضلة الصهيونية تكمن في هذه اللحظـــة في كيفية فك الاشتباك وسحب الوحدات المشغولة بالمعركة للخلف ، حيث لم يجـــر إيجازها بشكل كفء ، وقد فشلت في اتخاذ الإجراءات والتحوطـــات الضروريـــة . فشلت عمليات الإنقاذ بالدبابات ، إلا أن القوات المظلية التي وقعت في المصيـــدة تمكنت وبعد منتصف الليل من التسلل خارج المنطقة مستغلة ظلام الليل . حـــاولت القوات الصهيونية احتلال مدينة السويس ، إلا إنها صدت بقـــوة . واصبـــح الآن الجيش الثالث المصري معزولا في الضفة الشرقية من القنـــاة ، ويقـــدر تعـــداده بحدود (٢٠٠٠٠) رجل مع (٣٠٠) دبابة ، ولا تكفي مؤن القتال المتوفـــرة لديـــه لاكثر من أسبوع واحد .

يبين خطوط وقف إطلاق النار النهائية على . وكملاحظة أخيرة بشأن حملـــة سيناء ، هو أن ما فقده المصريون عسكريا خلال الأيام الأخيرة ، استعيد سياســـيا خلال المفاوضات التي أدت إلى اتفاق فك الاشتباك في ١٨ كانـــون الثـــاني عـــام ١٩٧٤.

المبحث الخامس

مناقشة قضايا منتخبة

يؤمن هذا الباب للقارئ مزيداً من الرؤية والعمق في قضايا منتخبة. اعتمدت مناقشة القضايا المنتخبة وتفاصيل تغطيتــها علــى المعلومــات غــير المصنفــة والمتيسرة لدى هذه المؤسسة .

الــدفاع الجــوي

تعود جذور تقويم الدفاعات الجوية المصرية والسورية إلى أحـــداث حــرب الأيام الست في عام ١٩٦٧ . لذا تستعرض الأحداث الرئيسة بالعلاقة مــع الفــهم الشامل للأحداث مؤخرا .عانت الجمهورية العربية المتحدة خلال حرب الأيام الست اندحاراً كبيراً على أيدي القوات الصهيونية وقدراتها الجوية والمدرعة المشـتركة. ونتيجة التفوق الجوي الحاسم للصهاينة ، يشار إلى حرب الأيام الســت ، كـأول حرب حديثة تربح بالاعتماد على القدرة الجوية فقط . اعــترف الرئيـس نــاصر بالنصر الجوي الصهيوني الحاسم بشكل تام عندما قال :

((في الواقع نحن خسرنا المعركة في عام ١٩٦٧ بدون المواجهـــة وجــها لوجه مع العدو . كما وخسرنا الحرب دون الدخول فيها . وخسرنا المعركة بــدون خوضها)).

شنت القوة الجوية الصهيونية ضربة استباقية ضد العرب بالســاعة ٠٨٤٥ بتوقيت القاهرة من يوم ٥ حزيــران ١٩٦٧ . أعطــت الاســتخبارات الموثوقــة والتخطيط المتقن للكيان الصهيوني نصرا سريعا وحاسما ، وذلك من خلال تدمــير القوات الجوية العربية المتفوقة وهي جاثمة على الأرض . صرح الجنرال هــود، رئيس هيئة الأركان الجوية الصهيونية بان العدد الكلي للخسائر في القوات الجوية العربية والتي تم التأكد منها وصل إلى (٣٤٦) (٢٨٦ ــ في مصــر ، و ٢٢ ــ

في سورية ، و ٢٩ ــ في الأردن ، و ٩ ــ في العراق)، واضاف بان (٣٤) طـائرة أخرى غير مؤكدة ، ليصبح العدد الكلي (٣٨٠) طائرة أو بشكل تقريبـــي لاربعــة أخماس الطائرات المقاتلة العربية الــ(٥٠٠) .

كان الدفاع الأساس للجمهورية العربية المتحدة في مجال الدفاع الجوي فـــي ذلــك الحيــن يعتمــد علــى (١٥٠) صــاروخ ارض ـ جــو مـــن نـــوع (سام ــ ٢) سوفيتية الصنع ، موزعة في (٢٥) بطرية ، وفي كـــل بطريـــة (٦) قاذفات . كانت أكثرية هذه القاذفات مفتوحة ضمن الدفاعات الجوية فـــي مصـــر ، بينما البقية كانت مفتوحة في سورية . أضيف إلى منظومات (سام) هذه عدد مـــن وحدات الدفاع الجوي المجهزة بمدفعية مقاومة الطائرات من نـــوع (٥٧) ملـــم . وكانت منطقة الدفاعات السورية التي مساحتها بحدود (٤٠) ميلاً ، مغطاة بـــأكثر من (٢٠٠) وحدة مدفعية مقاومة الطائرات .

أثناء هذه الكارثة المفاجئة ، لم يكن للدفاع الجوي العربـــي أي دور مؤثـــر ومنذ البداية . كان المعتاد غلق رادارات الإنذار المبكر يوميا في الســـاعة ٠٨٣٠ بتوقيت القاهرة . لذا فوجئت الدفاعات الجوية المصرية بشـــكل تـام بالـــهجمات الجوية الصهيونية . وبحدود ظهر ذلك اليوم ، أصبحت القوة الجويـــة المصريـــة جثة هامدة .

حرمت القوات البرية هي الأخرى الحماية المؤثرة للدفاع الجوي . وكمثـــل ، خسرت مصر ٦٠% من قواتها المدرعة ونسبة كبـــيرة مـــن مدفعيتـــها نتيجـــة الضربات الجوية في الأكثر .

أعادت مصر وسورية بناء دفاعاتهما الجوية خلال فترة (٦) سنوات ما بعـــد حرب الأيام الست . وقامتا بإعادة تنظيم كامل لقواتهما بهدف تحقيق مستوى عـــال من التدريب ، وإدخال معدات متطورة بشكل اكثر ، لخوض قتال بجـــهود منســـقة ومشتركة على الجبهتين قبل أية حرب مقبلة مـــع الكيـــان الصـــهيوني . قبلـــت مساعدات كبيرة جدا من الاتحاد السوفيتي على شكل وسائل تدريب ومعدات حديثة ومتطورة.

ركز القسم الأعظم من جهود إعادة البناء على منظومـــات الدفـــاع الجـــوي المتطورة وبشكل واسع . دمرت منظومات (سام ــ ٢) خلال حرب الأيام الســـت ، وعوضت عنها بمنظومات مشابهة ومتطورة اكثر . أدخلت منظومات (ســـام ــ ٧)

ومنظومات (سام ــ ٣) قبل عام ١٩٧١. اكتشفت رادارات دفاع جوي متطــورة على الجبهة المصرية . رفعت تقارير مبكرة عن ظهور منظومات (سام ــ٤) فــي مصر، والتي تخالفها الأحداث التالية خلال حرب تشرين . يعود الســبب المحتمـل لهذا التناقض إلى وقوع الصهاينة في الخطأ عند تشخيصهم منظومات (سام ــ ٣) أو (سام ــ٦) منذ البداية كمنظومات (سام ــ٤) . أدخلت منظومات (ســـام ــ٦) في مصر في الأيام الأولى لعام ١٩٧١ . فأكملت هذه المنظومة مدافـــع مقاومــة الطائرات من نوع (ZSU-23-4) .

إن العامل المهم المطلوب ملاحظته في هذا المجال هو التنوع الكبــير فــي منظومات أسلحة الدفاع الجوي . جمعت المعلومـــات أدنـــاه ، والخاصــة بــهذه المنظومات من أربعة مصادر.

فمنظومة (سام ــ٢) ، هي منظومة مقذوفات للارتفاعات العالية ، تصل إلــى مدى مائل(*) (٤٠) كم ، وتغطي المقتربات العالية ولغاية (٥٠٠٠٠) قدم . تتلاحك هذه المنظومة مع منظومة (سام ــ٣) ، وهي منظومـــة مقذوفــات للارتفاعــات الواطئة، تصل إلى مدى مائل (٢٤) كم ، وتستعمل منظومة رادار نوع (فانسونغ). تحتاج كلتا المنظومتين إلى (٦) ساعات كحد أدنى للتنقل واعادة الانفتاح .

تستعمل منظومة (سام) رادار الضوء المباشر ، وهي مصممة للعمـــل مــع منــظومة (سام ــ ٤) [وهي مقذوفة ذات مدى طويل يصل إلـــى (٧٠) كــم] ، وكذلك مع مدافع مقاومة الطائرات نوع (4–ZSU – 23) . تستخدم منظومـــة (سام ــ٦) آليات توجيه اكثر تطورا ، وتغطي الى ارتفاع يمتد من (٥٠) م إلـــى (١٨٠٠٠) م وتصل المقذوفة الى (٣٠) كم كأقصى مدى . ولضمان قابلية افضــل على الحركة ، ركبت المنظومة على عجلات مسرفة بأكملها ، وتنفتح على شـــكل بطريات مؤلفة كل منها من أربع قاذفات مسرفة ، وكل قاذفة تحمل ثلاثة صواريخ مستعدة للرمي .

---

* المدى المائل Slant Range: هو المسافة الافقية الواقعة بين نقطة التسلق (الاطلاق) لصاروخ الدفـــاع الجوي والمسقط العمودي على الارض من اقصى نقطة ارتفاع يصل اليها الصاروخ وهو يعني المســافة الافقية لتغطية الصاروخ والمصطلح العسكري هو (الكبد) . (المترجم)

أما منظومة (ZSU- 23- 4) ، فهي مدافع مقاومة الطائرات عيار ٢٣ ملـم ، ذاتية الحركة ، تستخدم باعث رادار خاص بالمدفع ومتكامل معه ، يعتمد التقنيـة نفسها الخاصة بالرادار نفسه العامل مع منظومة (سـام ـ ٦) . تحمـل العجلـة مدافعاً رباعياً ، ومعدل الرمي لكل (سبطانة) بحدود (١٣٠٠) اطلاقـة فـي كـل دقيقة، ويصل مداه إلى (٣٠٠٠) م، ويعدّ أحد أدواره الرئيسة هو تغطية مسـافة الـ(٥٠٠)م التي هي المنطقة الميتة لمنظومة (سام ـ٦) .

أما منظومة (سام ـ٧) ، فهي مقذوفة تحمل على الكتف من شخص واحـد ، تعمل بنظام الأشعة تحت الحمراء ، وتعقب المقذوفة الحرارة الناتجة من الـهدف الجوي ، وهي مكافئة لمنظومة (ريـد أي) الأمريكيـة ، ومنظومـة (بلوبـايب) البريطانية . وتستخدم لتغطية منظومة الدفاع الجـوي فـي المديـات القصـيرة والارتفاعات الواطئة .

كان حزام الدفاع الجوي على الجبهة المصرية يغطي الفضاء الجوي بعـرض (٣٢) كم وبارتفاع يصل إلى (٥٠٠٠٠) قدم ولمدى يصل إلى (١٥٠) كـم كحـد أقصى .

تعرّف الكيان الصهيوني كثيراً عن الدفاعات الجويـة (العربيـة) خـلال (٦) سنوات من حرب الاستنزاف . فقد استولت قوات الكماندو الصهيونية في كـانون الأول /١٩٦٩ على منظومة رادار متطورة جدا خاصة بالدفاع الجـوي سـوفيتية الصنع في موقعها . وتمكنت بعد تفكيكها ، من استصحابها مع طائفتـها المؤلفـة من أربعة عناصر فنية مصرية من المختصين بالرادار إلى الكيـان الصـهيوني . عاد طيار من القوة الجوية الصهيونية من مهمة فوق السويس في عـام ١٩٧١ ، ولاحظ وجود مقذوفة (سام ـ٧) (ستريلا) غير منفجرة داخلة في الأنبوب الخلفـي لطائرته .

علمت القوة الجوية الصهيونية بالتأثير المتزايد للدفاعات الجوية العربية مـن خلال عدد من المواجهات المباشرة . فقدت القوة الجوية الصهيونية خلال الفـترة بين انتهاء حرب الأيام الستة وحتى نيسان ١٩٧٣ ، بحدود (٢٥) طائرة بنـيران الدفاعات الجوية العربية . جعلت الثقة الزائدة بقابلية القوة الجويـة الصهيونيـة على تدمير مواقع صواريخ سطح ـ جو (سام) ، من الكيان الصهيوني أن لاتبـالي بالفكرة العربية في استخدام مدفعية الدفاع الجوي كمقياس للاقتصاد بالقوة .

جاء الرأي الصهيوني آنف الذكر ، نتيجة الثقة التامة بإمكانية القوة الجوية الصهيونية على تحقيق النصر في أية حرب جوية مقبلة كما حققتها في السابق . عزز الرأي القائل بالقوة التي لا تقهر خلال نجاحات القوة الجوية الصهيونية في فترة الـ(٦) سنوات الماضية . كانت خسائر القوات الجوية العربية في الحرب الجوية مع الكيان الصهيوني بحدود (١٢٥) طائرة بالمقارنة بخسائر الكيان الصهيوني لطائرتين اثنتين .

فوجئت القوة الجوية الصهيونية بمفاجئتين رئيستين عند اندلاع الأعمال العدوانية . المفاجأة الأولى ، كانت تنوع منظومات الأسلحة القادرة على مشاغلة الطائرة المهاجمة . وهي إمكانية الرمي على الطائرة في الارتفاعات الواطئة بنيران منظومات (سام ـ٣ ، وسام ـ٦ ، وسام ـ٧) ومدفعية مقاومة الطائرات . يعود السبب في وقوع العدد الكبير من الخسائر في الطائرات الصهيونية إلى تنوع مصادر الدفاعات الجوية في الارتفاعات الواطئة وبالأخص إلى التأثير الكبير لنيران مقذوفات سام ـ٧ ومدافع مقاومة الطائرات .

وخلال مناقشة الدفاع عن الجسور على قناة السويس ، ألقى الفريق الشاذلي، رئيس هيئة الأركان في الجيش المصري الضوء على الدور الرئيس الذي قامت به منظومات سام ـ٧ ومدفعية مقاومة الطائرات ، وقال:

(تضمنت الإجراءات الإيجابية للدفاع عن الجسور استخدامنا أسلحة الدفاع الجوي وذلك بإنشاء حجاب مكثف من نيران الأسلحة الخفيفة والصواريخ ضد الطائرات المغيرة . وطالما اتبع العدو تعبية الهجوم بالارتفاعات الواطئة والواطئة جدا عند التصويب على الجسور، نجحت مقذوفات سام ـ٧ بشكل كبير في إسقاط معظم الطائرات المغيرة).

كانت المدافع من نوع (ZSU-23-4) وراء إسقاط أكثرية الطائرات التي وقعت من جراء مدفعية مقاومة الطائرات . أجبرت منظومات صواريخ (سام) الطائرات المعادية بالدخول إلى مديات مدفعية مقاومة الطائرات . كانت منظومة (سام ـ٦) هي المسؤولة بشكل رئيس على إجبار القوة الجوية الصهيونية على الطيران بارتفاعات واطئة في محاولة لتجنب المناطق المستورة بهذه المنظومة .

تشمل المفاجأة الثانية على العدد الكبير من كل نوع من أنواع منظومات أسلحة الدفاع الجوي المستخدمة في حزام الدفاع الجوي العائد لهم . يصل عدد

بطريات (سام ــ٦) المشمولة بالدفاع إلى (٤٠) إضافة إلى (١٣٠) موقعاً أخر لمنظومات (سام ــ٢ وسام ــ٣) . لم تكن مقذوفات (سام ــ ٦) معروفة من قبل القوة الجوية الصهيونية . على الرغم من دخول هذه المنظومة إلى مصر منذ عام ١٩٧١ ، إلا أن القوة الجوية الصهيونية لم تكن لها الخبرة القتالية الكافية للتعامل معها ، كما ولم تكن تتوفر لديها غير معلومات استخبارية قليلة بشأنها . لم تدخل هذه المنظومة إلى الدفاع الجوي السوري حتى الأسبوع الأول من شهر تشرين من عام ١٩٧٣. دمجت أعداد كبيرة من منظومات مختلفة في مدياتها ، وانفتحت بمسافات جغرافية تسمح لنيران العديد من الوحدات أن تجمع في إطار تحقيق إسناد دفاع جوي متبادل بين الوحدات النارية المتجاورة . وعلى وفق لاحد التقارير (بان كلتا الدولتين العربيتين قد جهزتا بعدد كبير من المقذوفات بدرجة كانوا يطلقون مجموعات من المقذوفات بدلا من إطلاق مقذوفة واحدة على هدف واحد). في الحقيقة ، كان عدد وحدات الدفاع الجوي على الجبهة المصرية اكبر بكثير من الاعداد المفتوحة للدفاع عن مدينة موسكو أو لينينغراد .

كانت الميزة المهمة الأخرى التي تميزت بها منظومات الدفاع الجوي الأكثر حداثة هي قابلية المنظومة على الحركة خارج الطرق . جاءت أهمية هذا العامل لسببين : أولهما ، سمحت منظومة الدفاع الجوي بالتنقل بشكل سريع لإسناد القوات البرية . وثانيهما ، ضمان قدرة المنظومة على النجاة والبقاء في ميدان المعركة لقدرتها على التنقل والانفتاح بشكل سريع ، لذا فان التخطيط وتوجيه الضربات الجوية المباشرة المعادية ضدها تكون اكثر صعوبة .

طالما أن المنظومتين (سام ــ٦) و (ZSU- 23 -4) محمولتان على عجلات مسرفة أو مدولبة بشكل كامل ، لذا فبإمكانهما مجاراة سرعة تقدم القوات البرية . وفعلا تحركت (١٠) بطريات كحد أدنى إلى منطقة راس الجسر في سيناء خلف القوات البرية المتقدمة . إن طبيعة منظومة مدافع (ZSU- 23 -4) جعلتها من افضل الأسلحة لحماية الارتال أثناء التقدم وكذلك للدفاع عن مناطق صغيرة وحيوية ، واهداف نقطوية مثل الجسور .

صممت منظومة (سام ــ ٧) أساسا لكي تحمل وتطلق من قبل جندي واحد على غرار منظومة (ريد أي) لجيش الولايات المتحدة . ومع ذلك ، فضل العرب هذه المنظومة ومن النوع المحمول على عجلة مدولبة ، والتي لها القدرة على

حمل (١٢) مقذوفة واطلاقها على شكل رشقات من (٤) إلى (٨) مقذوفات في آن واحد ، وباستخدام فن الإطلاق بالرشق هذا، بإمكانهم زيادة احتمالية الإصابة للطائرة الواحدة . لم تعزز هذه الآلية فقط بتطبيق مبدأ الحشد بل سمحت أيضا بتحقيق قابلية حركة افضل لعدد من قاذفات (سام ـ٦) لكي تكون مستعدة للإطلاق.

تكبدت القوة الجوية الصهيونية خسائر كبيرة نتيجة تعرضها لحزام متماسك من منظومات الدفاع الجوي ، عند ما قامت بالرد على الهجوم العربي المشترك في ٦تشرين . لم تكن القوة الجوية الصهيونية قادرة على معالجة منظومات الدفاع الجوي العربية بصورة مؤثرة بالاعتماد على التعبية أو باتخاذ إجراءات مقابلة إلكترونية ، لذا فقدت (٣٠) طائرة في اليوم الأول من الحرب . وكان معظم الخسائر في الجبهة المصرية، حيث كان تركيز انفتاح منظومات (سام ـ٦) هناك بدرجة اكثر . ونتيجة إتقان المصريين التعامل مع هذه المنظومات المتطورة ، وتجنب خروج قواتهم المتقدمة خارج مظلة الدفاع الجوي ، تعذر على القوة الجوية الصهيونية فرض أية خسائر جدية على القوات المصرية القائمة بالهجوم.

لم يستخدم المصريون قواتهم الجوية بشكل مكثف في مهمات الإسناد الجوي القريب بعد تقديم الإسناد في بداية الهجوم ، واعتمدوا على كفاءة شبكات مدفعية الدفاع الجوي في تدمير أو إخماد تأثيرات القوة الجوية الصهيونية ضمن الحافة الأمامية لميدان المعركة . تشبه تعبيه المصريين هذه في استنزاف موارد القوة الجوية الصهيونية تماما ستراتيجية الكيان الصهيوني بالنسبة للقوات البرية .

قدم القرار المصري هذا تكاملاً في التنوع التعبوي . سمحت إمكانية مظلة الدفاع الجوي المصرية في تأمين درجة عالية من الحماية في مجال الدفاع الجوي لهذه القوات باستعمال مدفعية مقاومة الطائرات كاجراء احتياطي لها . أدى التأثير الإيجابي النهائي لهذه التعبية إلى تقليل أبعاد ميدان المعركة من ثلاثة أبعاد إلى بعدين فقط من خلال إخماد القوة الجوية الصهيونية .

كان من اكثر ميزات الدفاع الجوي العربي أهمية هو إدخال ميدان الحرب الإلكترونية . لم تكن إمكانية الترددات المضاعفة المتطورة والمستخدمة من منظومتي (سام ـ٦) و(ZSU-23-4) معروفة من قبل الصهاينة ، كما ولم يعتد الصهاينة على نظام التوجيه المعقد و المعتمد من مقذوفات (سام ـ٦) . لذا لم

تكن القوة الجوية الصهيونية قادرة على اتخاذ تدابير مضادة للتدابير الإلكترونية وبشكل مؤثر تجاه هذه المنظومات وحتى الأيام الأخيرة من الحرب .

لم تقتصر الصورة الكاملة لتأثيرات الدفاع الجوي على الإجراءات الإيجابية المستخدمة فقط . حيث استخدم المصريون أيضا إجراءات سلبية عديدة ، وبدرجة مختلفة من النجاح . وشملت الجهود هذه إبداعات كبيرة واستحضارات جيدة في هذا المجال . كان أحد الإجراءات البارعة التي قاموا بها أسلوبهم لحماية قواتهم الجوية على الأرض . ولتحقيق هذا الغرض ، فقد انشأوا ملاجئ لطائراتهم بسقوف محكمة ، قادرة على تحمل القنابل الكبيرة ، ونشرت الطائرات في مطارات كثيرة. أنشأت الملاجئ بسقوف سميكة تصل إلى (١٠) أقدام من الأسمنت المسلح إضافة إلى جدران سميكة من التراب ، وفتحت هذه الملاجئ من الطرفين لاستيعاب طائرتين في آن واحد . وعلى الرغم من قلة الطائرات الصهيونية التي تمكنت من اجتياز الدفاعات الجوية المصرية ، إلا إنها لم تتمكن من إيقاع الخسائر بالطائرات المصرية التي كانت داخل ملاجئها (أوكارها ـ المترجم) .

اشتملت الإجراءات السلبية على أجراء ثان وهو استثنائي وفريد من نوعه لحماية الجسور على القناة . وكما قال الفريق الشاذلي، بأن المصريين استخدموا تعبيه نقل الجسور السيارة بدرجة عالية ، لمسافة (١) كيلو متر واحد تحت جنح الظلام . واعترفوا بقدرة القوة الجوية الصهيونية لاعداد خطط مسبقة ، ومن ثم مهاجمة الجسور بالقنابل باستعمال طائرات منفردة على ممر القصف المنفرد . لذا فان نقل الجسور سوف يفوت الفرص على الضربات المخطط لها مسبقا ، كما ويتعذر على القوة الجوية الصهيونية من أيجاد أهدافها بوضوح . إن هذا الأجراء السلبي المقترن باستخدام الدخان ، إضافة إلى دفاعات جوية إيجابية وفعالة ومؤثرة، أسهمت في حماية الجسور والاطواف . وعلى الرغم من الهجمات الجوية الصهيونية الكثيرة ، فان المصريين كانوا قادرين على الاحتفاظ دوما بسبعة جسور عاملة بشكل كامل .

يتضمن الأجراء السلبي الثالث على الاستخدام المكثف للمواقع الكاذبة . كانت هذه المنظومات المدروسة بعناية بالغة وبصورة تفصيلية ، تحتوي على إرسال راداري فعال ، واستخدمت هذه المواقع لسببين : الأول ، هو لجلب القوة الجوية الصهيونية تجاه أهداف جذابة ولكنها غير مفيدة . أما الثاني ، هو تدمير

هذه الطائرات بعد إدخالها في مصا ند أسلحة الدفاع الجوي المفتوحة حـول هـذه المواقع. وكانت مصائد مقاومة الطائرات هذه تتألف من أسلحة مقاومة الطـائرات مخلوطة بمنظومات (سام ــ٦) المغشوشة بعناية بالغة . وعلى وفق احد التقارير، كان عدد المواقع الكاذبة في غرب القناة اكثر بكثير من المواقع الحقيقية . وعلـى كل حال ، وكما ستتم ملاحظته لاحقا ، كان هناك بعض الأخطـاء فـي التصميم العربي للمواقع الكاذبة هذه .

وعلى الرغم من امتلاك الدفاع الجوي العربي عـدداً مـن المميزات التـي كانـت وراء نجاحا ته الاستثنائية ، إلا انه لم يكن الأفضل . وجاء هذا الاسـتنتاج نتيجة ترصد عدة اسباب ، ومن بينها كانت أخطاء أساسية فـي تصميم النظـام الدفاعي . أما الأسباب الأخرى ، فكانت نتيجة أخطاء تعبوية واضحة .

يعـود أحد الأسباب وراء القرار المصري لتوقف هجومهم يـوم ٨ تشـرين على مسافة (١٠) كم شرق القناة ، ربما إلى الضعـف المحتمـل فـي إمكانيـة منظومات الدفاع الجوي لإسناد خططهم التعرضية . وفيما إذا كان القرار المصري لإيقاف زخم هجومهم جاء نتيجة عدم القدرة المتأصلـة فـي دفاعاتـهم الجويـة للانتشار في الأمام بالسرعة الكافية أو تصبح عاملة بعد التقدم ، عندئذ يجـب أن يدرك وهن منظومة (سام ــ ٦) وعناصرها في منظومة الدفاع الجوي . وبمـرور الوقت ، وبشكل تأملي ، سوف تكون هذه المعلومات الإضافية أما لصالح وإما ضد أهمية هذه الترصدات .

أعطى التوقف المصري الصهاينة احتياجاتهم من الوقـت . وتمكنـوا مـن تحويل ثقل الإسناد الجوي إلى الجبهة السورية الأكثر حراجة وتهديدا . حيث كانت أسلحة الدفاع الجوي في الجبهة السورية اقل كثافة مما سهلت التعـامل معـها . كان التأثير النهائي لهذا الموقف بشكل ، مكنت القوة الجوية الصهيونيـة علـى تطوير تعبيه جديدة للتعامل مع نيران منظومات صواريخ (سام ــ ٦) وإخمادهـا . وعلى الرغم من تكبيد الصهاينة خسائر كبيرة تقدر بـ(٨٠) طـائرة مـن جـراء استخدام منظومات (سام ــ٦) ونيران الأسلحة الأخرى فوق مرتفعات الجـولان ، إلا أن القوة الجوية الصهيونية وجدت أخيرا نقاط الضعف في منظومة (سام- ٦). مزجت القوة الجوية الصهيونية تدابير مضادة إلكترونية حديثة و رقـوق معدنيـة معدلة ، مع الطيران بارتفاعات عالية ومن ثم الانقضاض فـورا علـى المنطقـة

الميتة لمنظومات (سام ــ ٦) ، لتدمــير بطرياتــها . زامنــت هــذه الإجــراءات النجاحات المستمرة للقوة الجوية الصهيونية في المعارك الجوية مــع الطــائرات السورية بشكل مباشر و مع النجاحات التعبوية للقوات البرية الصهيونية النهائيــة في الشمال . وفي ٩ تشرين ، انسحبت الوحدات الباقية من منظومات (سام ــ ٦) والمؤلفة من (٤٠) قاذفة باتجاه دمشق العاصمة . ركزت الإجابــة عــن السـبب وراء انسحاب هذه المنظومات التي ما زالت قابلة للتطبيق في الدفاع الجوي علــى نفــاد الإعتدة الخاصة بالمنظومة . وقد جاء هذا السبب كجزء من التوضيح بشأن تباطؤ الدفاع الجوي على الجبهة المصرية أيضــا . وطالمــا صــرف الجانبــان المصري والسوري أعداداً كبيرة من هذه المقذوفات خــلال الأسـبوع الأول مــن الحرب ، لذا يمكن تصديق هذا الترصد بقدر كبير .

تحولت جهود القوة الجوية الصهيونية نحو الجبهة المصريــة بعدمــا ســاد الاستقرار على الجبهة السورية . حاولت القوة الجوية الصهيونية إخماد منظومــة الدفاع الجوي المصرية في سيناء باستخدام تدابير مضــادة إلكترونيــة حديثــة ، ورقوق معدنية محورة ، إضافة إلى الطيران بارتفاعات عالية ومن ثم الانقضــاض على بطريات (سام ــ ٦) ضمن المدى الميت لها . إلا أن هذه الإجراءات لم تُجــد نفعا معها كما حدث في الجبهة السورية . لم يجر الأخبار عن الأسباب الحقيقيــة وراء تقليل تأثير هذه الإجراءات . قد يكون أحد التوضيحات المحتملة هو التدريـب الأفضل والتآلف المتحقق مع المعدات بالنسبة لمستخدمي منظومات الدفاع الجــوي من المصريين . وقد يكون السبب الأخر هو الفائدة الناجمة عن ضمــان الإســناد المتبادل ضمن الدفاع الجوي المصري . أدى التوسع في إمكانية الإسناد المتبــادل المصري إلى معدلات استنزاف عالية للطائرة المغيرة عند انسحابها مــن محــور هجومها نتيجة تعرضها لاكثر من وحدة نارية منفردة للدفاع الجوي .

يعود أحد الأسباب الرئيسة لقيام القوات البرية الصهيونية بالاختراق وعبــور قناة السويس إلى عدم إمكانية القوة الجوية الصهيونيــة فــي إخمــاد منظومــات (سام-٦) المصرية بشكل مؤثر . كانت إحدى مهمات الجنرال شــارون مهاجمــة مواقع بطريات (سام) وفتح مجاز آمن فيها لصالح القــوة الجويــة الصهيونيــة . تمكن شارون بنجاح من إخماد بحدود (١٠) بطريــات خاصــة بالدفــاع الجــوي المصري خلال يومين باستخدام فوج مدرع وفوج مشــاة . وعــدّ ذلــك مؤشــراً

واضحاً على فشل المصريين في تامين الدفاع الأرضي الملائم لوحداتـــهم العاملـة في منظومة الدفاع الجوي. كانت درجة وهن مواقع بطريـــات ســـام هـــذه تجـاه فعاليات القوات البرية المعادية ، وراء نجاح القوة الجوية الصهيونيـــة الأخـيرة على هذه الجبهة . وبحلول ٢٠ تشرين ، أدت الجهود المشتركة للقـــوة الجويـة والبرية الصهيونية إلى إنهاء دور الدفاع الجوي على جبهة سيناء كليا .

هناك عامل أخر لـــه علاقة بالنجاحات الأخيرة التي حققتها القـــوة الجويـة الصهيونية على منظومات (سام ــ ٦) . صممت منظومة (سام ــ ٦) لكي تعمـل معاً مع منظومة (سام ــ ٤) و مدافع (ZSU-23-4) . على الرغم مـــن وجـود تقارير قليلة قبل الحرب تشير إلى ظهور منظومات (سام ــ ٤) في مصر ، ولكـن لم يظهر لاحقا دليل واحد على وجود هذه المنظومة . ينبغي أن يدرك ذلـك ليـس كارتباط ضعيف في خطة الدفاع الجوي العربية فحسب بل كأحد الملامح الفريـــدة في هذه الحرب . لو كانت منظومة (سام ــ ٤) متوفرة ، عندئذ ربمـــا كـــان مـن المتعذر على القوة الجوية الصهيونية الهجوم بشكل ناجح على مواقـــع منظومـة (سام ــ ٦) كما فعلت .

هناك نقطة ضعف أخرى ، لوحظت على كلتا الجبهتين ، وهي مقدار التعقيـد في السيطرة على المجال الجوي . إن تمييز طائرة في منطقة جرى الدفاع عنـــها بصواريخ فعالة لايمكن معالجتها بشكل مؤثر . وكما جرى ذكرهـــا آنفـــا ، فـــان المصريين عالجوا هذه المعضلة بإنشاء منطقة تكون فيها الأسلحة حـــرة ، حيـث تتجنبها طائراتهم . إلا أن السوريين لم يتبعوا هذا السياق ، واستخدموا طائراتـــهم بشكل مباشر فوق المناطق المستورة بمنظومات سام واستمروا في الوقت نفســه بالمعركة الجوية ، وهكذا تكبدوا خسائر كبيرة تقدر بـــ(٧٠) طـــائرة خـــلال يـــوم واحد. بعد قيام الصهاينة بالاختراق وعبورهم إلى غرب القناة ، كـــان المفـــروض على المصريين إشراك قواتهم الجوية في العمليات وبشكل مباشـــر حتـــى فـــوق منظومات الدفاع الجوي التـــابعة لهـــم . على الرغم من عدم إعطاء أرقام محـددة لخسائرهم ، إلا أن التقارير أظهرت ان المصريين تكبـــدوا خســـائر كبـــيرة فـــي طائراتهم نتيجة أصابتها بنيران القوات الصديقة وبالأخص بصواريـــخ منظومـــات الدفاع الجوي التابعة لهم.

كان هناك خطأ واحد كحد أدنى في استخدام المصريين المواقع الكاذبة . كانت المواقع التي جرى الأخبار عنها مؤلفة أساسا من وحدات من منظومات (سام ــ ٢) الكاذبة ، ونظرا لكون منظومات (سام ــ ٢) يسهل إخمادها بإجراءات إلكترونية مضادة كما ويسهل مهاجمتها وبشكل ناجح ، لذا عدّت من الأهداف ذات الأسبقية الواطئة بالنسبة للقوة الجوية الصهيونية . أُخمدت منظومتا (سام ــ ٢) و(سام ــ ٣) بشكل مؤثر جدا من خلال إجراءات إلكترونية مضادة ، ولم يجر مهاجمتها من قبل القوة الجوية الصهيونية كونهما يكونان تهديدا ضعيفا تجاهها . اهتمت القوة الجوية الصهيونية اهتماما كبيرا بمعالجة منظومات (سام ــ ٦) ، كونها منظومة متطورة جدا ، لذا ضعف تأثير المواقع الكاذبة بشكل كبير في هذا الحرب .

نالت منظومة (سام ــ٧) كثيرا من المديح ، وفي الوقت نفسه وجه لها بعض النقد . تشير الأدلة على إنها كانت ناجحة في إخماد الإسناد الجوي القريب المنفذ من القوة الجوية الصهيونية . أما فشل هذه المنظومة فلا يعود إلى عدم قدرتها على جلب انتباه الطيارين الصهاينة أو تحقيق الإصابة بالطائرة المغيرة . بل على العكس، أحدثت هذه المنظومة ضربات مباشرة وكثيرة بمؤخرة طائرات القوة الجوية الصهيونية ، إلا أن فشلها جاء نتيجة عدم كفاية حجم الرأس الحربي للمقذوفة، والذي احدث أضرارا فقط في الأنابيب الخلفية للطائرة المغيرة بدلا من تدميرها فور أصابتها .

عمليات منقولة جواً

أعطت حرب تشرين ١٩٧٣ بين العرب والكيان الصهيوني ، شواهد على قدرة السمتية على البقاء في ميدان المعركة الحديثة فيما ذا استخدمت بشكل ملائم. على الرغم من ادعاء الجانبين بإيقاع الخسائر بالسمتيات المعادية وبشكل مكثف ، إلا انهما استمرا في استخدام السمتيات بأساليب متباينة وواسعة خلال الحرب .

ادخل الخصوم الرئيسون خلال حرب تشرين موجوداتهم من السمتيات ضمن قواتهم الجوية . يبين (الجدول ٥ ــ ١) ، تقديرات لأنواع السمتيات الموجودة

لدى كل منهم ، بينما نجد معلومات خاصة بالأداء وخواص السمتيات المختلفة في (الجدول ٥ ــ ٢) .

الأنواع	مصر	سورية	الكيان الصهيوني
نقل ثقيل	(٤٠) ؟ مي ــ ٦ (سوفيتية)	لا توجد	لا توجد
نقل متوسط	(٨٠) ؟ مي ــ ٨ (سوفيتية)	(٣٠) مي ــ ٨ (سوفيتية)	(١٢) سي أج ٥٣(أمريكية) شينوك 58-CH
متعددة الإغراض	(؟) مي ــ ١	(٤) مي ــ ١	(٢٠) أي بي ٣٢جي (فرنسية) اوغستابل AB – 32 G
	(٤٠) مي ــ ٤ (سوفيتية)	(١٠) مي ــ ٤ (سوفيتية)	(٢٥) يو أج ني دي (أمريكية) UHED
خفيفة	غير معروف	غير معروف	(٥) أس أي ٣١٨ سي (فرنسية) (ألويت) SA – 318 C

الجدول ٥ ــ ١ . أنواع السمتيات

	المدى (ميل)	السرعة ميل / ساعة	الحمولة عدد الاشخاص
نقل ثقيل			
مي ــ ٦ (سوفيتية)	١٢٠	١٥٥	٢٦.٤٥٠ رطل / ٦٥
نقل متوسط			
سي أج ٥٣ جي (أمريكية)	٢٢٣	١٥٠	٣٦.٤٠٠ رطل / ٣٨
أس أي ٣٢١ جي (فرنسية)	٣٣٤	١٣٥	١١.٠٠٠ رطل / ٣٠
مي ــ٨ (سوفيتية)	٢٨٠	١٤٠	٨.٨٢٠ رطل / ٢٤
متعدد الاغراض			
يو جي أي دي(أمريكية)	٣١٢	١١٥	/ ٨ ــ ١٢
أي بي ٢٠٥ (إيطالية)	٣١٢	١١٥	/ ٨ ــ ١٢
مي ــ ١ (سوفيتية)	غير معروف	غير معروف	غير معروف
مي ــ ٤ (سوفيتية)	٢٨٨	١١٠	٥.٢٠٠ رطل/ ١٦

الجدول ٥ ــ٢ . امكانيات السمتيات

احتفظ الكيان الصهيوني بالقسم الأعظم من موجوداته من السـمتيات تحـت السيطرة المركزية ، ويعود سبب ذلك إلى محدودية أعدادها .اعتياديـا تخصـص السمتيات لقائد جبهة لتنفيذ عملية معينة تتطلب الحاجة إلى اسـتخدامها . وفـي بعض العمليات المتنقلة جوا ، مثل الكمين في عمق الأراضي السورية ، فقد تمـت السيطرة عليها بشكل مباشر من مقر الجيش الصهيوني .

لا تتوفر لدى القادة والآمرين في الجيش الصهيوني دون مسـتوى الفيلـق عادة سمتيات لاستخدامهم الشخصي . إلا أن كل مقر جبهة لديه من أربع إلى ست سمتيات متعددة الأغراض للاستخدام العام . وكانت هذه السمتيات تسـتخدم لنقـل الآمرين والقادة وهيئات الركن من والى مقر الجيش الصهيوني ، مـن الوحـدات المرؤوسة وليس لأغراض السيطرة على العمليات البرية من الجو .

تمكن السوريون خلال اليومين الأوليين من المعركة على مرتفعات الجـولان، من اكتساح الخط الدفاعي الصهيوني ، الذي كـان مشـغولا بقطعـات خفيفـة ، وبصورة خاصة في القاطع الجنوبي من هذه الجبهة ، واخـترقوا عميقـا داخـل الأراضي التي فقدوها خلال حرب عام ١٩٦٧ . وفعلا سقط موضع حصين واحـد فقط من بين (١٢) موضعاً حصيناً صهيونياً على خط وقف إطـلاق النـار لعـام ١٩٦٧ . كما واحتل السوريون الموضع الحصين الصهيوني الذي كان على قمـة في الجنوب الغربي لجبل الشيخ ، وارتفاعها (٢٢٠٠) متر ، وذلـك بعـد أربـع ساعات من بداية الحرب ، وقامت بالاحتلال عناصر من لواء الصاعقة السـورية، بعد الإنزال بالسمتيات على الموضع مباشرة . دحرت القوات العربية علـى جبـل الشيخ يوم ٢١ تشرين بصولة بقوات متنقلة بالسـمتيات مـن اللـواء المظلـي الصهيوني ، وسيتم وصف العملية لاحقا . أما العمليـة المهمـة لقـوات متنقلـة بالسمتيات في الجبهة الشمالية ، والتي أدارها الصهاينة بنجاح كانت تلـك التـي نفذت يوم ١٣ تشرين في عمق الأراضي السورية وبمسافة (١٠٠) كم ، لنصـب كمين لرتل عراقي يتنقل على الطريق العام السريع بغـداد ـ دمشـق الدولـي . وكذلك العملية الفاشلة التي قامت بها قوات سورية بالصولـة بالسـمتيات علـى موضع حصين صهيوني على تل الفرس ، في منطقة رافد ، يوم ٨ تشرين .

أما في جبهة سـيناء ، فقـد اسـتخدم المصريـون سـمتيات مـي ـ ٨ (السوفيتية) للقيام بصولة متنقلة بالسمتيات خلف خط بار ليف بقوة مـن (٣٠ ـ

٦٠) رجلا من قوات الكماندو المصرية وذلك يوم ٦ تشرين . ويعتقد بان الكثير من الـ(٣٠ أو ٦٠) من رجال المغاوير المصرية أُسروا في وقتها أو لاقوا حتفهم ، إلا أن قابلية السمتيات على اختراق المجال الجوي الصهيوني قد استعرضت .

ومع كل ذلك ، نفذت عمليات متنقلة بالسمتيات من قبل المصريين في اليوم الأول من الحرب خلف خط بارليف وفي ضوء النهار ، وتكبدت السمتيات المصرية خسائر قليلة . ومن جهة أخرى ، ومزيدا إلى الجنوب ، قامت قوات (المغاوير) المصرية بعملية اختراق مشابهة بهدف احتلال شرم الشيخ وذلك يوم ٧ تشرين ، وكشفت العملية ودمرت (١٢) سمتيه من نوع (مي ٨) (سوفيتية) من قبل القوات الجوية الصهيونية . ادى تغير موقف القدرة القتالية يوم ٧ تشرين، إلى المزيد من قدرة الوحدات الصهيونية على كشف عمليات متنقلة جوا بالسمتيات . وحالما توقفت القوة الجوية المصرية عن التقدم أمام الحافة الأمامية لمنطقة المعركة، بدأت العمليات المتنقلة جوا بالسمتيات المصرية تميل إلى تحقيق نجاحات اقل . اقترنت العمليات المتنقلة جوا مع التعرض العام للقوات المصرية يوم ١٤ تشرين ، حيث قامت قوات المغاوير المصرية بمحاولة أخرى ، إلا أن النجاحات كانت بدرجة اقل بكثير من السابق .

وخلال المراحل الأخيرة من حملة سيناء ، استخدمت السمتيات لإسناد عمليات القوات الصهيونية في غرب القناة وفي حالات عديدة . وفي إحدى الحالات ، نقل الصهاينة عناصر قليلة من القوات المظلية مع مدفعين من مدافع الميدان ، عبر القناة إلى جبل صغير جنوب مدينة السويس . منعت القوات الصهيونية أية تنقلات على طريق القاهرة ـ مدينة السويس العام لمدة معينة باستعمال فنون الغارة بالمدفعية من هذا الجبل الصغير . وأخيرا ، وعندما بدا القسم الرئيس من الجيش الصهيوني بالاستثمار جنوبا يوم ٢٢ ـ٢٣ تشرين بهدف قطع مدينة السويس ، قام فوج صهيوني بصولة متنقلة جوا عبر القناة لاحتلال الأراضي الحاكمة واكمال التطويق .

إضافة إلى استخدامات السمتيات في صولات جوية ، استخدم العرب والكيان الصهيوني السمتيات لمهمات كثيرة أخرى . وعلى سبيل المثال ، استخدم المصريون سمتيات من نوع مي ـ ٨ لإسقاط النابالم على موقع قيادة للجيش

الصهيوني في الضفة الغربية من القناة . كما واستخدم الكيان الصهيوني السمتية بشكل مكثف في مجال الإخلاء الطبي وإنقاذ الطيارين الساقطين على الأرض ، على غرار استخدام الأمريكان في فيتنام . استخدم بعض قادة الفرق في الجيش الصهيوني السمتية في مهمات القيادة والسيطرة والارتباط ، وبقدر تعلق الأمر بالطائرة ، فأنها استخدمت لإغراض النقل من والى الوحدات الأمامية أو إلى المقرات الأعلى وليس بهدف الطيران فوق ميدان المعركة للسيطرة على العمليات الحربية . في مرتفعات الجولان ، كانت مسافات الطيران قصيرة جدا ، أما في سيناء فكانت السمتية تعدّ أداة مهمة بدرجة اكبر لإغراض القيادة والسيطرة بسبب طول المسافات . تيسرت الطائرة لقادة الفرق في بعض الأحيان ، ولكن نؤكد مرة أخرى إنها ليس للاستخدام كموقع قيادة جوية .

من غير المعلوم فيما إذا استخدم المصريون والسوريون السمتيات لأغواض القيادة والسيطرة . كان استخدام السمتيات من قبل المصريين لأغراض القيادة والسيطرة يعدّ ملائما بالتأكيد في ضوء توفر منظومات الدفاع الجوي الخاصة بمعالجة الطائرات سريعة الحركة . أما بالنسبة للسوريين ، قد لا يكون مثل هذا الاستخدام ملائما في ضوء قدرة الكيان الصهيوني على تامين تفوق جوي بشكل مبكر إضافة إلى إمكانيتها على ترصد ميدان المعركة وحتى المناطق داخل سورية من مرتفعات الجولان.

يقف جبل الشيخ شامخا ، ويمتد إلى سورية ولبنان والكيان الصهيوني ، ويعدّ أعلى عارضة في الشرق الأوسط [1] ، ويصل ارتفاعه إلى (٢٨١٤) م . وعلى الرغم من أن الصهاينة قد احتلوا قسما من القمم الجنوبية الغربية من الجبل خلال حرب عام ١٩٦٧ ، إلا أن السوريين كانوا لا يزالون يمسكون بقمته ، التي كانت أعلى من الموضع الصهيوني بحدود (٦٠٠) م . وطالما أن جبل الشيخ يسيطر بشكل كامل على القاطع الشمالي من مرتفعات الجولان ، فان أية قوة

---

[1] جبل الشيخ هو اعلى عارضة في بلاد الشام وليس في الشرق الاوسط فهنالك في العراق مثلا عوارض أكثر منه ارتفاعا حيث يتجاوز ارتفاعها الثلاثة الاف متر كما في حصاروست ، وفي تركيا وايران عوارض أكثر ارتفاعا .. (المترجم)

عسكرية قادرة على السيطرة على قممه الثلاث ، سوف تتمتع بمزايا الرصد والنار بشكل واضح .

ففي يوم ٦ تشرين ، اشغل الصهاينة موضعهم الحصين جدا على جبل الشيخ بقوة تقدر بـ(٦٠) جنديا ، ومعظمهم كانوا من الفنيين والإداريين . أنذرت هذه القوة مع بقية القوات الصهيونية على جبهة مرتفعات الجولان باحتمال هجوم سوري. وبعد الساعة ١٤٠٠ بقليل من يوم ٦ تشرين ، شنت القاذفات السورية هجمات جوية على الموضع الصهيوني في جبل الشيخ ، واعقبتها المدفعية بقصف تمهيدي ، وجرى تعديل النيران على الموضع بدقة من الموضع السوري المشرف عليه . بينما دخلت القوات الصهيونية إلى داخل ملاجئهم المحصنة ، شنت وحدة سورية صولة جوية مباشرة على الموضع الصهيوني الحصين . اكتسح الموضع بسرعة فائقة ، بينما كانت القوات الصهيونية داخل مصيدة في الملاجىء والسراديب تحت الموضع وفي أعماق الجبل . لم تجر القوات السورية أية محاولة لإخراجهم ، لانهم لم يعودوا يمثلون أي تهديد بالنسبة للسوريين ، لانهم محصورين ولا طريق لهم للخروج ، كما وقطعت اتصالاتهم مع المقر الأعلى. حاول الآمر الصهيوني مع (٢٠) آخرين الهروب من المناطق المحكمة المحيطة بالموضع وذلك في الساعات الأخيرة من تلك الليلة . قتل بعضهم واسر اخرون من قبل القوات السورية المطاردة لهم . استمر الباقون داخل الملاجئ بالمقاومة ، إلا انهم اذعنوا للاستسلام بعدما نفدت لديهم مؤن القتال ، واصبح واضحا لديهم بأنه لامجال لإنقاذهم .

يعود سبب نجاح العملية السورية إلى عدة عوامل هي :

* فور تعرض جبهتي الجولان وسيناء ، لهجوم جوي وارضي ، لم تكن القوة الجوية الصهيونية قادرة على تقديم المساعدة لموضع معزول مثل هذا ، وهو يتعرض لإنزال بالسمتيات . وعلى الرغم من إنشاء الجيش الصهيوني طريقا خاصا إلى الموضع الصهيوني الحصين في جبل الشيخ ، إلا انه كان من المتعذر استخدامه من قبل التعزيزات الصهيونية نتيجة قيام القوات السورية بالهجوم بحشد كبير جدا وبإسناد كثيف للمدفعية في المنطقة ، كما وان التعزيزات كانت مطلوبة وبشكل عاجل في أماكن أخرى فيما إذا توفرت .

* أخمدت القوة الجوية السورية ومناهج القصف التمهيدي للمدفعية السورية قابلية القوات الصهيونية المدافعة في جبل الشيخ على مقاومة الإنزال بالسمتيات .
* جعل قرار الآمر الصهيوني بسحب نصف رجاله من الموضع مهمة السوريين اكثر سهولة .
*من المحتمل قيام السوريين بتحقيق المباغتة بشكل كامل تقريبا باستخدام الصولة بقوات متنقلة جوا .

غارة المغاوير الصهاينة داخل سورية (يوم ١٣ تشرين ١٩٧٣)

تسلم القائد الصهيوني في جبهة مرتفعات الجولان معلومة استخبارية صباح يوم ١٢ تشرين ١٩٧٣ ، تفيد بان قوات عراقية كبيرة ورتلاً من المعدات سوف تتحرك هذه الليلة من بغداد إلى دمشق . وبالساعة ١٠٠٠ من يوم ١٢ تشرين ، اتخذ قرارا" بتنفيذ خطة طارئة لتجريد الرتل العراقي وذلك باستخدام قوات مظلية متنقلة بالسمتيات مع طائرات قاذفة ـ مقاتلة .

وفي حدود الساعة ٢٣٠٠ تقريبا ، أقلعت طائرة منفردة من طراز (سي أج-٥٣ سي شينوك) تابعة للقوة الجوية الصهيونية حاملة (١٢) مظلياً ، إضافة لسيارة جيب مركب عليها مدفع ١٠٦ عديم الإرجاع . ولتجنب كشفها من الرادارات ومواقع الدفاع الجوي السورية ، بدأت هذه الطائرة بالطيران بارتفاع منخفض وباتجاه الشمال معقبة الساحل اللبناني ، ثم توجهت نحو موقع الكمين ، الذي كان واقعا شمال شرقي مرتفعات الجولان بـ(١٠٠) كم ، على طريق بغداد- دمشق الدولي . وصلت الطائرة إلى منطقة الإنزال في الساعة ٢٤٠٠ تقريبا .

وبعد ترجل المظليين من الطائرة ، أدخلت الطائرة في مكان مستور على بعد مئات الأمتار من الطريق العام الدولي . وضعت المتفجرات تحت الجسر ، وزرعت الألغام أمام موضع الكمين الصهيوني . وصل الرتل العراقي بعد الساعة ٠١٠٠ من يوم ١٣ تشرين ١٩٧٣ . كان العراقيون داخل الرتل لا يتوقعون أي تهديد صهيوني على مسافة ١٠٠ كم خلف خطوط الجبهة ، كانت المسرفات محمولة على حاملات الدبابات، والأشخاص كانوا داخل سيارات الحافلات التابعة لهم . بدأ

الهجوم فعلا مع انفجار الجسر ، وحصر الرتل بشكل أكثر عند تعرضه للرمي من الخلف من مدفع ١٠٦ ملم عديم الإرجاع . قامت القوة الصهيونية بعد ذلك بفك الاشتباك والانسحاب تماما وقت وصول طائرات الفانتوم الصهيونية التي بدأت بمشاغلة الرتل العراقي (الذي أصابه الذعر و الفوضى) .

يعود سبب نجاح هذه العملية إلى عدة عوامل هي :

* من الواضح ان الصهاينة كان لهم معلومات استخبارية ممتازة بقدر تعلق الأمر بتنقل الرتل العراقي .
* كان الصهاينة يمتازون بالعمل كفريق ، ومن المحتمل تمتع القوات المظلية بتسهيلات قدمتها السمتيات وهي تابعة للقوة الجوية .
* كانت السمتية قادرة على الملاحة جوا والطيران ليلا إلى موقع الكمين من دون كشفهم، وربما كانت القوة الجوية الصهيونية تهبط في موقع سبق انتخابه ، وتترك فيه وسيلة توجيه ، أو يضعه عميل صهيوني أو طائرة ذات كفاءة عالية.
* حققوا إدامة أقصى المرونة للقوة وذلك بإبقاء الطائرة مع القوة على الأرض لحين إنجاز المهمة .

في يوم ٢١ تشرين ، ومع شدة المفاوضات التي سبقت وقف إطلاق النار ، والتي كانت تسير بمعدلات سريعة جدا ، شنت قوات صهيونية صولة متنقلة جوا لاستعادة جبل الشيخ . استخدم الصهاينة سرباً من طائرات الفانتوم لضمان الغطاء الجوي للعملية ، وطائرات (سي أجـ٥٣ جي) ، محملة بقوات مظلية ، عبرت هذه القوة نحو لبنان خلال ساعات العصر من يوم ٢١ تشرين . وفي الوقت نفسه ، قام فوج مشاة من اللواء الجولاني الصهيوني بهجوم ارضي باتجاه السلسلة الجنوبية الغربية من جبل الشيخ . وقبل هذين الحدثين ، قامت القوة الجوية الصهيونية بغارة جوية على دمشق بهدف منع القوة الجوية السورية من القيام بعملية متنقلة جوا . حقق هذا العمل نجاحا جزئيا ، لان السوريين كانوا مستمرين بإدامة دوريات جوية من (٧) طائرات ميك ، تحوم على سماء دمشق بارتفاع منخفض من الساعة ١٦٠٠ وحتى الساعة ١٧٠٠ .

طارت القوة الصهيونية المتنقلة جوا بارتفاع منخفض مستغلة أقصى ما يمكن من طبيعة الأرض ، مستخدمة الستر من العديد من الوديان في القاطع

الجنوبي من لبنان من خلال تخطيط دقيق لخط الطيران على السفوح الغربية لجبل الشيخ . حجبت الطائرات من الرادارات السورية كما وتمكنوا من تجنب الكشف من المواقع الكثيرة لبطريات (سام) ومواضع مدفعية مقاومة الطائرات السورية .

حملت كل سمتية بنصف طاقة حمولتها الاعتيادية ، من اجل ضمان الإنزال بأمان تام على القمم العالية لجبل الشيخ . هبطت القوة من دون الاعتماد على أية استحضارات مسبقة لمنطقة الإنزال ، وذلك لتحقيق المباغتة . إضافة إلى ذلك ، انتخب الصهاينة مناطق الإنزال على السفوح الشمالية من القمة الكائنة في أقصى الشمال بدلا من الإنزال مباشرة على المواضع السورية . فعلا حققت هذه التعبية نجاحا كبيرا ، وجرى الإنزال دون مقاومة . بينما كانت طائرات الفانتوم مستمرة في تامين الإسناد الجوي ، بدأت العناصر الباقية من اللواء المظلي الصهيوني بالمجيء إلى موطئ القدم الصهيوني الذي تم تأسيسه على جبل الشيخ . هبطت رحلات إضافية بطائرات منفردة شمال شرقي منطقة الإنزال الأصلية وبمسافة قليلة . كان ذلك ضروريا لتجنب التدخل مع عناصر الصولة الرئيسة ، التي بدأت بشن الهجوم الآن باتجاه الجنوب الغربي نحو المواضع السورية ، بإسناد ناري بالهاونات العضوية لوحداتهم ، إضافة إلى نيران خمس بطريات مدفعية من تلك المفتوحة في مرتفعات الجولان وفي اسفل الجبل . حجزت القوة الجوية الصهيونية بالنار أية محاولة سورية لتعزيز مواضعها باستخدام الطريق الكائن شرق جبل الشيخ والمؤدي إلى منطقة الإنزال الصهيونية .

أدرك السوريون التهديد المميت الموجه ضد مواضعهم الحيوية على جبل الشيخ ، لذا قاموا برد فعل عنيف جدا بالقوة الجوية والبرية ضد القوات الصهيونية التي هبطت خلف خطوطهم . استجاب السوريون بالمدفعية والطائرات المقاتلة وبهجوم مقابل بصولة متنقلة جوا . رصدت القوات الصهيونية خمس طائرات سمتية من طراز (مي ــ ٨) ، بعد الساعة ١٦٠٠ بقليل ، وهي تطير بارتفاع منخفض فوق سماء دمشق . أخمدت الصولة المتنقلة جوا السورية عندما دمرت القوة الجوية الصهيونية ست مقاتلات سورية مرافقة للسمتيات إضافة لثلاث سمتيات حاملة للقوة .

قاتلت القوات السورية على جبل الشيخ قتالا ضاريا خلال الليل ، إلا أن الفائقية الصهيونية بالقوة النارية والهجمات الأرضية العزوم ومن اتجاهين على

المواضع السورية ، آدت بالأخير إلى احتلال المواضع كلها . تكبدت القوات المظلية الصهيونية خسائر معتدلة في هجومهم على السلسلة ، إلا أن الفوج الجولاني الصهيوني الذي بدا بهجومه متسلقا الجبل في السفح المعاكس تكبد خسائر كبيرة نوعا ما . وكحد أدنى ، فان جزءا من هذه الاختلافات يمكن أن يسهم في التوصل إلى حقيقة كون القوات المظلية هاجمت القوات السورية من الخلف . يمكن أن يعود السبب في نجاح العملية الصهيونية المتنقلة جوا إلى العوامل التالية :

* أدامة التفوق الجوي المحلي على الطريق وفوق منطقة المعركة خلال العملية كلها .
* حققت السمتيات مباغتة تامة ببقائها (خارج) الكشف الراداري المعادي . كما جرى تجنب مواقع مدفعية مقاومة الطائرات المركزة ، وذلك بالطيران باتجاه لبنان وباستعمال الحماية التي أمنها الطيران بين الوديان وبأدنى ارتفاع ممكن . وتمكن الصهاينة من تحقيق المزيد من المباغتة في انتخابهم لمنطقة الإنزال . وبعد إكمال الإنزال ، اعتمد على الإسناد الناري من القوة الجوية والمدفعية لإسناد الهجوم الأرضي بشكل كبير وكذلك لمنع السوريين من شن هجوم مقابل.
* جرت إدامة الاتصال مع القوات الأرضية الصهيونية الأخرى ، نتيجة التخطيط الدقيق لها ، واخيرا تنفيذها بعناية تامة .

عمليات مقاومة الدروع

ستجرى مناقشة عمليات مقاومة الدروع من خلال تحليل ثلاثة أنواع من منظومات الأسلحة الرئيسة والمستخدمة بشكل فعال ضد الدبابات . وهذه الأسلحة هي القاذفة ــ المقاتلة ، والدبابة ، وأسلحة المشاة المقاومة للدبابات . يمكن أن تكون هذه الأسلحة كلها مؤثرة سواء في العمليات التعرضية أم الدفاعية ، إلا إنها ستكون اكثر فاعلية فيما إذا تكاملت مع بعضها بعضاً . وقد أدرك بان الألغام هي الأخرى سلاح فتاك للدبابات ، وينبغي أن تتكامل هي الأخرى مع هذه المنظومات في أية خطة دفاعية .

القاذفة ـ المقاتلة

لكي تكون الطائرة القاذفة ـ المقاتلة كفءاً ومقتدرة على تدمير الدبابات ، لابد من افتراض قدرتها على تحقيق نسبة تدمير تصل إلى (١٢) دبابة مقابل تدمير طائرة واحدة في الأقل . يمكن تحقيق هذا الإنجاز في بيئة صديقة ، تشمل على ضمان تحقيق تفوق جوي مع وجود منظومة دفاع جوي معادٍ غير كفء . ويحتاج المرء لتوكيد الحقيقة إلى اختبار ما جرى في مرتفعات الجولان وجبهة سيناء . في إطار مهمة إيقاف الارتال المدرعة السورية ، تكبدت القوة الجوية الصهيونية خسائر بالطائرات تقدر بحدود (٣٠) طائرة نتيجة فاعلية منظومات الدفاع الجوي السورية ، بينما كانت الطائرات الصهيونية تنفذ مهمات الإسناد الجوي القريب . وبعد أن تمكنت القوة الجوية الصهيونية من إخماد منظومات الدفاع الجوي السورية وتحقيق الفائقية الجوية في سماء المعركة فقط ، عندئذ أصبحت قادرة على العمل بحرية في ميدان المعركة وتقديم الإسناد الجوي القريب إلى القوات البرية داخل سورية يوم ١٢ تشرين .

كان الموقف مشابهاً لذلك تماما في جبهة سيناء . وطالما كان الجيش المصري باقيا تحت مظلة (سام) ، بقيت القوة الجوية الصهيونية غير مؤثرة كسلاح مدمر للدبابات وكذلك في إسناد القوات البرية . وعندما بدا الهجوم المصري يوم ١٤ تشرين ، وخرجت القوات خارج مظلة دفاعات (سام) ، برهنت القاذفات ـ المقاتلة معاً مع القوات البرية ، على تأثيرهما في دحر هذا الهجوم . وبعد أن قللت القوات البرية الصهيونية من تأثير تهديد منظومات الدفاع الجوي المصرية ، أظهرت القوة الجوية الصهيونية قدرتها وبشكل مؤثر في إسناد الاستثمار لعبور القناة . وخلال هذه الصفحة ، كانت القوات البرية تطلب القاذفات- المقاتلة عند الحاجة لإخماد أو تدمير الدروع المصرية .

الدبابات

(الدبابات هي ملكة المعركة)

جنرال في الجيش الصهيوني
بعد حرب تشرين

تعد الدبابات عادة سلاحاً تعرضياً ، ولكنها كانت في دور دفاعي خلال الأيام الأولى من حرب تشرين ، ولاسيما في مرتفعات الجولان ، وكذلك يوم ١٤ تشرين في سيناء . وقبل الخوض في غمار هاتين المعركتين ، ينبغي أن يكون واضحا ، بان لدى العاملين في القوات المدرعة الصهيونية مزايا مميزة هي ــ التفوق بنوعية المعدات ، والتفوق في التدريب ، واخيرا التفوق في التعبية على الأرض . كان مدى المدفع الرئيس من طراز (١٠٥) ملم للدبابات الصهيونية اكبر من مدى المدافع للدبابات المصرية والسورية بحدود (٤٠٠) متر . كما وان تدريب طوائف الدبابات الصهيونية ، كان يركز على مشاغلة الأهداف المتحركة بسرعة وبدقة وفي أقصى المدى . وبإمكان رماة الدبابات من تحقيق (٤) إصابات مؤكدة في مدى (٢٠٠٠) متر . وهكذا فان اقتران دبابات متفوقة بالنوعية مع مستوى راقٍ في التدريب للطوائف ، سيحقق الحسم في معارك الدبابات سواء في التعوض أم الدفاع.

فخلال الهجوم السوري يومي ٦ و٧ تشرين ، استعرض الصهاينة التأثير المدمر للدبابات في المواضع الدفاعية المهيأة مسبقا . كانت المواضع الصهيونية، وبصورة خاصة في القاطع الشمالي من مرتفعات الجولان منتخبة على ارض حاكمة ، وأمامها ميدان رمي جيد ، ومسند بخندق ضد الدبابات وحقول الغام . قدمت هذه الموانع خدمة كبيرة في إجبار الدروع السورية الهاجمة إلى التوجه إلى مناطق منتخبة ومعروفة مدياتها بدقة (وهي مناطق قتل مختارة ــ المترجم). كانت الدبابات الصهيونية مستترة خلف ساتر ترابي ، لذا حققت نسبة تدمير الدبابات وحتى (٢٠) إلى (١) . تمكنت (١٨٠) دبابة صهيونية تقريبا من إيقاف أو تعويق (٨٠٠) دبابة سورية ، ويعدّ ذلك إنجاز ملحوظ بشكل حقيقي لاقتران

المشاة الصهيوني في المواضع الحصينة مع الدبابات وساعد في دفاع متكـــامل . وعلى كل حال ، كانت تنقصها أسلحة حديثة ضد الدبابات ، وجرى تخطيـــها مـــن قبل الدروع السورية . لو كانت فيها أسلحة ضد الدبابات الموجهة بالســـلك مثـــل (دراغـــون) أو (تاو)، من المحتمل أن تزداد القدرة الدفاعية ضد الدبابات فيـــها بدرجة كبيرة جدا .

وخلال الهجوم المصري يوم ١٤ تشرين ، كـــانت دروعـــهم هـــي الســـلاح التعرضي الرئيس ، وكان يتحرك أمام المشاة عند التقرب من الأهداف . وحالمـــا تصعد الدبابات الوديان وتصبح على الهضبة ، كانت تشاغل مـــن قبـــل الدبابـــات الصهيونية من مواضع محفورة ومهيأة للرمي . وفي كثير من الأحيان لم تجر في الموضع من إجراءات التهيئة غير الحفر ، وكان أمام الدبابة ساتر ترابي أعد مـــن قبل الهندسة . وقدم هذا الساتر الترابي خدمة جليلة في حماية الدبابة مـــن جهـــة كما ومنع ظهور الدبابة في الأفق . كانت هناك ثلاثة إلى أربعـــة مواضـــع رمـــي لكـــل دبابة أو رعيل . فكانت الدبابة تشاغل أهدافها لمدة من (٢ ــ ٣) دقائق فـــي موضع، ثم تـــتحرك إلى موضع أخر ، وبعد مدة مناسبة تتحرك ثانية إلى موضـــع أخر وهكذا إلى أن تعود إلى موضعها الأصلي . تتم السيطرة على النار والمنـــاورة من قبل آمري السرايا . لم تكن هناك حرية فردية ، بل كانت الأهداف تحدد علـــى وفق خطة مدروسة بعناية . كانت أكثرية المشاغلات تتـــم بمديـــات تكـــون بيـــن (٣٠٠- ٤٠٠) متر وفي بعض الأحيان في مدى التسديد القريب جدا .

المشاة في عمليات ضد الدبابات

ظهر في جبهة سيناء افضل مثال على دور المشاة في عمليات ضد الدبابـــات في هذه الحرب . أسس المصريون دفاعاتهم أمام رأس الجسر بالمشـــاة المجـــهز بصواريخ (أر بي جي /٧) . وضعت منظومات الصواريخ الموجهة بالسلك مـــن نوع (ساغر) على مسافة (٥٠٠) متر خلف عناصر المشاة . وعند اقترانهم معاً ، حققوا تركيزا ضد الدبابات كان يصل إلى (٥٥) قطعة سلاح ضد الدبابات في كـــل كيلو متر . وقليلا للخلف كانت هناك الدبابات ومزيد من المشاة المجهز بصواريـــخ (ساغر). يبين تأثير هذا النوع من الدفاع بشكل افضل مـــن خـــلال تحليـــل عمـــل الأعداء .

كان ضابط الصهيوني برتبة ملازم ثانٍ يقود رعيلاً من ثلاث دبابات متجهة نحو القناة ، ضربت دبابته بصاروخ (أر بي جي /٧) ، واشتعلت النار فيها . وحالما انتهى اللهب والدخان ، كان قادرا على رؤية المشاة المصري على مسافة (٣٠٠) متر منه . وعندما كان يتولى العناية بالدبابة الثانية ، قام بمعالجة المشاة المصري بإسناد من النيران الساترة من الدبابة الثالثة . وحالما وصل إلى خط المصريين ، ضربت دبابته بأربعة صواريخ (أر بي جي /٧) في آن واحد ، وهكذا وقع الملازم الذي كان واقفا في البرج جريحا داخل دبابته.

كان أحد العرفاء في الجيش الصهيوني في دبابة أمامية حينما كانت وحدته تتقرب من القناة خلال الليل يوم ٦ تشرين . وفجأة ، وعلى بعد كيلو متر من القناة، ضربت دبابته بصاروخ (ساغر) من الضفة البعيدة. أدى الصاروخ إلى قتل آمر الدبابة وجرح العريف . انتقل العريف مع بقية الطائفة إلى دبابة أخرى . وفي معركة لاحقة ، دمرت هذه الدبابة عندما ضربت بثلاثة صواريخ . تمكن العريف من الهرب من العجلة المحترقة بينما كانت الاعتدة التي كانت فيها بدأت بالانفجار .

كانت مهمة (عبد العاطي) ، وهو جندي مدفعي مصري مع اثنين من رفاقه المساعدين في إدارة صواريخ ضد الدبابات ، هي ضرب الدروع المعادية المتقدمة لمواجهة الموجات الأولى من رجال العبور . كان موضع هؤلاء الرجال في الخط الثاني ، حيث عليهم مواجهة أية دبابة معادية ربما تمكنت من خرق الخط الأول من صواريخ (أر بي جي/٧) الواقع أمامهم .

.... بينما كانوا يتقدمون أمام القوات التي كانت تسير إلى داخل سيناء . كانوا على عمق (١٧) كم ...... بدأوا بالاستعدادات للمواجهة . تقدمت خمس دبابات صهيونية من نوع (أم ــ ٦٠) . أطلقت الصواريخ فورا على الدبابات ، ضربت الدبابة الأولى والثانية والثالثة ، إلا أن الرابعة والخامسة فضلتا التراجع إلى الخلف.

وخلال دقائق معدودة ، تقدمت ثلاث دبابات أخرى من نوع (أم ــ ٦٠) . أطلقت صاروخين على الدبابات الثلاث . اشتعلت النيران في الدبابات. وتمكن طوانفها من مغادرتها).

في (معرض غنائم الحرب) الذي افتتح في القاهرة في شهر كانون الأول ، صرح الجنرال إسماعيل ، وزير الحربية المصرية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية :

[كان عبد العاطي ورفاقه الاثنان هم نماذج من المقاتلين المصريين الذين أشعلوا نيران حرب ٦ تشرين ، وتمكنوا من تدمير (٢٣) دبابة معادية]. صرح قائد الجيش الثاني المصري اللواء سعد مأمون ، خلال الهجمات المقابلة الصهيونية الأولية :

[لم نر نحن أي جندي صهيوني يمشي على رجليه ، بل وجدنا فقط الدبابات خلال الأيام الثلاثة من الحرب . وبعد ذلك ، لاحظنا أن ٥٠% من قواتهم من الدبابات و ٥٠% الباقية من العجلات المدرعة ..... وخلال الأيام ٧ و ٨ تشرين عندما كنت أقود الجيش الثاني ، (أصيب بجلطة قلبية خلال الحرب) ، كان هناك (١٦) هجوماً مقابل صهيوني ضد اثنين من المواقع في راس الجسر ، إلا أن جميع هذه الهجمات باءت بالفشل وتم سحقها] .

تشير الدلائل إلى ان الهجمات الجبهوية التي شنتها القوات الصهيونية ضد المواضع الدفاعية المعدة جيدا باءت كلها بالفشل . وتبين الأمثلة الأنف ذكرها ، بان الأسلحة الثلاثة كلها ، القاذفة ــ المقاتلة و الدبابة وأسلحة المشاة ضد الدبابات ، هي أسلحة مدمرة للدبابات عند استخدامها بشكل ملائم . وأثارت هذه الأسلحة التساؤل بشأن التوازن أو الاقتران في ميدان المعركة . توصل الصهاينة إلى استنتاج مفاده أن الدروع لا تزال تعدَ سلاحا حاسما على وفق خبراتهم . وبالنسبة لهم ، فان الدبابة هي افضل سلاح مدمر للدبابة . يجب أن يقارن استنتاجاتهم مع الحقيقة القائلة إن الصهاينة ، خلال هذه الحرب ، لم يكن يمتلكون أسلحة ضد الدبابات حديثة خاصة بالمشاة ، مثل (تاو) و(دراغون) لكي يدحروا الدروع المصرية والسورية . ومن جهة أخرى ، فان المصريين والسوريين من المحتمل أن توصلوا إلى أن أسلحة المشاة ضد الدبابات لابد من إعارتها أهمية كبيرة بينما ينبغي تطوير تدريب طوائف دباباتهم.

القـدرة الجـوية

رؤيــة شامـلة

تعيد دراسة المعركة الجوية لـ(١٨) يوما خلال حرب الشرق الأوسط في عام ١٩٧٣ إلى الأذهان ، المجهود الكبير الذي بذلته القوة الجوية الصهيونية في إيقاف تقدم القوات العربية ، وتجريد خطوط المواصلات والمطارات ، ومشاغلة وتدمير القوات الجوية المصرية والسورية في القتال الجوي . واشتملت آخر مهمة لها على الدفاع الجوي عن الكيان الصهيوني . استخدمت القوة الجوية المصرية والسورية بالطريقة السوفيتية التقليدية للسيطرة على التصدي للدفاع الجوي عن مصر وسورية ، وبدرجة اقل استخدمت في مجال الإسناد الجوي القريب في كلتا الجبهتين . على الرغم من انشغال القوات البرية المصرية والسورية في تحقيق هجوم مباغت على القوات الصهيونية ، إلا أن قواتهم الجوية لم تسهم في إنجاز هذه المهمة بشن هجمات التجريد الجوي على منشآت القوة الجوية الصهيونية في العمق بشكل جدي . كانت هجمات التجريد الجوي في ٦ تشرين محدودة بالمطارات والمواقع ومراكز السيطرة الأمامية ، وبشكل رئيس في سيناء . أجبرت الهجمات المصرية والسورية القوة الجوية الصهيونية على اتخاذ دور أولي للرد على الهجمات ، وحرمهم المرونة التي تمتاز بها المبادأة الجوية . أظهرت القوة الجوية الصهيونية قدرتها على تنفيذ ضربات تجريد جوي على أهداف سورية ، وبدرجة اقل على أهداف مصرية ، من دون تكبيدها خسائر كبيرة . عالجت القوات الجوية المصرية والسورية مهمات القتال الجوي بطريقة عنيفة جدا ، وفقدنا بحدود (٥٠) متصدية مقابل فقدان مقاتلة صهيونية واحدة في الجو . اعتمد المصريون والسوريون في تامين الدفاع الجوي لقواتهم في ميدان المعركة على مدفعية مقاومة الطائرات وصواريخ ارض ــ جو في الأكثر . كانت هذه التعبية ناجحة ، وفعلا كبدت القوة الجوية الصهيونية أغلبية خسائرها . ظهر أن المعركة الجوية لم تكن العامل المهيمن في التخطيط المصري والسوري ، بل اتخذوا القرار بعدم تكليف القوات الجوية المصرية والسورية مهمات التجريد الجوي على منشآت القوة الجوية الصهيونية ، ربما كانوا ينثرون البذور لإيقاع الخسائر فيهم أخيرا في المعارك الجوية .

مقارنة القوات الجوية

قدر نظام المعركة الجوية المعتمد في ٦ تشرين ، القوة الجوية الصهيونية بـ(٥٠٠) طائرة مقاتلة . وتشتمل على (١٥٠ ـ من طراز فانتوم أف ـ ٤ ئي)، و(٦٠ ـ من طراز ميراج ٣) ، و(٢٠ ـ أي أم بي ـ٢) ، و(١٩٠ ـ من طواز أي ـ٤ سكاي هوك). جهزت بـ(٢٤) طائرة من طراز ميراج ٣ ـ بمحرك نوع (جي ـ٧٩) جنرال الكتريك ، ويطلق عليها (بار اكس) .

جهزت القوات الجوية المصرية والسورية بطائرات من طراز (ميك ـ١٧) و(ميك ـ ٢١) و(سو خوي ـ٧) و(سو خوي ـ٢٠) و(هو كر هنتر) و(تي يو ـ ١٦) . كما وجهزت مصر بطائرات من طراز (ميراج ـ٣) عن طريق ليبيا . كان العدد الكلي للطائرات المقاتلة المتوفر لدى الجانب العربي في ٦تشوين يصل إلى (٩٠٠) طائرة تقريبا. كانت أكثرية الطيارين الذين شاركوا في الحرب الجوية هم مواطنون من بلدانهم . فطيارو الهوكرهنتر كانوا من الكويت أو أبو ظبي أو العربية السعودية[1] . ومن المحتمل انهم طاروا من بلدانهم بهذه الطائرات . شارك بعض طيارين من كوريا الشمالية وفيتنام الشمالية دون الإشارة إلى وقوع الخسائر فيما بينهم .

مورست إعادة تجهيز كبيرة للطائرات ومعدات الطيران والاعتدة المختلفة من كلا الجانبين . لا يعرف بدقة مقدار هذا الجهد ، ولكن قدر بان التعويض عن الطائرات قد تم لكلا الجانبين خلال الحرب وبدرجة كافية للتعويض عن أغلبية النقص الحاصل من جراء المعركة . وطالما أن عملية تجنيد وتدريب وتنظيم الطيارين المقاتلين لأية قوة جوية مقتدرة ، تستنزف وقتا طويلا ، لذا فان تعويض الطائرات لا يؤدي إلى إدامة الموقف السائد . كانت أكثرية خسائر القوة الجوية الصهيونية تقع فوق الأراضي المصرية والسورية بشكل عام ، بينما أكثرية خسائر القوة الجوية المصرية والسورية كانت تقع داخل أراضيهم. يعد تقدير نسبة الطيارين الذين لاقوا حتفهم إلى الذين قذفوا بنجاح نتيجة إصابة طائراتهم أو حدوث خلل فني ، في بالغ الصعوبة . والذي يمكن معرفته ، وعلى

---

[1] يظهر أن معدي الدراسة في كلية الاركان الامريكية قد نسوا أن سرب الضربة العميقة الأولى في سيناء وكان سرب هوكرهنتر عراقياً . (المترجم)

كل حال ، هو أن القذف الناجح ، هو القذف الذي يبقي الطيار بالنتيجة حيا ، حيث كانت معظم حالات القذف تصاحبها جروح في الأرجل والظهر ، وتؤدي إلى عدم بقاء الأهلية بالنسبة للقاذف كطيار مقاتل . وهكذا ، حتى في حالة إنقاذ الطيار من قوات صديقة ، فمن غير المحتمل أن يكون قادرا على العودة إلى الطيران بشكل فوري .

يشير افضل تقدير للخسائر في الطائرات (نتيجة للأسباب كافة) إلى أن المصريين والسوريين خسروا (٤٢٠) طائرة تقريبا ، بينما كانت خسائر الصهاينة بحدود (١٢٠) طائرة . لا تتوفر لدينا تقديرات خاصة بخسائر الطيارين ، إلا أن القوة الجوية الصهيونية تكبدت خسائر كبيرة نتيجة الضربات التي تلقتها عند تنفيذها مهمات الإسناد الجوي القريب بطائرات (أف ــ٤) . وطالما أن نصف عدد طياري (أف ــ٤) كانوا يعدون من الاحتياط بالأصل ، وهذا يعني أن أكثرية الطيارين من الكادر المقتدر في القوة الجوية الصهيونية هم طيارو القتال الجوي ، الذين كانوا وما زالوا متيسرين . وكان هذا الموقف صحيحا بالنسبة للمصريين والسوريين ولكن على العكس.

فلسفة الاستخدام

نظمت القوة الجوية الصهيونية على أساس المهمة ونوع الطائرة . وكمثال على ذلك، كانت طائرات الـ(أف ــ ٤) تستخدم في الأكثر في مهام الضربات الجوية التي تتطلب مديات طويلة وكذلك مهمات التجريد الجوي ، والـ(ميراج) في العمليات الجوية المقابلة ، والـ(أي ــ٤) للإسناد الجوي القريب ، والـ(أس أم بي ــ٢) أما للإسناد الجوي القريب وإما للعمليات الجوية المقابلة . لم يجر تحديد هذه الطائرات بشكل تام لهذه الأدوار ، بل كانت المهمات تحول على وفق الضرورات التعبوية . وكانت أكثرية الطائرات الصهيونية التي أصيبت في المعارك الجوية أما من طراز (الميراج) وإما (بار اكس) ، لان نيران المدفع والصواريخ جو ــ جو التي كانت في هذه الطائرات ، تستخدم دائما بنجاح تام . وقعت أكثرية الخسائر في القوة الجوية الصهيونية بطائرات (أي-٤) فوق الحافة الأمامية لميدان المعركة ، وكانت بسبب منظومات الدفاع الجوي العربية . نظمت مناهج لأنواع الطيرات المطلوبة تنفيذها من قبل القوة

الجوية الصهيونية من قبل مقر قيادة وسيطرة مركزية ، وكانت تعين على وفـق المتطلبات العملياتية وتوفر الطائرات . بيد أن القـوة الجويـة الصهيونيـة أدارت العمليات بشكل يحقق تنفيذ بين (٥٠٠ ــ ٨٠٠) طيرة / في كل يوم خلال الحـرب كلها . وتبعا لكفاءة منظومة الاحتياط الجوي التي تؤمن طواقـم جويـة كـفء ا للطائرات (وخاصة في الوحدات المسلحة بطائرات أي ــ٤) ، لذا لم يكن نقـص الطيارين يكون معضلة . هبطت متطلبات الدفاع الجوي عـن الكيـان الصـهيوني بشكل كبير نتيجة قرار المصريين والسوريين بعدم الهجوم في العمق .

استخدمت مصر وسورية منظومـات (سـام ــ٢ و سـام ــ٣ و سـام ــ٦ وسام– ٧) بشكل منسق مع مدفعية مقاومة الطـائرات ضمـن الحافـة الأماميـة لمنطقة المعركة، لتامين دفاع جوي مؤثر جدا لوحدات المناورة. كما واسـتخدمت طائرات الميك ــ٢١ لتامين دوريات جوية مقاتلة ولإنذار الدفـاع الجـوي خلـف الحافة الأمامية لمنطقة المعركة ، وكذلك لحماية القواعد الجوية والمدن الرئيسـة ومناطق الأكداس والمخازن العسكرية . عزز الدفاع عن ارض الوطـن بطـائرات الميك ــ٢١ ، بشبكة متكاملة من رادارات الإنذار والدفـاع بـالصواريخ . وكـان ينبغي أن تؤمن منظومة الصواريخ هذه نتائج حاسمة لطياري الميـك ــ٢١ ، إلا أن هذه المنظومات لم تقدم شيئا ، لذا تكبدت القوة الجوية المصريـة والسـورية خسائر كبيرة في القتال الجوي . كانت الطائرات من طراز (الميـك ــ١٧ وسـو خوي ــ٧ و سو خوي ــ٢٠) من القوات الجوية المصرية والسـورية ، تؤمـن الإسناد الجوي القريب . كان هناك تناقض في التقارير بشأن اسـتخدام طـائرات الميك ــ ٢١ في هذا الدور . يقدر عدد طيرات الإسناد الجوي القريب المنفذ مـن قبل القوات المصرية والسورية خلال (١٨) يوما من أيام الحـرب بـ(٨٥٠ ــ ١٢٥٠) طيرة . وكان معظم هذه الطيرات قد نفذ فـي يـوم ٦ تشـرين وعلـى الجبهتين ، وكذلك خلال هجوم المصريين أمام المظلة الجوية للدفاع الجوي يـوم ١٤ تشرين ، وكذلك بعد قيام القوات الصهيونية بعملية العبور لقناة السويس يـوم ١٦تشرين ، وخلال مدة من ١١ ــ ١٣ تشرين على الجبهة السورية لإيقاف تقـدم القوات البرية الصهيونية .

يبدو أن الإسناد الجوي القريب على الجبهة السورية كان قليـلا والـى حـد كبير ، واصبح كاحتياط بعد القتال الجوي الذي جرى ممارسته بحجم كبير . لم تكن

القوات الجوية المصرية والسورية بدرجة كفاءة القوة الجوية الصهيونية نفسها في مجال تنفيذ مهمات الإسناد الجوي القريب ، لذا كانت خسائرهم كبيرة . تظهر اختلافات كثيرة في الأساليب الفنية المتبعة وعدد الهجمات التي نفذت ونوع الاعتدة المستخدمة عند مقارنة وتحليل الهجمات من الجو – إلى الأرض ، والتي نفذتها القوة الجوية المصرية والسورية . وعلى كل حال ، يبدو أن الهجمات كافة كانت تنفذ بزاوية واطئة ومن ارتفاعات واطئة أيضا على العكس من القوة الجوية الصهيونية التي كانت تنفذ مثل هذه المهام بزاوية عالية ومن ارتفاعات عالية . لذا تكبدت القوة الجوية المصرية والسورية خسائر كبيرة خلال تنفيذ مثل هذه المهمات، وربما وصلت نسبة الخسائر إلى ٣٥ % من عدد الطيرات المنفذة .

باءت الستراتيجية الجوية الواضحة للمصرين والسوريين في تحديد طيرات التجريد العميق لحين تقليل القدرة الجوية الصهيونية من خلال استخدام منظومات الدفاع الجوي ضمن الحافة الأمامية لمنطقة المعركة ، واستخدام الطائرات الميك-٢١ في التصدي على سماء الوطن ، بالفشل الذريع ، لان هذه الطائرات جرت معالجتها بسهولة من قبل القوة الجوية الصهيونية في القتال الجوي ، كما اكتسحت منظومات الدفاع الجوي ضمن الحافة الأمامية لمنطقة المعركة باستخدام القوات البرية والجوية الصهيونية بان واحد ، وكمرحلة أولى في الجبهة السورية واخيرا في سيناء .

الدفاع السلبي

كان التدمير الذي احدث في القوة الجوية المصرية وهي جاثمة على الأرض في عام ١٩٦٧ ، درسا لا ينسى من قبل المصريين والسوريين وحتى من قبل مستشاريهم الروس . وتبعا لذلك ، اتبعوا نظاما دقيقا للانتشار وتحكيم ملاجئ (أوكار – المترجم) الطائرات لتقليل درجة الوهن للقوة الجوية المصرية تجاه أي هجوم استباقي ومباغت . كان هناك بحدود (٤٥٠) موقع ملجأ مستخدما في مصر. لايمكن التحقق من الموقف الدفاعي والمطارات في سورية بقدر تعلق الأمر بهذا المجال . يقال إن الاستحكامات المعتمدة في بناء الملاجئ في مصر ، كانت مشابهة لتلك التي اعتمدتها دول حلف وارشو . جرى ضمان حماية الطائرة داخل هذه الملاجئ ضد أي نوع من الهجوم وبنسبة ٩٥% .

كانت العقيدة السوفيتية تؤكد تحديد عدد المقاتلات بـ(٢٠) طائرة في كل قاعدة جوية ، وهذا يعني بان أي هجوم استباقي من قبل القوة الجوية الصهيونية، يتطلب جهدا كبيرا جدا تجاه (٢٠) قاعدة جوية وفي آن واحد . وبالتأكيد يقلل من تأثير العملية عندما تكون الطائرات داخل مثل هذه الملاجئ وتحمي القاعدة الجوية منظومة دفاع جوي كفء .لذا ، فان ستراتيجية هجوم الاستباق من قبل القوة الجوية الصهيونية لم يعد له أي تأثير على موقف القوة الجوية المصرية .

الطقس

كانت هناك إشارات عابرة فقط في ما يتعلق بالطقس وتأثيره في المعركة الجوية . لوحظ وجود بعض الإشارات القليلة إلى رداءة الطقس في مرتفعات الجولان بعد ظهر يوم ٦ تشرين . لم يظهر للطقس أي دور كعامل مهم في أية عملية جوية خلال الحرب . يقدر معدل ساعات ضوء النهار المتيسر للعمليات الجوية بـ(١٢) ساعة يوميا ، أي من الساعة (٠٦٠٠ وحتى ١٨٠٠) . لم تقم أي من القوات الجوية المشاركة بالحرب بعملية جوية ليلية مهمة . ربما حددت متطلبات الإدامة من استخدام الطائرات من طراز (أي ـ٤) و (أف ـ٤) في عمليات التجريد الليلي ، ومع ذلك ، يبدو أن طائرات (سو خوي ـ٢٠) التي لها القدرة على الاسهام في دور التجريد العميق بالنسبة للقوة الجوية المصرية والسورية ، إلا إنه لم يجر استخدامها من قبلهم .

الأعتدة

استخدم الجانبان الاعتدة التقليدية الاعتيادية في الضربات الجوية تجاه الأهداف الأرضية مع بعض الاستثناءات وكمايلي : لم يجر الأخبار باستخدام (النابالم) بكميات كبيرة ، كما وان القوة الجوية الصهيونية قللت من القصف الأرضي والى أدنى حد ممكن باستثناء نيران المدافع من عيار ٣٠ ملم ضد الدروع . وبشكل عام، استخدمت القوة الجوية الصهيونية قنابل الأغراض العامة تجاه أهداف التجريد ، وقنابل نوع (سي بي يو ــ ٢٤) ضد المشاة ، والقنابل الذكية من نوع (ما فريك) ومدافع من عيار ٣٠ ملم ضد الدروع . لم يجر

استعمال قنابل (ما فريك) على نطاق واسع ، على الرغم من كونـــها ذات تـــأثير كبير على الدروع ، وكانت تحسب على أساس مهاجمة (٣٠ ــ ٥٠) عجلـــة مـــن مختلف الأنواع . لم يظهر أنموذج معين من الاعتدة للاستعمال مـــن المصريـين والسوريين تجاه الأهداف الأرضية . كانت أكثرية الهجمات الأرضية تنفذ بطـائرات الــ(سو خوي ــ٧) ، وهذا مؤشر بان العقاب كان يتم بالأسلحة الرئيسة للطائرة ، وكانت الصواريخ الموجهة تستخدم عند انسحاب الطائرة بعد مهاجمة أهدافـــها . ينبغي التذكر بان طائرات الميك ــ١٧ كانت مجهزة بمدافع من عيار ٣٧ ملم ، في الوقت الذي جهزت الطائرات كافة وفي كلا الجانبين بمدافع من عيار ٣٠ ملـــم أو اقل. وعلم بان المدافع من عيار ٣٧ ملم كانت مؤثرة جدا تجاه العجلات المسرفة.

المدفعية

أمن استخدام المدفعية في حرب تشرين ، مجابهة تقليدية بيـــن العقيـــدتين السوفيتية والغربية . استخدمت القوات العربية نيران مخططا لها مسبقا ونـــيران القصف المقابل بأكبر حشد ممكن من أفواه مدافع ، بينما استخدم الصهاينة نيرانـــا مرصودة ضد أهداف طارئة وبعدد اقل من موارد المدفعية . وكان أســـلوبهم فـــي الدفاع تجاه نيران القصف المقابل يعتمد مبدأ قابلية الحركة واشغال مواضع بديلة.

تجهيز وتنظيم المدفعية الصهيونية

نظمت مدفعية الجيش الصهيوني على شكل أفواج ، مجهز بمنظومة منفـــردة من السلاح ، كبناء أساسي . زود كل لواء مناورة بفوج مدفعية ساندة ، واعتياديا يجهز الفوج أما بمدفع هاون ١٦٠ ملم ذاتي الحركة أو بمدفع قـــوس ١٥٥ملـــم ذاتي الحركة .

كان الموقف الاعتيادي للمدفعية قبل حرب تشرين يعتمد على استخدام لـــواء مدفعية ميدان واحد لكل من قيادة المنطقة الشمالية والجنوبية، إضافة إلى أفـــواج مدفعية ساندة لألوية المناورة . واحتفظ بلواء مدفعية واحد أيضا في مركز تدريـب المدفعية قبل النفير . وتقدر تشكيلات المدفعية الباقية بثلاثة ألوية مدفعية إضافيـــة كانت تكون جزءا من هيكل القوة الاحتياطية . وفي إطار المجمـــوع الكلـــي لعـــدد الأفواه النارية ، كان رصيد الكيان الصهيوني يصل إلى (١٢٥٠) قطعة مدفعيـــة ،

وكان بحدود (٣٠٠) منها من نوع (١٠٥ ملم) ذاتي الحركة أو (١٥٥ملم) ذاتي الحركة، وبحدود (٩٠٠) منها مدافع هاون ذاتي الحركة من نوع (١٢٠ملم و(١٦٠ ملم) ، كما وكانوا يمتلكون عددا غير معروف من المدافع السوفيتية التي غنموها في حرب عام ١٩٦٧ .

تمتاز ألوية المدفعية بالمرونة في تنظيمها ، نتيجة تجهيزها أما بمدافع قوس (١٥٥ملم) ذاتي الحركة وإما بمداقع هاون (١٢٠ملم أو ١٦٠ملم) ذاتي الحركة ، منظمة على شكل أفواج . كما وجهزت أفواج مدفعية مستقلة بمدافع من عيار (١٠٥ ملم أو ١٢٢ملم أو ١٣٠ملم أو ١٧٥ملم أو ٨ عقدة أو بقاذفات أنبوبية عيار ٢٤٠ملم أو بمدافع مسحوبة عيار ١٥٥ملم) ، وكانت هذه الأفواج المستقلة متوفرة للتخصيص إلى أية جبهة وعند الطلب .

تشكل فرقة مدفعية ضمن كل جبهة من الجبهات الثلاث على وفق خطة النفير. وحال إعلان النفير، تكمل الكتائب والأفواج المخصصة لكل جبهة ، ويتم تامين السيطرة المركزية على المدفعية المستخدمة كافة من قبل الفرقة . ليس للفرقة المدفعية هذه تنظيم تقليدي وثابت ، بل تعتمد تنظيما مرنا وتبعا للمهمة المطلوب منها إنجازها .

تمارس قدمات قيادة المدفعية السيطرة المركزية على العتاد بدرجة كبيرة أعلى من درجة هذه الممارسة في نظام الجيش الأمريكي في معدلات إعادة الإملاء المتوفرة . وبإمكان آمري المدفعية في كل قدمة من قدمات القيادة تحديد صرفيات العتاد ليس في عملية إعادة الإملاء فحسب بل أيضا في عدد الإطلاقات المطلوب رميها في أية مهمة نارية منفردة .

ينفذ توجيه النيران عادة في مستوى فوج المدفعية ، وتكون الوحدات النارية عادة في المواضع بحجم ـ بطرية مؤلفة من (٤ ـ٦) مدافع في كل موضع . ولكل مستوى سيطرة مدفعية إمكانية حشد الوحدات النارية كافة ضمن المدى للهدف المراد معاقبته أو حسب طلب الراصدين الأرضيين ، وتستخدم المراصد الجوية بشكل نادر .

تدار الخطة النارية وأسبقية النيران وأساليب مهاجمة الأهداف وتخصيص الوحدات النارية لقوات المناورة المسندة في كل مستوى من مستويات القيادة على الغرار نفسه المتبع في جيش الولايات المتحدة الأمريكية والجيوش الغربية .

يقوم الآمر المدفعي الصهيوني في كل مستوى أيضا بدور ضابط الركن المدفعي على وفق مستوى قيادة المناورة، أي آمر فوج المدفعية في مستوى لواء المناورة وآمر لواء المدفعية في الفرقة وقائد فرقة المدفعية مع قائد الفيلق أو قائد الجبهة .

اصبح السلاح القياسي الرئيس في المدفعية الصهيونية هو مدفع أو قوس ١٥٥ ملم ذاتي الحركة . وان التطور المهم الذي حصل منذ عام ١٩٦٧ كان في مجال ثقل القنبلة وزيادة المدى في المدفعية . وتمثل المشتريات من مدافع ١٧٥ ملم زيادة في المدى ، ومن أقواس ٨ عقدة زيادة في القوة النارية ، وتعد هذه مثالا لهذا التطور الكبير . وبشكل إضافي ، طور الجيش الصهيوني ونشر على نطاق واسع مدافع الهاون ذاتي الحركة من عيار (١٢٠ملم و ١٦٠ملم) ، كما وزيد عدد مدافع عيار ١٥٥ملم ذاتي الحركة لضمان القوة النارية للإسناد القريب للصنف المسند وتوسيع مدى عمله .

والتي حفزت على هذا التطور ، كانت الحاجة الماسة لتامين إسناد ناري سيار لعناصر المناورة ولمواجهة فوائد المدى السابق لمدفع الميدان عيار (١٢٢ملم) السوفيتي الذي يعد السلاح العربي القياسي والمؤثر . ويجب أن يدرك جيدا بان المواقف الدفاعية التي واجهها الكيان الصهيوني خلال (حرب الاستنزاف) ، أظهرت الحاجة إلى منظومة سلاح ملائم لضمان إسكات مختلف أسلحة مقاومة الطائرات وبضمنها مواضع منظومات (سام) على الضفة الغربية من القناة من دون تعرضها هي لفعاليات القصف المقابل . كانت طبيعة الأرض في مرتفعات الجولان وسيناء لصالح هذه التطورات في تحقيق إمكانيات تامين ضربات انتقامية دفاعية وبشكل مؤثر خلال (حرب الاستنزاف) .

يجب أن يلاحظ أيضا بان الجيش الصهيوني طور من استخدام منظومات الأسلحة السوفيتية التي استولى عليها في حرب عام ١٩٦٧ بشكل مؤثر ضمن بناء قواته المدفعية ، حيث ادخل المدافع من عيار (١٢٢ملم و ١٣٠ ملم و ١٤٠ملم والقاذفات الأنبوبية من عيار ٢٤٠ ملم) كلها في الهيكل التنظيمي لمدفعيته لمضاعفة قدراتها .

اتخذت الإجراءات نحو زيادة قابلية حركة المدفعية ، وذلك بإخراج الأسلحة المسحوبة وبشكل خاص المدفعية خفيفة العيارات . كما جرى تطوير التدريب

وتحسين تنظيمات المدفعية خلال السنوات الست الماضية، مع تأكيد زيادة قابلية الحركة ، لإسناد القوات الضاربة المدرعة ، وإتاحة الفرصة للانفتاح واعادة الانفتاح لاكثر من (١٢) مرة خلال يوم واحد لتجنب تعرضها لنيران القصف المقابل . وعلى كل حال، هناك تقارير تشير إلى أن السياقات الفنية وآليات المدفعية مازالت غير متقنة ، لنستعمل مصطلحات رجال المدفعية.

تجهيز وتنظيم المدفعية المصرية والسورية

كانت المدفعية المصرية والسورية مؤلفة من أفواج من مدافع وأقواس مسحوبة ومن العيارات التالية : ٨٥ملم و١٠٠ملم و١٢٢ملم و١٥٢ملم و١٨٠ملم . وكان لدى المصريين والسوريين إضافة إلى ذلك ، أفواج من قاذفات أنبوبية من عيارات : ١٢٢ملم و١٤٠ملم و٢٤٠ ملم ، وكذلك افوج من مدافع الهاون من عيارات : ١٢٠ ملم و١٦٠ ملم م٢٤٠ ملم ، وكذلك صواريخ ارض-ارض من نوع (فروك ــ٣ و فروك ــ٧) . سمحت منظومات الأسلحة هذه بإمكانية حشد كميات كبيرة من القوة النارية واطلاقها لأي مدى ضمن (٢٠) كم ، ومشاغلة تجمعات أهداف ثابتة بصواريخ ارض ــ ارض لمديات تصل إلى (٧٠) كم من مواضع الرمي .

وعند حساب الأرقام الكلية ، كان لدى المصرين اكثر من (١٥٠٠) فوهة مدفع ، وكان لدى السوريين ، وكحد أدنى (٨٠٠) فوهة مدفع . كانت هذه الأسلحة كلها مسحوبة باستثناء عدد قليل من مدافع ١٢٢ملم مركبة على بدن دبابة تي ــ٣٤ لدى الجيش السوري إضافة إلى مدافع الصولة الخاصة بمقاومة الدبابات أيضا .

كان لكل لواء مناورة فوج مدفعية عضوي ضمن الهيكل التنظيمي للواء ، وللفرقة كتيبة مدفعية أيضا . وهذا يعني بالنتيجة وجود من (٦ ــ٨) أفواج مدفعية في كل فرقة ، على وفق عدد ألوية المناورة وتنظيم كتيبة المدفعية . كانت لدى فرقة المشاة المصرية بحدود (٥٠) فوهة مدفع . كما وكانت لدى المصريين والسوريين مدفعية إضافية على شكل ألوية مدفعية . وعلى الرغم من أن العقيدة السوفيتية تؤمن فرق مدفعية ، إلا أن أيا من هذه التشكيلات لم تجر ملاحظتها ضمن البناء التنظيمي للقوات العربية في الوقت الحاضر .

ولو أن السوريين والمصريين ربما ليس لديهم تنظيم فرقة مدفعية للقوة الكلية لجيوشهم ، إلا انهم اعتنقوا العقيدة التعبوية والمعدات السوفيتية أساسا . وكان همهم الرئيس هو تملك أعداد هائلة من وحدات المدفعية ، ويخصص قسم منها لكل قدمة ، ومع كل قدمة تمارس أعلى درجات السيطرة المركزية على الموارد المدفعية المتيسرة لتلك القدمة .

استخدمت المدفعية لإنجاز جميع أنواع المهمات الاعتيادية ، وضمان النيران الثقيلة وبحجم هائل مع مراعاة الدقة التامة ليس بهدف ضمان الإسناد الناري القتالي فحسب ، بل كونها صنفا قتاليا حاسما سواء في العمليات التعرضية أم الدفاعية . كان التأكيد منصبا على التجمعات النارية المخطط لها مسبقا بشكل رئيس ، وفي أنواع العمليات القتالية كافة، والتي يمكن تنسيق أنواع العيارات لمختلف أنواع الأسلحة المتيسرة. كانت المدفعية تؤدي مهمات القصف المقابل ومقاتلة الدروع إضافة إلى وظائفها الرئيسة .

استخدام المدفعية في حملة مرتفعات الجولان

بدأت المدفعية السورية بتنفيذ مناهج نيران القصف التمهيدي بنطاق كبير جدا لإسناد الهجوم الأولي يوم ٦ تشرين في الساعة ١٤٠٠ بالتوقيت المحلي ، من مواضع تصل إلى عمق (١٥) ميلا داخل الأراضي السورية ، وكانت على شكل رشقات وبفاصلة دقيقتين اثنتين بين رمية وأخرى . كان هجوم المدفعية الأولى بحجم كبير جدا ، وقدر عدد المدافع المشتركة في الهجوم بـ(٦٠٠) مدفع، ميدان ومتوسط وثقيل العيار ، مؤلفة من (١١٥) بطرية ، إضافة إلى اعداد كبيرة من الصواريخ الأنبوبية وصواريخ ارض – ارض من نوع (فروغ –٣) و(فروغ–٧) .

استخدم السوريون مدفعيتهم خلال حملة مرتفعات الجولان على غرار الطريقة السوفيتية التقليدية ، حيث كانت تسبق هجمات الدروع والمشاة سدود نارية ثقيلة على المواضع الصهيونية .

كانت المدفعية السورية تعاني عدة معضلات في مجال الارتباط والتنسيق وتعديل وحشد النيران إضافة إلى القوة الجوية الصهيونية والأعمال المقابلة من المدفعية الصهيونية . تفاقمت معاناة سوء الارتباط والتنسيق في المراحل

المتأخرة ، نتيجة عدم وجود قوة وطنية واحدة أو آلية سيطرة ملائمة لتامين التنسيق الضروري. وكنتيجة لذلك ، وكحد أدنى في حالة واحدة ، قصفت المدفعية الثقيلة السورية اللواء المدرع/ ٤٠ الأردني ، وتعرض هذا اللواء نفسه إلى القصف من الطائرات العراقية .

كان الرصد بالنسبة للسوريين معضلة ، ولم يكن اقل صعوبة بالنسبة الصهاينة. وعلى كل حال ، حقق السوريون مسك موقع رصد حيوي على جبل الشيخ في المراحل المبكرة من الحملة . ولجني الطاقات الكامنة لهذا المفتاح الرئيس وبشكل ملائم ، اعتمد السوريون على ممارسة رمي قنابل الفسفور الأبيض لتأشير الأهداف خلال عملية تعديل النيران لمساعدة مراصدهم البعيدة ، ومن ثم معاقبة هذه الأهداف بسدود نارية كثيفة ودقيقة تنزل على الأهداف على شكل نماذج متماسكة . حاول الصهاينة ذلك من دون جدوى ، وحتى السوريون وعلى الرغم من قدرة الراصد على تعديل النار فقط بفوج واحد، إلا انهم عانوا عدم القدرة على حشد كميات كبيرة من الأسلحة من دون توزيع عدة مراصد على الأرض التي سوف تسمح للجميع بتعديل النار على الهدف نفسه . من الواضح عدم وجود القدرة على توجيه النيران بشكل مركزي ، كما ولم تسمح قنوات المواصلات الخاصة بالمدفعية من وجهة النظر الفنية على تحقيق هذا الغرض . اعتاد السوريون استخدام المراصد الجوية إضافة لاختيار أراض حاكمة لفتح مراصد أرضية عليها ، ولكن كانوا يعانون من التحديدات نفسها التي عاناها الصهاينة .

عانت المدفعية السورية من الهجمات الجوية والمدفعية الصهيونية ، وكانت هذه المعاناة واضحة لرجال الأعلام الذين قدموا تقارير تشير إلى ترك كميات كبيرة من المدفعية والمعدات الأخرى في ميدان المعركة بعد أن أجبرت القوات السورية على الانسحاب من المناطق التي احتلوها من مرتفعات الجولان . دمر العديد من ساحبات المدافع وكانت المدافع السورية مازالت مربوطة فيها ضمن الارتال .

ومع كل ذلك ، لم تمنع هذه المعا ضل السوريين من صب كميات كبيرة من نيران معدلة وبشكل دقيق جدا على الأهداف . لوحظ بان الاطلاقات الافتتاحية للمدفعية السورية كانت تقع ضمن (٥٠٠) م ، وكان التعديل يتم خلال ثوان ،

حيث يؤمن حصر الهدف ضمن حاصرتين بشكل سريع جدا . ففي منطقة قرب (سعسع)، حققت المدفعية السورية إصابات مباشرة على عجلتي عتاد صهيونيتين. وهكذا ، فمن العدل الافتراض بان رجال المدفعية سواء أكانوا من العاملين في مواضع المدافع أم في مواقع الرصد كانوا بحق ماهرين في أداء أعمالهم ومدربين بشكل جيد . ويعود الفضل إلى هذا الصنف في الجيش السوري الذي على أكتاف رجاله تحقق إيقاف الهجوم الصهيوني على (سعسع) خلال المدة من (١٣ ــ ١٤) تشرين .

استخدم السوريون صواريخ ارض ــ ارض من نوع (فروغ ــ ٣) و(فروغ-٧) ، المجهزة لهم من قبل الروس ، في الهجمات على أهداف بعيدة المدى مثل المستوطنات والمواقع الحدودية داخل الكيان الصهيوني . وعلى الرغم من محدودية الأهمية العسكرية لهذه الهجمات ، إلا إنها كان لها تأثير نفسي كبير في المواطنين . أطلق اكثر من (٢٠) صاروخ ارض ــ ارض باختلاف درجة دقتها ، وحققت نتائج من التدمير بدرجة متفاوتة. وكحد أدنى ، دمرت هجمتان منها ستة أبنية في مستعمرة (جيفات كيبوتز) ومدينة (مجدل حاميك) . فشلت هذه الأعمال من تحقيق أية نتائج تعبوية ، لذا يجب أن يؤخذ بالحسبان كمجهود ستراتيجي للسوريين في محاولة لتثبيط معنويات الصهاينة .

يقدر حجم مدفعية الميدان الصهيونية المفتوحة بشكل أولى تحت قيادة المنطقة الشمالية عند اندلاع الحرب بـ(١١) بطرية . كانت المدفعية الموضوعة في الجبهة مفتوحة في مواضع بحجم ــ بطرية مؤلفة من (٤ ــ ٦) مدافع . وخلال الأسبوع الأول من الحرب ، وصلت قوات المدفعية ضمن الجيش الصهيوني في جبهة الجولان إلى أقصى حد ممكن لها ، والذي قدر بـ(١٥) فوجا أي بحدود (٢٠٠) فوهة مدفع وقوس من عيارات متباينة ، كما قدر عدد الهاونات المفتوحة في هذه الجبهة بـ(٣٠٠) مدفع هاون .

استخدمت مدفعية الميدان الصهيونية بدورين خاصين إضافة إلى أدوار مدفعية الميدان الاعتيادية في إسناد وحدات المناورة الأرضية وعمليات القصف المقابل . الأول ، كان في استخدامها لتأشير الهدف للقوة الجوية . وذلك بتأشير الاهداف بنيران المدفعية ، وهكذا فان القوات الجوية الصهيونية كانت قادرة على تقليل مدة تعرض طائراتها فوق الاهداف المعادية وذلك بتشخيص دقيق للهدف

وبشكل فوري واستمكان الهدف بدقة . وبذلك تمكن طيارو المقاتلات ـ القاصفة من القوة الجوية الصهيونية من مهاجمة الاهداف ، وإلا لكانوا بحاجة إلى مسيطري النار المحمولين جوا . والثاني ، وخلال المراحل الأخيرة ، جرى استخدام مدافع عيار ١٧٥ ملم ذات المديات البعيدة في مهمات التجريد ـ والتدمير إضافة إلى تثبيط المعنويات من خلال مهاجمة مواقع المخازن العسكرية في ضواحي العاصمة السورية ، دمشق . اخبر رجال الأعلام الأجانب بسماعهم انفجارات ثانوية ومشاهدتهم نيرانا في المناطق الجنوبية من المدينة بعد تجمعات نارية للمدفعية الصهيونية على هذه المناطق .

كانت المعضلة الرئيسة التي واجهتها مدفعية الميدان الصهيونية في جبهة مرتفعات الجولان هي نقص العتاد ، وفاعلية نيران القصف المقابل المعادي وبتجمعات كبيرة ، والهجمات الجوية المعادية اليومية والتي كانت تشن مع الغسق، حيث لم تبق المقاتلات الصهيونية محلقة في الجو، ومعاضل الإدامة لبعض منظومات الأسلحة الأمريكية الناتجة من قصور في الزيوت ، ومعاضل الرصد الناتجة من طبيعة الأرض وبيئة الدفاع الجوي المعادي .

برز النقص في الاعتدة بشكل رئيس في منظومات الأسلحة الأمريكية التالية: مدافع ١٥٥ملم ذاتي الحركة ، واقواس ٨ ـ عقدة ، ومدافع ١٧٥ ملم . وفي بعض الأحيان ، كانت القنابل الخاصة بمدافع ١٧٥ ملم تنقل بشكل مباشر من طائرات النقل الأمريكية في الجسر الجوي إلى مواضع البطريات لاجل رميها . استخدم الجيش الصهيوني نظام تخصيص مركزيا لضمان توفر الاعتدة ، والتعويض بشكل مرتب وكفء ، حيث تمت السيطرة على التخصيص في مستوى مقر الجيش والجبهة ومقرات الفرق من قبل آمري المدفعية في هذه المستويات . اشرف أمرو المدفعية في مستوى اللواء والفوج على طلبات الرمي بالأجهزة اللاسلكية ، ويخصص عدد الاطلاقات التي على البطرية صرفها خلال مشاغلتها الهدف . اخبر عن محدودية أنواع معينة من الاعتدة وخيارات الصمامات أيضا .

كانت بيئة القصف المقابل فعالة من كلا الجانبين ، وغالبا ما تسند بهجمات جوية . تعلمت وحدات المدفعية الصهيونية من الصراعات السابقة في (حرب الاستنزاف) ، من أن وحدات المدفعية ستكون واهنة أمام هجمات القصف المقابل

المكثفة . ولتقليل مثل هذا الوهن ، دربت وحدات الجيـــش الصــــهيوني بصـــورة شاملة على السرعة في آلية دخول الموضع والخروج منه .

خصصت لهذا النوع من التدريب حصص كبيرة جدا ، طالما أن عددا ضئيــلا جدا من المدفعية الصهيونية تعرضت للعطب والتدمير نتيجـــة هجمــات القصــف المقابل السورية . اعتمد هذا الفن في ســـرعة الانفتــاح فـــي كلتــا الجبـــهتين ، فأصبحت إمكانية مألوفة لكل وحدة مدفعية بمستوى بطرية من الانفتاح اكثر مـــن (١٢ ــ١٥) مرة خلال اليوم الواحد .

اعتمد الرصد في مرتفعات الجولان بدرجة كبيرة علـــى احتــلال الأراضـــي الحاكمة . برهن فقدان عارضة جبل الشيخ في المراحل المبكرة من الحرب ، علـى أنه العامل المهم في هذا المجال . وهكذا أصبحت التلال الأقـــل ارتفاعــا مواقــع مناسبة للرصد الصهيوني لتعديل نيران المدفعية . جـــرت محـــاولات لاســـتخدام المرصد الجوي في المراحل المبكرة من الحملة ، إلا أن فقدان الراصد والطـــائرة من جراء منظومات الدفاع الجوي السورية ، أدى إلى اتخاذ قرار ســـريع بإنـــهاء مثل هذه المحاولات . لم يستخدم الرصد بـــالرادار لمســـاعدة الراصديـــن علـى الأرض، حيث شعر الصهاينة بوهن هذا الأسلوب تجاه القصف المقابل بتجمعـــات كبيرة في بيئة الحرب الإلكترونية . لذا ، كان الرصد الأرضي هو المصدر الرئيـس لجمع المعلومات عن أهداف المدفعية، وهكذا اعتمد هذا الأســـلوب فـــي الجيـش الصهيونـي بصرف النظر عن تحديدات الأرض .

استخدام المدفعية في حملة سيناء

من المحتمل أن يصل عدد المدافع المشتركة ضمن الانفتاح الأولى لمدفعيـــة الميدان الصهيونية التي كانت تحت قيادة المنطقة الجنوبيـــة إلـــى (٢٠٠) فوهـــة مدفع ، ميدان وقوس ، وعدد مقارب إلى هذا العدد من مدافع الهاون . خصصـــت هذه الأسلحة لإسناد المواضع الحصينة للصنوف المشتركة ، والتي كـــان عددهـــا (٢٠) موضعا ، أعدت في أماكن على بعد (١٠) كم شرق القنـــاة وعلـــى طرفـــي الطريق المعروف بـــ(طريق المدفعية) ، وكان من المؤمل تامين الإسناد النـــاري لمواضع خط بار ليف من خلال إمكانيتها على تغطية طول قاطع القناة بـــالنيران . وبجانب وحدات من الدبابات والمشاة والدفاع الجوي ، خصص لكل موضع حصين

من بطرية إلى ثلاث بطريات . تحتوي هذه المواضع على أنواع متباينة من مدافع بعيارات مختلفة وبضمنها وحدات من مدافع الهاون .

حالما بدأ الهجوم يوم ٦ تشرين ، استجابت هذه القواعد وبالأخص بالمدفعية، إلا إنها فقدت بسرعة عامل الرصد القريب الذي كان شاغلو خط بار ليف مسؤولين عن تأمينه . وابتداءا من هذا الوقت فصاعدا ، أدت المدفعية وظائفها في تامين الاسناد الناري بشكل رئيس إلى القوات البرية السيارة . كانت المهمة الخاصة التي قامت المدفعية بتنفيذها في سيناء هي التجريد بمدافع من عيار ١٧٥ ملم ذات المدى البعيد ، وذلك بمهاجمة الجسور ومواقع العبور المستخدمة لإسناد عملية عبور المصريين قناة السويس . واستمرت هذه المهمة لغاية يوم ١٠ تشرين كحد أدنى ، عندما زار رجال الاعلام الأجانب مواقع الجسور المصرية وشاهدوا القنابل الصهيونية الساقطة في المنطقة . وعلى كل حال ، لم يكن هناك ما يشير إلى تعرض هذه الجسور لتدمير نتيجة هذه النيران، وحتى إلى أصابتها بالعطب بشكل جدي .

هيأ المصريون كما كانت الحالة في الجبهة السورية ، خططا مفصلة لحشد الأسلحة الضرورية لإسناد عملية العبور على قناة السويس ، متبعين الطريقة السوفيتية ، وذلك باعتماد سدود نارية ثقيلة . صرح رئيس هيئة الأركان المصرية في لقاء مع الإذاعة المصرية ، بان المصريين استخدموا اكثر من (٢٠٠٠) فوهة مدفع في المراحل المبكرة من العبور لتدمير وإسكات الرشاشات ومواضع المدفعية الصهيونية المنتشرة على القناة، ومكنت هذه النيران المشاة المصريون من العبور بأقل الخسائر الممكنة. ساندت المدفعية الهجمات الأرضية الرئيسة كافة ، وبأضخم حجم ممكن من النيران ، حيث كانت الاهداف تهاجم ليس بأقل من أربعة أسلحة في آن واحد وعادة بكميات كبيرة وبالرشق ، وبفاصلة ثوان بين رشقة وأخرى .

لم تظهر معضلات ذات أهمية لأي من الجانبين في سيناء ، والتي لم تجر مناقشتها ضمن حملة مرتفعات الجولان .

النفير الصهيوني

خلال مدة من(٤٨ ـ٧٢) ساعة ، كونت قوة احتياطية بحدود (٢٧٤٠٠٠) شخص من الرجال والنساء ، وهذا لا يعني تجمع هذه القوة فحسب ، بل وصولها إلى أماكن انفتاحها للدفاع عن الكيان الصهيوني .

يؤدي كل شخص (ذكرا أو أنثى) ، سالم صحيا في الكيان الصهيوني باستثناء المواطنين العرب ، الخدمة العامة حال إكماله سن (١٨) من العمر ، وعادة تكون مدة الخدمة الفعالة للرجال (٣٦) وللنساء (٢٤) شهرا ، تتبعها خدمة احتياط في الخط الأول . تتطلب أداء خدمة الاحتياط، الالتحاق بالتدريب لمدة (٣) أيام / كل شهر ، وخدمة فعالة سنويا لمدة (٣٥) يوما . إن الهدف من احتياط الخط الأول هو الالتحاق بالوحدة خلال (٢٤) ساعة من إعلان النفير ، والانفتاح في الجبهة خلال (٤٨) ساعة . في الواقع إن تحقيق مثل هذا الهدف يتطلب تنظيما دقيقا ومنسقا ، كما وينبغي أن يلاحظ أن التواجد في منطقة حربية ضمن (٢٠٠) ميل بالنسبة لأية وحدة معينة يؤمن حافزا" ضروريا .

تقدم هيئات الاستخبارات تقارير مكثفة عن تكامل القوات المعادية في مناطق سيناء ومرتفعات الجولان تمهيدا لاتخاذ القرار بصدد النفير . فقد انذر موشي دايان ، وزير الدفاع الصهيوني يوم ٢٦ أيلول ، القوات المسلحة في كلتا الجبهتين. وبعد (٣) أيام ، اصدر أوامره إلى اللواء المدرع السابع للعودة إلى مرتفعات الجولان من منطقة بئر السبع . وتبعا لتطور التهديد ، كانت هناك ثلاثة خيارات :

(١) هو إمكانية إصدار الأوامر بصدد النفير الفوري للقوات الاحتياطية لمواجهة التهديد . إلا أن الذي يمنع من اتخاذ مثل هذا العمل هو قيام العرب بتمزيق خطوط وقف إطلاق النار أو يخدم في التعجيل في رفع شدة الموقف . وقد يختار العرب لمواجهة هذا العمل بالتوقف من القيام بأي عمل . إن تبني هذا الخيار سوف يكلف الكيان الصهيوني بالتأكيد . فقد كلف إعلان سابق للنفير في ٧ أيار الكيان الصهيوني بحدود (٤.٥) مليون باوند . فبالإضافة إلى

الكلفة العسكرية ، ستواجه الكيان الصهيوني كلفة إدامة الاقتصاد مـــن دون القدر الكافي من الأشخاص الضروريين للقيام بوظائفــهم . إن شــعب مثــل الشعب الالكيان الصهيونيي ، الذي عليه مديونية قومية تصل إلـــى (١٦٠٠) مليون باوند ، وتصل فوائدها إلى (١٠٠) مليون سنويا ، يتعذر عليه تحمــل عبء الاضطراب في اقتصادياته.

(٢) يدعو الخيار الثاني إلى ضربة استباقية .انه مـــن الواضـــح أن مثـل هـذا التحرك سيؤدي إلى تشويه صورة الكيان الصهيوني بشكل كبير، في الوقـــت الذي ترغب في تصوير نفسها أمام العالم بأفضل شكل ، مـــن دون تحقيـــق النتائج المرجوة في ضوء التكامل العربي في الدفاع الجوي وبنـــاء ملاجـــئ الطائرات . وسوف يواجه هذا العمل الاستنكار من روســـيا ، وقـــد يـــؤدي (بموقف الحياد) الأوربي إلى الاضطراب والتغيير . إن أثار مثل هذا العمـــل ، ربما يؤدي إلى تدمير الكيان الصهيوني على المدى البعيد ، بينما يؤدي إلى إنقاذها على المدى القريب .

(٣) إن البديل الآخر المطروح أمام صانع القرار هو (عدم القيام بـــأي عمـــل) . وهذا يعني توقع الضربة ، ومن تجارب الماضي ، يمكن صد الهجوم وفرض خسائر فادحة على العدو . إن الثقة بالقوات المسلحة العاملة والمتيســـرة ، وكذلك بالقوات الاحتياطية كانت ومازالت عالية جدا وبالتأكيد.

صدرت الأوامر بالنفير في الساعة ٠٨٣٠ مـــن يـــوم ٦ تشـــرين ١٩٧٣ ، وحصل بعض التأخير ، بحدود (٢٤) ساعة للقوات الاحتياطية لمواجهة الـــهجمات الأولية . كانت الوسيلة الاعتيادية التي استعملت للإعلان عن مثل هذا العمل هـــي الإذاعة . وعلى كل حال ، كان هذا اليوم هو (يوم الغفران) ، وهو عيد ديني كبـــير لدى اليهود . سهل (عيد الغفران) ، وساعد على سرعة تبليغ الإعـــلان ، طالمـــا كان الناس أما في دورهم أو في المعابد الدينية اليهودية . ينبغي الإشـــارة إلـــى عدم استدعاء عدد من القادة الاحتياط والاحتفاظ بهم حسب تطور الموقف وقبـــل إعلان النفير بالإذاعة . في البداية ، وصلت الأنباء ممزوجة بنوع مـــن المشـــاعر والعواطف، بعضهم فكر بان هذا الإعلان ما هو إلا وسيلة لممارسة النفير ولكـــن

بطريقة هزيلة ، بينما الآخرون تسابقوا إلى نقاط التجمع المخصصة لهم بـــأمل أن يخيب ظنهم فقط ويعودوا إلى دورهم بعد التأكد من أن وحداتهم لم يجر تشـكيلها . وحالما انتشرت الأنباء الحقيقية للهجوم في الساعة ١٤٠٠ ، حـــاول كثـير مـــن الاحتياط الذين لم يلتحقوا بوحداتهم ، الانضمام إلـــى وحـدات أخـرى فـي دور الانفتاح. بدأ الشعور بأهمية العمل العاجل من الكثيرين لحراجـــة الموقـــف . قـــام متطوعون مدنيون بنقل القوات الاحتياطية ، واخرون انشأوا فـــرق للخدمـــة فـــي المستشفيات ، وابدوا استعدادهم لأية وظيفة مهما كان نوعها لمساعدة وطنـــــهم . استدعي الأطباء للخدمة العسكرية ، وعملوا على توسيع الخدمات الطبية وقبـــول الطلبات العاجلة والفورية .

وبشكل عام ، فان تعبئة الرجال كانت ناجحة ، ولكن ليس من دون نوع مـــن الإجبار لاستخدام وسائل التنقل المدنية ، كما وكان هناك الكثـــير مـــن الحـــوادث المؤسفة في ما يتعلق الأمر بتعبئة المعدات المدنية للأغراض العسكرية . لم تتوفر ناقلات الدبابات بالعدد الكافي لنقل بعض الوحدات إلى سيناء . كـــان علـــى فرقـــة الجنرال شارون أن تسوق على السرفة من بئر السبع إلى الجبهة . ولم يؤد ذلـــك إلى تقصير عمر المحرك وتدمير حياته وصرف الوقود فحسب بل سبب في إصابـــة طوائف الدبابات بالإنهاك والتعب حال وصولهم . وعلى الرغم من الإنذار المســـبق الذي أصدره الجنرال موشي دايان ، لم يكن كثير من الدبابات مهيأ للقتال . حيـــث كانت مدافعها مازالت مشحمة ، كما ولم يجر تصفير نواظيرها . كان هناك نقـــص كبير في الوقود والعتاد . وكمثال غادر بعض الدبابات إلى الجبهات دون أن يكـــون فيها العتاد الكامل ، كما ولم تكن فيها الأنواع المتباينة من الاعتـــدة علـــى وفـــق الأهداف المتوقع مشاغلتها ولا سيما في الاشـــتباكات الأوليـــة . كـــانت أكثريـــة الدبابات محملة باعتدة ضد الدبابات ، بينما كانت الحاجة ماسة إلـــى قنـــابل ضـــد الأشخاص وبشكل خاص في جبهة سيناء . في بعض الأحيـــان لـــم يجـــر إكمـــال طوائف الدبابات . شكلت طوائف الدبابات وأرسلت إلى مرتفعات الجولان الا إنـــــها وصلت إلى هناك على شكل أفراد فقط . وعلى كل حال ، فهذا لا يعني تقليلا مـــن قيمة الطائفة أو أداء عمل الوحدة ، لان أداء الوحدة والطائفة كان جيـــدا نتيجـــة

المستوى العالي من التدريب في الجيش الصـــهيوني . كـــانت وحـــدات الدبابـــات والاستطلاع تفتقر إلى النواظير الميدانيـــة والمدافـــع الرشاشـــة . تـــم الالتحـــاق بالوحدات وهي في حالة تبادل المعدات وكانت غير متكاملـــة . والتحـــق آخـــرون بوحداتهم التي كانت تنتظر معداتها وهي في حالة التنقل إلى المناطق الأماميـــة . وكانت المعدات تتنقل إلى الأمام بشكل غير منظم.

إلا إن الحقيقة تبقي هي إن احتياطات الخط الأول جرى تعبئتها خـــلال (٢٤) ساعة على الرغم من كل المعضلات التي واجهوها . كما وكانت للاحتياطات الدور الفاعل في إيقاف السوريين أخيرا في القاطع الجنوبي من مرتفعـــات الجـــولان . حيث بدأت الفرق الاحتياطية بالهجوم المقابل على مرتفعات الجولان مع الســـاعات المبكرة ليوم ٨ تشرين ، أي بعد(٤٨) ساعة من إعلان النفير .

الفصل الثاني

وجهة نظر بريطانية سياسية في حرب تشرين ١٩٧٣

بقلم

اليزابيث مونرو

المعهد الدولي للدراسات الستراتيجية

كما وردت بأوراق ادلفي الرقم ١١١

بين الحــــرب ين

الحدود والشعب [١]

يتمثل جوهر القضية العربية - الصهيونية في الوقت الراهـــن ، فـــي أن الفلسطينيين في ارجار العالم يبغون العودة إلى وطنهم الام . لكـــن هـــذا الوطـــن مجزء، فقسم منه يمثل دولة الكيان الصــــــهيوني ذا الســيادة بموافقـــة دوليـــة ، والمتبقي احتله الكيان الصهيوني منذ حرب الايام الستة سنة ١٩٦٧ ويتألف هـــذا الجزء من المناطق التي تقع تحت الادارة الصهيونية : الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة (وفيها الفلسطينيون العرب المنادون بالتحرر من السيطرة الصهيونية وبناء دولتهم العربيـــــة) ومرتفعـــات الجـــولان وســـيناء (وفيـــهما الســـوريون والمصريون على التوالي). هذا فضلا على احتلال الكيان الصهيوني القسم العربـــي من القدس سنة ١٩٦٧ ، والى هذا القسم ينظر الكيان الصهيوني نظرة خاصـــــة ، حيث امتد الاستيلاء ليؤلف القدس الكبرى سنة ١٩٦٨ . وقد اعدت الأمم المتحـــدة أن كلا الاستيلاءين غير شرعي ويجب أن تعاد الأراضي المســـــتولى عليـــها إلـــى الفلسطينيين[٢] . [٣]

---

١ بودنا الاشارة إلى أن التعابير والمصطلحات والصفات والنعوت المستخدمة في هذا الفصل هي لغة البحث الاصلية ولا تعبر بالضرورة القطعية عن رأي بيت الحكمة .

٢ نتيجة لحرب ١٩٧٣ ، استعادت مصر قناة السويس ، إلا أن الكيان الصهيوني تمكن من القيام بتقدمـين مهمين في مصر وجنوبي سورية . وقد ادت اتفاقات وقف اطلاق النار التي فرضها توافق ارادة القـــوى العظمى ، ومباحثات الدكتور هنري كيسنجر ، إلى إعادة قطاع من سـ ناء الغربية إلى مصر وجزء مـــن مرتفعات الجولان إلى سورية وكانت هذه الأراضي المسترجعة أكثر مما خسره الكيان الصهيوني خـــلال القتال.

٣ استعادت مصر فيما بعد كامل شبه جزيرة سيناء نتيجة لاتفاقات كامب ديفيد

يبلغ عدد الفلسطينيين العرب نحو ٢,٥ مليون نسمة[١] . ومن هؤلاء يؤلف اللاجئون نسبة كبيرة وهم يحصلون على عيشهم من المؤن التي توزعها بينهم الأمم المتحدة أو الدولة الاردنية . ومن العرب الفلسطينيين الاخرين الفصائل الانتحارية للفدائيين من منظمة التحرير الفلسطينية . وهناك اعداد كبيرة من الفلسطينيين العرب يعملون في خدمات الدولة ومشاريع الشركات في الدول العربية الأخرى .

إن أي شخص يعرف فلسطين قبل ١٩٤٨ ويعرف الكيان الصهيوني الآن، يدرك أن فرص الفلسطينيين العرب للعودة إلى وطنهم الام ضئيلة جداً . فالكيان

---

١ لا يمكن الحصول على احصائية رسمية عن عدد الفلسطينيين الموجودين في المنفى (خارج الأراضي الفلسطينية) وعن الزيادات في الولادات حيث تتباين التقديرات . وحتى الارقام التي تعطيها وكالة العمل والغوث التابعة للامم المتحدة (UNRWA) يجب أن تعد ارقاماً تخمينية بسبب عدم الاخبار عن الوفيات والمفقودين من معسكرات اللاجئين . . . الخ وضمن الدول العربية المجاورة للكيان الصهيوني مباشرة يكون التوزيع التقريبي كالآتي :

الاردن	٨٠٠٠٠٠ - ٩٠٠٠٠٠
سورية	٢٩٧٠٠٠
لبنان	٢٠٠٠٠٠
مصر	٢٢٠٠٠ (معظمهم في سيناء) .

ويعيش نحو (٢٣٥) ألف فلسطيني في اقطار عربية أخرى حيث يعملون فيها وأكثر من نصف هؤلاء في الكويت . وربما يعيش (١٦٥) ألفاً اخرين خارج الوطن العربي . والاحصائيات الصهيونية لسنة ١٩٧٣ تشير إلى أن الارقام بالنسبة لقطاع غزة وشمالي سيناء (٣٩٠) ألفاً والضفة الغربية (٦٣٩) ألفاً ووجود (٧٠) ألف عربي في القدس القديمة ، ويبلغ عدد السكان غير اليهود داخل الكيان الصهيوني في سنة ١٩٧٢ (٤٦٧) ألف نسمة بضمنهم (٣٨٧٠٠) من الدروز.

(هذه الاحصائيات تعود إلى عقد السبعينات عند اشتعال الحرب العربية الصهيونية في تشرين ٧٣) . ولاغراض المقارنة نبين في ما يلي اعداد الفلسطينيين حسب آخر التقديرات : قطاع غزة ١,١١٢,٦٥٤ الضفة الغربية ١,٦١١,١٠٩ في داخل الكيان الصهيوني ١,١٤٩,٩٥٢ حسب تقديرات الوكالة المركزية المنشورة (المترجم)

الصهيوني دولة يقطنها بشكل سائد المهاجرون اليهود الذين تبلغ كثافتهم أكثر من (١٥٠) فرداً للكيلومتر المربع الواحد .

إن الفلسطينيين العرب الذين نزحوا من المدن الساحلية لفلسطين قد لايستطيعون التعرف على مدنهم الآن لأنها تغيرت جذرياً بسبب المباني الكونكريتية العالية متعددة الطبقات والتي اعدت لاسكان اليهود الجدد القادمين إلى الكيان الصهيوني . وبالمقابل ، فإن المناطق (العربية) التي أصبحت تحت الادارة الصهيونية ، بقيت مسكونة بغالبية من العرب حيث أنشأ الصهاينة مستعمرات يهودية تتراوح من اماكن منفردة (مواطئ قدم) محاطة باسلاك شائكة إلى مدن ومناطق صناعية اخذت تنمو بسرعة وقد توسعت القدس لتضم (بيت لحم) حيث احيطت بنطاق من الشقق الكونكريتية الجديدة التي غيرت بعضا من معالم المدينة القديمة . وفي المناطق الخاضعة للادارة الصهيونية ، يقوم الشباب (اليهودي) بسكنى المستعمرات الحدودية (الناحال) ، ويبدو الأمر كما لو أن الكيان الصهيوني يريد الاحتفاظ بها بصورة دائمة . في الفترة الواقعة بين الحربين ، أسس الكيان الصهيوني (٦) من هذه المستعمرات في قطاع غزة و (١٧) مستعمرة في مرتفعات الجولان و (٢٣) مستعمرة في الضفة الغربية . وهذا يعني أن حل القضية الفلسطينية لا يتضمن نقط تعيين الحدود الفاصلة (مع الكيان الصهيوني) وإنما أيضا مغادرة الاشخاص هذه المستعمرات . [1]

إن هذه العملية لا تكون معضلة كبيرة في سيناء ، إذ أن السكان قليلون جداً هناك بالنسبة لعددهم في مرتفعات الجولان ، حيث طرد ما يقرب من (٨٠٠٠٠) من العرب (الدروز) من مناطقهم بعد الاحتلال الصهيوني سنة ١٩٦٧ وتوجهوا إلى داخل (سورية) على وفق بنود اتفاقية وقف اطلاق النار التي توصل إليها بتوسط الدكتور (كيسنجر) في أيار ١٩٧٤ ، حيث سمح لبعض هؤلاء النازحين الـ (٨٠) ألف شخص بالعودة فوراً إلى الجزء الذي اعيد إلى

---

[1] تزايد عدد المستوطنات والمستعمرات الصهيونية كثيرا في الضفة العر. ة رقطاع غزة حيث تجاوز ما سمي بالخط الاخضر الذي يمثل خط الهدنة لعام ٤٩ بين العرب والكيان الصهيوني ، على الرغم من أن الموقف الدولي المعلن يشير إلى أن إقامة المستوطنات في الاراضي المحتلة عمل غير شرعي وغير قانوني . (المترجم)

الادارة السورية من الجولان . واستمر الكيان الصهيوني في إنشاء مستعمرات جديدة في المنطقة التي ظلت محتفظة بها وبلغ عدد المستعمرات الجديدة حتى الآن (١٢) مستعمرة(*) . ومع ذلك ، فإن معضلة السكان الذين طردوا من مناطقهم في مرتفعات الجولان لاتعد امراً كبيراً إذا ما قورنت بالمعضلة نفسها في الضفة الغربية المزدحمة بالسكان والطموحات .

تدخل القوى العظمى

(لو أن القوى العظمى تركتنا وحدنا ، نحن والعرب ، حيث عشنا معاً قرونا عديدة ، لكنا بالتأكيد قادرون على التوصل إلى تسوية على أساس عش واترك غيرك يعيش) . . . إن الصهيوني الذي يطرح هذه المقولة يناقض نفسه في اللحظة التالية لقوله هذا ، إذ إنه يقر بأنه لولا الدفعات الجوية من الأسلحة في تشرين الأول ١٩٧٣ ، لربما كان الكيان الصهيوني قد خسر الحرب ، ويقول إن فشلاً أمريكيا محدوداً في دعم الكيان الصهيوني في مجلس الامن يعدّ (ظاهرة مقلقة) .

ويمكن القول إن ضغطاً امريكيا أو أمريكيا سوفيتياً يمارس بشكل مباشر أو من خلال الأمم المتحدة قد يتيح تسوية لبعض الأراضي حتى لو كانت قصيرة المدى فباستخدام الضغط المشترك تمكن ممثلو القوتين العظميين من إقرار الانسحاب الصهيوني إلى الحدود التي كانت قائمة قبل حرب ١٩٥٦ والنجاح في التوصل الى وقف اطلاق النار في ٢٢ و٢٤ تشرين الأول ١٩٧٣ . إن تدخل القوى العظمى أمر لا بد منه للتوصل إلى وقف اطلاق النار أو مستوى فصل (القوات المتحاربة) ، وسيصبح امراً أكثر أهمية إذا ما صارت عملية صنع السلام امراً ملموساً . ولكن هشاشة الهدف الأخير تبدو معقولة لدى استذكار سياسات القوى العظمى في التسلح. وطالما أن الأطراف المتحاربة تعتمد على القوى العظمى في تسليحها وتحاول كسب رضاها في الحصول على أفضل الأسلحة ،

---

* بودنا الإشارة إلى أن العدو الصهيوني قد اصدر قراراً مطلع الثمانينات قرر بموجبه تطبيق القوانين (الصهيونية) على الجولان المحتل مما يعني من الناحية الواقعية ضم الجولان إلى الكيان الصهيوني ويبلغ عدد المستوطنين الصهاينة الآن في الجولان نحو (١٥٠٠٠ - ١٩٠٠٠ مستوطن) (المترجم) .

وتجد منها استجابة لذلك كسباً للمال ولتشغيل صناعتها الحربية أو لكلا الهدفين وتمويلها لتسلح بها الأطراف المتنافسة على الاراضي نفسها . فعند ذلك لا يمكن التوصل إلى إحلال السلام بين الجهات المتحاربة . وتقوم بعض القوى العظمى بتسليح كلا الجانبين . لذلك فإن ميزان الرعب الناشئ بهذه الطريقة قد يقلل من ميل كل من الصهاينة والعرب للمجازفة بالحرب الشاملة . ولكنه لا يوقف أيا من الجانبين من القيام بعمليات الاغارة . ومع وجود هذه الاسلحة بأيدي المنفيين الفلسطينيين البائسين . ومع وجود الكثير من الصقور في (الكيان الصهيوني) فإن تبادل الضرب والضرب المضاد قد أصبح امراً مألوفاً لكلا الطرفين[1] . وباستثناء النجاح الذي حققه مراقبو الأمم المتحدة في ايقاف عمليات الاغارة من كلا الجانبين في بقية سيناء ، فأن ممارسة هذه العمليات ظلت مستمرة في الجبهات الحدودية الأخرى ويبدو أن ليست لها نهاية .

زيادة التوقعات عام ١٩٧٣

لقد اندلعت حرب الاسترداد The War of Recovey في تشرين الأول ١٩٧٣ وبادرت بها مصر وسورية ، وانتهت بمكاسب للكيان الصهيوني ونصر نفسي (سيكولوجي) للعرب .

قضى العبور المصري لقناة السويس والتقدم السوري الاولي تجاه القسم الأعلى من نهر الاردن ، على اسطورتي عدم إمكانية دحر القوة الصهيونية وعجز القدرة العربية. وهذا التغير رفع معنوية العرب إلى الحد الذي شعرت به الحكومات العربية بانها قادرة على الاعتراف بالوجود الصهيوني والتعامل مع الكيان

---

[1] بعد حرب ١٩٧٣ كبح زمام الميل للقيام بالغارات في سيناء باشراف من قوة الطوارئ التابعة للامم المتحدة (UNEF) حيث سيطرت على منطقة مجردة من السلاح . وفي مرتفعات الجولان ، قامت قوة مراقبي فصل القوات التابعة للامم المتحدة باحتلال (منطقة فصل قوات) تحت الادارة المدنية السورية . وفي سنة ١٩٧٤، حدثت عمليتا اغارة رئيسية عبر الحدود الصهيونية مع لبنان .

راجع (مايكل هاربوتل) – (دروس من صناعة السلام من قبل هيئة الأمم المتحدة) في مجلة الشؤون الدولية ، تشرين الأول ١٩٧٤ الصفحات (٥٤٤ – ٥٥٣) .

الصهيوني على قدم المساواة أكثر من أي وقت آخر . لقد استعيدت الثقة والتفاؤل العربيان المفرقان في طور السبات منذ ١٩٦٧.

وبالمقابل كان الانكسار النفسي يسود الكيان الصهيوني . وبالرغم من أن وقف اطلاق النار الذي قد فرض على جبهة قناة السويس بسبب الضغوط المشتركة لـ (كيسنجر - برجنيف) في ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٣ ، قد جعل الكيان الصهيوني يحصل على أراض جديدة غرب قناة السويس وفي مرتفعات الجولان ، إلا أن انهيار الرضا الذاتي للكيان الصهيوني بشأن امنها القومي جعل شعبها المنعزل والمتهور يفقد اعصابه . أن ذكريات محارق الابادة الهتلرية ، وحتى نهب وسبي القدس من قبل الإمبراطور (تيتوس) سنة ٧٠ بعد الميلاد ، عادت من جديد وتجسمت أمام شعب يشاهد وجوده يتعرض للخطر مرة أخرى .

للمرة الأولى منذ عام ١٩٤٨ ، بدا كما لو أن توازنا جديدا من المعنويات يمكنه أن يولد رغبة متبادلة للمباحثات . لا يمكن فهم التغيير المؤثر ومختلف الاسلوب لدى كلا الجانبين على خط النار في الاشهر القليلة التي تلت الحرب مباشرة إلا إذا اخذنا بالحسان تطور الاحداث في الفترة بين الحربين (أي بين حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣) .

الحلول الاجهاضية

في حرب ١٩٦٧ حقق الكيان الصهيوني نصرا واسعا بشكل سريع وبخسائر قليلة مما حقق لها شعورا بالفخر والثقة بالنفس الى الشعور بالرضا .

وتجاهل الصهاينة قوة العرب العسكرية كونها غير ذات تأثير وأزالوا عن أذهانهم القلق الذي كانوا يشعرون به لمدة طويلة من الزمن بسبب صغر حجم دولتهم ووضعها تجاه الغزاة لقد اختاروا حدودا جديدة وأكثر عمقا بحيث وسعت من مساحة دولتهم وفضلوا هذه الحالة على حالة السلام . وضمن الحواجز وتحت السقف الذي وفره جيشها (الذي لا يقهر[1]) وقوتها الجوية المتفوقة ، اعتقد الكيان الصهيوني أن باستطاعته جلب مهاجرين يهود جدد من دون عرقلة والهيمنة على الاقليات ورفع مستوى انتاجها القومي الاجمالي وصادراتها

---

[1] كما يصف الصهاينة جيشهم ، والذي قهر اخيرا وأكثر من مرة . (المترجم)

الصناعية وتقديم ضروب التسلية للمصطافين وتحسين ميزان مدفوعاتها ومعالجة الانتقاد واللوم الدولي الذي جلبته لنفسها بأسلوب اللامبالاة تجاه الأمم المتحدة .

كان العرب (والمصريون)* محبطين بسبب اندحارهم في حرب ١٩٦٧ ، وقد عملوا ما كانوا يعملون دائماً عندما يكونون في موقف ضعيف . وهو رفض المفاوضات المباشرة وهي الشرط الوحيد الذي يتفاوض بموجبه الكيان الصهيوني للتوصل إلى السلام . إن قبول تلك الشروط يعني الاعتراف بالكيان الصهيوني والتخلي عن الهدف الذي يتصوره الفلسطينيون المعتدلون وهو تحقيق دولة اشتراكية في فلسطين مفتوحة لليهود وللعرب . لقد تمسك كل جانب برآية بعناد وبدعم من الخارج - العرب من الاتحاد السوفيتي والكيان الصهيوني من الولايات المتحدة الأمريكية .

في تشرين الثاني بعد حرب ١٩٦٧ ، تمكنت الأمم المتحدة من بحث هذا التصدع واصدار القرار المشهور (٢٤٢) بالاجماع حيث فرضت بموجب هذا القرار انسحاب الكيان الصهيوني من الأراضي التي احتلتها ولكن الاجماع الذي اتسم به هذا القرار كان اجماعاً شكلياً فقط وقد أخفى القرار ٢٤٢ خلافاً جوهرياً كما هي العادة دائماً فقد رأى العرب أن العبارة الحاكمة في هذا القرار هي ديباجته التي تؤكد " عدم شرعية الاستحواذ على الأراضي بالحرب " . في حين ينظر الكيان الصهيوني إلى العبارة الواردة في القرار التي تصف " انسحاب القوات المسلحة الصهيونية من مناطق محتلة في الحرب الأخيرة " إنها لم تطلب من الكيان الصهيوني الانسحاب من جميع الأراضي . ويرى الكيان الصهيوني أن من بين ثمار الانتصار هو أن يكون لدولته الصغيرة حدود أوسع وأكثر أمناً[1] .

---

* المصريون هم جزء من العرب وعليه لا يوجد مبرر لايراد اسمهم بشكل مستقل ولذلك وضعناه بين قوسين . (المترجم)

[1] إن هذا الادعاء الصهيوني غالباً ما يثير التساؤل عن وجود التفاوت في التعبير عن الانسحاب كما ورد في القرار ٢٤٢ ، بين النص الانكليزي " من أراض محتلة from Occupied Territories " والنص الفرنسي " des territoirs "

لقد أدى النزاع على تعدد تفسير التراجم للقرار (٢٤٢)(*) إلى اجهاض الجهود العديدة التي بذلها الممثل الخاص للامم المتحدة الدكتور غونار يارنغ Gunar Jarring لجلب الطرفين المتخاصمين إلى مائدة المفاوضات . واخفقت كذلك محاولة وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية (وليم روجرز) في كانون الأول ١٩٦٩ للتوصل إلى حل وسط باجراء بعض التعديلات الطفيفة على حدود الكيان الصهيوني الضيقة قبل ١٩٦٧ . وقد قبلت هذه الخطة من الجانبين ولكن كل جانب قدم شروطاً تعجيزية أدت إلى اجهاض مشروع روجرز . وتبع ذلك تزايد نشاط الفدائيين الفلسطينيين الذي كان يديره الرافضون للقرار ، وادى أيضا إلى استقالة حزب الغاهال المتطرف Gahal من الوزارة الصهيونية الائتلافية. وابتداءاً من اواسط ١٩٦٩ ، استؤنف الضرب والضرب المضاد بدعم من السدود النارية للمدفعية المصرية والهجمات المقابلة وغارات القوات الخاصة الصهيونية وقد تصاعدت هذه الأعمال اعتماداً على قوة طائرات الفانتوم (الأمريكية) المجهزة للكيان الصهيوني والصواريخ المضادة للطائرات المجهزة لمصر ، مما نتج عنه تصاعد الموقف الى تجديد الأعمال القتالية . وقد تقلصت عملية صنع السلام ، التي كان يسعى لتحقيقها المستر روجرز ، إلى مجرد ترتيب لوقف اطلاق النار . ولم تتوفر آية محاولات خارجية لاحقة لتغيير هذا النمط . إن اقصى ما توصل إليه الباحثون من خارج المنطقة هو توقفات متقطعة للمناوشات المتبادلة على الحدود ؛ وكانت هذه المناوشات من الجانب الصهيوني تتخذ فعاليات بنطاق الجيش أو هجمات بالقوة الجوية . وأما في الجانب العربي فقد كانت تختلف بعض الشيء من منطقة حدودية إلى أخرى .

---

* لم تقبل منظمة التحرير الفلسطينية (PLO) بهذا القرار لانه لم يحدد جنسية اللاجئين الفلسطينيين .

داخل الدول العربية

بالرغم من التحدث كثيراً عن " الإرادة العربية الجماعية " إلا أن الحالات النفسية ووجهات النظر تختلف باختلاف الدول الناطقة باللغة العربية(*) . ويعتمد ذلك كثيراً على درجة الالتزام العاطفي لهذه الدول بالكفاح من أجل نصرة القضية الفلسطينية ، فضلا على تأثير اختلاف الموقع الجغرافي (بعداً وقرباً من الجبهة) وتباين الاعداد المحلية من الفلسطينيين الموجودين في تلك البلدان . فالمصريون بشكل خاص ، يختلفون مع سكان المشرق العربي الذي عرفه العثمانيون (سورية) والذي جرى تقسيمه سنة ١٩٢٠ إلى سورية ولبنان والاردن وفلسطين . ويتميز المصريون عن عرب اسيا الغربية كونهم اقل تشدداً وقساوة وأكثر ظرافة وواقعية وإنهماكاً في الأمور المباشرة التي تخص بلدهم وبالرغم من عنف وشدة اذاعة مصر إلا أن مصر تشعر بأنها اقل حقداً وضغينة تجاه الكيان الصهيوني ، ويعزى ذلك إلى وجود صحراء سيناء كمنطقة عازلة بين البلدين والى عدم قيام مصر باسكان لاجئين فلسطينيين في اراضيها . وفي الاردن تختلف الحالة حيث أن الفلسطينيين الجدد والقدامى يكونون أكثر من نصف سكان البلاد الذين يبلغ عددهم (٢,٥) مليون نسمة ، كما أن الاردن هي الدولة العربية الوحيدة التي منحت الفلسطينيين اختياراً حراً للحصول على جنسيتها . وفي سورية ، كان للارتباط العاطفي وقرابة الدم مع بعض الفلسطينيين تأثير في منحهم بعض التسهيلات . وفي لبنان ، منح الفلسطينيون حق اللجوء، وتتواجد في جنوبي لبنان مجموعات فدائية نشطة جداً لا يمكن قمعها وتؤدي فعالياتها إلى ردود فعل انتقامية يقوم بها الكيان الصهيوني التي لا تميز بين الفلسطينيين واللبنانيين في عملياتها الانتقامية.

مصر

تميزت السنوات الأخيرة لعبد الناصر ، منذ حرب الأيام الستة وحتى وفاته في ايلول ١٩٧٠ ، كونها مشحونة بالنقد الذاتي والنقد الشعبي . وقد قيدت الرقابة

(*) هذه تسمية اعتاد المستعمرون البريطانيون اطلاقها على الاقطار العربية وكأنهم لا يعترفون بالهوية الحضارية الواحدة وقد اضطروا الآن إلى استخدام مصطلح العالم العربي بدلا من ذلك . لذا اقتضى التنويه (المترجم).

حرية التحدث علناً . ولكن النقد أصبح معروفاً على الصعد الخاصة . وبالنسبة لمعايير المصريين ، كان عبد الناصر مندفعاً ومقامراً ، وكان الناقدون يعلنون آراءهم ولو سراً . فهم يرون أن عبد الناصر قد قامر وخسر حربين احداهما بالتدخل في الحرب الاهلية في اليمن (١٩٦٢ - ١٩٦٧) إذ لم تكن طبيعة الأرض ولا الخصم ملائمة لكي يواجههما الجيش المصري الذي كان ينبغي له أن يكون مدرباً ليقاتل الكيان الصهيوني . والحرب الأخرى التي خسرها عبد الناصر كانت في سنة ١٩٦٧ نتيجة ممارسة سياسة حافة الهاوية التي كانت تصل الى اعلان الحرب وإثارة الكيان الصهيوني مما الجأها للقيام بضربة جوية (وقائية) اتبعها بنصر سريع . خسر عبد الناصر في حرب الأيام الستة في حزيران ، من خلال سوء التقدير ومن خلال فرط الثقة ، مرفقاً وطنيا ثمينا هو قناة السويس - وأوجد نكسة لدى شعبه اليائس الذي لم يجد أي علاج لها . وبالرغم من أن أفواه المصريين كانت مُكممة بالرقابة الحكومية ، إلا إنه كان لديهم المسوّغ ليستجوبوا رئيسهم ليس فقط عن قراره العسكري (الفاشل) وإنما أيضا عن اهماله شؤون بلاده حيث كان يكرس جل وقته للقيام بمجازفات خارج بلاده جعلته ينزلق ليكون في قبضة الاتحاد السوفيتي - إحدى القوتين العظميين . وانهى بعمله هذا الانطباع الذي أحدثته المزايا الاشتراكية التي سبق وإن نادى بها بالنسبة لغالبية الشعب ؛ وبدأ التطور الذي حصل في القطاع العام يتحلل وكذلك الرفاهية الناتجة عن اختفاء البطالة وتقليص الفروق بين الغني والفقير قدر الإمكان في بلد يتصف بمعدلات عالية في الولادات(*) . وقبل وفاته بقليل ، اخذ عبد الناصر يبحث حوله بحثاً عن كبش فداء من الجيش واستعاد عبد الناصر حيويته بقدر كاف لادارة ما سماه بـ(حرب الاستنزاف) ضد الكيان الصهيوني الذي اندفع بأمل إيقاف هذا النوع من الحرب . ولغرض كسب الوقت للحصول على النجدة ، قبل عبد الناصر بوقف اطلاق نار مؤقت سرعان ما انتهك . وبموته بدأت غالبية الشعب (عدا القلة من المخلصين له) . يعدون فقدان حرية الكلام والتعبير عن الرأي ثمناً غالياً يدفع مقابل الحصول على منافع مشكوك في صحتها . وقد كان من ضمن ذلك إخلاء

---

* تعبر المؤلفة بهذا عن تقويم غربي لاسلوب الرئيس الراحل عبد الناصر في ادارة البلاد ونظريته في الحكم (المترجم) .

أكثر من مليون شخص عن ممتلكاتهم ومدنهم الواقعة في منطقة القناة ليصبحوا مشردين برغم الجهود التي كانت الدولة تبذلها لاستقرارهم في اماكن أخرى ، إلا أن شوارع القاهرة وبيوتها ومدارسها وفرص العمل فيها اكتظت بهؤلاء النازحين.

لم يكن أي من المصريين متحمساً لاختيار خليفة لعبد الناصر . وكان انور السادات النائب الوحيد للرئيس منذ ١٩٦٩ وكان هو الوحيد الذي يمتلك سجلاً حافلاً بالإطراء والثناء بالمقاييس الوطنية والاسلامية ولكنه سجل باهت وكان السادات مرشحاً وسطاً للرئاسة وجرى اختياره تجنباً لحصول الانقسام بين الشخصيات ذات الشهرة في زمرة عبد الناصر من امثال (علي صبري) العضو القائد لاتحاد عبد الناصر الاشتراكي و(زكريا محيي الدين) نائب الرئيس السابق[1] . إن أفضل ما قيل عن السادات أن الجيش لم يكن ضده في الاقل وانه كان اقل اندفاعاً من عبد الناصر .

وفي ايار ١٩٧١ ، عندها برهن بأنه قوي ما يكفي للتخلص من خصومه الاشتراكيين ، ساد الاعتقاد بأنه مجرد ملاح جيد بين الزمر السياسة . وعندما وسم السنة نفسها بانها " سنة الحسم " من دون أي إجراء لاثبات ذلك ، بدأت شعبيته تهتز أكثر ولكنها سرعان ما ارتفعت كثيرا عندما قام في تموز ١٩٧٢ بطرد ثلاثة آلاف من الخبراء العسكريين السوفيت خارج مصر في ليلة واحدة . ولكن هذه التظاهرة الجريئة للاستقلال تلاشت بسرعة " حتى إنه لم يستخدم بخاصة للمساومة مع الامريكان مقابلها " . وارتبكت الأمور على الشعب فاصبح لا يعرف بالضبط الداعي الذي جعله يتخذ مثل هذه الخطوة : هل اتخذها لارضاء الجيش والإعلان عن استيائه من الخبراء الروس الجافين في تعاملهم مع الجيش(*) وعن صفقات الاسلحة السوفيتية التي كانت كثيراً ما يتأخر تجهيزها هل نفد كل ما كان يفكر به من أسباب للتخلص من الخبراء ؟ هل كان يخطط للقيام بنوع من الحركة العسكرية ضد الكيان الصهيوني بحيث إنه كان يريد القيام بها

---

[1] راجع روبرت ستيفن " ناصر : السيرة السياسة " (لندن : الن لين ، بينغوين بريس ، ١٩٧١) الصفحات ٥٥٧ – ٥٥٨ .

(*) يشهد كل من تعامل مع خبراء سوفيت بانهم كانوا مثالاً لطيب الخلق واللباقة في التعامل ولا ادري من اين اتت المؤلفة بهذا الاستنتاج (المترجم) .

من دون التعرض لمخاطرة إيقافها ؟ ربما كانت هذه الأسباب مجتمعة مبررات لاتخاذ هذا القرار . وعند استعادة الأحداث الماضية والتأمل فيها ، يظهر لنا احتمال آخر إذ كان السادات متأثراً بعداء الملك فيصل (ملك السعودية) لتحالف مصر مع الاتحاد السوفيتي . وقد بدا السادات ينظر إلى أن محوراً مصرياً سعودياً كمصدر يمكن التقويل عليه لتمويل المعركة بدلاً من استناده إلى الدعم المالي العلني من ليبيا .

ومرة أخرى لم يحدث أي شيء ، وبدأت التكهنات والاهتمامات تظهر من جديد . وبدا السادات بالنسبة للشعب وكأنه يسلك طريقاً مختلفاً عن طريق عبد الناصر ، حيث إنه في شتاء ١٩٧٢ - ١٩٧٣ قمع اضراباً للعمال وتظاهرات للطلبة واعتقل (٧٠) من صحفيين القاهرة البارزين الذين وجهوا الانتقادات إليه.

وفي وقت لاحق ، ادعى المعجبون به أن اغلب ذلك السلوك كان غطاء مدبراً ؛ إنه لمن المشكوك فيه أنهم كانوا سيقولون ذلك لو لنه لم يحقق النجاح بمهاجمة الكيان الصهيوني سنة ١٩٧٣ . ويبدو من انكشاف تسلسل إفكاره سنة ١٩٧٤ إنه شخص واقعي لم يرق له اعتماد عبد الناصر المفرط على الاتحاد السوفيتي . كان السادات يعمل بتناسق وثيق مع عبد الناصر منذ ١٩٦٨ حيث كان كلاهما مصمماً للتخطيط لجولة أخرى مع الكيان الصهيوني . وقد ازداد تصميم السادات صلابة عندما حدث الوفاق الدولي بين القوتين العظميين (نيكسون - برجنيف) حيث شعر السادات بأن هذا الوفاق لا يبشر بأي خير للعرب لأنه "يضع قضايانا في المجمدة" . وعليه اعلن السادات في ما بعد أنه يجب أن نتخذ قراراً مصرياً خالصاً " لكي نواجه قدرنا " [1] .

وفي ضوء ذكريات السادات والمعلومات العسكرية التي تيسرت لديه ، كان واضحاً أن الاستحضارات للحملة التي شنت بشكل نهائي في ١٩٧٣ قد ابتدأت قبل أن يموت عبد الناصر وقبل حرب الاستنزاف . ففي سنة ١٩٦٨ قام عبد الناصر بشن حملة لتطهير الضباط والاصدقاء الذين عدهم السبب في فشله سنة ١٩٦٧ . واتخذت بعد ذلك قرارات مهمة منها . ايجاد تنسيق أفضل بين قيادتي الجيش والقوة الجوية وبتعيين وزير للحربية يتصف بالشدة والحزم هو (محمد

---

[1] مقابلة مع صحيفة " التامس " اللندنية ، اذار ١٩٧٤ .

فوزي) ، وتحسين منشآت المستودعات والتجهيز على حساب حاجة المدنيــن أن دعت الحاجة ، وتَجنيد نسبة أكبر من الخريجين لاغراض التدريــب العســكري ، والتدريب النوعي والاختصاصي من أجل استرجاع القناة . ولهذا الغــرض اتخــذ القرار لتامين التفوق في تحشيد القوة البشرية على امتداد جبهة القنـــاة وتــامين الحماية بمظلة من صواريخ سام (أرض - جو) الســـوفيتية . واتخــذت كذلــك الإجراءات اللازمة لتجنب الضربات ولمواجهة عمليات الاكتساح الامامية بــالقوات الالية التي يتفوق الكيان الصهيوني فيها واستثمار خطوط المواصلات الصهيونيــة الطويلة في صحراء سيناء إلى اقصى مدى ممكن .

وبعد تعيين (محمد صادق) قائداً عاماً للقوات المسلحة المصرية في سنة (١٩٧١ - ١٩٧٢) بدأت هذه الخطط تفقد زخمها وقوتها لأن محمد صادق كــان يفتقد إلى اليد الحديد المطلوبة لاصلاح الجيش ، وأُقصي من نصبه فـــي تشــرين الثاني ١٩٧٢ . وروجت شاعة لارضاء الاتحاد السوفيتي فحل محله المشير (أحمد اسماعيل) الذي كان أكثر اهتماماً بالانضباط العسكري . وكــان رئيــس الاركــان العامة انذاك هو (سعد الدين الشاذلي) الذي كان يتمتع بشــعبية واســعة بيــن القطعات. واستمرت صفقات الاسلحة السوفيتية تتدفق على مصر بشروط مواتية ، وقد قيل إن كلفة الاسلحة التي سوقت لمصر بلغــت (٣) مليــارات دولار منــذ ١٩٥٥ حتى حرب ١٩٧٣ (وبعد هذا التاريخ بــدأت الشــروط تــزداد صعوبــة وتعقيداً) . واخذت صفقات الاسلحة تثقل كاهل الاقتصاد المصري واضافت عــاملاً على تردد المصريين وبقي على السادات ترتيب عملية اختبار الحلفـــاء والحفــاظ على الكتمان لتحقيق المباغتة والقرار على اللحظة الأفضل للـــهجوم . فبالنســبة للكتمان ، فقد حُوفظ عليه اساساً بهجمات المخادعة لممارسة عمليات التعبئة التــي لا يرد الكيان الصهيوني بالمثل على اغلبها لأن الكيان الصهيوني لا يتحمل الكلفــة المادية والزمنية لاستدعاء احتياطيها المدني اساساً[1] . وفي غضون ذلــك اتفــق السادات واسماعيل على ضرورة فتح جبهتين للحرب في أن واحــد وانــه يجــب السعي للحصول على التعاون السوري وإن يكون التوقيت دقيقاً ولا يحتمل الخطأ .

---

[1] إن إجراء عملية تعبئة صهيونية واحدة تكلف الكيان الصهيوني (٤,٥) مليون جنيه استرليني (راجــع الصفحة ٥٦) .

ولكن العلاقات الفلسطينية مع الملك حسين كانت سيئة للغاية[1] ، فضلا علـــى أن الاردن يفتقر إلى غطاء جوي مما أدى إلى صعوبة التنسيق مع الاردن وبـــالرغم من الاستعداد القتالي العالي للجيش الأردني لذلك فبالامكان استخدامه لابقاء بعض القوة القتالية الصهيونية في حالة قلق وتوتر منشغلة في وادي الاردن .

قام المصريون بعدة تحركات دبلوماسية لتمويه هذه النيات وبالرغم مـــن اعلان الاتحاد الرسمي بين مصر وسورية وليبيا في نيسان ١٩٧١ والذي اعقبــه في آب ١٩٧٢ اعلان مشروع اندماج مصر وليبيا إلا إنه لم ينفذ عملياً شيء مــن ذلك . وابتدأ التخطيط مع سورية سراً ولم يعلن عنه إلا في أواخر اذار ١٩٧٣ [2] بعد الاجتماع الثاني بين (نكيسون - برجنيف) الذي تبين بنتيجته أن الزعيميـــن استمرا بعدَ مشكلة الشرق الأوسط مجمدة وبعد عـــدد مـــن الزيـــارات المصريـــة لموسكو ، امضى المشير (أحمد اسماعيل) عدة أيام في سورية في الايام الأولــى من نيسان ، وبقيت العلاقات بين سورية ومصر فاترة ظاهرياً . فعندمـــا افتتحــت سورية مشروعها على نهر الفرات في وقت مبكر من تموز ١٩٧٣ ، لم يحضــر الافتتاح أي مسؤول مصري رفيع المستوى ، وكانت إشارة الرئيس الاسد لمصــر فاترة في هذا الحفل .

وفي الشهر نفسه (تموز ١٩٧٣) رفع الاعضاء في دول عدم الانحيـــاز في الجمعية العامة للامم المتحدة مشروعاً إلى مجلس الامن يندد باحتلال الكيـــان الصهيوني اراضي عربية . وعندما استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو لنقـض هذا القرار ، ازداد تمسك الدولتين (مصر وسورية) بقرارهما (الخاص بالحرب) واخذ الأمور على عاتقيهما . وابتدأ التفكير بتحديد الوقـــت والتـــاريخ المناســبين وكانت مصر هي الصوت المهيمن في بحث عامل الوقت ، حيث أن الوقت الامثـــل لعبور القناة هو في الاعتدال الخريفي (يحصل اعتدال الليل والنهار يومي ٢١ اذار و ٢٣ ايلول) حيث يتساوى فيهما الضياء والظلام ومع ذلك ، ابتداءاً من نيســـان فصاعداً ، عندما يكون القمر كاملاً فهو وقت ملائم للعبـــور . وكـــان الفدائيـــون المصريون يمارسون عملية العبور في ضوء النهار ، وكانت السماء فوق القـاهرة

---

[1] راجع الصفحة (٢٨ - ٣١) .

[2] راجع الصفحة (٢٥ - ٢٦) .

تضج بأزيز الطائرات السمتية . وفي الدول العربية المجاورة ، كان الحديث عن " المعركة المقبلة " يجري علنا وفي حزيران ، تحدث السادات في منطقة القناة عن " الاستعداد القتالي " . ومع ذلك ، لم يحدث أي شيء حتى ذلك الحين . وفي الواقع ، أصبحت الخطة نهائية في ٢٢ آب بعد الاجتماع الذي ضم كبار الضباط (٨ من مصر و ٦ من سورية) الذين تسللوا إلى مقر القيادة البحرية في (رأس التين) بالملابس المدنية. وقرر على تفضيل تشرين الأول على ايلول لأن هذا الشهر الاضافي اعطى وقتا أكثر للتدريب ، وخاصة على السلاح السوفيتي الجديد (ساغر Sagger) . وكان القمر واضحا في ليلة يوم عيد الغفران (اليهودي) وهو عيد الصهاينة الذين لن يكونوا فيه في حالة انذار . كما أن اليوم المختار للهجوم يقع في شهر رمضان وهو شهر الصيام عند المسلمين الذين يعتقدون بأن من يقتل في حرب ضد الكفار في هذا الشهر فمصيره إلى الجنة مباشرة . وفضلا على ذلك ، لتمويه يوم الهجوم ، شجع الضباط لتقديم طلبات للحصول على اجازات لاداء مناسك العمرة أو الحج الصغير والتي من المعتاد أن تجرى غالبا في اواخر شهر رمضان .

وحتى مع هذه الدرجة من التمويه والغش ، فإن الحفاظ على سرية توقيت الهجوم كان عملا بطوليا رائعا بالنسبة لاناس مهذارين وكانت المغادرة الجماعية العلنية للسوفيت والتابعين الاخرين يوم ٣ و ٤ تشرين الأول دليلا لا يقبل الشك لدى بعض الناس بقرب وقوع الحرب . واستغرب العسكريون في الخط الامامي عندما زودوا بقذائف حية بوقت مفاجئ لهم . ولم يعرف كبار المسؤولين المدنيين أي شيء عن توقيت الحرب ، حيث قال احدهم : " لقد علمت بعبور القناة من ابنتي الطالبة في المدرسة " . وكان الجالسون في السيارات يخرجون رؤوسهم من نوافذ سياراتهم ليعلنوا نبأ العبور إلى المارة السائرين في الشارع . وهكذا لم يكن الصهاينة وحدهم من اخذ على حين غرة .

سورية

إن الانتقال من مصر إلى سورية هو بمثابة تبديل كتاب مفتوح بأخر مغلق ربما كان السوريون اقل تجانسا من المصريين فهم يميلون إلى التحفظ في الكلام والحذر من الاجانب وإن آية حركة محلية (داخل سورية) يجب تسويتها بين

عناصر البلاد الأساسية: المسلمون السنة (الأغلبية في البلاد) والعلويون المتماسكون في ما بينهم ، حيث اصبحوا مذهباً خاصاً من المسلمين منذ القرون الوسطى ، والدروز الذين يميلون إلى الكتمان[١](*) . وقد ظهر تأثير هذا الخليط الديني على السياسة السورية بشكل واضح في كانون الأول ١٩٧٣ بعد وقوع أحداث الشغب والعنف التي حصلت في حمص وحماة ذات الأغلبية السنية من المسلمين ، عندما قدمت مسودة دستورية كشفت عن الاهتمام وبإيجاد توازن بين الإسلام والاشتراكية ، لذلك كان لا بد من إظهار قدر أكبر من الاهتمام بالإسلام يحول دون التصادم بين الإسلام والاشتراكية .

خلال هيمنة حزب البعث الذي جاء إلى السلطة في سنة ١٩٦٣ ، دعا إلى ايجاد توازن بين الجناحين الماركسي واليميني الراديكالي للحزب . ومنذ ١٩٥٥ فصاعداً (أي قبل وحدتها المؤقتة مع مصر في ١٩٥٨ - ١٩٦١) ابتدأت سورية بتسلم صفقات الاسلحة والمساعدات الفنية من الاتحاد السوفيتي ، وازدادت شدة هذه الصفقات في فترة الستينات خلال الهيمنة الماركسية داخل الحزب . ومنذ نهاية ١٩٧٠ ، عندما قام الرئيس الحالي لحزب البعث (الفريق حافظ الاسد) بالاستيلاء على السلطة بواسطة الجيش وبالتعاون مع القطاع المدني ، اتخذت سياسة الحزب خطاً وسطاً بين جناحيه . وعند مجيئ الاسد إلى السلطة ظن أن بلده سيكون أكثر اعتماداً على الاتحاد السوفيتي . وعلى آية حال ، فإن حاجته إلى الاحتفاظ بدعم الجناح اليساري له جعلت نظامه الحاكم يوثق اتصاله بموسكو من أي بلد عربي آخر ، باستثناء العراق ، وخاصة بعد اقصاء المستشارين السوفيتية من مصر في تموز ١٩٧٤ .

---

[١] إن الدروز الذين يسكنون في لبنان وفلسطين أيضا لا يتزاوجون مع المذاهب الأخرى ولكنهم يتمسكون بالتعليمات التي يتبعونها لكي يكيفوا انفسهم مع الناس الذين يعيشون معهم . وقد وجد الصهاينة أن الدروز اسهل في الادارة من العرب الاخرين .

(*) الدروز (بني معروف) من سورية ولبنان وفلسطين عرب اقحاح ولا يهمنك تأثير الكيان الصهيوني في حقبة ما بعد ٤٨ على بعضهم ، وللتدليل على تمسكهم بعروبتهم وهويتهم هو اصرار سكان الجولان المحتل على هويتهم وعروبتهم . (المترجم)

وكانت في سورية احزاب أخرى ، إلا أن حزب البعث كان يمسك بزمام الامور في بلد يتصف اقتصاده بقاعدته العريضة والذي يعد اقل البلاد بمعضلات التزايد السكاني والبطالة من أي بلد عربي آخر . وفي اذار ١٩٧٢ ومن أجل ترسيخ دعائم الحزب ، اسس الاسد الجبهة الوطنية التقدمية واصبح بامكان أي حزب الانضمام إليها وكانت لحزب البعث اغلبية قوية في تنظيمات الجبهة ، ويعود الفضل في ذلك إلى تنظيم الحزب حيث أن ٥٠% من اعضائه هم من الفلاحين والعمال . وفي الوقت نفسه ، كان الاعضاء العسكريون في الحزب (ولو أن معظمهم ليسوا بعسكريين) يمسكون بالمناصب الحكومية الرئيسة : رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء ووزارتا الدفاع والداخلية . وحزب البعث هو الحزب الوحيد المسموح له بالعمل الحزبي داخل القوات المسلحة . وربما أن تركيبة الحزب العسكرية تساعد في توضيح سبب سيطرة سورية على الفدائيين الفلسطينيين أكثر من سيطرة لبنان عليهم .

قبل حرب ١٩٧٣ ، برهنت سورية على قدرتها على جمع الحلفاء العرب، ولكنها بعد هذه الحرب كانت دولة وحيدة وعلاقاتها ليست جيدة مع جيرانها العرب المباشرين وكانت تشعر بالقلق من حزب البعث (العراقي) (المرتبط بشكل وثيق بموسكو)[1] الذي كان يحاول السيطرة عليها بالمساعدة السوفيتية . وكانت علاقة سورية مع لبنان غير جيدة لاسباب عديدة وعلى رأسها السيطرة على أعمال الفدائيين الفلسطينيين الذين كانوا يعبرون الحدود السورية إلى لبنان تخلصاً من الاوامر السورية المشددة في تحديد نشاط العمل الفدائي الفلسطيني وتكره سورية لنظام الهاشمي الاردني - وخاصة بعد قيام الملك حسين في (١٩٧٠ - ١٩٧١) بقمع فدائيي منظمة التحرير الفلسطينية والتخلص من هيمنتها وتحكمها[2] .

وكانت علاقة سورية الوثيقة في العالم العربي مع ابناء العم الأكثر بعداً ، حيث كما ذكرنا سابقاً ، اتحدت فيدرالياً مع مصر وليبيا سنة ١٩٧١ . وكانت الجزائر والمغرب من الأصدقاء الجيدين لسورية. ولم توقع سورية على آية

---

[1] هذه وجهة نظر للكاتبة في تبرير ما حصل في سوريا عام ١٩٦٦ من انشقاق وخروج عن الشرعية ، ولانتفق مع ما ذهبت إليه من ناحية الارتباط حيث أنه غير صحيح بالمرة . (المترجم)

[2] الهامش السابق .

معاهدة مع الاتحاد السوفيتي على وفق الانموذج العراقي . ومع ذلك ، فارضاء للجناح الماركسي في حزب البعث ، حافظت سورية على ادامة حلقات الاتصال الوثيقة مع موسكو فهي لم تطرد الخبراء السوفييت على عكس ما قام به السادات.

ولتشجيع الفلسطينيين في سورية للانتماء إلى حزب البعث ، خططت الحكومة بشكل ذكي لسيطرة منسقة لحزب البعث على جناح (الصاعقة) في منظمة التحرير الفلسطينية أكثر مما كانت الحكومتان الاردنية واللبنانية تسعيان إلى السيطرة على التنظيمات المشابهة لجناح الصاعقة. وكانت علاقات سورية مع الفدائيين الفلسطينيين جيدة . فمثلاً قدمت وحدات من الجيش السوري مساعدة فعالة للفدائيين داخل الاردن اثناء نضالهم ضد الملك حسين في ايلول - تشرين الأول ١٩٧٠ ، كما إنها رحبت بجميع اعضاء منظمة التحرير الفلسطينية الذين طردهم الملك حسين خارج الاردن . ومع ذلك ، في نيسان ١٩٧١ ، منعت سورية اعضاء منظمة الصاعقة من ممارسة عمليات الاغارة عبر الحدود داخل الكيان الصهيوني واستولت على صفقات الاسلحة المرسلة من الجزائر إلى الفدائيين الفلسطينيين . ولكن في الوقت نفسه ، كان العمل جاداً لانشاء محطة اذاعة صوت فلسطين من دمشق ومحطة أخرى في درعا على حدودها مع الاردن .

كان السوريون كالمصريين يتهيأون لعدة سنوات للحرب من أجل استعادة الأرض التي خسروها للكيان الصهيوني في مرتفعات الجولان ولصلة الدم التي تربطهم بالفلسطينيين . فالاطباء مثلاً ، يقولون أنهم لسنوات عديدة التزموا بتطبيق خطط الطوارئ في المستشفيات . وقبلت قطعات عسكرية قادمة من المغرب في شباط ١٩٧٣ . وحصلت سورية على صواريخ أرض - جو من الاتحاد السوفيتي لمعالجة النقص في المقاتلات المعترضة . وظل السوريون صامتين بشأن اليوم الذي اتفقوا فيه مع المصريين لشن حرب على جبهتين . وكانت الدلائل تؤكد أن مصر ابتدأت بتنمية الخطط بشكل حازم بعد أن عُين المشير (أحمد اسماعيل) في كانون الثاني ١٩٧٣ قائداً عاماً للجيشين (السوري والمصري) ، وانه كان في دمشق للمدة من (١ - ٣ نيسان) .

وبحلول ايلول ، كان الجيشان (المصري والسوري) يتدربان على استخدام المعدات السوفيتية الجديدة . وطبق السوريون خطة مخادعة تتضمن

إجراء مناورات عسكرية راجلة ، وفتحت الحدود مع لبنان بعد أن كانت مغلقة لعدة اشهر . وبالاشتراك مع مصر ، سويت العلاقات مع الملك حسين حيث كان من المعتقد إنه يمثل عائقاً من الناحية العسكرية ، ولكن لم يجر اطلاعه على آية معلومات في ما يخص الحالة الوشيكة للهجوم . وقبل يومين من شن الهجوم ، غادر جميع زوجات واطفال الخبراء والفنيين السوفيت البلاد إلى موسكو واغلقت اذاعة منظمة التحرير الفلسطينية في درعا . وكان الكل جاهزاً إلى يوم أي (يوم بدء الهجوم) .

لبنان

إن لبنان هي الدولة الوحيدة المجاورة للكيان الصهيوني والتي لم تخسر أية اراض في سنة ١٩٦٧ . ولم يكن جيشها الصغير ولا غطاؤها الجوي الضئيل يمكنانها من الوقوف بوجه الكيان الصهيوني ، والاسوأ من ذلك أن لبنان كانت بمثابة عقبة تعيق بقية الدول العربية المحاربة ضد الكيان الصهيوني . ولكن ليس هناك شك في أن الحاجة كانت ضرورية للحصول على الدعم اللبناني سواء كان ذلك في ١٩٦٧ أم ١٩٧٣ . ولهذا كانت لبنان تقريبا خارج الصراع وكانت قانعة بذلك الوضع لكي تكون قادرة على معالجة التوازن الدقيق بين قطاعي الشعب الرئيسين (المسلمين والمسيحيين) ولكي تبذل جهدها من أجل العمل ومعالجة حالات التفاوت في الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية التي غالباً ما تكون مدعاة لتوليد حالات من عدم الاستقرار الداخلي .

وبالرغم من رغبتها في أن تكون دولة غير محاربة ، إلا أن لبنان في الفترة بين الحربين كانت تعاني باستمرار الصراع مع الكيان الصهيوني وبالنسبة للكيان الصهيوني ، كانت لبنان وستبقى هدفاً هشاً يصب عليه جام غضبه الشديد بسبب (الارهاب) الفلسطيني القادم من الأراضي اللبنانية ، لأن لبنان تقوم بدور المضيف لاغلب وافضل تنظيمات الدعاية والبحث الفلسطينيين وكذلك بالنسبة لمعسكرات اللاجئين التي توجد لمنظمة التحرير الفلسطينية فيها دوائر وميلشيا مدربة تلجأ إلى مخابئ في جبال لبنان الجنوبية والتي منها تقوم العصابات الفلسطينية من دون أن تخسر أي شيء (والتي يأتي بعضها من سورية) بشن غارات داخل الكيان الصهيوني من المنطقة التي يطلق عليها الكيان الصهيوني

(أرض فتح[1] Fatah Land) . وفي الفترة بين الحربين ، كانت الحكومة اللبنانية تشعر بالحزن والاسى لأن الصهاينة لم يضاعفوا جهودهم المعتادة لكبح هؤلاء الضيوف (أي الفلسطينيين) غير المرغوب فيهم ، وفي أكثر من مرة اضطر الجيش اللبناني إلى محاربتهم علناً .

وكانت الحالة التي تعيشها لبنان أكثر مرارة لأن الكيان الصهيوني غالبا ما يجعل لبنان كبش الفداء بالنسبة للحوادث (الارهابية) التي تجرى الاستحضارات لها خارج منطقة الشرق الأوسط ، سواء أكان هناك ارتباط لبناني مؤكد بهذه الأحداث أم لا . وفضلا على ذلك ، التخريب الاضافي المادي والمعنوي الذي تقوم به الغارات الصهيونية التي تفلت من دون عقوبة في قلب بيروت . وعلى سبيل المثال ، انتقاما لهجوم عصابة فلسطينية جرت استحضاراتها في مطار اثينا ، قامت الطائرات السمتية الصهيونية بالاغارة على مطار بيروت في كانون الأول ١٩٦٨ ودمرت ١٣ طائرة لبنانية لنقل الركاب وهي جاثمة على الأرض . وفي نيسان ١٩٧٣ قام عسكريون صهاينة ، وهم يرتدون الملابس المدنية ، بالانزال من طائرة وبعد ذلك اقلتهم سيارة للاجرة (تاكسي) إلى مركز بيروت وقتلوا ثلاثة من كبار قادة الفدائيين الفلسطينيين .

وكانت لبنان ، بين الحين والاخر ، تتقدم بالشكوى إلى الأمم المتحدة بشأن عمليات الانتقام المقابلة التي تصيب المذنبين والابرياء على حد سواء ، ولكن من دون آية نتيجة . لذلك فإن لبنان ترحب بعقد مؤتمر للسلام وتسوية تهدئ من فعالية الفدائيين الفلسطينيين الموجودين بين صفوف ضيوفها الفلسطينيين .

الاردن

إن الاردن أكثر قدرة من لبنان على تحديد نشاط الفدائيين الفلسطينيين . ويعود الفضل في ذلك إلى كفاءة وقدرة الجيش الاردني ومعنويته العالية المستمدة من تدريبه الراقي . ولكن بالرغم من ذلك ، فإن الاردن يعاني نقاط ضعف اخرى

---

[1] هكذا ينظر الكيان الصهيوني والغرب واعداء العرب إلى العمل الجهادي الفدائي الفلسطيني على إنه عمل ارهابي (المترجم) .

نتيجة لمشاركة الملك حسين الفجائية في حرب ١٩٦٧ ، فقدت الاردن اراضيها الواقعة في الضفة الغربية لنهر الاردن والقسم العربي من القدس ، وهكذا جردت الاردن نفسها من ٤٠% من مساحة اراضيها الوطنية و ٣٠% من سكانها . وفضلاً على ذلك ، اضافت إلى اعبائها تضييف أكثر من (٢٠٠٠٠٠) لاجئ فلسطيني حيث كان نصفهم يحتاج إلى طعام واسكان على حساب حكومة فقيرة . لقد فقدت الاردن في لطمة واحدة الجزء الأكبر من دورها السياحي (وذلك بفقدها القدس والمدن المقدسة الأخرى التي كانت بيدها) . وبالرغم من أن الاردن حافظت على بقائها بالاعانات المالية منذ تأسيسها[1] ، فقد أصبحت الآن بحاجة إلى اعانات جديدة واكبر لكي تستمر في البقاء .

وعلى أية حال ، فإن جميع الفلسطينيين في الاردن هم من صنف اللاجئين، وقد منحتهم الأردن ضيافتها وجنسيتها . ويستطيع القادرون على العمل الحصول على عيشهم، فبعضهم يعمل في الاشغال والحرف التي كانوا يمارسونها في السابق أو من خلال اقاربهم، واخرون يعيشون على مدخراتهم أو على الحوالات النقدية التي ترسل إليهم من بعض أفراد العائلة الذين غادروا البلد من أجل الحصول على عمل في الخارج وخاصة في الدول العربية الغنية بالنفط . وبسبب الاعمال التي كان الفلسطينيون يقومون بها فقد ساعدوا في تحويل عمان إلى مدينة عصرية ، وقد أصبح بعض منهم اردنيين وساعدوا في ادارة البلاد

---

[1] كان العجز في ميزانية الاردن حتى حدوث ازمة السويس في ١٩٥٦ يتحسن بشكل رئيس بالمساعدات التي كانت بريطانيا والولايات المتحدة تقدمانها للاردن . ومنذ ١٩٦٧ حلت العربية السعودية والكويت وليبيا محل بريطانيا وامريكا في تقديم المساعدات للاردن ، حيث توقف الدعم البريطاني المباشر لميزانية الاردن في سنة ١٩٦٧ وتوقف الدعم الأمريكي في سنة ١٩٦٨ . وفي سنة ١٩٧٠ توقفت المساعدات العربية للاردن بسبب الموقف المعادي للملك حسين من منظمة التحرير الفلسطينية ، وعادت الولايات المتحدة مرة أخرى واستأنفت تقديم المساعدات للاردن . ومنذ ١٩٧١ بدأ العجز في الميزانية الاردنية بالتحسن وفي ١٩٧٢ استؤنف الدعم العربي لميزانية الاردن ، وكانت الدول العربية هي الجهة الرئيسة في توفير القروض للاردن لتوسيع خطتها في التطوير لمدة ثلاث سنوات وكانت العربية السعودية هي المسهم الأكبر في التمويل .

ولذلك كانت لديهم مشاعر مزدوجة أو متضاربة تجاه انشطة تنظيمات الفدائيين الفلسطينيين التي كانت تدعي بضيافة الدولة الاردنية بعد ١٩٦٧ .

في سنة ١٩٧٠ أصبحت هذه التنظيمات دولة ضمن دولة ، وتتمتع بدعم شعبي كبير وتحصيل على الاموال من عدد من الدول الغنية بالنفط وكانت تقوم بتنفيذ غارات ضد الكيان الصهيوني بمقياس واسع بحيث ادت إلى حدوث عمليات انتقامية ثأرية واضرار كبيرة في الممتلكات الاردنية والاشخاص الاردنيين ومنذ ١٩٦٨ ، ابتدأت المواجهات بين هذه المجموعات والجيش (الاردني) ، العنصر الصلب الذي يضم البدو وهم غير متعاطفين مع الفلسطينيين إلا بدرجة ضئيلة . وفي سنة ١٩٧٠ أدى هذا التوتر إلى اضعاف السياسة الخارجية للملك حسين المؤيدة لتوسيع خطة (روجرز) للسلام . وقد أدى عدم موافقة الفلسطينيين على هذه الخطة إلى تفجير حرب اهلية في الاردن والى حالة مشوشة من ردود الفعل في الدول العربية : اوقفت الكويت وليبيا مساعداتهما المالية للاردن ، وحاول الرئيس عبد الناصر عبثاً في آخر ايامه اصلاح الأمور المتداعية والتوصل إلى عقد هدنة بين الأطراف المتعادية . وفي سنة ١٩٧١ جرت محاولة فلسطينية لاغتيال الملك حسين واختطاف عدد من الطائرات الأمريكية والسويسرية والبريطانية من قبل فدائيين فلسطينيين (حيث عُزل الرهائن في الأراضي الاردنية). وكانت العصابات الفلسطينية تهدد الملك حسين بتقويض حكمه غير الشرعي . وقد اجمعت الدول العربية الأخرى بعدم تأييد الملك حسين بتصفية منظمة التحرير الفلسطينية . وكان الملك حسين في حيرة من امره ، فهو لا يطيق أن يتحمل سياسة منظمة التحرير الفلسطينية ضمن حدود بلاده ، ولا يستطيع أن يتجاهل الرأي العام العربي .

وفي نيسان ١٩٧١ استخدم جيشه (الذي فرت منه قلة ضئيلة من الفلسطينيين سرا على عكس ما كان متوقعاً) لطرد الفصائل الفلسطينية المسلحة من عمان اولا، وفي اواسط ١٩٧١ طردهم من بقية أراضي البلاد .

لم تغفر بقية الدول العربية ولا الفلسطينيون للملك حسين هذا الإجراء الاستبدادي. وانتقاماً لذلك ، قتلوا رئيس وزرائه ، وظل الملك حسين شخصياً منعزلا منذ ١٩٧١ . إن العداء الذي ولده يمكن أن يقاس بفشل محاولته في اذار ١٩٧٢ لاستعادة الروح المعنوية المفقودة . لقد اقترح إقامة اتحاد فيدرالي للملكة

العربية المتحدة حيث يكون هو رئيساً للدولة وتكون عمان عاصمة للمنطقة الاردنية عاصمة للمنطقة الفلسطينية التي تتمتع بالحكم الذاتي . ولم يذكر في خطته شيئاً عن الكيان الصهيوني . ولذلك فإن الصهاينة لم يعيروا أي انتباه لهذه الخطة ، وكذلك بقية الدول العربية الأخرى . وانتهى النبذ العربي للملك حسين لاسباب اقتضتها الضرورة عندما استعادت مصر وسورية علاقاتهما معه في ١٢ ايلول ١٩٧٣ ، ولكنهما لم يخبراه عن نياتهما المقبلة .

منظمة التحرير الفلسطينية

بالرغم من أن منظمة التحرير الفلسطينية ليست كياناً ذا سيادة كالدول التي تحدثنا عنها ، إلا إنها تعد كذلك إلى حد بعيد لأنها جزء مهم بالنسبة للصراع مع الكيان الصهيوني . ولا يمكن التوصل إلى آية تسوية من دون تحقيق مصالحها . ولتحقيق تلك المصالح فإنها بحاجة إلى تأليف حكومة في المنفى .

يتفق جميع اعضائها بشأن نقطة واحدة : الواجب الرئيس للمنظمة هو تذكير العالم بحالة الضياع والتشتت الفلسطيني القائم حالياً ، ويجب أن لا تغيب هذه الحقيقة عن البال خلال التسوية الجزئية للحدود مع الدول الأخرى . إن جوهر سياستها هو استعادة أرض الوطن الذي يسمى فلسطين (أننا نرغب في بقاء اسم وطننا) . وهذا الوطن في النهاية يكون دولة تتلاشى فيها الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية الصهيونية ويتساوى فيها اليهود والعرب وهم احرار في ادارة دولة اجتماعية تستند الى نظام : " رجل واحد ، صوت واحد " [1] . ولم يأخذ هذا الحلم في حسابه تماسك البنية الصهيونية من حيث التكوين والقوة .

ويوجد في منظمة التحرير الفلسطينية اعضاء معتدلون يدركون هذه النقطة ويعتقدون بانها معقولة بأن كونوا قانعين بالعودة إلى حدود ١٩٦٧ الموضوعة في قرار هيئة الأمم الرقم (٢٤٢) وانشاء دولة فلسطينية تتألف من

---

[1] لقد عبر عن هذا الرأي رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات في خطابه ١٩٧٤ الذي وجهه إلى الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٤ : " عندما نتحدث عن آمالنا المشتركة لفلسطين الغد فاننا نشمل في منظورنا جميع اليهود الذين يعيشون في فلسطين الذين يختارون العيش معنا هناك في سلام ومن دون تمييز عنصري" .

الضفة الغربية وقطاع غزة . واغلب الذين يفكرون بهذا الحل ، يضيفون أن مثل هذه الدولة يمكن أن تنمو وتنبض فيها الحياة لو أن الدول العربية الغنية بالنفط تضخ إليها رؤوس الاموال لأجل التطوير تماماً مثلما يقوم يهود العالم بضخ الاموال داخل الكيان الصهيوني . ويعترف بعضهم بأن التقصير في هذا الأمر يستدعي الالتجاء إلى اقامة بعض الارتباط الخاص مع الاردن ، ولكن القلة في المنظمة غير متهيئين للقيام بذلك إلا إذا استند التقارب على أساس المساواة بين الطرفين وليس أساس الاقتراب من عرش الملك حسين ليكون ناطقاً باسمهم .

قبل حرب ١٩٦٧ ، كانت منظمة التحرير الفلسطينية منظمة صغيرة تتألف من مجموعتين : الأولى – باسم (حركة فلسطين للتحرير الوطني – الفتح) والثانية– باسم (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) ولم تكن المجموعتان مختلفتين في الهدف وإنما في الأساس الايديولوجي . تستند منظمة " فتح " في اصولها إلى ارتباطات الاخوة الاسلامية وهي أكثر واقعية وترى أن عقيدة المنظمة يجب أن تتطور وتاخذ شكلها في ضوء التجربة التي تمر بها . وتؤكد مجموعة " الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين " على ارتباط نظرية العمل الثوري ارتباطاً وثيقاً بنظرية (ماوتسي تونغ) وإن آية حركة يجب أن تكون مسلحة بهذه النظرية منذ البداية .

وبعد أن أصبحت منظمة " فتح " منشغلة بشكل جاد بعملياتها الفدائية تجاه الكيان الصهيوني ، اخذت تحشد قوتها وتكثف من تدريباتها معتمدة على ما يصل اليها من اسلحة واموال من جهات خارجية عديدة وفي اذار ١٩٦٨ حدثت معركة " الكرامة " عندما هاجم الكيان الصهيوني مقر منظمة " فتح " الضعيف في الاردن وقد أثبتت الفصائل الفلسطينية الفدائية في حينه مقدرة وجدارة بالرغم من عدم حصولهم على اسناد الجنود النظاميين في الجيش الاردني . ومنذ تلك التجربة، ابتدأت منظمة " فتح " بالتطور إلى منظمة ذات مكانة مرموقة ولها سمعتها الجيدة وقدرتها على تدريب الفصائل الفدائية على أساليب العنف وتدريب الشباب ليكونوا "كأشبال الاسود " . واخذت هذه المنظمة تنشئ مدارسها الخاصة في معسكرات اللاجئين وبالقرب منها وكذلك المستشفيات ، وتوزع الرواتب للمتقاعدين وتنشئ محطات للبث الاذاعي وتخطط للمستقبل وتنشئ مراكز معلومات وبحوث في دمشق وبيروت . وكان يدير هذه المنظمة بجدارة (ياسر عرفات) ، وهو رجل اعمال تخلى عن أعماله المزدهرة في الكويت ليكرس حياته من أجل

القضية الفلسطينية . وقد حظي بالاعجاب في عموم الوطن العربي لنكران الذات هذا . ولم يكن له تأثير كبير خارج الوطن العربي حتى حرب ١٩٧٣ ، حيث سمح له في اعقابها بالتحدث باسم " منظمة التحرير الفلسطينية " كونها " الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني " وكان ذلك في مؤتمر القمة المنعقد في الجزائر في كانون الثاني ١٩٧٣ وفي مؤتمر القمة الاسلامي المنعقد في لاهور في شباط ١٩٧٤ [١]. وانشات منظمة التحرير الفلسطينية مجلساً وطنياً ولجنة تنفيذية (. مؤلفة من ست مجموعات فدائية) وكان ياسر عرفات رئيساً لكل من المجلس الوطني واللجنة التنفيذية . وكذلك أصبح ياسر عرفات رئيساً للجنة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية عندما أسست قيادة موحدة في شباط ١٩٧٠ . وفي الشهر نفسه، قام عرفات بزيارته الأولى لموسكو ضمن عدد من الزيارات لبلدان أخرى .

وفي الفترة بين الحربين ، أصبحت انشطة الفدائيين الفلسطينيين معضلة جادة بالنسبة للكيان الصهيوني حيث لم تكن لديه القدرة البشرية الكافية في أن واحد للحفاظ على امن حدودها كلها أو حتى الآن في مراكزها الرئيسه المكتظة بالسكان . وكما لاحظنا فإن انشطة منظمة التحرير الفلسطينية سببت قلقاً بالغاً لحكومتي الاردن ولبنان حيث ثبت عدم قدرتهما على السيطرة عليها ، بعكس النجاح الذي حققته سورية في هذا الجانب . وقد حاولت لبنان أن تحذو حذو سورية ولكن جهودها ذهبت عبثاً .

ونجحت الاردن برباطة جاش عسكرية ولكن على حساب فقدان من ثقة الفلسطينيين بالنظام الاردني .

وفي حزيران ١٩٧٤ ، توصل المجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية إلى برنامج مؤلف من عشر نقاط وكانت المنظمة متفقة على وحدة هذه النقاط وتحقيقها حتى النهاية ، ولكنها اختلفت في وسيلة التطبيق لاسباب ايديولوجية واخرى شخصية . وعلى سبيل المثال أن ياسر عرفات منذ البداية لم يتفق مع قائد منظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (جورج حبش) المسيحي ، وهو طبيب مثقف بدرجة عالية وعقائدي نظري أكثر من عرفات ولكنه اقل شعبية

---

[١] في تشرين الأول ١٩٧٤ ، صوتت الجمعية العامة للامم المتحدة بدعوته ليفتتح جلستها بشأن قضية فلسطين ، وكان التصويت (١٠٥) لصالح عرفات و (٤) ضده و (٢٠) غائبين لم يدلوا باصواتهم.

منه - ونظرياً تدير لجنة منظمة (فتح) ولكن في الحقيقة يهيمن عليها ياسر عرفات ، وهي ليست فقط أكبر التنظيمات في منظمة التحرير الفلسطينية ولكنها أيضا هي الأفضل والاكثر قبولاً لدى الحكومات العربية الأخرى لأنها اقل تطرفاً وأكثر انفتاحاً من بقية التنظيمات . ويحضر عرفات اجتماعات الجامعة العربية وتوجه إليه الدعوة لحضور اجتماعات القمة العربية ، (كان عرفات حاضراً في اجتماع القمة المنعقد في الجزائر في كانون الأول ١٩٧٣ والذي اعترف فيه بمنظمة التحرير الفلسطينية كونها المنظمة الناطقة باسم الفلسطينيين) . ويسافر عرفات بانتظام من عاصمة إلى أخرى مستشيراً الرؤساء العرب بالنسبة لمجالات التقدم التي يمكن تحقيقها بالنسبة لبلده .

وكان (جورج حبش) دائماً وابداً يخالف هذا المسلك الذي يسلكه عرفات، لانه على وفق مقاييسه يرى أن المفاوضات مع العدو والتي تباركها أو تنظمها القوى العظمى تؤدي إلى تحديد واضعاف نشاط العمل الفدائي الفلسطيني والى ابتعاد العناصر التي تقوم بدعم المنظمات الفدائية . وفي رأيه إنه يجب على الفلسطينيين أن يكسبوا اهتمام العالم بقبضتهم تماماً كالذي يفعله الكيان الصهيوني. ولاجل التوصل إلى تحقيق هذه الغاية ، يجب على الفلسطينيين أن يظهروا مقاومة ليس فقط في الشرق الأوسط وإنما في خارجه أيضا . وافتتحت منظمته (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) هجماتها على طائرات النقل المدنية الغربية واخذت تنافس عمليات الجماعات المتطرفة الأخرى . ويتميز (حبش) بالصلابة وهو نظري أكثر مما هو عملي في بعض الأمور . وبدأ بعض الجماعات داخل منظمته ينشق عنه لاسباب ايديولوجية وشخصية . وفي سنة ١٩٦٩ انقسمت جماعة باسم " الجبهة الديمقراطية الشعبية " للفلسطينيين في لبنان (PDFLP) تحت قيادة (نايف حواتمه) وهو مسيحي فلسطيني اكمل دراسته في الاردن . وكان (حواتمه) يدعو إلى العمل المحلي ، ليس بعيداً عن فلسطين ، مؤكداً أن الكيان الصهيوني يجب أن يستمر بالشعور بعدم الاطمئنان على أمنه إلى

أن يجد إنه من الضروري التعامل مع الفلسطينيين بشكل مباشر، ومتى ما حصلت هذه الحالة فسيجد إنه يجب أن تجرى عملية التفاوض[1] .

والجماعات الأخرى التي انفصلت عن (حبش) هي المنظمة العربية الفلسطينية فلسطين " التي يقودها (أحمد زعرور) و " القيادة العامة المتطرفة للجبهة الشعبية " التي يقودها (أحمد جبريل) . وهناك مجموعتان متميزتان عن كل من مجموعة ياسر عرفات وجورج حبش ، تستندان الى فرعي حزب البعث في سورية والعراق . واولى هاتين الجماعتين وهي أكبر الجماعتين وأكثر اعتدالا . والجماعة الثانية هي (جبهة التحرير العربية) . ومن بين الجماعات المنشقة الأخرى المعروفة على نطاق اوسع هي منظمة (جماعة الصاعقة ايلول الاسود) التي (انشقت عن منظمة فتح ، وسميت بهذا الاسم بعد الشهر الذي طرد فيه الملك حسين الفصائل الفدائية الفلسطينية خارج الاردن نهائيا) . نفذت (ايلول الاسود) عدة عمليات ارهابية في اوربا وافريقيا مثيرة للإعجاب جدا ، ولكن كان لها تأثير سلبي معاكس لما هو مقصود اساسا ، وكان لها هذا التأثير السلبي حتى في بعض الاراء العربية[2] . وكان رؤساء الدول الذين لديهم سفارات في الخارج يدركون تماما مدى تأثير هذه التجاوزات الارهابية على سمعة العرب أكثر من تاثيرها في الفلسطينيين أنفسهم الذين ليس لديهم ما يخسرونه سوى حياتهم البائسة .

إن درجة الاتفاق أو الاختلاف والتماسك داخل منظمة التحرير الفلسطينية تتباين مع سير الأحداث ففي الفترة بين الحربين ، كانت العمليات الفدائية ناجحة في سياستها لجعل الكيان الصهيوني يشعر بعدم الاستقرار ، ولم تكن الاعمال

---

[1] في ربيع ١٩٧٤ قاد (حواتمه) إحدى الغارات داخل الكيان الصهيوني ادت إلى أن يتصلب الرأي العام الصهيوني تجاه المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية . وقد نفذت جماعة (جبريل) غارات أخرى .

[2] مثلا ، اغتيال اللاعبين الرياضيين الصهاينة في ميونخ في ايلول ١٩٧٢ وقتل دبلوماسيين اثنين (أمريكي وبلجيكي) في السفارة السعودية في الخرطوم في ربيع ١٩٧٣ . وكانت اخبار هذه الاعمال الوحشية تنتشر وتذاع وتستقبل بصمت وقلق من معظم الحكومات العربية وفي غضون ١٩٧٤ ، أصبحت اعمال العنف خارج الكيان الصهيوني ذات أثر معاكس إلى حد قيام مقر قيادة (فتح) في بيروت بتوجيه الانتقاد والذم لهذه الاعمال .

الانتقامية الصهيونية تجاهها سوى مجرد زيادة اشعال نيران الحقد والكراهية . وفي بقية انحاء العالم ، استهدفت الاعمال الارهابية للفدائيين الفلسطينيين الإساءة لسمعة العرب ، وكان على عرفات في بعض الاحيان أن يحقق توازنا صعبا بين دوره كرئيس لما يعرف بـ (حكومة المنفى) وبين دعمه نشاط المنظمات الفدائية الفلسطينية التي لا يستطيع السيطرة عليها دائما .

داخل الكيان الصهيوني

يعترف الكيان الصهيوني منذ نكسته في تشرين الأول ١٩٧٣ بصراحة بأن نصره الغامر لم يكلفه ثمنا غاليا في حزيران ١٩٦٧ قد ولد لديه اوهاما تشتت عندما قام جيشان كفوءان نسبيا بمفاجئتها على حين غرة . وفي الفترة بين الحربين ، وبالرغم من قلقها بسبب العمليات التعبوية للفدائيين الفلسطينيين ، اعتقد الكيان الصهيوني بأن قواته المسلحة لا تقهر وإن صنف استخباراته لا ينافس ، وإن تفوقه على العرب يتزايد مع مرور الزمن لأن العرب لا يمكن أن يتحدوا في المستقبل القريب المنظور . وهو يستطيع مراقبة حركة الفدائيين الفلسطينيين وكبح جماحهم بالعمليات الانتقامية المقابلة العسكرية واسعة النطاق التي يديرها من دون خشية لعقوبة . وقد حقق الكيان الصهيوني لنفسه حدودا آمنة بعد أن قام بشن حرب استباقية ، وهو لا يعير اهتماما لهيئة الأمم ، ومهما عمل فهو يعتمد على الدعم الذي تقدمه له الولايات المتحدة الأمريكية .

وفي ما يبدو من هذا التصور ، أن الكيان الصهيوني استمر في مسعاه الوطني بمساعدة الضخ الهائل من الموارد المالية التي تصل إليه من الخارج ، مما جعله في غضون جيل واحد قادرا على إنشاء أمة مبتدئة بمليون من السكان اليهود المحليين وخليط من مليوني يهودي مهاجر . وينظر معظم الصهاينة إلى مواردهم الاقتصادية كونها امينة وهم يتمتعون بحياة رغيدة داخل بلادهم ، ومما يدل على ذلك : وسائط نقلهم المزدوجة وحقولهم الخصبة ومعاملهم المدوية والمباني الشاهقة والجامعات والمدارس المكتظة بالمتعلمين والاعلانات المثيرة عن وسائل التسلية والترف والحفلات العائلية في المقاهي والحفلات الموسيقية وملاعب الأطفال .

وهناك قلة من الصهاينة يتميزون بانهم اقل اندفاعا أو وثوقا بالحياة ، فهم ينظرون إلى الاعمال التي يقوم بها الفدائيون والعمليات الانتقامية العسكرية الصهيونية (التي لا تصل إلى الحرب) بانها عمليات لاثبات الذات الوطنية ، سواء بالنسبة للفلسطينيين أم للصهاينة . ويرى هؤلاء القلة بانه قد سنحت فرصة للتسوية السلمية مع العرب الفلسطينيين ولكنها لم تستثمر ، وذلك عندما فشل الكيان الصهيوني في توفير الحكم الذاتي للضفة الغربية وقطاع غزة بعد النصر الذي حققه في ١٩٦٧ . وعندما رأى هؤلاء القلة الداعون إلى السلام أن وصفتهم السليمة قد أهملت من دون مبالاة من الحكومة المتشددة التي ألفت بعد انتخابات ١٩٦٩ ، بدأ بعضهم يفكر في ما إذا كان الحرس القديم المؤلف من جماعات سياسية متعددة قبل تأسيس الدولة اليهودية هو الوصفة المفضلة لفترة السبعينات. فهم قلقون من إضافة اعداد جديدة من الفلسطينيين إلى الاقلية العربية المتعلمة على ما يبدو في الكيان الصهيوني في الفترة السابقة لـ ١٩٦٧ [١](٦٣٨٠٠٠) من العرب والدروز في الضفة الغربية و ٣٩٠٠٠٠ في غزة وسيناء الواقعة تحت الادارة الصهيونية بعد ١٩٦٧ أليس على الكيان الصهيوني أن يتخلى عن عمليات الاستيلاء التي اوجدت اقليات كبيرة بحيث أصبح على حكومتهم أن تعالج القضايا المتعلقة باكثر من نصف السكان من غير اليهود كيهود ؟ أنهم يرون الاكتفاء بالاقلية العربية في المنطقة الملحقة بالقدس والبالغ عددها (٧٠٠٠٠) عربي والتعامل معهم اقتصاديا . . ولكن كيف يمكن للحكومة أن تعالج الاعداد المتبقية إذا كان الاستيعاب الكلي لاسباب دينية امرا مستحيلا [٢] ؟

ولكن المتفائلين والمتشددين من اليهود على حد سواء ، اعترفوا بأن الحكومة حققت بعض النجاح في ادارتها المناطق المحتلة ، ومن ذلك ارتياح العمال العرب الذين يستخدمهم الكيان الصهيوني في مواقع البناء وانتشار شبكة كثيفة من هوائيات التلفزيون المنشرة فوق بيوت العرب المتواضعة ، وممارسة

---

[١] ٢١٠٠٠٠ عربي و ٢٣٠٠٠ دروز (الاقلية العربية قبل ١٩٦٧) حسب احصاءات عام ١٩٦٧ وقد أصبح العرب داخل الكيان الآن حوالي ١,٢٥ مليون . (المترجم)

[٢] للاطلاع على خلاصة موجزة عن الاراء والاراء المعاكسة المثارة ، أنظر والترلاكور " المواجهة " (لندن : سفير بوكس ١٩٧٤) الصفحة (٣٢ - ٣٦) .

التجار مع اليهود والسياح اللطفاء الذين يزورون القدس وابتدأ الصهاينة بالتخطيط لبناء مستعمرات يهودية في المناطق الواقعة تحت الادارة الصهيونية . ويبدو أن مدينتهم الجديدة (قريات اربع Kiryat Arba)[1] سيدوم بقاؤها .

إن الهدوء الذي كان يشعر به الصهاينة خلال عطل نهاية الأسبوع الطويلة في الفترة بين الحربين ، يبدو أن مظهره أكثر من حقيقته لأن حالات من القلق النفسي والاجتماعي كانت تغلي تحت سطحه البراق[2] . ومن بعض حالات القلق المعقدة هي كيفية ارضاء تطلعات اليهود الشرقيين الذين هم الآن في صف الاكثرية والذين يشعر الكثير منهم بعدم المساواة مع بقية اليهود في مجتمع الطبقتين الذي لاتزال ادارته بيد اليهود من أصل اوربي . والحالة الأخرى التي تبعث على القلق هي كيفية العودة إلى المثالية في التصرف والتي كان الرواد الاوائل يتمسكون بها في حين أن المجتمع الحالي منغمس بالماديات على نحو عدواني . والحالة الأخرى هي كيفية تحديد الهوية الوطنية عندما يعد قطاع من الأمة بانه ديني وقطاعات أخرى علمانية واشتراكية وقومية . ومع كل هذا وذاك، كيف يمكن معالجة ضيق التفكير لدى اناس يحرم عليهم التواصل مع جيرانهم المباشرين . وغالبا ما تنشغل العقول بالتفكير بجد في مثل هذه المعضلات المثيرة للقلق ، وقبل أن تتوصل إلى حلول معقولة تصطدم بقضايا أكثر خطورة على وجودها ومصيرها مثل قضية الدفاع الوطني . " إن شبابنا في دور المراهقة متعبون لنا ويكثرون من الانتقاد وإطالة شعورهم ولا يهمهم سوى التفكير (بالاعتناء بمظهرهم وغرائزهم) ، ولكن عندما يبلغون السن القانونية ويلتحقون بالخدمة العسكرية ، هناك يتغيرون ويبدأون العمل بجد وحرص " . والتعليق الذي يثار بهذا الصدد هو إنه في أرض تعج بالشكوك والفوارق ، كيف يمكن توجيه التفكير نحو موضوع الامن القومي الذي ينبغي له أن يتميز بالتنسيق والتماسك .

---

[1] بالقرب من مدينة الخليل (Hebron) .

[2] أنظر مثلا ، امون ايلول " الالكيان الصهيونيون ، المؤسسون والابناء " لندن : وادينفليد ونيكلسون ١٩٧١. رونالد سيفان " القدس لمن ؟ " لندن : كيب ١٩٧٣ ، دي . سيغر " الكيان الصهيوني : مجتمع في انتقال" اكسفورد ١٩٧٣

وفي الفترة الواقعة بين الحربين ، كانت الانتقادات القاسية التي يتفوه بها هؤلاء الشباب والعديد من الأكبر منهم سنا ويتردد صداها ، غالبا ما تكون انتقادات بناءة ، وقد تتضمن تعليقات لاذعة بشأن عدم ملاءمة المؤسسات القديمة (التي وجدت قبل تأسيس الدولة اليهودية) لمواكبة التطور العصري . ولم يعط النقاد آية مزايا للحرس القديم بالنسبة للانجازات التي حققها الجيش للامة مثل حرية الكلام التامة وحرية الصحافة أو ابقاء الجيش بعيدا عن التدخل في السياسة. وينظر الناقدون إلى الحكومة بانها أداة ديمقراطية وليست ليبرالية (حرة) ، وهم يثيرون التذمر ضدها لأنها سمحت بانحلال الحالة الاشتراكية وقيامها بحماية مالكي رؤوس الاموال وسمحت لهم بتبذير اموال الدولة العامة[1] ، وساعدت الحكومة ايضا في تحويل المنظمة العمالية السليمة - الهيستدروت - إلى منظمة صناعية تمتلك أكبر الثروات في الدولة . وقد وجه النقاد اللوم إلى الحكومة وعدوها مسؤولة عن أي خلل يحصل في النظام ابتداء من الممارسات الشاذة إلى عدم ازالة الاوساخ من الشوارع .

عند استعادة الأحداث الماضية والتأمل ، يبدو واضحا أن الشكوك وحالات القلق كانت تتراكم في الفترة الواقعة بين الحربين خلف واجهة من التوسع الاقتصادي والصناعي السريع مع مراعاة الامن العسكري . وعندما انهارت هذه الواجهة في السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ ، لم يوجه اللوم فقط إلى السلطة العسكرية وإنما كانت الحكومة كلها هدفا لانتقاد مكبوت واسع .

العرب تحت الحكم الصهيوني

إن العرب في الكيان الصهيوني لا يمكن امتصاصهم وتذويبهم ضمن دولة الكيان الصهيوني لأنهم ليسوا يهودا . ولذلك فهم يعانون درجة من التمييز العنصري، لانه إذا تنافس يهودي وعربي بمؤهلات متساوية على عمل ما ، فإن

---

[1] تتضمن الفضائح المنتشرة عقود المشاركة مع الاجانب للحصول على فوائد التنازلات عن الضرائب المسموح بها للاجانب ، وكذلك الحصول على الارباح التي تحقق من الاموال العامة ، مثلا في حقول النفط المصرية (المحتلة) ، ومن معمل صنع السيارات الذي هو شبه حكومي ، ومن الانشطة المالية في افريقيا لفرع من مؤسسة الماء الوطنية .

اليهودي هو الذي يحصل على ذلك العمل وحتى العرب المتعاونون (مع السلطة) الذين تعلموا اللغة العبرية ، ويحصلون على مقاعد في الكنيست (المجلس النيابي) لا يمكن الوثوق بهم للتعيين في المناصب المهمة أو في القوات المسلحة . وكان الكيان الصهيوني يأمل استمالة سكانها من العرب بزيادة مواردهم المادية وتوفير أسباب الرفاهية لهم بشكل خاص ، إلا أن صلات القرابة والنسب مع الدول عبر حدود الكيان الصهيوني كانت عائقا يحول دون تحقيق هذه الاستمالة . وعلى عكس أصحاب المقاهي والفنادق في بلقاست الذين كانوا يأخذون نقود الجنود البريطانيين فإن الفلسطينيين في المناطق المحتلة لا تستهويهم النقود الصهيونية .

غالبا ما يقول الصهاينة أن بلدهم صغير جدا بحيث أن أي نوع من الاخبار الخاصة باليهود ، وبشكل خاص كل خبر يتعلق بالخسائر البشرية ، ينتشر بسرعة في جميع ارجاء البلاد . وهم لا يطبقون هذا المبدأ ابدا على الضفة الغربية الأصغر مساحة (من بقية الكيان الصهيوني) . وفي قطاع غزة تنتشر الاخبار بسرعة وبدقة، حيث أن موقع كل مستعمرة جديدة واية عملية لمصادرة الممتلكات من الأرض وكل عملية القاء قبض على مجموعة من الاشخاص وكل إجراء لغلق مدرسة ونسف دار مشكوك في ولائها أو عمليات الترحيل بالنسبة للاشخاص غير المرغوب فيهم وعمليات التفتيش الليلية وعمليات الاستجواب المفاجئة . . . ، كل اخبار هذه العمليات والفعاليات تنتشر بسرعة تتردد بالصدى نفسه. ومما لا شك فيه أن العرب الذين يعملون في موقع العمل الصهيونية هم أفضل ماليا مما كانوا عليه في العمل في الأراضي الاردنية . وكذلك الحال بالنسبة للعربي الذي يدير محلا تجاريا في القدس في المنطقة الملحقة بالكيان الصهيوني لأنه أصبح مؤهلا للافادة من فوائد التأمين الاجتماعي الصهيوني . ولكن العربي المثقف اسوأ حالا الآن مما كان عليه سابقا ، ليس فقط بسبب التضخم المالي (وارتفاع الاسعار) ولكن أيضا بسبب المعدل العالي للضرائب الصهيونية - وهي حقيقة توضح له في كل مرة يسلم فيها قائمة الضرائب التي يجب عليه أن يدفعها بلغة لا يستطيع قراءتها . إن الرفاهية الاقتصادية المتاحة للعرب لا تكفي لسد اقل الامور المعنوية التي يحصل عليها المواطنون الصهاينة من الدرجة الأولى .

وكان الكيان الصهيوني يأمل تهدئة مشاعر العرب باتباع سياسة "الجسور المفتوحة " على نهر الاردن وبجعل وجودها العسكري لا يثير الانتباه قدر الامكان. هذا هو الحال على الضفة الغربية ، وهو لا يشبه الوضع في قطاع غزة التي هي

أكثر صخبا وعنادا وأكثر ازدحاما بالسكان حيث غدارات الجنود (الصهيونية) والاجهزة اللاسلكية اليدوية (ووكي توكي) تهيمن على شوارع المدينة . إن الانتفاع من استخدام الجسور على نهر الاردن أدى إلى تدفق سيل من الزوار العرب في الاتجاهين ، وبالطبع أنهم يخضعون إلى تفتيش الصهيوني صارم ، سواء في الذهاب أم في الاياب . كما أن اللوريات المحملة بمواد منتجة (في الكيان الصهيوني) يسمح لها بالمرور بعد تفتيش حمولاتها ولكن عليها أن تتسلم لوحات ارقامها وتتسلم بدلها لوحات ارقام اردنية ويجرى تبديلها مرة أخرى عند العودة من الاردن وباستثناء المسافرين الذين يستخدمون سيارات الأمم المتحدة والسيارات التي تعود إلى المنظمات الدينية ، فإن على المسافرين الاخرين أن يتركوا مركباتهم على جانب واحد من الجسر ويسيرون عبر الجسر وتقلهم حافلة أخرى موجودة في الجانب الآخر . أن أسباب هذا الإجراء واضحة ولكنها تثير مشاعر العرب المقيمين .

باندلاع الحرب في ١٩٧٣ ، تحمس العرب والفلسطينيون وتحفز شعورهم بالاعتزاز والفخر كونهم أمة عربية ، وكانت الفرحة بادية على قسمات وجوههم وحتى في الطريقة التي كان العرب داخل الكيان الصهيوني (والمناطق المحتلة) يسيرون بها في الشوارع . ولكن الفرحة هذه جلبت معها محنا للعرب . وعلى وفق ما تحدث به طالب أمريكي في الجامعة العبرية في القدس ، " أن هذه الاثارة الجديدة، على أية حال ، جلبت معها في المناطق الخاضعة للادارة الصهيونية ، عودة بالحكومة العسكرية الصهيونية إلى سياسة اليد الحديد التي كانت تستخدمها في سنة ١٩٦٨ [١].

إن الصهاينة الذين لم يعبروا ابدا إلى المناطق الواقعة تحت الادارة الصهيونية يتصورون أن العرب الفلسطينيين هادئون لأنهم مكتفون اقتصاديا ، والواقع أنهم هادئون بسبب الحذر والخوف . أنهم لا يدركون أن احتلال منطقة أجنبية ليس فقط تجربة مؤلمة للذين احتلت أراضيهم وإنما أيضا هي تجربة مضنية ومحفوفة بالمخاطر بالنسبة للسلطة القائمة بالاحتلال .

---

[١] ايان لستغ " ماذا يريد الفلسطينون ؟ " ، " محادثات في المناطق المحتلة " ، " نظرة جديدة " الجزء ١٧ الرقم (٢) (شباط ١٩٧٤) صفحة ٢٥ - ٢٨

الفصل الثالث

حرب تشرين الأول ١٩٧٣

اللواء أي أيج فارار هوكلي
مدير التطوير القتالي في الجيش البريطاني
كما وردت باوراق ادلفي الرقم ١١١
Maj- Gen Farar Hockley

حرب تشرين الأول ١٩٧٣

بقلم اللواء أي . ايج فارار هوكلي

يقول أحد الامثال العسكرية اليابانية القديمة : " فـي لحظـة الانتصـار ، ضيق حناكيه خوذتك " ، أي شدد من خناق عدوك . إن هذا القول المأثور مناسب بشكل خاص بالنسبة للكيان الصهيوني في اعقاب حرب ١٩٦٧ . لقد تمكنت قـوة الدفاع الصهيونية من دحر الجيوش العربية والاستيلاء على مناطق الحدود الدولية لسورية ومصر . وكان من المحتمل أن تسعى هاتان الدولتان إلى استخدام القـوة المسلحة في تاريخ معين في المستقبل للمطالبة باراضيها والانتقام لهزيمتها . وإذا لم يكن هناك حل آخر ، فهذا الاحتمال مقبول في المنظور النسـبي لادراك طبيعـة الحادثة بعد وقوعها .

وبالطبع ، لم يكن التعرض المقابل (العربي) امرا مؤكدا ، لانـه خـلال الفترة بين تموز ١٩٦٧ و ١٩٧٣ وبصورة متقطعة ، سـنحت بعـض الفـرص لإجراء تسوية سياسية بين الكيان الصهيوني والدول العربية ، ولا سيما مع مصر والاردن وربما سورية أيضا . والى حد ما ، شدد الكيان الصـهيوني مـن نـواح معينة من خناقه للعدو ببناء مواقع دفاعية حصينة على امتداد حـدوده الشـمالية والجنوبية في الوقت الذي كان ينتظر فيه نتيجة المفاوضات السياسة .

وفي الجانب العربي ، تعلمت القوات المسلحة في سورية ومصر وبشـكل مؤلم درسا مهما : " لا يمكنهم الاستهانة بالقوات الصهيونيـة المتمـيزة بتعـاظم قوتها وصلابتها ومرونتها " . وقد حفزهم ذلك للعمـل علـى تحسـين قدراتـهم المهنية. وفي القاهرة ، تحدث الرئيس عبد الناصر في خريف ١٩٦٧ إلـى جمـع من كبار الضباط مؤكدا لهم انهم قد خسروا معركة لكنهم لم يخسـروا الحـرب . وبكلفة عالية كانت حكومة عبد الناصر تحصل على تعويضات عن خسائرها فـي الاسلحة والمعدات من الاتحاد السوفيتي بما يكفي للحصول على دفاع قوي تجـاه آية تجاوزات من الكيان الصهيوني داخل مصر . وزرعت الصواريخ (SAM - 2) أرض - جو مع راداراتها على امتداد قناة السويس والسواحل المباشـرة لمصـر

لمنع أي تكرار بهجمات جوية استباقية والتي سبق أن استخدمها الكيان الصهيوني في حزيران ١٩٦٧ . وبالرغم من أن تسبة من الاحتياط . من كبار السن والمثقفين ، قد سرحوا للتمتع بالحياة المدنية ، إلا أن الجيش ، وبدرجة اقل ، البحرية والقوة الجوية ، بقيت معبأة بالقوة القتالية .

ولفترة من الوقت ، استمرت المناوشات الحربية بين الطرفين وبشكل متقطع . وكانت الغارات السورية تحاول الاستيلاء على دفاعات العدو في مرتفعات الجولان أو أحداث الخسائر فيها باتباع اسلوب المهارشة . وكان الفدائيون المصريون والوحدات المظلية المصرية تعبر القناة لغرض أحداث الفوضى في صفوف العدو وارباك عمليات تطوير مواقع الدفاع والتحصينات الصهيونية في خط بارليف . وفي خريف وربيع ١٩٦٩، قام الصهاينة بعمليات انتقامية بالاغارة عبر خليج السويس مستخدمين الطائرات السمتية وزوارق الصولة لانزال القطعات . وخلال هذه العمليات استخدم الاسرئيليون دبابتي معركة متوسطة (تي - ٢٦) ورادارا نوع (ار - ٢) لاغراض التجربة والفحص . وقد اطفأت هذه الانتصارات الضئيلة الاخيرة بعضاً من الروح المتفجرة في الجيش المصري .

وعندما خلف الرئيس السادات جمال عبد الناصر في ايلول ١٩٧٠ ، استمر في دعمه بدرجة معينة السلام المتنافر . واصيبت الفصائل الفدائية الفلسطينية بالاحباط لعدم تحقيق هدفها في ارهاب الداخل الصهيوني ، وتحول نشاطها إلى تنفيذ عمليات الاغارة خارج الأراضي الفلسطينية ، كاختطاف الطائرات، ليعلنوا عن حقوقهم المهضومة على نطاق عالمي .

لم يكن الفلسطينيون وحدهم قد اصيبوا بالاحباط . فالمصريون الذين تأثروا بما اصابهم في حرب ١٩٦٧ ، ولوثوقهم أن بامكانهم تحقيق النجاح ضد الصهاينة ، كانوا يرون أن ذلك يمكن فقط إذا ما التحموا وتدربوا بحماسة ، وقد تجاوز العديد من الملتحقين بالخدمة العسكرية المدة المقررة اساساً للبقاء في القوات المسلحة . وابتدأوا يفكرون بأنهم جزء من قوة الدفاع الستراتيجية لحماية بلادهم ولكن ، دونما هدف واضح . وكان للكادر النظامي في القوات المسلحة اراؤه الخاصة ، فقد آثار الشكوك بشأن بعثه التدريب السوفيتية التي توزع معلموها ومستشاروها بين صنوف وفروع القوات المسلحة المصرية وبين جميع المستويات . ويرى المصريون أن هؤلاء السوفييت موجهون بشكل سري لكبح

آية محاولة يقوم بها المصريون لشن عمليات تعرضية . لذلك ، شعر العسـكريون بارتياح وحماسة كبيرتين عندما أقدم السادات على طرد البعثة العسكرية السوفيتية في ١٧ تموز ١٩٧٢ ؛ وكان التأثير أكبر عندما اوضح السادات الأسـباب التـي دعته للقيام بذلك في خطاب موجه إلى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربـي المصري بعد يومين من القرار المذكور:

" إن الاتحاد السوفيتي بلد كبير وله دوره الدولي والستراتيجية الخاصـة به. وفي ما يتعلق بنا ، فإن اراضينا جزئياً تحت الاحتلال ولذلك فإن هدفنـا علـى المستويين المصري والعربي هو ازالة آثار العدوان " .

لقد اوضح السادات مؤخرا بمقابلة مع صحيفة الاهرام ، أن ما تفتقر اليـه مصر في ذلك الوقت هو خطة ستراتيجية كاملة للقيام بتعرض مقابل ضد الكيـان الصهيوني . ولوضع مثل هذه الخطة ولتهيئة القوات المسلحة لتحقيق اهدافـها ، أن كان مثل ذلك ضرورياً ، تم تعيين المشير (أحمد اسماعيل) وزيـراً للحربيـة وقائداً عاماً للقوات المسلحة في تشرين الأول ١٩٧٢ .

المبحث الأول

الامور التمهيدية

كان الواجب الأول للمشير (اسماعيل) ، بالتنسيق مع رئيس الاركان العامة الفريق (سعد الدين الشاذلي) هو اجراء تقدير للموقف وللاحتمالات الممكنة بالتفصيل ، وبطريقة استعرض فيها نقاط ضعفه العسكرية ونقاط ضعف العدو بشكل صريح .

والسؤال الرئيس هو : تجاه أي نوع من العمليات العسكرية يكون الكيان الصهيوني أكثر وهناً ؟ تتمثل قوة الكيان الصهيوني في قدرته على البقاء وفي كفاءته العالية في المهارات التقنية والمهنية العسكرية وفي استيعابه تدريب قوته البشرية في صفوف قواته المسلحة . ويتميز الكيان الصهيوني أيضا بنظام تعبئة سريع وكفء . ويحصل على دعم مالي وتقني واسع النطاق وبشكل خاص من الولايات المتحدة الأمريكية . وتتمثل نقاط ضعفه بحدوده الطويلة الممتدة نحو (٥٠٠) ميل تجاه لبنان وسورية والاردن ومصر . وبعدد صغير من السكان يصل إلى (٣) ملايين نسمة مقابل (٢٩)[1] مليون في مصر وأكثر من (٨٢) مليون عربي في الدول العربية معادين للكيان الصهيوني بدرجة فعالة . ومن نقاط ضعفه الأخرى هو اقتصادها المرهق بالتزامات الدفاع الضخمة ولكل هذه الامور اضاف المشير (اسماعيل) علناً بأن عدوه يعاني " شرور الغرور المفرط "

وفي مجال الستراتيجية بعيدة المدى ، يجب عدم اغفال التظاهرات الضخمة التي تجري في المناطق الحدودية للكيان الصهيوني ، لفترة طويلة وبشكل متقطع ، قوة العرب مما يمثل تهديداً علناً للكيان الصهيوني . إن التعبئة المتكررة دورياً بسبب المخاطر الموجهة ضد الكيان الصهيوني مكلفة بشكل مرهق لاقتصاده ، حيث إنه كرد فعل قد يقوم بشن حملة عسكرية أخرى ضد جيرانه

---

[1] كان هذا عدد السكان ابان المعركة ويصل عدد سكان مصر الآن إلى ما يزيد على ستين مليون نسمة . ويبلغ عدد السكان في الكيان الصهيوني الآن ستة ملايين ٢١% منهم من العرب . (المترجم)

العرب ؛ ولكنه سيجدهم في هذه المرة متهيئين لهذه المناسبة[1] . ومن الممكن أيضا أن يعتاد الكيان الصهيوني صرخة " الذئب ! " على حدوده فيتراجع عن مزيد من الرضى إلى الخلف ويصبح أكثر وهنا للمباغتة .

وفي حين أن كل ردود الفعل تلائم الهدف السوقي (الستراتيجي) لمصر بدرجة أو أخرى ، إلا أن هذه الردود خلال عدة اشهر ، وربما عدة سنوات ، قد تفرض جهدا كبيرا على قواتها المسلحة وفي تصريح لاحق للصحف ، اشار (اسماعيل) إلى أن :

" الظروف قد اجبرتهم على البقاء في الحالة الدفاعية لمدة ست أو سبع سنوات ، ومعظم هذه المدة في حالة الدفاع المستكن . وتحت هذه الظروف ، فإن القوات - آية قوات في العالم - قد تتعرض لما ندعوه في التعاليم العسكرية (مرض الخنادق) " .

إن الخطر من كون هذا المرض قد ترسخت جذوره بعمق ، أصبح موضوعا لجدال عنيف ضد ستراتيجية الاستفزاز عندما سنحت الفرصة للقيام بتعرض اني يحقق المباغتة وبقدر تعلق الأمر بالقوات البرية يجب الموازنة بين تعبئة الأفراد والحفاظ على امن الخطط . لقد احتفظ الكيان الصهيوني بشكل دائم بـ(٨٠٠٠٠) فرد فقط من قوته المعبأة الكلية البالغة (٣٠٠٠٠٠) ، في حين أن القوات المسلحة المصرية ، المعبأة بشكل واسع دائما ، تبلغ نحو (٣٠٠٠٠٠) بحيث إنه إذا ما بوغتت فإن لديها تفوقا عدديا واضحا . ولكن هناك عاملان اخران يجب أن يؤخذا بالحسبان : العامل الأول هو الحفاظ على الكتمان . فاذا ما ارادت مصر أن تحافظ على سرية نياتها وخطتها وعدم كشفها لحلفائها وإن تقوم بعملية الهجوم وحدها ، فإن الصولة البرية ستحدد على جبهة واحدة هي (جبهة سيناء) حيث يتمكن الكيان الصهيوني من التنازل عن الأرض وقتيا في هذه الجبهة . والعامل الثاني ، الذي له أهمية كبيرة ، هو منظومة الانذار المبكر الصهيونية التي تحرم على مصر تحقيق ضربة جوية مباغتة لمطارات العدو . لذلك في الساعات

---

[1] ومن الممكن أيضا القول أن الكيان الصهيوني عندما اعتاد صراخ الذئاب على حدوده ونكص على اعقابه راضيا ، أصبح واهنا تجاه المباغتة . (المترجم)

الافتتاحية للحرب، ستكون قوتها الجوية متهيئة لمواجهة ضربة جوية صهيونيـــة خاطفة .

وغالباً ما كان (اسماعيل) يصرح بانه لن يجبر جنوده ابداً على القتـــال في مناطق ليس فيها غطاء من دفاعاتهم الجوية . ولم يكن واثقا في ما إذا كـــان بمقدور الصهاينة مهاجمة هذه الدفاعات بقوة بحيث لا يتمكنون من أحداث ثغـــرة فيها ؟

وكان جوهر تقديره للموقف يتضمن نقاط ثلاثاً . لقد تقرر بـــأن ســـورية يجب اشراكها بكامل ثقلها في العملية . والاردن التـــي لـــم تكـــن لـــها علاقـــات دبلوماسية مع مصر ولامع سورية سنة ١٩٧٢ ، ينبغي دعوتها إلى العودة إلـــى الاخوة (العربية) وبهدف اشراكها في العملية كطرف مشارك مساعد . وثالثـــاً ، قرر اسماعيل والشاذلي أن يدمجا في خطتهما جزءاً من ســـتراتيجية " الذئـــب[*]! "العاوي التي كثيرا ما نفذت وتقرر أن يكون التدريب خلال الاشهر المقبلة بمستوى فرق منفردة ثم الوصول إلى تدريب الجيش كله بتشكيلات المعركة تحـــت غطـــاء جوي حتى القناة بتشكيل المعركة . وينبغي أن تقوم سورية بالاجراء نفســـه . وإذا كان على الصهاينة أن يقوموا باجراء التعبئة في كل مرة يجري فيها المصريـــون والسوريون التدريب ، أو القيام بأجراء المناورة اعتياديا ، أو حتى يحاولون القيام بضربة استباقية ، فإن أيا من هذه الإجراءات سيكون في صـــالح العـــرب. حيـــث سيكون الوقت بانتهاء التدريب بمستوى التشكيل والقيام بالضربة قصيراً جداً حتـــى لايتمخض عن سريان حالة " مرض الخنادق " من جديد وفي غضون ذلك ، يضـــع (اسماعيل) لنفسه واجب معالجة السلبيات الموجودة بشكل مستديم بيـــن القـــوات المسلحة .

" لقد ركزت في حينه على عدد من الامور الجوهرية " . قـــال ذلـــك فـــي مقابلة صحيفة ، واضاف (اسماعيل) قائلاً " انني اعتقد أننا من دون معالجة هذه الامور الجوهرية لا يمكننا أن نعمل أي شيء اطلاقاً . واول هذه الامور أن قواتنـــا يجب أن تقتنع بأن القتال أمر حتمـــي . . . لقـــد زرت القـــوات المســـلحة فـــي مواضعهم، وشرحنا الظروف لهم قائلين اننا إذا لم نغير الظروف فإن العـــدو قـــد

---

* المقصود بها العمليات الفدائية (المترجم) .

يفرض تغييرا علينا . . . " الأمر الجوهري الثاني هو أن رجالنا يجب أن تكـــون لهم ثقة تامة باسلحتهم . كنت اريد أن ابدل المفهوم القائل بأن الاسلحة هي التـــي تصنع الإنسان المقاتل . إن الإنسان المقاتل هو الذي يصنع الاسلحة . وما لم يكـن رجالنا واثقين بأنفسهم فإن أسلحتهم لن تحميهم ابدا . ومن الناحية الأخـــرى ، إذا كانت لديهم ثقة بأنفسهم ، فإن أية اسلحة في حوزتهم سوف تحميهم " .

كانت كميات كبيرة من المعدات والاسلحة في طريقها إلـــى مصـر مـــن الاتحاد السوفيتي . وفي غضون ذلك ، كان التدريب يتزايد مداه وحيويته . وكـانت الدورات المكثفة على المستوى الفردي تجرى في الرمي بالاسلحة الخفيفة والغش والاختفاء والحركة ليلا وتنمية القابلية البدنية . وطورت المهارات الاختصاصيـــة الفردية والجماعية بما يناسب اختصاصات الصنوف المقاتلة والخدمات . وجـــرى اكمال اختيار الجنود الملائمين لتشغيل الصواريخ المضـــادة للدبابـــات والموجهـــة سلكيا المعروفة في الغرب باسم (ساغر Sagger)[1] ، وتوسيع عدد الطوائـــــف المدربة لتشغيل صواريخ (أرض – جو) المنقولة وهي صواريخ (SAM - 6)، والصواريخ المحمولة بالكتف سام ٧ (SAM - 7). وتقدم التدريب خطوات جيـــدة ليشمل الكادر التعليمي والمشغلين . وصرف وقت طويل للمارسة على المشبهات .

اشرف رئيس الاركان العامة الفريق (الشاذلي) على تطوير خطة الهجوم وبكتمان وامانة للغاية في البداية ، طبق مفهوم العمليـــة المدبـــرة التـــي نظمـت بمراحل لغرض الحصول على الفائدة خطوة بعـــد خطـــوة بتشـكيلات متقاربـــة ، لحرمان الكيان الصهيوني من تطوير الحرب المفتوحة (Open Warfare) التي هي يحسنها . وبدلا من ذلك فانهم سوف ينقادون إلى معارك " مفرمـــة اللحـــوم " "Meat Mincer".

ينبغي أن تتم المرحلة الأولى – عبور القناة – بصولة مشاة مكثفة مسندة بأقصى ما لديهم من موارد المدفعية والهندسة . وسوف تعزز قدرة وثقل العمليـــة بمرور جميع الدروع المصرية عبر رؤوس الجسور التي سيؤسسها ابتداء المشاة، والجسور الأخرى التي ستنشأ بطريقة خاطفة ضمـــن رؤوس الجســور لمـــرور الدبابات، بحيث يتيسر لهذه الدبابات الوقت للانفتاح قبـــل أن يتطـــور أول هجـــوم

---

[1] هو صاروخ المالوتكا ضد الدبابات المعروف لدى الدول التي تتسلح بالتسليح السوفيتي . (المترجم)

مقابل صهيوني رئيس . ومن الواضح ، أن اسهام الهندسة سيكون أمراً جوهرياً . فعلى حافة القناة الشرقية الصلبة سداد كبيرة من التراب ارتفاعها بين (٣٠ - ٦٠)[*] قدماً وهي متطاولة إلى الأعلى لعرقلة ولمنع مرور الدروع . . . ففي آية نقاط يجب أحداث الثغرات في هذا المانع المعين ؟ وكم يستغرق فتح هذه الثغرات ؟ وباية وسائل يمكن جلب المعدات (التراكتورات) لتطهير الممرات بين التحصينات الترابية ؟ لقد كون اللواء (علي محمد) مدير الهندسة العسكرية المصرية لجنة دارسة من الاختصاصيين لاعداد الحلول لهذه المعضلات .

واستمرت المباحثات السياسية داخل المجتمع العربي ، في حين كان التخطيط والتدريب العسكري يقطعان خطوات متقدمة . وفي كانون الثاني ١٩٧٣ عُين المشير (أحمد اسماعيل) قائداً عاماً للقوات المسلحة في عموم اتحاد الجمهوريات العربية[**] .

وبدأ ذلك الإجراء ظاهريا وكأنه نوع آخر من المظاهر المصطنعة للوحدة العربية في حين إنها اثرت في الحقيقة ، في العلاقة بين القوات المصرية والسورية وكان رد الفعل السوري للمشروع يتسم بالحماسة . وظهر أن الخلافات في الرأي ابتدأت بالمفاهيم الستراتيجية (السوقية) وتدريجياً توصل إلى حل هذه المسائل . وفي ايار ، قام الرئيس (الاسد) بزيارة قصيرة لموسكو للتفاوض من أجل الحصول على منظومة دفاع جوي شاملة لسورية - صواريخ سام الثابتة والسيارة والطائرات والرادارات المرافقة لها . وزودت بعثة التدريب السوفيتية (التي تعمل بتنسيق جيد مع القوات البرية والجوية السورية) بتعزيزات خاصة . وفي منتصف الصيف ، اتفق مبدئياً على خطة مصرية - سورية .

خلال اواخر الربيع ، ابتدأ الجيش المصري تدريبه بمستوى التشكيلات . ولاحظت الاستخبارات الصهيونية تجمع الالوية المصرية من انواع عديدة واشوت بدقة حركتها إلى الضفة الغربية من القناة . وفي القناة نفسها ، لاحظت مواقع

---

[*] (١٠ إلى ٢٠ متراً) تقريبا (المترجم) .

[**] اتحاد الجمهوريات العربية هو كيان اتحادي أنشئ بين كل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية وليبيا عام ١٩٧١ ولم يقم بدور ما على الصعيد الدولي، وربما كانت الخطوة المشار إليها اعلاه من قبيل التمويه (المترجم).

الرصد الصهيونية في خط بارليف أن إجراءات الدفاع على الضفة المقابلة يجري تحويرها بشكل مكثف . وأكدت التصاوير الجوية (الصهيونية) بانه قد استحدثت تقنيات اضافية على امتداد القناة وأنشئت منعات محصنة جديدة مع تقوية المنعات الموجودة سابقاً . وتؤكد التصاوير الجوية أيضا إعادة اكساء الطرق وتوسيع الطرق في منطقتين .

وتشير هذه التقارير وغيرها إلى أن مصر تتهيأ لشن حرب وشيكة وهناك دلائل تشير إلى أن سورية هي الأخرى تتحرك بهذا الاتجاه . وفي وقت مبكر من ايار ، خلال الازمة في لبنان ، اقتنع بعض الاعضاء الأحداث في هيئة الاستخبارات الصهيونية بأن الحرب مسلك وشيك الوقوع . ولم يتفق رئيسهم اللواء (زعيرا) معهم على هذا الاستنتاج . وبالتأمل في نقل الدلائل ، ساند الفريق (ديفيد اليعازر) رئيس الاركان العامة الصهيونية فكرة توقع الحرب واقترح على رئيسة الحكومة (السيدة مائير) اتخاذ الاستحضارات الاولية . إن دعوة الاحتياط الأول والتحركات الاضافية للقطعات والعجلات والطائرات وتفكيك المعدات ونقل الاعتدة والتجهيزات الأخرى تكلف الكيان الصهيوني (٤,٥) مليون باون .

لقد ثبت فشل منظومة الانذار (الصهيونية) وكان الخطأ في التقدير مكلفاً. ومع ذلك لم توجه الحكومة اللوم إلى المسؤولين عن فشل هذه المنظومة . وقد ادركت الحكومة تماما بانه ليس من السهل اصدار الاحكام الدقيقة عندما تتعرض الدولة للمخاطر. وفي ٢١ ايار ، تحدث (موشي دايان) وزير الدفاع إلى كبار الضباط في الاركان العامة قائلاً : " يجب أن يؤخذ في الحساب احتمال تجدد الحرب في النصف الثاني من الصيف . اتني اتحدث الآن كوني ممثلاً عن الحكومة وعلى أساس ما نعرف أن الحكومة - تقول للاركان العامة : رجاءً تهيأوا للحرب لأن الذين يهددون بها هما مصر وسورية " .

توفرت دلائل أخرى خلال الربع الثالث من سنة ١٩٧٣ تشير إلى أن مثل هذه الحرب تهدد فعلاً بالاندلاع . وفي نهاية ايلول ، تحرك جزء رئيس من الجيش المصري باتجاه القناة ست مرات بتشكيل المعركة . وكان الذيل الاداري لهذه القوات ممتداً خلفها . ووضع العديد من اكداس المدخرات التي تحتاج اليها القوات للادامة في الخلف . وتشير الدلائل إلى توزيع وحدات الصواريخ (أرض - جو) (SAM - 6) ضمن الفرق المدرعة ، وكانت النية متجهة إلى دفع الدبابات إلى

الامام أو إلى ما وراء حدود الغطاء الذي توفره صواريخ (سام ٢) والتي عززت بصواريخ (سام ٣) . وكذلك انشأت سورية حاجزاً للدفاع الجوي المعتمد على هذه الصواريخ . وشوهد الجيش السوري وهو يقوم بمناوراته تحت هذا الحاجز من الدفاع الجوي . وفي الأسبوع الثاني من ايلول اعلنت الاردن استئناف علاقاتها الدبلوماسية مع القاهرة ودمشق .

لم يحدد يوم معين للبدء بالتعرض . وكانت مصر تفضل يوم ٦ تشرين الأول وبشكل خاص الساعة الاخيرة منه كي تبدأ فيها التعرض . إن الظلام في ليلة السادس من تشرين الأول يوفر الظروف الفضلى لبناء الجسور ومرور الدبابات عليها واعادة انفتاح الدفاعات الجوية . ويصادف هذا اليوم أيضا العاشر من شهر رمضان حيث يبعث على التصور بأن طاقات المسلمين ضعيفة (بسبب الصيام) وانهم غير قادرين على القيام بهذا التعرض . وتصادف ليلة هذا اليوم أيضا عطلة يوم الغفران (Yom Kippur)[*] في الكيان الصهيوني . وكانت تقارير الانواء الجوية للقناة تشير إلى أن التيارات المائية بين الضفاف ليست شديدة السرعة في ذلك اليوم . وكانت لدى الفريق (مصطفى طلاس) رئيس الاركان العامة السوري افكار أخرى في ما يتعلق باليوم والساعة لبدء التعرض ولكن المشير (أحمد اسماعيل) اقنعه بقبول يوم السادس من تشرين الأول ، وتوصلا إلى حل قبله الطرفان في ما يتعلق بتحديد الساعة : إنها كانت الساعة الثانية بعد الظهر وكان الاسم الرمزي للتعرض هو " بدر " .

(Yom Kippur) وهو عيد الكفارة أو الغفران لدى اليهود .

ردود الفعل الصهيونية

في ٢٤ ايلول ١٩٧٣ ، جرى تبديل القطعات الصهيونية التي كانت تحتل خط بارليف بوجبة الاحتياط الذين استدعوا للخدمة العسكرية لقضاء فترة تدريب الاحتياط في الخدمة الفعالة . وفي الليلة السابقة ، جرى ايجازهم بالنسبة لواجباتهم ، وكانت النقاط الرئيسة التي وردت في هذا الايجاز لاحدى السرايا ما يلي :

" ايها الجنود . . . يا من ستأخذون مكانكم في الخطوط الامامية . . . تذكروا انكم عيوننا . . انتم عيون الجيش " . وقال يهودا رافيف أحد أفراد هذه السرية في ما بعد مستذكراً:

" منذ يوم وصولنا وضع بعضنا في نقاط المراقبة من شروق الشمس حتى غروبها . وكان رصد الضفة الغربية للقناة ومواضع الجيش المصري أحد الواجبات الرئيسة لنا . وكان برج المراقبة الفولاذي بارتفاع (٥٠ - ٦٠) قدماً ويتوصل إليه بسلم معدني . . . " [1].

من هذا الموقع ، ومن مواقع أخرى تغطي الـ (٩٤) ميلاً من السويس إلى البحيرة المرة الكبيرة ، ومن البحيرة المرة الكبيرة حتى حافة الأرض ذات الاشجار الواطئة والمستنقعات بين بور سعيد والقنطرة ، لاحظت التقارير حركة واسعة خلال الأسبوع الأخير من ايلول واوائل تشرين الأول . وشوهدت قطعات وعجلات تتحرك ليلاً ونهاراً . واحياناً كان الجنود المصريون يرتدون نهاراً وبشكل ظاهر التجهيزات الوقائية ضد الهجوم بالاسلحة الكيمياوية . وغالباً ما كانوا منشغلين في توسيع وتعديل اعمالهم الدفاعية . وكشف معدات الرؤية الليلية تفريغ الحمولات من العجلات وتكديسها . إن ادراك هذه الامور التي اثيرت في اوساط الجنود الصهاينة في تحصينات بارليف تلاشت مخاوفها في الساعات الطويلة التي شوهد فيها المصريون وهم يعرضون اجسامهم للشمس ويشعرون بالراحة وهم صائمون خلال الايام الأولى من رمضان .

ومهما كانت " عيون الجيش " تفكر بهذه الفعاليات المتباينة وتفسيرها ، لايبدو إنها قد اثارت قائد جبهة سيناء اللواء شموئيل غونين ولا رئيس

---

[1] انظر مجلة (جيروسالم بوست) ، ٢٢ اذار ١٩٧٤ ، " الوقفة الاخيرة في فردان " بقلم يهودا افيف .

استخباراته وبالرغم من أن العديد من ضباط الاستخبارات المرؤوسين كانوا يعتقدون بأن الدلائل الواردة من خط بارليف ، عند اخذها مع الدلائل الأخرى ، تكشف بتفصيل أكثر عن قيام قوات مصرية قوية بفعاليات ضخمة خلف المتاريس والاستحكامات الترابية والاكتاف الحصوية للضفة الغربية للقناة . واستمر العقيد (جيداليا) بتقديم المشورة لقيادته بأن ما كانوا يشاهدونه هو جيش في حالة تدريب . إنه لمن السهل انتقاد هذه الرؤية ، وفي الوقت نفسه ، كانت هناك دلائل قوية لتأييدها . وكان نمط الحركة يظهر مشاركة يومية في التمارين وعودة القطعات في معظم الليالي إلى مخابئها . ويبدو احياناً أن هناك تدريباً ليلياً ، حيث شوهدت اضوية كشافة ومشاعل. والتقطت معدات الوقاية على الاجهزة اللاسلكية "محادثات " كثيرة على سلسلة من الشبكات عكست مسار التمارين وإنها كانت تلتزم الصمت عندما يعلن المشرفون على التدريب أن مناورة معينة قد انتهت . ولم تكن لدى الصهاينة وسيلة لمعرفة أن المصريين لديهم شبكة كاملة من اسلاك الهاتف مطمورة تحت الأرض والتي بها قد يستمرون باتصالاتهم من دون خوف من استراق المكالمات .

في الجبهة الشمالية . كانت التقارير في اواخر ايلول تشير إلى وجود حركة قطعات بنطاق واسع . وللنظرة الأولى ، يبدو أن السوريين كانوا منشغلين بتبديل دوري للقوة الكبيرة التي يحتفظون بها في قاطع الجولان وانهم كانوا يقومون باجراءات بمستوى معين لاعادة الانفتاح كخطوط دفاعية منشأة حديثاً ، تحت الرصد المباشر للموقع الصهيوني في أعلى طنف في جبل (الشيخ) ، وكانت تلك الخطوط محصنة تحصيناً جيداً . ولكن اللواء (اسحق حوفي) المسؤول عن القيادة الشمالية الصهيونية ، كان يعتقد بأن قوة أكبر من الدبابات والمشاة والمدفعية تتحشد في الامام بعد تبديل القطعات المزعوم وليس قبله . وفي ٢٦ ايلول ، وباقتراب السنة اليهودية الجديدة ، قام (موشي دايان) وزير الدفاع بزيارة معتادة هناك كأي موقع آخر يقوم بزيارته . ومن خلال تصوراته ومناقشاته مع اللواء (حوفي) وهيئة الركن والقادة المرؤوسين في المنطقة ، اصدر امراً بجعل القطعات بانذار رسمي في جميع الجبهات وامر بحركة اللواء المدرع السابع من (بئر سبع) إلى مرتفعات الجولان .

وبعد ذلك نشأت ازمة بالنسبة لرئيس الاركان العامة الصهيوني الجنرال (ديفيد اليعازر) ، كما كشفت ذلك لجنة اغرانات (Agranat Commission)[1]. كما ألفت هيئة في قوة الدفاع الصهيونية (IDF) لابداء الرأي في القضايا الراهنة، وكانت تضم اللواء (اسرائيل تال) معاون رئيس الاركان العامة ، الذي كان يعتقد بأن الهجوم العربي وشيك الوقوع ، واللواء (زعيرا) مدير الاستخبارات العسكرية الذي اكد قوله السابق في ايار بعدم اعتقاده بحصول الهجوم العربي . وقد كان خطأ (اليعازر) في التقدير قد كلف الدولة في حينه (٤,٥) مليون باون . هل يمكنه أن يطلب منها مرة أخرى أن تتحمل هذا المبلغ نتيجة حكم خاطئ ، بعد أن طلب منه في الثالث من تشرين الأول أن يقدم تقدير موقف جديد إلى مجلس الوزراء ؟ قرر (اليعازر) هذه المرة أن يؤيد رأي (زعيرا) بأن الانفتاح في سورية كان دفاعياً وفي مصر لاغراض التدريب بمستوى التشكيلات الكبرى . ومع كل هذا ، لم يكن رئيس الاركان العامة ولا مجلس الوزراء واثقين جداً بتقديرهم الصحيح الموقف . وفي صباح الجمعة ، الخامس من تشرين الأول وفي يوم الغفران (Yom Kippur) كان على جميع الصهاينة تقريباً التوقف عن العمل وإن يتمتع الرجال والنساء بعطلتهم الدينية ، وبالنسبة للعديد منهم الانهماك التام في المراسيم الدينية بهذه المناسبة . . . في هذا اليوم ، وجه (موشي دايان) سؤالاً إلى (زعيرا) بحضور (اليعازر) فيما إذا كان تقديره الموقف لا يزال كما كان سابقاً ؟ أو هل يدرك تطورات الامور؟ وقد رد (زعيرا) بانه قد استخدم كل مصادر استخباراته ومصادر التحذير ، وكلها تؤكد له بشكل مطلق أن احتمال الهجوم العربي ضعيف . وبالرغم من كل هذه التقديرات ، رفعت حالة الانذار في قوة الدفاع الصهيونية (الجيش الصهيوني) إلى أعلى درجة . وطلبت رئيسة الوزراء (مائير) من مجلس الوزراء ، عندما التقت بهم في ذلك اليوم ، تخويلها هي ودايان اعلان التعبئة في يوم الغفران إذا ما بدا ذلك ضرورياً،

---

[1] كلف الكنيست القاضي (اغرانات) بحث الأسباب التي ادت إلى ما غ:. الكيان الصهيوني في ٦ تشرين الأول وتقدم النتائج وقد ألفت هذه اللجنة من القاضي (شيمون اغرانات) والبروفسور الجنرال (ايغال يادين) والقاضي (موشي لانداو) والدكتور (اسحق بتراهي) والجنرال (حاييم لاسكوف) . وقدمت اللجنة أول تقرير لها في ٢ نيسان ١٩٧٤ .

وقد وافق المجلس على ذلك وخلال ليلة ٦/٥ وصلت معلومات استخبارية قيمة اقنعت الجنرالين (زعيرا واليعازر) بأن الكيان الصهيوني سوف يتعرض للهجوم في الساعة السادسة بعد الظهر من يوم السادس من تشرين الأول .

وبقي الاختلاف الوحيد بين الترتيبات العسكرية والسياسية هي المدى الذي تتم به التعبئة وكانت الخيارات الرئيسة المتاحة إما : إجراء جزئي للتعبئة الفعالة ، حيث يتم بها تعبئة مستودعات العجلات والاعتدة وغيرها من مستودعات ومخزونات الذخائر وبعض المقرات التي يعتمد عليها القسم الرئيس من القوة الاحتياطية - عند استدعاء كامل فوري لقدمات قاعدة عدة الاسناد الاداري المتوالية والتشكيلات القتالية . وعند تقديم افادته أمام (اغرانات) ، اعترف (دايان) بانه اقترح القيام باجراء التعبئة الجزئية لانه كان يطمح إلى تجنب أي اتهام دولي بأن الكيان الصهيوني قد ابتدأ الاعمال العدوانية . ولكن رئيس الاركان العامة (اليعازر) اشار إلى اتخاذ التعبئة الكاملة لغرض انفتاح القوة الضرورية للقيام بالهجوم المقابل . وقد ايدته رئيسة الوزراء (مائير) ولم يبد وزير الدفاع أي اعتراض آخر . وفي الساعة السابعة من صباح يوم السبت صدرت الاوامر لتنفيذ التعبئة العامة . وأنذر الضباط الاقدمون بالهواتف والبرقيات . واستدعي الباقون بطريقة الاتصال الخلوية، حيث تسلم بهذه الطريقة عدد معين من الرجال والنساء كلمة رمزية وقام كل من هؤلاء بامرارها إلى عشرة اخرين من معارفهم القريبين اليهم ، واتصل كل من هؤلاء العشرة بعشرة اخرين وهكذا . يتوالى (اساسه عشرة) وفي الساعة الثانية بعد الظهر كانت صفارات الانذار تدق في كل مكان ، واستأنف المذياع برامجه الاعتيادية بالرغم من قداسة ذلك اليوم .

ومهما كانت كفاءة تلك المنظومة ، لا يمكن تسريعها أكثر من الدرجة المعتادة . وفعلاً ، جرت محاولات لتسريع العملية أكثر من القدارت المادية المتيسرة وادى ذلك إلى اخطاء بشرية وبالتالي إلى حصول نتائج معاكسة . وعندما كانت عملية التعبئة تتواصل ، اعتمد امن الكيان الصهيوني على القوات النظامية (الدائمية). وكانت القوة البحرية جاهزة للمعركة فوراً كونها العنصر الأصغر في القوات المسلحة .

وكذلك القوة الجوية ، تمثل جزأ من الجيش في قواتها إلا أن لديها منظومة استجابة خاصة بها في السلم والحرب ، وقد جرى تعزيزها بسرعة ايضاً.

وكان على الجيش أن يتحفز أكثر (من البحرية الجوية) لكي ينظم نفسه . وحتى عندما كانت العجلات المقاتلة مسلحة بكامل اسلحتها وذات كفاءة من الناحية الالية للقتال ، لم يكن من الممكن تحريكها بسرعة أكثر من (١٠) اميال في الساعة . ولذلك اعتمدت سلامة الحدود البرية لفترة من الزمن على القوة المشتركة للاشخاص والاسلحة التي تحرس الحدود وعلى تعبئة وفعالية اعمالها الدفاعية .

وكانت الدفاعات الصهيونية في الجولان (بقيادة اللواء حوفي) تعتمد على (١٤) تلاً من التلال البركانية الصغيرة المحصنة بالاسلاك الشائكة ، وسطوح هذه التحصينات مغطاة بغطاء معدني وباكياس الرمل وتتيسر فيها منعات داخلية لخزن الاعتدة وفي الطنف الأعلى لجبل (الشيخ) يوجد (١٥) موضعاً دفاعياً محصناً نفذت على النمط نفسه ويستطيع المتواجدون فيها من الرؤية غرباً داخل لبنان والرؤية شرقاً لجميع السهل السوري جنوب دمشق . وكان كل من هذه الدفاعات الثابتة مشغولاً بقوة فصيل في الاقل. وبين وخلف التلال الاربعة عشر تلاً كانت هناك اربع كتائب من الدبابات و اربع عشرة بطرية مدفعية .

وكان وادي الاردن الأسفل مراقباً بقوة هيكلية (Skeleton Force) وبقية قوة الميدان الصهيونية منفتحة في صحراء سيناء ففي المنطقة الجنوبية بقيادة اللواء (غونن Gonen) تتيسر قوة هجوم مقابل مؤلفة من لواء دبابات ولواء مشاة. وفي الظروف الاعتيادية تتواجد ثلث قوة الدروع في الامام متجحلقة بقوة مجموعات قتال للقيام بهجوم مقابل تجاه آية محاولة غير متوقعة ضد النقاط الحصينة على القناة . وفي حالة الانذار بالدرجة القصوى ، كانت الخطة تقضي بتحشيد ثلثي قوة الدروع في الامام ، ولكن لاسباب لم تكن واضحة ، كما اشارت إلى ذلك لجنة (غرانات) ، لم تصدر ابداً الاوامر من مقر القيادة لتنفيذ هذه الخطة. ووفرت درجة معينة من الاسناد المدفعي لكل موقع دفاعي امامي في خط بارليف ، ولكن بسبب طوله الممتد لمسافة (٩٤) ميلاً من الشمال إلى الجنوب ، كان على بطريات المدفعية أن تتفرق بالضرورة عن بعضها بعضاً .

وأُنشئ طريق خارجي للمساعدة في الاعادة السريعة لترتيب مواضع المدفعية لتحشيد النيران ولمقابلة عمليات القصف المقابل المعادي . وكان هناك طريق آخر لحركة الامدادات الادارية خلف هذه القطعات ، وبشكل متواز.

إنه لمن الصعب التاكد مما كان يتوقعه الصهاينة من خط بـــارليف . لقـد تطور هذا المانع الدفاعي من خط القتال الاصلي في نهاية حرب ١٩٦٧ وبكلفـــة (٤٠) مليون باون . وكانت المواقع المنتخبة لجميع المواضع الدفاعية قادرة على توفير الرصد بطريقة الاقواس المتلاحكة بين ابراج المراقبة ، إلا إنها غير قـادرة على توفير الاسناد الناري المتبادل على المستوى الارضي . وهناك بعض الشـبه بالتلال في هضبة الجولان ، حيث كانت مواضع رمي الفصـائل متصلـة بخنـادق مكسوة بالحجارة والسمنت وبسترة راسية ومتصلة بخنادق مواصـــلات مفتوحـة ومكسوة بالحجارة والسمنت ، وقد وضعت الاسلاك الشائكة أمام جميع المقتربات . عدا ممرات ضيقة للدخول في الخلف وكان لكل موضع قيادة ومنطقة ادارية وممر للخسائر ومحاط باطنان من التراب وغالبا ما يكون مزودا بشـــرفات مبنيـة مـن الحجر ولغرض نوم الجنود ، بنيت غرف محصنة تحت الأرض في موقع كل فصيل (كما في موقع فصيل يهودا رافيف) وهي مشابهة لما في الغواصات ، عبارة عن انابيب طويلة من الفولاذ مزودة باسرة نوم مبنية داخل الجدران " والممـــر بيـن اسرة النوم ضيق جدا وكنا باستمرار نخرج رؤوسنا من الفتحات الخارجيـــة فــي الممر . وكانت الغرف المحصنة تحت الأرض مكيفة بالهواء وتجري انارتها بمولد كهربائي موضوع بالقرب من ساحة داخلية . . محمية جزئيا بمجوفة مبنية لـهذا الغرض " .

وخلال السنوات التي كان فيها خـط بـارليف متواجـدا ، قيـل للـزوار العسكريين الاجانب إن الغرض من إنشائه هو الرصد واعطاء الانذار المبكر عــن الهجوم المعادي . وبمرور الزمن ، وصف خط بارليف لعدد من الصحفيين الاجانب بانه " الخط الدفاعي الأول وانه قد عززت قدرة حامياته على صب النـيران علـى العدو الذي يحاول عبور القناة أو البحيرات وكذلك أصبح بامكان كـل موضـع أن يوفر الحماية لنفسه تجاه نيران المدفعية أو الهجمات الجوية . ومما لا شك فيه أن هذا الوصف الذي ينطوي على الخداع كانت الغايـــة منـــه أن يلتقطـه المعلقـون العسكريون العرب من خلال قراءتهم المقالات التي تنشر عن وصف خط بـــارليف في الصحف والمجلات . ولكن هل كان الكيان الصهيوني يعتقد بدعايته التي يبثـها هو ؟ وإذا كان خط بارليف هو فعلا خط مواقع مراقبة امامية فيجب أن تكون هناك خطة لانسحاب القطعات القائمة باحتلال هــــذا الخـــط حالمـــا يتسلمون الانـذار

الضروري، والا فإن افتقارهم إلى الاسناد المتبادل والمواضع المستورة في العمق سيجعلهم حتماً وبشكل سريع رهائن للقدر ولحظهم .

وربما أن اللواء (غونين) لم يكن يتوقع قيام العدو بصولة عبر مناطق القناة جميعها أو عبر المناطق الرئيسة فيها . ومن انفتاح المواقع الصهيونية العديدة على القناة يتضح أن تعرض أي موقع إلى تهديد معاد فإن الموقع سيحظى باسناد موقع واحد في الاقل ، وبذلك سيواجه التهديد المعادي لموقع واحد نيراناً كثيفة من موقعين أو أكثر والميزة الأخرى التي تسترعي النظر هي أن أياً من مواقع الرصد الامامية لم يجر انذاره في صباح يوم ٦ تشرين الأول أو في وقت مبكر بعد ظهر ذلك اليوم بأن هجوماً وشيكاً في ذلك اليوم بالرغم من أن منظومة المواصلات كانت تسمح بمرور الرسائل بشكل أمين. والدلالة الوحيدة عن اختلاف ذلك اليوم عن بقية الايام هو غلق بعض مواقع الرصد الصغيرة واضافة قوتها إلى مواقع الفصائل القريبة منها وربما ظهر بعض الدلائل في التغيير جاءت من الجانب الغربي للقناة ، الذي ظل صامتاً تماماً في وقت الظهيرة (من يوم ٦ تشرين الأول) .

وبقي الوضع على هذا الحال حتى الساعة ١٤٠٥ (أي الساعة الثانية والدقيقة الخامسة بعد الظهر) ، حيث فتحت ألف فوهة مدفع نيرانها بشكل فجائي مرة واحدة .

الهجوم عبر القناة

استمر القصف لمدة (٥٣) دقيقة ، وكان حدثاً رائعاً بثباته ودقته ، عدا بعض الاخطاء التي تحدث بين الحين والاخر ، والتي لا يمكن تلافيها في رمي التنبؤ . وبعد مرور (١٥) دقيقة من بدء رمي المدفعية أخذ المشاة من عشرة الوية بالتوجه نحو الاستحكامات الترابية في الضفة الغربية من القناة وهم يحملون زوارق الصولة وسرعان ما القوها في القناة . وبالتجذيف عبر القناة تمكنوا من الوصول إلى الضفة الشرقية والسيطرة عليها وكانت الموجة الأولى من جماعة العبور قد جلبت معها سلالم خفيفة الوزن ويمكن تطويلها ، حيث وضعوها أمام المتاريس الترابية . وخلال بضع دقائق ، بدأت اعداد من المشاة يحملون قاذفات اللهب وقاذفات الصواريخ والرشاشات والغدارات والرمانات اليدوية ، بمشاغلة

المواقع الصهيونية . الامامية عن قرب ، في حين كانت المدفعية قد رفعت نيرانها، واتجهت قطعات (مصرية) أخرى باتجاه الشرق نحو الصحراء المفتوحة .

زج المشير (أحمد اسماعيل) بجيشين عبر القناة : الجيش الثاني المؤلف من ثلاث فرق مشاة وفرقة مدرعة واحدة ، وكان المطلوب منه الاستيلاء على راسي جسر بين مدينة القنطرة المدمرة والاسماعيلية ، إلى الشمال مباشرة البحيرة المرة الكبرى ؛ والجيش الثالث ، المؤلف من فرقتي مشاة وفرقة مدرعة واحدة ، وقد كلف واجب تطوير راس جسر مقابل مدينة السويس . لقد مارس المشاة والهندسة العسكرية صولتهم عدة مئات من المرات وهاهم الآن يوظفون تدريبهم يتمخض عن أفضل النتائج . وبالرغم من النيران الحامية من المواقع الامامية في خط بارليف ونيران مدفعيتهم المتوسطة والثقيلة الساندة ، فإن الروح المعنوية لقطعات الصولة كانت عالية عندما كانوا يقومون بالحركة وعبور الضفة الشرقية .

وبين كل موجتين متعاقبتين ، كنت ترى بعضاً من الرجال المصريين وهم يركعون لحظات على ركبهم ويقبلون الأرض التي كانوا يحررونها وكانت الاعلام المصرية تغرز في الرمال والمواقع الدفاعية التي يستولى عليها . وبدأت الخسائر من القتلى والجرحى تتزايد بين صفوف المصريين ولكن زخم العملية ظل مداماً . ووصلت الافواج الامامية للجيش الثاني اهدافها الكائنة خلف التحصينات مباشرة تقريباً حسب الوقت المرسوم بالخطة . وبدأت القطعات الماسكة لانطقة رؤوس الجسور بحفر مواضعها الدفاعية وتعبية صواريخ (ساغر) المضادة للدبابات على اكتاف التلال الواطئة المتموجة، وقد وجد بعض منها استاراً في مناطق متفرقة من الشجيرات المنفردة . وفي الوادي والمناطق المتموجة ، اتخذت مجموعات مسلحة بقاذفات (آ ر بي جي ٧) مواضع متوسطة لستر المقتربات ذات المدى القصير .

وفي غضون ذلك ، كان المهندسون المصرين يهيئون معابر للعجلات في أسفل المتاريس . وكان الواجب الأول لهم هو ازالة الحصى والاحجار (بايديهم) والتي كانت تبلط الضفة الشرقية ، وذلك لتوفير نقاط انزال للاطواف الخفيفة التي تعمل اليا . وكان واجب هذه الاطواف هو نقل وتوفير الأدوات الثقيلة والمتفجرات. ولكن الواجب الرئيس للهندسة العسكرية هو تطهير الممرات الموجودة بين

التحصينات لمرور العجلات ، وبشكل خاص لمرور الدبابات . وقـد ابتكـر أحـد الضباط المهندسين الشباب طريقة جديدة للحفر تعتمد على مضخـات ذات ضغـط عال، محمولة على اطواف ، تقوم بامتصاص الماء من القناة وقذف تيارات مائيـة قوية من خلال فتحات كبيرة ويقوم هذا الماء بازاحة التراب الموجود على سـداد خط بارليف لغرض أحداث ثغرات فيه . وبعد مرور سبع ساعات على قيام المشـاة بصولتهم ، تمكنت الهندسة العسكرية المنتصرة من اكمال جسر الاطـواف العـائم الأول والذي جلبت اجزاؤه من خلال القنوات باسلوب التسلل من حضائر التهيئـة في الاستحكامات الغربية . وبالرغم من التاثيرت التي سببتها الرمال الناعمة فـي منطقة الجيش الثالث ، إلا إنه امكن نصب عشرة جسور وخمسين عبارة متوسطة وثقيلة على امتداد القناة قبل منتصف الليل . وابتدأت دبابات الاسناد لفرق المشـاة بالعبور فوق مياه القناة .

وفي الوقت الذي كان فيه المشاة منشلغين بمعالجة المنعات الحصينة فـي خط بارليف أو التقدم لتوسيع وربط رؤوس الجسور ، وعندما كانت الهندسة تبذل جهدها في هذا الجانب ، وعندما كانت القلة القليلة من الصهاينة عاثرة الحظ مـن الاحتياطات الامامية تكافح بشكل يائس لتصد التيـار المصـري القـوي ولنجـدة مواقعهم الامامية ، كانت طائرات القوة الجوية الصهيونية تحـاول العـودة إلـى تطبيق التعبئة الناجحة جداً خلال حرب ١٩٦٧. في حرب الايام الستة في حزيـوان ١٩٦٧ ، كان الطيارون الصهاينة قادرين على الحوم والضـرب بحريتـهم فـوق ميدان المعركة في سيناء لأنهم سبق أن دمروا الجـزء الأفضـل مـن الطـائرات المصرية وهي جاثمة في مطارتها . والان هذه المطارات محاطـة بشـبكة مـن صواريخ (SAM - 2) و(SAM - 3) (*) غرب القنـاة . واكتشـف الطيـارون الصهاينة بسرعة أن الاسلحة المضادة للجو التي تقوم بحماية المطارات المصريـة تعمل بتطبيق الدفاعات الجوية التعبوية الشاملة . وقد وضعت منظومة الصواريـخ (SAM - 6) أمام الصواريخ (SAM - 2) و(SAM - 3) وليس لدى الصهاينـة خبرة فيها ؛ وكان عليهم أن يحصلوا على تلك الخبرة بثمن غال في الارواح وكلفة عالية في الطائرات . وعندما كانت المحاولات الصهيونية تجري للقيـام بضربـة

(*) هي صواريخ سام – ٢ وسام – ٣ (المترجم) .

مقابلة لهذا السلاح القاتل الجديد ، لم يكن عليهم فقط التغلب على استجابة هذه الصواريخ المتعددة للاقتراب من جميع الجهات ، ولكن كان عليهم أيضا التغلب على المدافع التقليدية المضادة للجو عيار (S-60) الخفيفة والمدافع (زد اس يو - ٢٣ - ٤) رباعة السبطانة عيار ٢٣ ملم ، والتغلب كذلك على بعض الجنود القناصة المسلحين بصواريخ (SAM-7)(**) ضد الطائرات التي تطلق من الكتف، والمعبئين في رؤوس الجسور وبين منظومات الصواريخ ومواقع المدافع التقليدية المقاومة للطائرات .

وفي عصر يوم الأحد ٧ تشرين الأول ، وسعت القوات المصرية عمقها لثلاثة الوية على الضفة الشرقية لمسافة (٦) اميال . وكانت طائرات القوة الجوية تقوم باستطلاع الجبهة بشكل مكثف ، وتمكنت من ضرب المنطقة الادارية في (ممر الختمية Khatmia Pass) في اقصى شمالي الممرات الثلاثة التي تمر من السلسلة الجبلية المركزية في سيناء ، وضرب المقرات الامامية في (الطاسة Tasa) . وصد هجوم مقابل قام به اللواء (غونن) باستخدام احتياطه المدرع وضرب أكثر من (١٤) دبابة صهيونية بالصواريخ وربما اغلبها ضرب ؟ واصيب بصواريخ (ساغر Sagger) التي ترمي بشكل شفات . ومهما كان الإجراء الذي سيتخذه الصهاينة بعد ذلك، فإن القوات المصرية (البرية والجوية) قد نجحت بشكل تام في تحقيق المباغتة وكسر خط بارليف . وباي مستوى تقاس. فأنها عملية تدل على البراعة التامة .

الهجوم على مرتفعات الجولان

لم يكن على السوريين التغلب على مانع مائي عند مهاجمتهم القطعات الصهيونية. ومع ذلك ، فانهم كانوا يواجهون خندقاً ضد الدبابات بعمق (١٥) قدما على طول اغلب جبهتهم ، وقد أقام الصهاينة عليه من جانبهم سداً ترابيا بارتفاع (١٢) قدماً. ولم يكن هذا المانع متصلاً ولكن المهندسين الصهاينة قاموا بتحسينه وتعزيز قدرته بالالغام حيث زرعوا الالغام أمام جميع مقتربات الدبابات نحو مواضعهم . عدا مجموعة التلال الواقعة على سفح جبل (حرمون) ، وبضع

** هو صاروخ م / ط ستريلا المعروف لدى الجيوش المسلحة بالتسليح السوفيتي (المترجم).

أراض ذات طبيعة جبلية ، فإن مرتفعات الجولان مفتوحة ومتموجة . ومعظم الأرض مكسوة بالجلمود (وهو صخر ضخم اكسبته المياه أو الاحوال الجوية شكلاً مدوراً) . وقد رفعت هذه الصخور لغرض زراعة الأرض وقسمت الحقول الحصوية بجدران واطئة من الصخور المتكسرة . وهي أرض وعرة بالنسبة لحركة الدبابات والعجلات الأخرى . ويفضل حركة العجلات المدولبة على الطرق المعبدة.

ابتدأ الهجوم السوري بسلسلة من الضربات الجوية في الساعة ١٣٥٨ (أي الساعة الواحدة وثمان وخمسين دقيقة بعد الظهر) من يوم السادس من تشرين الأول، وكانت طلعاتها على ارتفاع واطئ جداً . وحالما كانت الطائرات السورية تفلت بعد قيامها بالضربة ، تبدأ المدفعية السورية (المتوسطة والثقيلة) وصواريخ عيار ١٢٢ ملم وتحشدات من نيران الهاونات الثقيلة بصب نيرانها على وحول منطقة (التلال) التي يحتلها الصهاينة وعلى المواقع التي يعتقد بانها محتلة من قبل بطريات المدفعية والهاونات والمقرات ومناطق انتشار الدبابات ونقاط التموين الصهيونية . كل هذا العمل قد باغت الصهاينة كثيراً في كل مكان كانوا يهرعون إلى السلاح ؛ والذين كانوا يستحمون على البلاجات ، اسرعوا إلى مواضع الرمي وهم يرتدون ملابس السباحة . والذين ينظرون إلى الامام شاهدوا سحباً كثيفة من الغبار تتجه نحوهم . وضمن تلك السحب كان رجال الفرق الالية السورية الثلاث (الخامسة والسابعة والتاسعة) وكل منها مؤلف من لواءين اليين ولواء دبابات (نحو ٢٠٠٠ عجلة قتال مدرعة ومن ضمنها ٦٠٠ دبابة تي ٥٤ أو تي ٥٥) . وخلف هذه الدروع ، كانت الفرقتان المدرعتان الأولى والثالثة جاهزة للتعقيب بانذار قصير . وكان في الاحتياط لواءان مدرعان مستقلان ولواء آلي ، وتضم مزيجاً من الدبابات تي - ٥٤ وتي - ٥٥ ولواء آلياً ، ما مجموعه (١٠٠٠) دبابة معركة رئيسة إضافية .

كان واجب الفرق الالية التغلغل في الدفاعات الصهيونية وفتح ثغرات تتمكن الفرق المدرعة من المرور خلالها عبر نهر الاردن إلى ما وراء مرتفعات (الجليل) . وعلى محور مواز لهجوم الفرق الالية ، ابتدأت قوة واجب صغيرة بهجوم على الموقع الصهيوني الامامي في جبل (الشيخ) .

وبالرغم من التاخيرات التي فرضت على الصولة السورية بسبب الالغام وموانع الخنادق ، فإن الخطة التعبوية تطورت خلال الساعات المتبقية من ضوء النهار . وقد تطور إحد الاندفاعات الرئيسة على جبهة واسعة شمال القنيطرة . واتبع اندفاع آخر طريق (دمشق - القنيطرة) . وتوغل اندفاع ثالث باتجاه الغرب تقريباً من (شيخ مسكين) من خلال قرية (الرفير) ، في حين استدار أحد التشكيلات شمالاً باتجاه (الخشنية) مستهدفاً الاتصال بالقوة المتقدمة نحو (القنيطرة). واستدار تشكيل آخر جنوباً باتجاه (العال ELAL) من طريق خلفي ملتفا خلف المرتفعات نحو بحيرة طبرية.

وكان القاطع شمال القنيطرة ممسوكاً باللواء المدرع السابع ، وهو اللواء الاقوى من تشكيلي الدبابات الدائمية ، ويستر المقترب الذي يوفر للمهاجم اوسع فسحة يتمكن بها من الانفتاح بتشكيل المعركة . وكانت تقطعه سلسلة من التلال التي تشغل سفوح جبل الشيخ قبل مساحة قصيرة من الطريق الشمالي للقنيطرة حيث تكون الممرات خلال هذه التلال ضيقة حادة أيضا في العديد من الحالات . وامام هذه الممرات يوجد خندق واسع وتختفي خلفه دبابات سنتوريون وشيرمان الصهيونية في مواضع كمائن . وقد نسق أمر اللواء المدرع السابع (الصهيوني) نيران دباباته مع نيران المشاة والمدفعية بحيث كان يحصل على اقصى فائدة ممكنة من هذه النيران لتحطيم الصولات المدرعة السورية المتعاقبة التي تشن ضده .

اكملت قوة الواجب السورية احتلال اهدافها في جبل (الشيخ) يوم الأحد السابع من تشرين الأول . وفي النهار كان للمدفعية السورية رصد لعموم القاطع ، ولكنها لم تكن قادرة على رصد كل واد ومدخل وموضع في السفوح الخلفية . وغالباً ما كانت (التلال) المشغولة بالمدافعين (السوريين) تتعرض للقصف المدفعي، ومع ذلك ظلت القوة صامدة في موضعها الدفاعي . وفي الليل ، حاول المشاة السوريون التسلل بصواريخ (ساغر و ار بي جي ٧) ولكنهم كانوا يجابهون بالدوريات الصهيونية التي تظهر لهم من مواقع في قمم التلال .

ومع ذلك ، هنا وعلى امتداد الخط (الدفاعي) استمر الجيش السوري بالهجوم بضراوة مستميتة اذهلت الصهاينة والى الجنوب من القنيطرة ، كان اللواء (الصهيوني) الذي يدافع هناك واهناً في قوة الدبابات ، وقد وجد نفسه أمام

هجوم من اتجاهين واضطرت مشاته إلى ترك العديد من مواقعها في (التل) وكانت غير قادرة على منع تسلل جماعات صيد الدبابات السورية خلال الظلام في ليلة السبت وصباح الأحد.

في الصفحة الافتتاحية للمعركة ، كانت الموارد والترتيبات في القاطع الشمالي تسمح بادامة خط دفاعي شامل . ولبعض الوقت ، عندما تم تخطي القنيطرة نحو الجنوب، كانت الموارد والترتيبات تسمح أيضا بادامة الجناح الايمن المستور . وبالرغم من وجود الكثير من المشاة في القاطع الجنوبي ، إلا أنهم لم يكونوا قادرين على التعويض عن النقص في الدبابات التي وسعت من قوس نيرانها إلى اقصاه اعتقد العكس وتدريجياً تمكنت الدبابات السورية المتقدمة من ازاحة الدروع الصهيونية المدافعة في قواطع للقنص. وفي محاولة لامتصاص تيار الهجوم ، انسحبت بعض الوحدات المحلية الصهيونية إلى مواقع تساعد على نصب الكمائن ، ومن هذه المواقع استمروا بعمليات مشاغلة بمديات اقصر وتمكنوا من تحقيق درجة عالية من المباغتة باصابة عدد كبير من الدروع السورية في الضربة الأولى بعد حصول التماس الأول . وكانت المنظومة الصهيونية في رمي الدبابات تتالف من الرمي التمهيدي للدبابات الامامية الذي يكمل رمي الدروع الرئيسة . ولم يتمكن الصهاينة من معالجة الموجات التالية لدبابات الموجة الأولى حيث أن اعداد تلك الدبابات كان كثيراً ، وقد فقد الصهاينة الدقة التي كانوا يتمتعون بها في اصابة الدبابات من مديات بعيدة . وعندما اضطروا إلى الحركة إلى الخلف ، كانوا من دون مشاة ساند في حالات عديدة ، ولذلك كانوا واهنين تجاد صواريخ (ساغر) و(ار بي جي ٧) المحمولة على الكتف . ومن المحتمل أن المجموع الكلي للدبابات الصهيونية التي دمرت بهذين السلاحين لم يكن عالياً ، ولكن الكيان الصهيوني في هذا الموقف لا يتحمل فيه أية خسائر أخرى وإلا سيجازف بتعريض الخط الدفاعي للتخلخل والتفكك .

في الاوقات السابقة ، كان الصهاينة ينظرون إلى قوتهم الجوية لتخفيف الضغط من الاعداد المتفوقة عليهم . إلا أن المقاتلات الصهيونية التي تقوم بالهجوم الارضي الآن غير قادرة على اعطائهم أكثر من مساعدة خاطفة لأن الطيارين الصهيونيين فوق مرتفعات الجولان (كما هو الحال فوق سيناء) ، غالباً ما كانوا يتعرضون للاصابة بصواريخ (SAM - 6) والطائرات التي كانت تقترب

بارتفاع واطئ تتعرض للاصابة بمدافع ZSU 23 - 4 (*) (٢٣ ملـم - رباعيـة) وعند منتصف العصر أصبح عدد الخسائر في الدروع الصهيونية جسيماً إلى الحد الذي توقفت فيه جميع الطلعات الجوية ، في حين اخذ الطيارون يتبادلون الـرأي بسرعة للتفكير في الوسائل التي يتمكنون بها من العودة إلى مهاجمة قوات العدو الارضية بما يمنحهم فرصة معقولة للبقاء احياء . وفي الساعة الاخيرة من ضوء النهار ، مرت ثلاثة ازواج من الطائرات (الصهيونية) بخفة وسـرعة وبالتعاقب فوق مياه طبرية وتسلقت بزاوية جعلتـها تحلـق بارتفـاع عـدة اقـدام فـوق الاستحكامات العالية والقت حمولتها من الاسلحة (الصواريخ والقنابل) وانسحبت بعيداً قبل أن تلتقط ظلالها الرادارات المرافقة للصواريخ (SAM - 6) أو المدافع (زد اس يو- ٢٣- ٤) . وهذا النجاح المتأخر وفر بعض الامل بالنسبة لعمليـات اليوم التالي .

كان الجنود الصهاينة في هضبة الجولان ، وخاصة المتواجدين منهم فـي القاطع الجنوبي ، يتطلعون إلى قسط من الراحة خلال الليل . وكانت هنـاك فعلاً بعض الحاجة إلى الوقت . كل جانب كان بحاجة إلى إعادة التموين وسد النقـص والادامة واراحة الدروع والمشاة . لقد كان الجميع ، وبضمنهم القداحون واعـداد الهاونات ، يتطلعون إلى قسط من الراحة . واستخدم السـوريون الليـل لاعـادة التجحفل ومرور جزء من احتياطهم المدرع من خلال صفـوف الفـرق الاليـة . واستخدم السوريون جيداً معدات الرؤية الليلية التي تعمل بالاشعة تحت الحمـراء لمشاغلة الدبابات الصهيونية قبل الفجر .

استمر تقدم الجيش السوري ببطء شديد خـلال صبـاح الأحـد وتمكـن الاقتراب من (العال ELAL) . وتم اكتساح مقر اللواء السابق في قريـة (نفـخ Naffakh) المهجورة. واصبحت القنيطرة في الخلف وبقيـت مقاومـة القـاطع الشمالي متماسكة . وخلال الصباح ، ارتفع عدد القتلى الصهاينة بشكل حاد وكـان أمر اللواء من بين هؤلاء القتلى . ومع ذلك، في منتصف النهار خيم الهدوء علـى موضع الناجين من الموت ، وكان القلة منهم قادرين على تقدير الموقـف بشـكل

---

* المدفع ZSU- 23 - 4 هو منظومة المدافع رباعية السبطانة عيار ٢٣ ملم الموجهة بالرادار المعروفة باسـم شيلكا (المترجم)

مباشر . وبدأ عدد الطلعات للطائرات الصهيونية بالتزايد بعد إجراء تحوير في التعبئة ولان رادارات الصواريخ (SAM - 6) لا تتمكن من الرؤية فوق المنحدر الذي يواجه نهر الاردن. وبالعكس ، أصبح الهجوم الجوي السوري معرضاً للخطورة الآن من الدفاعات الجوية الصهيونية . وخلال الصباح ، بدات التعزيزات بالظهور . وبغض النظر عن الجبهة التي اعدت خططها منذ السلم ، كانت سرايا ورعائل الدبابات تزج في المعركة الشمالية من دون الانتظار لتحشيدها بشكل افواج. وتوقف التقدم في (العال ELAL) . وتماماً عند (دائرة الكمرك الفرنسية القديمة) ، حيث يلتف الطريق لميلين أو ثلاثة اميال عن (جسر بنات يعقوب) ، توقفت الدبابات السورية عن التقدم وقت الغروب من ليلة الأحد . ومنذ ذلك الوقت، كانت القدرة الصهيونية لدعم هيكلها الدفاعي بدم منعش جديد أكبر من القدرة المتاحة للسوريين . ولكن لن ينسى السوريون بانهم قد تغلغلوا عبر نهر الاردن داخل الكيان الصهيوني .

وعلى امتداد وادي الاردن الواطئ ساد الهدوء تقريباً . وفي سيناء كان هناك الكثير من الفعالية ومعظمها لصالح المصريين . وفي يومي الاثنين والثلاثاء (٨ و ٩ تشرين الأول) ، توسعت رؤوس الجسور شمال البحيرة المرة الكبرى لتكون قاطعاً كاملاً حافته الامامية بين (٥ – ٦) اميال خلف ضفة قناة السويس (الشرقية) .

وتمكن رتل من الدروع الصهيونية من شق طريقه إلى (القنطرة) وقد اوقفه المصريون . وشن اللواء المدرع ١٩٠ الصهيوني هجوماً مقابلاً حيث حاول فتح ثغرة في راس الجسر المصري وكان الهجوم يفتقر إلى اسناد قريب من المشاة والمدفعية ، ولذلك فانه فشل وتقهقر بخسائر جسيمة ، وقد القي القبض على أمر اللواء بعد أن قفز من دبابته المحترقة واخذ إلى القاهرة أسيراً . وقد اخفقت الهجمات الجوية الصهيونية في ضرب الجسور العائمة (البونتون) عبر القناة ، ولم تتمكن حتى من تدمير موقع جسر واحد ، وكلما تمكنت أن تفعله هو تاخير المرور على الجسور لمدة نصف ساعة فقط وقد حدثت خسائر جسيمة في الطوائف الجوية ، وخسائر أكثر في الطائرات . وتمكنت الفرق المدرعة المصرية شمال وجنوب البحيرة الكبرى من التوغل في سيناء .

وفي ليلة الاثنين ، اعاد السوريون تنظيمهم مرة أخرى ، وباستخدام معدات الرؤية الليلية قاموا بالهجوم في وقت مبكر من فجر يوم الثلاثاء . وفي محاولة للاستيلاء على مفترق الطرق في وحول (القنيطرة) تراجعوا تاركين العديد من الدبابات والعجلات المرافقة لها وهي تحترق . وفي الساعة السابعة مساء (بعد الظهر عادت قوة مشتركة من دبابات (تي - ٦٢) مسندة بالمشاة المحمولين بناقلات الاشخاص المدرعة للصولة على اللواء المدرع السابع الذي انسحب جزء منه للمشاركة في الصراع حول القنيطرة . وتمكن السوريون من الوصول إلى حافة سفوح التلال واستولوا على ثلاثة تلال وحاولوا تعزيز ما تمكنوا من الاستيلاء عليه. ولكن قبل أن يتمكنوا من ذلك ، ازيحت القوة المجاورة لهم من مواضعها نتيجة القصف المدفعي ورمي الهاونات الصهيونية . وقد تبع ذلك هجوم مقابل مدرع . واستدارت الطائرات الصهيونية فوق الخط السوري . وكانت تحلق بمستوى واطئ أسفل قمم التلال ملقية قنابل النابالم على تجمعات من العجلات . مرة أخرى تراجع السوريون الذين تمكنوا من النجاة بين العجلات الملتهبة .

وفي القاطع الجنوبي ، قبل الفجر تحركت قوة سورية مختلطة ، مؤلفة من ٢٠٠دبابة ومشاة ومدافع صولة ، نحو الجنوب من منطقة (الخشنية) والى الغرب من (فحّان Fahhan) . وعندما طلع النهار ، انعزلت مؤخرة الرتل . وبالضرب من دون انقطاع على هذه القوة المعزولة بقوتهم الارضية والجوية ، تمكن الصهاينة تدريجياً من تقطيع هذه القوة وتمزيقها إلى نتف اثناء النهار . وفي وقت متأخر من العصر انسحبت القوة (السورية) من الخشنية (Khushnye) إلى خط انطلاقها الاصلي .

وفي اليوم التالي ، الاربعاء ١٠ تشرين الأول ، تحول الصهاينة انفسهم إلى التعرض . فابتدأ الهجوم (الصهيوني) على (الخشنية) في وقت مبكر صباحاً بشن صولة خاطفة باسناد نيران المدفعية الثقيلة والهجوم الجوي . وبدأت هذه الصولة تتباطأ بسبب مشاغلتها بالنيران السورية وكانت مؤلمة ومضنية ومرتبكة محلياً مما أدى إلى تحديد الصولة بمسافة قصيرة . ولم تكن الأرض المرتفعة شمال شرقي القرية محتلة حتى المساء . واستعيدت منطقة (القنيطرة) بسرعة بعد الظهر . وعندما تعرض السوريون إلى نيران الصهاينة من جهات

ثلاث ، اضطروا وبشكل مفاجئ إلى اخلاء المنطقة كلياً أو أن يقبلوا بالتطويق وقد اختاروا المسلك الأول (أي اخلاء المنطقة كلياً) . وقد اضطرت حامية (القنيطرة)، التي كانت مسيطرة على مركز المدينة ، إلى الخروج من البيوت المحصنة وترك المنطقة . وبحلول الليل ، تمكن الجيش الصهيوني من استعادة كل مواضعه في هضبة الجولان عدا الموقع في الطنف العالي لجبل (الشيخ) . وفي يوم الخميس ١١ تشرين الأول ، وبعد مناوشات على طريق دمشق من القنيطرة ، ابتدأ الصهاينة بالاندفاع داخل سورية إلى ما وراء خط وقف اطلاق النار لسنة ١٩٦٧ .

خلال الايام القليلة الأولى من الحرب ، اجبرت القوة الجوية الصهيونية على تكريس جهودها لاسناد المعركة البرية . وكان احتمال الاندحار على هضبة الجولان يتطلب ذلك ويبدو إن مزيجاً من صواريخ (SAM - 2. 3. 6) قد حال دون امكانية شن الهجمات الجوية داخل مصر أو سورية . وبعد أن عزز الخط الصهيوني في الجولان ، وبعد أن تحول الكيان الصهيوني إلى لتعرض في ليلة ٩/٨ تشرين الأول ، قام السوريون برمي عدد من صواريخ (فروغ FROG) سطح- سطح[١] مهداد (ربما ١٠ صواريخ) على قاعدة جوية صهيونية ، ولسوء الحظ إنها سقطت على كيبوتزم (Kibbutzim) في سهل جزريل (Jezreel) [أي على مزرعة جماعية يهودية في سهل جزريل] . وتقديراً لما ورد في التصريحات العامة للحكومة في القدس أن الكيان الصهيوني يجب أن يرد بشكل مباشر بالصواريخ (سطح – سطح) في قلب الأراضي السورية . وفي هذا اليوم ، اكتشف الصهاينة أن شبكة (سام) للدفاعات الجوية تغطي الجيش الميداني فقط . وكانت طائرات القتال الجوي السورية والدفاعات المضادة للجو المعزولة تغطي مدى الأهداف الداخلية والتي تشمل : ميناء النفط والمصفى في بانياس حمص ، وميناء اللاذقية وطرطوس ، ومباني وزارة الدفاع في دمشق . وقد هاجمت الطائرات الصهيونية كل هذه الأهداف ودمرت بدرجة كبيرة . وإن القوات الساحلية الخفيفة للبحرية الصهيونية التي حققت الانتصارات في جميع اشتباكاتها البحرية منذ أن ابتدأت الحرب ، اضافت بثقلها في هذه العمليات .

---

١ هي الصواريخ سطح – سطح التعبوية السوفيتية ذات مدى نحو ٦٠ كم .

وفضلاً على هذه الحركة الستراتيجية فإن القوة الجوية الصهيونية استعادت واجبها الأساس في التعاون في المعركة البرية . واستمر الاسناد الجوي المباشر للجيش على كلت الجبهتين كونه ذا أهمية قصوى . وكانت هيئة الركن الجوية والطوائف الجوية تحل كل منهما محل الأخرى احياناً خلال تنفيذ العمليات (لغرض اراحة الطوائف الجوية، لمدة من الزمن) .

وكان أمام القوة الجوية الصهيونية مهمة اختراق شبكة صواريخ (سام) باسرع ما يمكن ، وإذا ما فشلت في تحقيق ذلك فإن العمليات البرية سوف تستمر بشكل محدود . ولم يكن من الضروري تدمير مواقع (سام) على جبهة واسعة ، إذ أن منطقة بقطر (١٠) اميال كافية . والطيارون الصهيونيون يعرفون كيف يراوغون من الصواريخ (SAM - 2 . 3) ولكن تبقى الصواريخ (SAM-6 -7) تكون صعوبة امامهم. ومنذ الفترة بعد ظهر ٦ تشرين الأول ، بدأت التجارب في اتخاذ الإجراءات المضادة لصواريخ (SAM - 6 - 7) مثل القاء القصاصات المعدنية في الجو واستخدام السمتيات بواجب المراقبة والاستكشاف بالتعاون مع الطائرات المهاجمة واسقاط المشاعل لجذب الاشعة تحت الحمراء للصاروخ ، وقيل أيضا إن الولايات المتحدة الأمريكية قد زودت الكيان الصهيوني بمبتكرات الكترونية متطورة ومن ضمنها الطائرات من دون طيار والموجهة عن بعد[1] .

وفوق هضبة الجولان ، استخدم الطيارون الصهاينة بعض الطرق لاسكات صواريخ (SAM - 6) وغالباً ما كانوا يفقدون حياتهم اثناء القيام بذلك . وقد حققت الطوائف الجوية الصهيونية نجاحاً مؤقتاً في اسكات هذه الصواريخ . ونتيجة لذلك قدمت القوة الجوية الصهيونية مساعدة مهمة للجيش في التقدم على جبهة ضيقة على طريق (القنيطرة – دمشق) وبعد مرور أسبوع واحد على بدء الحرب ، أصبحت الدبابات الصهيونية على بعد (٣٥) كم عن العاصمة السورية .

الحركات النهائية

في جبهة سيناء ، استمر حاجز الصواريخ على امتداد القناة بتحدي المغيرين الجويين (الصهاينة) . وكانت القوة الجوية المصرية ، المكملة باسراب

---

[1] أنظر مجلة (الدفاع الدولية) المجلد السابع العدد (٢) (نيسان ١٩٧٤) الصفحة ١٧٩ .

من الدول العربية الأخرى ، تقوم باعمال الدورية على الاجنحة . وقد حدثت بعض المعارك الجوية فوق (بور سعيد) ومعارك اقل فوق (خليج السويس) .

وفي البر ، استمر المشير (أحمد اسماعيل) يعبر بترصين موقفه فوق المنطقة التي تمكن من احتلالها في الضفة الشرقية وردا على الذين الحوا عليه بضرب الممرات في السلسلة الجبلية في سيناء ، قال إنه لا يريد الانغماس بمعركة مفتوحة ، فضلا على أن مثل هذه العمليات من اختصاص خصمه . وربما إنه كان ينوي التقدم مرة ثانية بعد صد التعرض الصهيوني حيث كان يعرف أن الاستحضارات جارية للقيام به ضده . ومن الممكن ايضا وبدرجة الاحتمال نفسها، إنه ليست لديه أية نية للقيام باية مغامرة أخرى عدا الاستيلاء على الأهداف المحلية التي تحقق له فائدة معينة . ومع كل ذلك ، فمن الواضح إنه لا يحبذ القيام باية عملية خارج نطاق دفاعاته الجوية .

إن الصعوبات التي كانت تواجه الجيش السوري لم تسمح للمشير (اسماعيل) بادامة هذه السياسة . فقد كان السوريون يقاتلون معركة انسحاب في اسوأ الظروف ، وكانوا يفتقرون إلى التمسك بالارض من أجل كسب الوقت . وكانت التعويضات عن المواد الحربية تضخ جوا من الاتحاد السوفيتي . وقد ارسل العراق ثلاث فرق للمساعدة . وارسل الاردن لواء مدرعا واحدا وكان لواء ثان في الطريق أيضا . وعززت المغرب من قوتها المقاتلة أيضا في ميدان المعركة . ولكن استخدام المعدات الجديدة والتعزيزات الحليفة (العربية) بالشكل الذي يعود بافضل فائدة ، كان بحاجة إلى فترة من الوقت للتفكير باعادة التجحفل واعادة المشاغلات مع العدو . ولا يمكن التوقف هناك لكي لا تبقى الجبهة الجنوبية هادئة أمام الكيان الصهيوني أو إنها هكذا تبدو للسوريين . ولم يعرف السوريون أن الوحدات العسكرية الصهيونية كانت في حالة تنقل من هضبة الجولان إلى صحراء سيناء. وارسلت طلبات ملحة من دمشق إلى القاهرة لقيام القوات المصرية بعمل تعرضي، وقد اجبرتهم روح التحالف على الموافقة .

في يوم السبت ١٣ تشرين الأول ، قامت القوة الجوية المصرية بالاستطلاع والاغارة على عدد من الأهداف في جنوب السلسلة الجبلية في صحراء سيناء . وتبع ذلك، القيام بعدة معارك جوية ، وكانت إحدى هذه المعارك ذات ثقل معين وتطورات فوق خليج السويس وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي قصفت

المدفعية المصرية مواضع صهيونية مستكشفة لمدة (٩٠) دقيقة . وكما اذاعت اذاعة القاهرة يوم الأحد : " في الساعة ٦٠٠ من هذا اليوم ، ابتدأت قواتنا المسلحة بتطوير عملية تعرضية نحو الشرق.... " .

وكانت النظرة إلى العملية المصرية بانها عملية تقدم على جبهة (١٥) ميلا تقريبا . في المركز يقع الثقل الرئيس للدروع المسندة بالمشاة والمدفعية ، حيث يبقيان (أي المشاة والمدفعية) متهيئين للمرور من (الجدي Giddi Pass) الذي يمثل الهدف الأساس . وعلى الاجنحة تتقدم تشكيلات من الدروع والمشاة المحمولة بناقلات اشخاص مدرعة ومدافع صولة . وتتقدم مجموعات محدودة من المشاة ليلا وهي تحمل صواريخ (ساغر) و(ار بي جي ٧) لغرض استمكان الدبابات الصهيونية في ضوء النهار وهي في مخابئها . ولكن هذه الفكرة المنطوية على المغامرة والجرأة لم تنفذ بمدى قد يباغت به العدو وتفقده توازنه . وربما أن قادة التشكيلات قد فقدوا الثقة بفائدة التسلل التعبوي . إن عمليات الاغارة التي قام بها المظليون والمحمولون بالسمتيات التي ابتدأت يوم ٦ تشرين الأول أخذت تضعف واصبحت معزولة وتحت نيران كثيفة في مناطق اهدافها .

وبالتنسيق مع التقدم البري ، كانت طائرات الميغ المصرية تحلق بارتفاع واطئ لتضرب المواضع الصهيونية . وكان يتبع ذلك طلعات من طائرات الميراج- التي ادعى الكيان الصهيوني أن طيارين ليبيين كانوا يقودون تلك الطائرات .

اربعة ظروف كانت في صالح الكيان الصهيوني وهي وصول تعزيزات مدرعة قوية إلى سيناء من جبهة الجولان يوم السبت . وكانت القوة الكلية من الدروع اقل من (٢: ١) لصالح المصريين ، في حين أن قدرة السلاح في الدبابات الصهيونية كان متفوقا. وكان الصهاينة يعرفون الأرض بشكل دقيق ، وشاركت قوتهم الجوية فورا لاسنادهم ، وفي النهاية كانت الطائرات الصهيونية قادرة على مهاجمة الأهداف التي ازيح عنها غطاء شبكة (SAM) المضادة للطائرات .

إن(*) المدى المتفوق ومنظومات ايجاد المدى المتفوقة لمدافع الدبابات الصهيونية والنوعية الجيدة للرماة الصهاينة ، كل ذلك ابتدأ بسرعة يؤثر في

---

* على القارئ أن يلاحظ نبرة الحماسة التي يتكلم بها المؤلف وهو يحاول تعداد ما يراه مآثرا للقوات الصهيونية مقابل نبرة الابهام وهو يتحدث عن الانجازات العربية (المترجم) .

المعركة . وتمكن الصهاينة اولا من ايقاف تقدم إحدى قوتي الجناح ثم ايقاف الجناح الآخر . وزج القادة المصريون احتياطهم المباشر قبل الساعة السابعة (بعد الظهر)، واخذوا يضغطون في هجومهم ويؤكدون منع الصهيونيين من خلخلة أو تجزئة تماسك القوة الكبيرة المتحشدة التي كانت تتقدم بحجم (١٠٠٠) دبابة تقريبا . وفي منتصف النهار ، كان العديد من هذه الدبابات يحترق ، ولو أن الصهاينة كانت لهم خسائر أيضا . وفي وقت مبكر بعد الظهر، وتحت غطاء جوي كثيف ، تمكنت الارتال الصهيونية من الالتفاف خلف القوة المركزية التي كانت في طريقها إلى –ممر الجدي وبدأت بضرب تحشدات القوة المتقدمة واخذت تشتتها . وكانت خسائر المصريين جسيمة – في الاقل ، بلغت خسائرهم نصف الدروع التي زجوا بها في ذلك اليوم . ولم يكن المشير (أحمد اسماعيل) سعيدا بهذا التقدير المؤثر الذي لا يسوغ هذه الكلفة باهظة الثمن .

وعلى أية حال ، فإن الهجوم في الجنوب أدى في الاقل إلى سحب القوة الجوية الصهيونية بعيدا عن السهل السوري . وجرت محاولتان من القوات العراقية (في القاطع السوري) للقيام بهجوم مقابل في ١٤ تشرين الأول إلا أنهما كانا يفتقران إلى نيران الساندة في الوقت المناسب والى كونهما مجزأين إلى عدة اقسام (أي لم يجر شنهما بتحشيد مناسب للقوة) وقد فشل كلا الهجومين .

وابتدأت الطائرات والدروع والاسلحة والاعتدة والمعدات تصل إلى الكيان الصهيوني جوا– ومؤخرا بالبحر – من الولايات المتحدة ، والى سورية ومصر من الاتحاد السوفياتي . ولم يتملك القوات العربية الفزع بسبب حالات الانتكاس التي اصابتهم. وكرست فعالياتهم لانعاش قوتهم لغرض استئناف العمل التعرضي . ولم يكن الصهاينة اقل تصميما في انهاء الحرب بشروط في صالحهم وبسرعة لأن خسائرهم في القتلى والجرحى كانت تبعث على الشعور بالخطر بدرجة عالية ، بغض النظر عن الكلفة المادية التي تتحمل اعباءها الدولة .

لذلك ، لم يكن الوقت في صالح الكيان الصهيوني ليلة ١٤ تشرين الأول إن أحد المسالك كان القادة والمخططون الصهاينة في قـ وة الدفاع الصهيونية يفكرون في القيام به هو : بعد إجراء التعبئة المطلوبة ، القيام بعمليتين جريئتين سوف تؤديان إلى دحر خصمهم . ولكن التجربة الحديثة غيرت من الثقة الراسخة التي كانوا يتمتعون بها . وبحلول العاشر من تشرين الأول تمكن المصريون بقوة

من صد الهجمات الصهيونية على الراقم (٥٧٧) في مركز جبهتهم . وكان السوريون يقاومون بضراوة احتلال (سعسع) . ومن الواضح أن حربا بهجمات مدبرة قد تنتهي بنصر بروسي (أي انتصار ينتزع بثمن باهظ) بالنسبة للكيان الصهيوني . أن ما كان مطلوبا (من الكيان الصهيوني) هو مبادرة سريعة ومباغتة لفتح جبهة واحدة أو جبهتين .

وحالما يتبين أن قوات الجولان تتمتع بقدرة أكثر لاستعادة وتوسيع منطقتهم، فإن القيادة العامة الصهيونية ستبدأ بالتفكير بالستراتيجية الجديدة المطلوبة لانهاء الحرب . ومن الواضح ، لم يكن معروفا بعد من الذي فكر في دفع قوة عبر القناة لمهاجمة الجيوش المصرية من الخلف ، وليس اقل من ذلك أهمية هو تدمير مواقع (سام) خلف القناة لاخراجها من المعركة . إن ايا كان الذي فكر بذلك ، فالفضل يعود إلى اللواء (ارييل شارون) قائد فرقة احتياط في سيناء (وكان سابقا قائدا للجبهة الجنوبية) . وخلال قيادته الأولى كان يفكر بعملية عبور القناة بالقوة . ولتحقيق هذه الغاية ، قام بعملية مسح الاستحكامات لتحديد المكان الأفضل لفتح ممر يوصله إلى الضفة الشرقية من القناة وقد اختار موقعا بالقرب من (الدفرسوار Deversoir) في الحافة الشمالية للبحيرة المرة الكبرى . وقد جرى تخفيف الجانب الخلفي للساتر الموجود في تلك المنطقة وأشر القطع بالطابوق . وبالقرب من التحصينات هيأ منطقة لاجتماع العجلات ومعدات التجسير محمية بجدران من الطين.

بعد فشل الهجوم المصري يوم الأحد ١٤ تشرين الأول ، اتفق على قيام اللواء (شارون) بمسك رأس جسر عبر القناة . وكانت خطته مهاجمة المصريين غربا من (الطاسة Tasa) باتجاه الاسماعيلية بلواء واحد ، والالتفاف باتجاه عكس عقرب الساعة بلواء آخر يقوم بعد ذلك بهجوم كاذب من الجنوب في محاولة للتغلغل في راس الجسر المصري . وفي الواقع ، أن هذه القوات تتمكن من احتواء عدوها ، في حين يقوم اللواء الثالث للفرقة بالتقدم نحو القناة ويستولي على مواقع العبور وحالما يؤمن ذلك ، يقوم اللواء (افراهام برين ادم) بأخذ قوة مدرعة إلى الضفة الغربية . وكان من حسن حظ الصهاينة أن الموقع الذي انتخبه سابقا اللواء (شارون) يقع في الحدود الفاصلة بين الجيشين الثاني والثالث المصريين ، حيث كان كل من الجيشين يتوقع أن الجيش الآخر هو

المسؤول عن مراقبة تلك المنطقة (الفاصلة) ، وقد اكتشفت الدوريات الصهيونية ذلك.

وفي الساعة ١٧٠٠ من مساء الاثنين ١٥ تشرين الأول ، باشر اللـــواء الأول من قوة (شارون) بالهجوم ، وقام اللواء الثاني بحركة احاطة نحو الجنوب ومن ثم اتجه شمالا ، وخصص عنصرا من قوته لفتـــح الطريـــق الثـــانوي مـــن (الطاسة tasa) إلى القناة، وعنصرا آخر لتامين ضفة القناة الشرقية . وقـــد تـــم التغلب على هذه الترتيبات المعقدة (التي تضمنت تفرقا فـــي حركـــة العديـــد مـــن العجلات والصعوبات في الملاحة الليلية) بمهارة غير اعتيادية وجرأة استثنائية . وتمكنت القوة الرئيسة للواء الاحاطة من ضرب الجناح الجنوبي للفرقة المدرعـــة ٢١ المصرية في مكان ابعد للجنوب مما كان مخططا . وكانت المقاومـــة شـــديدة وابتدأت معركة دبابات ضارية باستخدام الضـــوء الابيـــض الـــذي كـــان يقـــذف بالصواريخ والقذائف والهاونات من كلا الجانبين . وكان موقع هذه المعركة قريبـــا من الطرق التقربية التي كان على اللواء الثالث لقوة شارون (لواء مظلي محمول بعجلات نصف مسرفة ومسند بجهد هندسي) أن يمر من خلالها إلى موقع العبور. وبعد وقت قصير ، ابتدأ المصريون برمي نيران الازعاج من مدافعهم علـــى هـــذه المنطقة. وبشجاعة متناهية عبر اللواء (شارون القناة بزوارق تجديف مع مقـــر صغير وسرية من الجنود) .

ولسوء حظ الصهاينة ، أن الترتيبات بمستوى الفرقـــة للسيطرة علـــى المرور كانت ضعيفة وتوقفت في النهاية عن الاستمرار بعمـــل منظـــم . وكـــانت منطقة الطرق التقربية معروفة بالنسبة لقوة الدفاع الصهيونيـــة باســـم " الحقـــل الصيني "[1] بالقرب من البحيرة والقناة وتمتد الاشجار على جانبي هذه الطـــرق . في الخلف والى الشرق ، كان الطريق المعبد يمر عبر الصحراء المكشـــوفة . وإن اخطاء الدلالة وعدم التأكد من صحة الطرق ادت إلى تـــاخر العنصـــر الأول مـــن القطعات المظلية . وقد أثر القصف المدفعي في القســـم المتبقـــي مـــن القـــوة ،

---

[1] قبل حرب ١٩٦٧ ، قامت شركة يابانية باجراء مشروع لتسوية زراعية في هذه المنطقة وقد اساء الجنود الصهاينة فهم اسماء الشخصيات المكتوبة على جدران البنايات في هذه المنطقة ، حيث اعتقدوا إنها اسماء صينية . ولذلك اطلقوا على المنطقة اسم " الحقل الصيني " .

المرور إلى الشرق من البحيرة والقناة . ولم يكن هناك اتجاه واضح عندما استصحب اللواء (شارون) مجموعة القيادة المتقدمة عبر القناة . وكما كان عمله يدل على الجراة والاقدام ، إلا إنه أصبح بالتالي قريباً من حالة الاحباط الذاتي . عند بزوغ الفجر ، لم يكن هناك جسر واحد مقام فوق الماء . وفي ضوء النهار ، بدأت هيئة ركن اللواء المظلي باعادة تنظيم المرور والقضاء على الفوضى والارتباك الذي حدث في الليل كانت خسائر الهندسة عالية وخاصة بالاطواف لبناء الجسور وذلك لأن العديد منها قد دمر بنيران القصف المدفعي . وبدأ أمر الهندسة بتعبير الاشخاص والعجلات الخفيفة ، وعندما انشئت عبارة ثقيلة امكن تعبير الدبابات إلى الضفة الثانية من القناة . وفي نحو الساعة التاسعة من صباح يوم ١٦ تشرين الأول ، كان اللواء المظلي قد عبر القناة مع عدد من عجلاته نحو (٣٠) دبابة .

قام اللواء (شارون) بمغامرة مدروسة الآن حيث . لم تؤكد التقارير الواردة من الضفة الشرقية اكتمال إنشاء الجسر في ذلك اليوم وقد تعرضت منطقة " الحقل الصيني " باستمرار لنيران القصف المدفعي الشديد ولنيران الدبابات المباشرة بشكل متقطع . كان باستطاعته أن يجعل قوته المظلية تدافع عن راس الجسر الغربي انتظاراً لوصول قوة اللواء (آدان) . ومما لا شك فيه إنه كان يستطيع مسك المنطقة فقط بنيران الدبابات والاسلحة الأخرى . ولكن ماذا يكون الموقف إذا ما قام العدو (الذي لم يظهر أي رد فعل حتى ذلك الوقت) باعادة انفتاح دروعه وقيامه بتطويق موضع الضفة الغربية ؟ إذا ما حدث ذلك فإن العملية كلها ستفشل وبعد أن ترك شارون قوة رمزية في راس الجسر ، زج ببقية قوته في الأرض المفتوحة (المصرية) لكي تقوم بالاغارة والتدمير ، وفوق كل شيء ، لإظهار وجود صهيوني واسع الحجم .

إن مسؤولية الدفاع عن هذا القاطع قد وضعت بيد قوة عربية وصلت من وقت قريب جداً ولم تكن لديها الخبرة في القتال وكانت منتشرة في منطقة واسعة من الأرض. ولبضع ساعات ، لم تدرك هذه القوة ولا حلفاؤها المصريون الاخرون ماذا يحدث وفعلاً، حتى وقت متاخر من العصر ، كان هناك انطباع قوي بأن التقارير تشير إلى أن الصهاينة يقومون بغارة بقوة سرية . والعامل الآخر الذي اسهم في فشل رد الفعل العربي تجاه عملية اللواء (شارون) هو انشغال قادة التشكيلات المصرية (في الجيشين الثاني والثالث) بصد الهجمات المدرعة

الصهيونية على الجناح المشترك للجيشين ، وارتباطهم الوثيق بمواقع قياداتهم (أي عدم قيامهم برد الفعل السريع على وفق ما يمليه عليهم التغير في الموقف). ولو أن قادة الفرق وامري الالوية المعنيين قد اندفعوا إلى الامام ليطلعوا على مجريات الامور بانفسهم، لكان بامكانهم اكتشاف الحقائق بسرعة . ولكنهم لم يفعلوا ذلك . وفي الوقت الذي حصل فيه الفريق (سعد الدين الشاذلي) على جميع الحقائق في مقر القائد العام للقوات المسلحة ، كانت الهندسة الصهيونية قد اكملت بناء جسر على القناة ، وكانت دروع اللواء (آدان) تعبر ذلك الجسر ، وتمكنت من فتح ثغرة في دفاعات (سام) المضادة للجو ، حيث استثمرتها الطائرات الصهيونية خلال الايام المتبقية من الاسبوع الثاني من الحرب .

وفي الواقع ، أن التحركات الاخيرة الجديرة بالذكر جرت على المسرح الميداني. ففي الشمال ، استولى الصهاينة على (سعسع) ولكنهم اجبروا على تركها مرة أخرى وبعد ارتكاب اخطاء فادحة في التنسيق ، بدأ التحالف السوري يطور خططه في الميدان لكي يعود مرة أخرى إلى التعرض بشكل تام ، حتى وإن كانت تحركاته مرصودة نهاراً من قبل الصهاينة في الخلف من موقع رصدهم في الراقم العالي لجبل حرمون . وقد استمر صراع السوريين العنيف حتى يوم (٢٣) تشرين الأول .

في الجنوب ، استثمر الصهاينة نجاحهم في الضفة الغربية واقتربوا من السويس – وفي النهاية وصلوا السويس بعد الاختراقات التي حدثت لاول وقف لاطلاق النار الذي تم باشراف هيئة الأمم المتحدة . وانقطع الجيش الثالث المصري عن مصادر تموينه . وبالرغم من المبالغة في الحديث من وسائل الاعلان والدعاية الصهيونية بأن مصر جميعها تحت رحمة قوة الدفاع الصهيونية ، إلا أن ذلك لم يكن صحيحاً بالمرة . لقد تمكن المصريون من إعادة بناء شبكة (سام) المضادة للطائرات والتعويض عن خسائرهم المدرعة واكملوا نقصهم في عتاد المدفعية والعتاد المضاد للدبابات وإن آية محاولة لقوة الدفاع الصهيونية للقيام بحرب مكشوفة داخل مصر قد تؤدي إلى كارثة بالنسبة للكيان الصهيوني . ومهما يكن الكلام ، فإن الاحساس الصائب المستمد من تجربة الحياة هو الذي انتصر في النهاية .

الخـاتمة

على عكس تأكيدات بعض التقنيين العسكريين ، فإن الحرب تسيطر عليـها بالدرجة الأولى المزايا الشخصية للرجال الذين يشاركون فيها . وبقدر تطبيق هـذه المقولة مع استخدام اسلحة ومعدات جديدة للمرة الاولى في المعركة ، فــإن ذلـك ينطبق على مجال الستراتيجية العليا . إن النظرة الشاملة للقتال الذي استمر (١٧) يوماً في الشرق الأوسط خلال حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ، يوفر بعــض الامثلــة الرائعة (حتى بمجرد نظرة خاطفة) للرجال والنساء الذين اســتخدموا عقولـهم وغرائزهم وقدراتهم البدنية في ظروف صعبة للغاية وغير اعتيادية ، لتأمين نتيجة مطلوبة . ومن المثير للاهتمام ، الملاحظة بمستوى الستراتيجية العليا ، أن البشـو يستمرون بارتكاب الاخطاء الجوهرية في الحكم على الامور ، ربما بسبب الضغوط التي تجعل ارتكاب مثل هذه الاخطاء امراً لا مفر منه . فعلى ســبيل المثــال ، أن الكيان الصهيوني بعد اشتراكه في حربين أو ثلاث حروب (إذا كان الصراع فـــي ١٩٤٨ - ١٩٤٩ يعد حرباً) قد هزم القوات العربية ، وإنه كان يميل إلى الاكتفاء الذاتي الذي كان يتأثر بالكبرياء والفخر العسكريين من جهة وبالضغوط الاقتصادية من جهة أخرى . وقد شن الجانب العربي عملية عسكرية يوم ١٤ تشـوين الأول ، وكانت هذه العملية ضد تقديرات القائد العسكرية المسؤولة حيث كــانت الضغــوط السياسية هي الاقوى تأثيراً .

ومن الجدير بالملاحظة أيضا ، أن دولة تتميز بالحكمة والتقدير الجيديــن المبنيين على التجربة في الحياة ، كالكيان الصهيوني الذي ينبغي أن يوفر لشــعبه ارتياحاً وسعادة أكثر ، قد اعتمد كثيراً على " خــط بــارليف " الدفــاعي الثــابت (المستكن) على امتداد قناة (السويس) . إن تحليل القدرة الصهيونية يتبين بانــه كان من المتعذر الدفاع عنه تعبوياً . هل الأمم تتاثر اقتصادياً بمقادير الاموال التـي تصرف على مثل هذه المنشات ؟ هل كان مجلس الشيوخ في روما مقتنعاً ايجابيــاً باهمية السور الذي بناه هارديان (Hardians Wall) ربما لــم يجـر اخبــاهم بمعلومات كافية أو ليس لديهم اهتمام باعمال ستراتيجية ذات أثر بعيد . ولكن فــي العصور الحديثة وضعت فرنسا وبعض حلفائها الرئيسين ثقتهم في " خط ماجينو ".

هل كان القادة السياسيون والعسكريون الصهاينة مقتنعين حقاً بأن الفائدة المتوخاة من إنشاء خط بارليف تسوّغ كلفة ترصينه البالغة (٤٠) مليون جنيه ؟

إن ستراتيجية ميدان المعركة خلال حرب تشرين الأول ١٩٧٣ تعكس امكانية تحقيق المباغتة عندما يتصف القادة الكبار بالروح المعنوية العالية والتصميم والقدرة العملية . واحياناً لا يمكن الوثوق بالتقدير الذي يضعه القادة الكبار بالنسبة للقضايا الكبرى. وتكون الحسّابة الالكترونية أكثر قدرة على الموازنة بين العوامل المؤثرة في المعركة : الوقت وقوات الطرفين وموازنة الاحتمالات .

فمثلاً إذا قام (وولف Wolfe) بتغذية الحسّابة بالعوامل نسبة إلى تطلعاته والظروف في أسفل مرتفعات (ابراهام) ، فانه قد يحصل على الجواب التالي : انتقل إلى موضع (سنت لورنس) . وبشكل مشابه قدمت للمشير (أحمد اسماعيل) مشورة ضد الفرص المتاحة للقيام بهجوم مباغت عبر القناة أو على مرتفعات الجولان في ٦ تشرين الأول . وكذلك الحال بالنسبة للفريق (اليعازر) واللواء (شارون) حيث قدمت لهما المشورة ضد فرصة العبور إلى الضفة الغربية للقناة في ليلة ١٥ تشرين الأول ومع ذلك ، لم يأخذ قادة كلا الجانبين بالمشورة المقدمة اليهم ، بل كانت استجابتهم عكس تلك المشورة . ومن الامثلة المثيرة الأخرى والمتعلقة بموقع القادة في المعارك (في كلا الجانبين) ، أن الصهاينة يؤكدون أن يبقى القادة (في جميع المستويات) في الامام في اغلب الاوقات ليطلعوا على الأحداث ويشاهدوا تطور الموقف بانفسهم . وقد حصلوا على فوائد هذا الاسلوب . وأما المصريون فقد دفعوا الثمن غالياً بسبب ميل القادة (بمستوى الجيش والفرقة واللواء) للبقاء في مقراتهم الرئيسة مكتفين بلعبة التعبية على الخرائط المستندة إلى معلومات قديمة أو خاطئة . وبالنسبة لاعادة استخدام الضباط الاقدمين (المتقاعدين) كمستشارين في أعلى مستوى أو كمرؤوسين لاولئك الذين كانوا تحت امرتهم ، لم يتأثر القادة المصريون أو السوريون كثيراً بهذا الإجراء فلم تتنشط عزائمهم ولم يبد عليهم التشويش أو الارتباك . وأما في الجانب الصهيوني فقد برزت حالات كثيرة من التشويش والارتباك والاخطاء المبكرة في الانفتاح والتعبئة من خلال هذه الاستخدامات ، حيث أن العادة الطبيعية للجدال قد ازدادت حدة خلال جميع مستويات القيادة وفي اعقاب الحرب ، ظهرت

دلائل تشير إلى أن الرأي العام الصهيوني قد ابتدأ يفكر في ما إذا كانت الاشكال القديمة من الضبط ، شكل الانضباط الملائم لحرب الاستقلال في اواخر الاربعينات في تشكيلات الهاغانا المنتخبة الصغيرة ، تبقى ملائمة للمسرح الجديد الذي افصح عنه الانبعاث الجديد للقوات المسلحة المصرية والسورية في الجزء الأخير من القرن العشرين .

وكان الاختصاصيون العسكريون متلهفين لجمع تفاصيل المعلومات عن صلاحية عمل وتأثير الاسلحة والمعدات التي تطورت خلال العقدين الماضيين . ففي البحر ، اظهرت البحرية الصهيونية فاعلية الطرادة الخفيفة والسريعة . وكذلك دقة تاثير الصواريخ (سطح - سطح) التي طبقت مع البراعة التعبوية . وفي البر ، تمكنت الدبابة من استعادة هيبتها من جديد على ميدان المعركة ، حيث أن مدى ودقة سلاحها الرئيس وخاصة الاطلاقات ذات الطاقة الحركية ، معاً مع اساليب التدريب المتقدمة ، اسهمت بثقل كبير بالنجاح في المعركة كما فعلت ذلك في الماضي . ولكن ينبغي عدم التقليل من أهمية نجاح السلاح الموجه ضد الدبابات والمكمل بصواريخ (ار بي جي ٧) غير الموجه . وقد قيل إن خسائر المعركة في الدبابات الصهيونية بلغت (٨٣٠) دبابة تقريباً، ويعزى ٧٥% من هذه الخسائر إلى نيران دبابات العدو و ٢٥% إلى أسباب أخرى (بضمنها الاسلحة الموجهة ضد الدبابات وصواريخ (ار بي جي - ٧) . وإذا كانت الدبابات الصهيونية على القناة تكون دلالة واضحة ، فإن نسبتي الخسائر تكون ٢/٣ ٦٦% من نيران الدبابات و ١/٣ ٣٣% من أسباب أخرى . ومع ذلك ، حتى إذا كانت الارقام الأولى دقيقة ، وحتى إذا كانت نجاحات الصاروخ (ساغر) تعزى إلى إنها كانت ترمي برشقات فقد اثبتت هذه الصواريخ قيمتها كمنظومة تمتلك تأثيراً متطوراً .

وفي الجو ، اثبتت الطائرات التعرضية الأكثر حداثة بانها واهنة تجاه الصواريخ (SAM - 6) والمكملة بشكل خاص بصواريخ (SAM - 7) والمدافع التقليدية رباعية السبطانة زت اس يو عيار ٢٣ ملم . إن الإجراءات الالكترونية المضادة والاجراءات المضادة للاجراءات الالكترونية المضادة في المستقبل سوف تفضل من دون شك التحول لصالح كل من الدفاع الجوي والهجوم الجوي .

لقد انتهت الحرب ، ونأمل أن لا تبدأ مرة أخرى ، مما لا شك فيه أن حفظ السلام سوف يعتمد كثيراً على المعالجات السياسية والاقتصاديــة والاجتماعيــة . وبقدر ما يتعلق الأمر بتطبيق الحسابات العسكرية فليس مــن المحتمــل أن يقلــل الكيان الصهيوني من تقديره في المستقبل لأهمية القوات المسلحة العربية عكــس ما كان يتصوره في السابق . ولكن إذا امكن الاهتداء بالملاحظــات عــن الحــرب الاخيرة فربما تفكر قوة الدفاع الصهيونية بأن تطبيق تعبيتها القديمة (المتمــيزة كونها تعبية مفتوحة ومعركة دروع بشكل أساس بالتعاون مع القوة الجوية) قــد لاتؤدي بها إلى ربح المباراة .

وفي الواقع ، أن قوة الدفاع الصهيونية اقتربت مرات عدة من خســران المباراة (في الحرب الاخيرة) . وفي الجانب الآخر من خطوط وقف اطلاق النار ، من المفيد أن نرى الضباط العسكريين المصريين والسوريين ، مــن ذوي الرتــب العالية والوسطى والصغيرة ، يبحثــون دروس المعركــة ويعــترفون باخطائــهم بصراحة وهم يتجرعون الالم ويؤكدون أنهم إذا ما قاتلوا مرة أخرى ، فلن تتكــرر هذه الاخطاء .

لم يخسر أي من الجانبين لذلك فإن كل جانب قد يتمسك بالقول المــأثور "في لحظة الانتصار ، ضيق نطاق خوذتك " ، أي شدد من خناق عدوك .

بعض الدروس العسكرية (من وجهة النظر البريطانية)

بعد مرور سنة على انتهاء حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ، تجمعت معلومات كافية لكشف أحداث تلك الحرب بنظرة شمولية . ومع ذلك ، فإن الوقائع المعروضة للفحص والاستقصاء ليست هي حالة نهائية ، بل أن الصورة الشاملة في هذه المرحلة هي تجميع لسلسلة من الصورة الوصفية للاحداث ، بعضها مفصل وبعضها الآخر بشكل خطوط موجزة . وإن تلخيص الأحداث والدروس يثير العديد من الاسئلة والاستنتاجات .

ابتدأ القرار للقيام بالحرب مع السادات الذي يبدو إنه قد لعب كل ورقة بيده بمهارة وثقة استثنائيتين في تقديره الامور وقد استندت خطته التمهيدية الى سلسلة من الافتراضات المؤكدة التي لم يرق إليها الشك . لقد افترض السادات أن الولايات المتحدة الأمريكية ستقنع الكيان الصهيوني بالالتزام بتطبيق ستراتيجية دفاعية حتى يقوم العرب بشن هجوم عليه . ولكن عندما يشعر الكيان الصهيوني بأن اندلاع الحرب أصبح وشيكاً ، فسوف يزداد احتمال مجازفته بأن يقوم بالاغارة داخل الأراضي العربية لتدمير جزء من منظومة الانذار المبكر للدفاع الجوي أو تدمير منظومات الصواريخ المضادة للجو (SAM - 2 . SAM - 3) وذلك باستخدام قطعات الانزال بالمظلات أو بالطائرات السمتية أو بالهجمات الجوية . ولكن حتى ذلك الحين لم يظهر الكيان الصهيوني أية خطة تهدف أحداث ثغرة في الدفاعات الجوية الامامية (المصرية) في حالة التهديد المباشر بالحرب . وعندما حلت الحرب ، حاولت القوة الجوية الصهيونية فوراً ضرب المواقع الرئيسة المستحكمة للدفاعات الجوية (العربية) ولكن الوقت كان متأخراً جداً للقيام بذلك ، حيث أن تلك الدفاعات قد تحسنت نوعاً وكماً . لذلك يبدو أما أن الكيان الصهيوني لم تكن لديه المعلومات الكافية عن امتلاك العرب صواريخ (SAM - 6) و(SAM - 7) والمدافع المضادة للجو (رباعية السباطنة زد اس يو) عيار ٢٣ملم (زد اس يو- ٢٣- -٤) ، أما إنه كان يعلم بذلك ولكنه لم يكترث وقلل من قدرة عدوه لاستخدام مثل هذه الاسلحة بكفاءة ليس من المحتمل أن تتعامل الكيان الصهيوني مع هذا الجانب بلا مبالاة في المستقبل . وأنه سوف يقوم بتقوية منظوماته الخاصة بالدفاعات الجوية وبضمن ذلك رادارات الانذار المبكر .

لم تكن الافتراضات الأخرى التي طرحها السادات مثيرة للاهتمام ولكن لغرض الحفاظ على الامن ، لم يقم السادات باخبار الملك فيصل أو الملك حسين باليوم المقرر للهجوم بالرغم من إنه التقى فعلا بالملك فيصل قبل عشرة ايام من يوم (ي) (أي يوم الهجوم) وإن الملك حسين قد وافق على المشاركة في العملية لغرض الاراءة فقط . وإذا كان ذلك صحيحاً فلأن السادات اعتمد على حقيقة أن الملك حسين (من الناحية السياسية) لن يبقى في وضع سلبي في حرب عربية ضد الكيان الصهيوني ، وأما بالنسبة لتقوية ارتباطه بالملك فيصل فذلك لانه شخصية عربية متميزة بين زعماء العرب في تاثيره الكبير ضد التغلغل السوفيتي والصيني في الوطن العربي .

ومع ذلك ، يبدو إن السادات قد وافق ضمنياً على اعطاء الاتحاد السوفيتي انذاراً مبكرا عن بدء الحرب ؛ والا كيف يفسر تحديد توقيت رحيل العائلات السوفيتية عن القاهرة يوم الجمعة الخامس من تشرين الأول ١٩٧٣ ؟ وحتى إذا لم تكن حكومة مصر قد اخبرت بشكل رسمي الاتحاد السوفيتي بوقت ويوم الهجوم، فانه كان من الضروري أن تقوم سورية بذلك ؟ فالضباط والجنود السوفييت كانوا موزعين ضمن قوة الميدان السورية كمستشارين ولا يمكن اخفاء استحضارات المعركة عنهم . وفعلاً ، ليس من المحتمل أن الرئيس (الاسد) كان يرغب في اخفاء الاستحضارات عن السوفييت لانه كان بحاجة إلى التاكد من استمرار تدفق المعدات السوفيتية لسورية .

في البداية ، كان اعتماد مصر على تجهيز المعدات السوفيتية أكبر من اعتماد سورية . كانت الطلبات السورية تلبى باستمرار ، وأما في مصر فإن القوات المسلحة ، وخاصة الجيش ، كانت تعاني نقصاً في المواد الاحتياطية وبعض منظومات الاسلحة الكاملة وكميات كبيرة من الاعتدة . والرئيس السادات أما إنه كان يعرف (عن طريق مستشاريه) وإما إنه كان يتصور بأن الاتحاد السوفيتي سوف يجهزه بكل ما يحتاج اليه من الاسلحة التقليدية لتجنب الهزيمة .

وعلى وفق طبيعة الظروف الستراتيجية انذاك ، فإن هذا يعني الاستعداد السوفيتي لوضع العديد من اسرار التقنية العسكرية أمام خطورة أن يستولي عليها الغير (أي الكيان الصهيوني والولايات المتحدة) . ومن الناحية الأخرى ، إنه كان أمام الصناعة الحربية السوفيتية وقوات اندفاع السوفيتي فرصة تزويد مصر

بالتقنية العسكرية لاختبار كفاءة التقنية واستخدام المعدات السوفيتية الثقيلة بطريقة اوسع مما وفرته لهم الظروف في الهند الصينية . الآن وبعد أن ركد الغبار في ميدان المعركة وانتهى الوقت المقرر لتقدير المواقف ، على محللي الدفاع للاتحاد السوفيتي أن يقرروا في المحصلة هل هم حصلوا على فوائد أكثر مما قد خسروا ؟ واين تقف صحيفة التوازن ؟ لقد حصل الآن الكيان الصهيوني - وبالتالي الولايات المتحدة الأمريكية - على تجربة مباشرة جيدة عن كفاءة الصواريخ (SAM - 6) المنسقة مع الصواريخ (SAM - 7) ومدافع مقاومة الطائرات ذات العيارات من (١٢,٧ ملم - ٦٠ ملم) وبشكل خاص تلك المزودة برادار تحليل الهدف . إن الإجراءات المضادة (البشرية والالية) التي استخدمت ضد الصواريخ (SAM - 2) و(SAM - 3) في فيتنام لم تكن ذات فائدة للاستخدام فوق الأراضي المصرية والسورية لقد واجهت الطائرات الصهيونية صعوبات في التملص والمراوغة من منظومة الصواريخ (SAM - 6) المزودة بمنظومة توجيه متقدمة نسبياً . وبالرغم من أن بعض الوسائل التعبوية قد توفر دفاعات كاملة في الوقت المطلوب ، ولاسيما الإجراءات الالكترونية المضادة الموضوعة عن بعد عمليات المخادعة المستقلة، فمن المتوقع لعلم الصواريخ أن يتقدم بخطوات بارعة وسريعة في وسائل الاستكمان والتفتيش . ولذلك ، فمن المحتمل أن تبقى قائمة درجة الوهن الحالية للطائرة تجاه الصواريخ المضادة للطائرات ، وقد تزداد درجة وهنها شدة . وبالنسبة لما ظهر في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ، وجد أن الصواريخ والمواقع يكمل بعضها بعضاً ، نزولاً إلى الرشاشات عيار ١٢,٧ ملم والصاروخ (SAM - 7) ، وقد حددت هذه المنظومة بشدة عمليات القوة الجوية الاسرئيلية التي تعد واحدة من أكثر القوات الجوية مهارة وتخصصاً في العالم . ولذلك فإن هذا المفهوم السوفيتي للدفاع الجوي يعد ذا فائدة جوهرية تسوّغ الخسائر التي حدثت في هذه المعدات مثل الاستيلاء على منظومة كاملة (*) (ZSU 23 - 4) .

---

* هي منظومة شيلكا .

وعلى الأرض ، أن المعدتين ذات الاهتمام الخاص كانا الدبابة (تي - ٦٢) التي لم تزج سابقاً في القتال والصاروخ المضاد للدبابات الموجه بالسلك والمعروف لدى حلف شمال الاطلسي اصطلاحياً باسم (ساغر Sagger) .

لقد اثبتت الدبابة (تي - ٦٢) متانتها وقوة تحملها وقابليتها العالية على المناورة، ولكن الجف الاملس لسبطانة مدفعها أثر سلبياً في دقة الاصابة في المديات البعيدة. وهذه السلبية ليست ذات أهمية كبيرة عندما تستخدم الدبابة في الاجواء الاوربية التي تغلب عليها حالة الضباب ، ولكن عند استخدامها في الاجواء ذات الهواء الجاف ، كما هي الحالة في الشرق الأوسط عدا الحالات التي يثار فيها الغبار، فإن الاطلاقات خارقة الدروع المتوازنة في دورانها المغزلي اثناء الطيران والتي كانت ترميها مدافع الدبابات الصهيونية في البداية قادرة على اصابة اهدافها بدقة من المهاجمين السوريين في مديات تتجاوز الـ (٢٠٠٠) متر . وبعد ذلك ، عندما كانت المديات تقل ، فإن مهارة طوائف الدبابات الصهيونية ، مضافاً إليها السيطرة اللاسلكية من دبابة أخرى ، التي كانت توفر حالات الانذار والانذار المبكر وتبادل المعلومات عن الأهداف ، اثبتت تفوقها في هذا المجال . واعتمدت السيطرة ضمن سرايا الدبابات السورية على مواصلات بدائية (غير متطورة) والتي غالباً ما يساء فهمها أو تفسيرها . وإذا افترضنا أن طوائف الدبابات المصرية والسورية اقل درجة في التدريب من الصهاينة - أو اقل في التدريب من صنف الدبابات في الاتحاد السوفيتي فإن الدبابة (تي - ٦٢) لم تظهر آية فائدة خاصة متميزة على دبابات المعركة الرئيسة لبريطانيا أو جمهورية المانيا الاتحادية أو الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد كانت من نواح عديدة اقل شأناً من هذه الدبابات ، حيث لوحظ أنها تمتلك احواض وقود خارجيه واهنة للغاية تجاه النيران المعادية .

واستمرت المناقشات المتعلقة بصواريخ (ساغر) بشكل موسع ولمدة طويلة[١] . وفي موازنة التسلح ، رفض الكيان الصهيوني استخدام الصواريخ الموجهة بالسلك ضد الدبابات كسلاح رئيس بل كسلاح ثانوي متمم في الاستخدام.

---

[١] للاطلاع على تفاصيل هذا السلاح ، أنظر (الميزان العسكري لسنة ١٩٧٤ - ١٩٧٥) لندن - معهد الدراسات الستراتيجية ١٩٧٤ الصفحة (٨٤) .

وقد اشارت وسائل الدعاية الصهيونية إلى حقيقة أن امتـــلاك العـرب صواريـخ (ساغر) لم يمنع الكيان الصهيوني من إعادة الاستيلاء على مرتفعات الجـولان أو الاستيلاء على الأراضي المصرية غرب مدينـــة الســويس . وتميـل مثـل هـذه الحسابات تأكيد أن القسم الأكبر من الخسائر التي حدثت في الدبابات تعـزى إلــى اصابتها بمدافع الدبابات . إن كل هذا صحيح ، ولكنها تبتعد عن نقطة النقاش .

عندما ابتدأ السوريون الهجوم ، كانت الدروع هي التي تقـود الــهجوم . وقد قام المشاة بدور ثانوي في منطقة التلال أو على الاجنحة ويستحيل الحكم فـي ما إذا كان استخدامهم صواريخ ساغر حاسماً في آيــة منطقــة . وعندمــا اعـاد الصهاينة احتلال مرتفعات الجولان واندفعوا على الطريق باتجاه دمشق ، كانوا في البداية يطاردون عدواً مختل التنظيم وقد تكبد مشاته خسائر جســيمة جـداً فـي الارواح وفي فقدان الكثير من العجلات الادارية الخاصة بســد نقــص الاعتــدة - وضمن ذلك صواريخ ساغر - وفي الجبهة الجنوبية ، لم تكن هناك قوات ميدانيـة مصرية لتقاوم تغلغل اللواء (شارون) : كان هناك الكويتيون فقط الذين لم تكــن لديهم صواريخ (ساغر) ، وفي وقت لاحق كان الجيش الثالث يقاتل معركة دفاعية حول السويس . وتبدأ الفترة الزمنية للحكم على قيمة الصاروخ (ســاغر) مـن لحظة قيام المشاة المصريين بعبور القناة وحتى تحشد الــدروع المصريــة علــى الضفة الشرقية في غضون اليومين اللاحقين .

فكان الصاروخ (ساغر) هو السلاح الرئيس الذي صد الهجمات المقابلـة المدرعة الصهيونية خلال الــ (٢٤) ساعة الأولى ، والــى حـد مـا ، خـلال الــ(٤٨) ساعة الأولى . ولم يكن السبب أن هــذا الســلاح قـد فاجـأ الدبابــات الصهيونية ، وإنما كانت الصواريخ دقيقة في اصاباتها . وليس هناك مــن فـائدة للقول بأن الاصابات في الدبابات الصهيونية قد حدثت لأن الصواريــخ (ســاغر) كانت ترمي رشقاً . فعلى أية حال ، كانت هذه الصواريخ ترمي وتصيب الــدروع الصهيونية بدقة . ومن العبث القول بانه لو أن القادة الصهاينة الميدانيين كانوا قد اشركوا المشاة والمدفعية مع هجماتهم المدرعة لآمكن تدمير طوائف الصواريــخ (ساغر) ؛ لقد كانت للمصريين نيران ساترة كثيفة من المدفعية والهاونات لتحطيم هجمات المشاة في الأراضي المفتوحة (والمتموجة) . ولذلك، فـإن أول معركــة تخوضها الدبابات في الصحراء المفتوحة والمتموجة ، يتمكن الصاروخ (ســاغر)

الموجه وذو الوزن الخفيف من منع الدبابات من الاقتراب من المشاة المصريين أو اقتناصهم (عن بعد). ويصح القول أيضا إنه في الأراضي المكتظة شمال غربي اوربا المتميزة بالعديد من مناطقها المبنية والغابات والاشجار ، فإن سلاحاً كالصاروخ (ساغر) يمكن أن يبرهن على إنه وسيلة فعالة لايقاف الدبابات وتدمير نسبة عالية منها . وبالطبع ، فإن للصاروخ (ساغر) بعض العيوب ، فهو سلاح من الجيل الأول ولكن امكانية تطويره عالية جداً وستكون مجالات تقدمه سريعة نسبياً .

وبسيطرة الصاروخ في البر والجو ، يفترض أن يوم دبابة المعركة الرئيسة والطائرات المقاتلة قد أصبح منتهيا . وبالتالي فإن تفوق التعرض قد يبدأ بالهبوط لصالح الدفاع .

لدى المقارنة بين منظومة الصواريخ ضد الدبابات وبين دبابة المعركة الرئيسة من حيث الكلفة والمزايا ، نجد أن منظومة صواريخ متطورة ضد الدبابات بمدى يصل إلى (٢٠٠٠) متر ستكون بكلفة (٢٠٠٠٠) باون للقاذفة والمسيطرات و (٢٠٠٠٠) باون أخرى لكل صاروخ . وإن دبابة معركة رئيسة واحدة بمدى اقصى قدره (٢٠٠٠) متر بسلاحها الرئيس سوف تكلف نحو (٢٥٠٠٠٠) باون . وبـ (ربع مليون باون) يمكن شراء قاذفتي صواريخ و(٨٠) صاروخاً من نوع اكثر تقدماً من الصاروخ (ساغر) زائداً العجلات التي تحمل الطائفة والاسلحة والاعتدة . إن تكاليف الادامة والاندثار في منظومة الصواريخ ليست ذات بال ويمكن اهمالها . في حين أن تكاليف ادامة الدبابة عشرين مرة أعلى إذ كان الاستهلاك من جراء الاندثار يحسب حسابه في الدبابة . إن الحماية المدرعة التي توفرها الدبابة وموجد المدى الدقيق المثبت فيها واطلاقاتها ذات الطاقة الحركية العالية والسريعة عند ضربها الأهداف ، كل هذه المزايا للدبابة تنافس مع امكانية قاذفة الصواريخ التي تخفي طائفتها وتتميز بدقة الصاروخ وعدم ظهور الوميض أو الدخان عند الانطلاق .

إن هذه التطورات هي في صالح (الكيان الصهيوني) ، بقدر ما هي (إن لم تكن أكثر) في صالح العرب بالنسبة للاوضاع الحالية . إن (الكيان الصهيوني) لا يزال يحتل الأرض المهمة في مرتفعات الجولان ويحتل منطقة عازلة واسعة في صحراء سيناء . وبحصوله على منظومة انذار مبكر متطورة ومنظومة صواريخ

هوك (HAWK) ، ينبغي أن يكون قادرا على توفير الامـن تجـاه أي هجـوم مباغت . وبقبول الكيان الصهيوني لمنظومتي تاو (TOW) ودراغون (Dragon) من انتاج الولايات المتحدة الأمريكية[1]، سيكون له وسيلة مؤثرة لايقاف أية غارة مدرعة مفاجئة في اراضيه .

إن التطورات في معدات الرؤية الليلية ووسائل المراقبة الأخـرى سـوف تستخدم بنجاح ضد التسلل الراجل ليلاً . وبالرغم من امتلاك الكيان الصهيوني هذه الشبكات ، فإنه لن يقتنع بسهولة ولو لفترة مؤقتة بأن يلغي دور دباباته في القيام بهجوم مقابل في الصحراء المفتوحة وفي تلال الجولان الحصوية . ولكن عندمـا تكون نماذجها الحالية من الدبابات قديمة لا تصلح للمعركة الحديثة ، فإنه قد يبارك استهلال الصاروخ إذا ظل اعداؤه يشترون الدبابات باسعار عالية . ومـن المثـير ملاحظة أن الكيان الصهيوني قد تقدم بطلب للحصول على عـدد مـن الاسـلحة الموجهة ضد الدبابات المحمولة بالسمتيات في مرحلة إعادة تنظيم قواته المسلحة.

لقد تخلى الكيان الصهيوني عن الكثير من معداته الرئيسية في قوة الدفاع الصهيونية لعدم صمودها في الاستخدام خلال حرب تشرين الأول ١٩٧٣ . ومـن بين القضايا الأخرى التي اثارها الرأي العام الصهيوني هي قضية الضبـط . لقـد بدى لبعض المراقبين ولبعض العناصر في قوة الدفاع الصهيونيـة نفسـها عـدة حالات مشهودة للعيان حصل فيها جدال خلال سلسلة القيادة في الجيش . ويعـزى ذلك جزئياً إلى ممارسة استدعاء الضباط الاقدمين من الاحتياط وجعلهم مرؤوسـين لأولئك الذين سبق ان كانوا تحت امرتهم (وربما كانوا تحت امرتهم منذ وقت قريب جداً) . إن هذه الحالة (نظرياً) ليست لها أهمية ، ولكن الطبيعة البشرية تجعـل منها أمراً يثير الحساسية بدرجة كبيرة .

إن الجيش القديم الذي انبثق من عصابات الهاناغا ، كان يشـعر بـالفخر والاعتزاز بانه يمتلك ضبطاً ذاتياً يعصمه عن ارتكاب الاخطاء والعصيان مما مكنـه

[1] للاطلاع على تفاصيل هذه الاسلحة ، أنظر (الميزان العسكري) لسنة ٧٤ – ١٩٧٥ الصفحة (٨٤).

من التغلب على الاعتبارات الشخصية وجعلته يلتزم بالرقابة الرسمية والتشديد في الترقية وعدم اسناد المناصب إلا الاشخاص المؤهلين لها (*) .

لقد اختفت هذه الروحية وبدا ادراك الخطر بانه إذا لم يعاد فرض الضبط من جديد وأن لم يقبل طوعيا فإن الجيش الصهيوني سوف يتدهور ويتحول إلى مجموعة من ذوي الاتجاهات الفردية التي تتجادل في السياسة ، في حين أن جيوش الدول العربية - بضبطها القاسي المتسم بالفخر والاعتزاز والشعور بروح الجماعة والزمالة بين جميع الرتب - لم يجر التفكير به في الافق الصهيوني .

ومرة أخرى بدأت مصر وسورية باعادة التسلح : لقد دفع للاتحاد السوفيتي من عوائد النفط (بشكل سخي) اثمان المعدات والاسلحة والخدمات التي جهزت إلى الجيوش العربية المشاركة في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ .

وبدأ الكيان الصهيوني هو الآخر باعادة التسلح ، وعوض عن خسائره من قبل الولايات المتحدة الأمريكية من دون مقابل ، عدا عن بعض المعدات الأساسية (الصلبة) التي استولت عليها الجيوش العربية . وعاد الاسرى الباقون على قيد الحياة إلى وطنهم . وتنازل الكيان الصهيوني عن جزء من الأراضي التي سبق وإن استولى عليها في حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . ولكن الشعور بالظلم والاسى ، (معضلة الفلسطينيين العرب) ظلت قائمة .

مهما يقال عن الاستعداد لتقبل حالة السلام ، فإن عاملاً وحيداً يبدو بامكانه الحفاظ على السلام على امتداد حدود الكيان الصهيوني : الاعتراف اخيراً بأن الحرب ليس من المحتمل أن تجعل الامور أفضل لاي من الجانبين ، وأكثر الاحتمال إنها تجعل الامور اسوأ ومن الممكن أن هذا الجزء من الشرق الأوسط قد ادرك امكانية تحقيق التكافؤ العسكري بالاعتماد على امتلاك الاسلحة التقليدية الحديثة ، وهذا هو في الواقع الدرس نفسه الذي تعلمته اوربا في ما يتعلق بامتلاك الاسلحة النووية .

(*) لا يخفى أن الاب الروحي لعصابات الهاغانا هو الكابتن وينغيت البريطاني الذي استخدمته شركة نفط العراق لحماية خطوط الانابيب إلى حيفا، فانهمك بدلاً عن ذلك في تكوين وتدريب عصابات الغاناه (المترجم).

الفصل الرابع

حرب تشرين الأول / اكتوبر / ١٩٧٣

وجهة نظر عربية

خليل ابراهيم حسين الزوبعي

معارك الجبهة المصرية ٦ / تشرين الأول ١٩٧٣

عبور قناة السويس

(وجهة نظر عربية)

المبحث الأول
الموقف العام وقوات الطرفين

١. مقدمة

أدت حرب سنة ١٩٦٧ التي دارت رحاها بين الجيوش المصرية – السورية- الاردنية ومن عاونهم من الدول العربية " العراق – المغرب " من جهة وبين الجيش الصهيوني المدعم بكل القوى الامريكية والامبريالية العالمية من جهة ثانية إلى احتلال سيناء والجولان والقدس والضفة الغربية . لم تحدث هذه الكارثة من فراغ وانما حدثت كنتيجة لأخطاء تراكمية استمرت مدة طويلة من دون أن يعي المسؤولون في العربية المتحدة إلى ما ستؤدي إليه هذه الأخطاء من نتائج وتلك الأخطاء أصبحت معروفة ولا مجال لمناقشتها في هذا البحث .

٢. الموقف العام قبل حرب ٦ تشرين ١٩٧٣

اتفق في لقاء القمة المصري السوفياتي في ٢٦ يونيو / حزيران ١٩٦٨ على تحديد الهدف السياسي والعسكري لـ (ج . ع . م) وهو ازالة العدوان وبهذا أصبحت الستراتيجية للقوات المسلحة المصرية هي تحرير الأرض المحتلة في سيناء والوصول بالقوات المصرية إلى خط الحدود المصرية الفلسطينية وتأمينها ثم استغلال النجاح سياسيا لاسترداد حقوق الشعب الفلسطيني وكانت الفترة الزمنية التي حددها الرئيس عبد الناصر هي ثلاث سنوات .

ومنذ هذا التاريخ بدأت القوات المسلحة المصرية بوضع الخطة لتحرير الأرض المحتلة بناء على توجيهات القيادة العامة للقوات المسلحة وقد ظلت خطط الحركات العسكرية تتبدل وتتغير عدة مرات سواء في أهدافها المرحلية أم في

أهدافها النهائية حتى استقر الرأي على تبني الخطة كرانيت المعدلة التي تم بموجبها تنظيم التعاون بين القيادتين المصرية والسورية يوم ٧ حزيران ١٩٧٣ بمقر القيادة العامة المصرية في مدينة نصر وهي الخطة التي غيّر اسمها الرمزي في ايلول ١٩٧٣ إلى خطة بدر ولقد تولى منصب القائد العام للقوات المسلحة خلال تلك الفترة من ١ حزيران ١٩٦٧ حتى بدء حرب تشرين ١٩٧٣ (نحو ست سنوات واربعة اشهر) ثلاثة من القادة ومما تجدر الاشارة إليه انهم جميعا تولوا منصب رئاسة اركان الجيش قبل اسناد منصب القائد العام وهم الفريق اول محمد فوزي والفريق أول محمد احمد صادق والمشير احمد اسماعيل الذي لم يبق في منصب رئاسة اركان الجيش سوى ستة أشهر فقط إذ نحي عن منصبه في عهد الرئيس عبد الناصر في اثر وقوع الغارة البرمائية الصهيونية على الزعفرانة في خليج السويس ولكن السادات اعاده لمنصب القائد العام للقوات المسلحة يوم ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٣ وهؤلاء القادة مع رئيس الاركان الفريق عبد المنعم رياض والفريق الشاذلي كانوا هم بلا شك المسؤولين طوال الفترة بين حرب ١٩٦٧ - وحرب اكتوبر / تشرين عن وضع الأسس والتوجيهات لهيئات الركن لاعداد خطط الحركات الهجومية لتحرير الأرض .

ففي أول اكتوبر/ تشرين الأول ارسل السادات بصفته رئيسا للجمهورية توجيها سياسيا وعسكريا إلى الفريق أول احمد اسماعيل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة كان يتكون من فقرات اربع رئيسة هي :

١. الوضع العام حيث ذكر أن الكيان الصهيوني يبذل جهده بتأييد امريكا بفرض سيطرتها وارادتها على مصر وعلى حل المشكلة الفلسطينية على نحو يحقق أهدافها والسيطرة شبه المطلقة على المنطقة العربية ، ثم ذكر السادات أن مصر حاولت بكل جهودها أن تجد حلا للازمة يضمن كرامة مصر ويوجد حلا عادلا للقضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الاوسط ولكن كل هذه الجهود اما فشلت واما توقفت وإما حاول اعداء مصر الخروج بها عن مقاصدها وذكر أن كل العمليات الفلسطينية التي تدعمها مصر لم تصل في ضغطها على الكيان الصهيوني إلى المدى الذي يضطره إلى أن يستجيب لصوت العقل والمنطق وذكر ما تحملته مصر من أعباء مالية ومعنوية وخسائر بشرية. . وذكر السادات أن الموقف العربي في تحسن مما اثر بشكل واضح في تمكين مصر

من شراء السلاح من مصادر غير الاتحاد السوفياتي وأوضح أن الـرأي العـام العالمي مع جهوده وأن الكيان الصهيوني أصبح في عزلة شـبه تامـة (عـدا امريكا).

٢. ستراتيجية الكيان الصهيوني : وضح السادات أن نظرية الأمـن الصـهيوني تقوم على الردع النفسي والسياسـي والعسـكري - أي أن نظريـة الكيـان الصهيوني تقوم على التخويف والادعاء بقدرات نادرة وتفوق عسكري وفنـي وتقني لايستطيع العرب تحديه تمهيدا للوصول إلى اقناع مصر والامة العربيـة أن لا فائدة من تحدي الكيان الصهيوني واخيرا فليس هناك أمام الأمة العربيـة الا الاستسلام والاذعان لشروطها حتى وإن أدت إلى تنـازلات عـن السـيادة الوطنية.

٣. الستراتيجية المصرية

قال السادات في توجيهه السياسي عن هذه الفقرة ما يلي :

" إن الهدف الستراتيجي الذي أتحمل المسؤولية السياسية في اعطائه القـوات المسلحة المصرية وعلى أساس كل ما سمعت وعرفت من اوضاع الاسـتعداد يتلخص في ما يلي :

" تحدي نظرية الأمن الصهيوني وذلك عن طريق عمل عسكري حسب امكانات القوات المسلحة يكون هدفه الحاق اكبر قدر من الخسائر بالعدو واقناعه بـأن مواصلة احتلاله اراضينا يفرض عليه ثمنا لا يستطيع دفعـه وبالتـالي فـإن نظريته في الأمن على أساس التخويف النفسي والسياسي والعسكري - ليس درعا من الفولاذ تحميها الان أو في المستقبل وإذا استطعنا بنجاح أن نتحـدى نظرية الأمن الصهيوني فإن ذلك سوف يؤدي إلى نتائج محققـة فـي المـدى القريب وفي المدى البعيد .

في المدى القريب : فإن تحدي نظرية الأمن الصهيوني يمكن أن يصل بنا إلـى نتائج محققة تجعل في الامكان أن نصل إلى حل مشرف لازمة الشرق الاوسط.

وفي المدى البعيد : فإن تحدي نظرية الأمـن الصـهيوني يمكـن أن يحـدث متغيرات تؤدي بالتراكم إلى تغيير أساس في فكر العـدو وتعبئتـه ونزعاتـه العدوانية " . انتهى

٤. التوقيت :

ذكر السادات في توجيهه عن هذه الفقرة ما يلي :

إن الوقت من الان ومن وجهة نظر سياسية ملائم كل الملائمة لمثل هذا العمل الذي أشرت إليه في ثالثا من هذا التوجيه . إن اوضاع الجبهة الداخلية وأوضاع الجبهة العربية العامة بما في ذلك التنسيق الدقيق مع الجبهة الشمالية (الجبهة السورية) وأوضاع المسرح الدولي تعطينا من الان فرصة مناسبة للبدء . ومع أن العزلة الدولية للعدو تسير في غير صالح الكيان الصهيوني ومع الجو الذي يسود عنده بنزاعات الانتخابات الحزبية والصراعات الشخصية فإن احتمالات الفرصة المناسبة تصبح احسن أمامنا .

انتهى

٣. وصف ساحة الحركات

جرت الحركات البرية بين الجيشين الصهيوني والمصري وقوات عربية أخرى في شبه جزيرة سيناء التي تبلغ مساحتها ٦١٠٠٠ كم٢ أي ثلاثة أضعاف مساحة الكيان الصهيوني والتي احتلها الكيان الصهيوني في حرب ١٩٦٧ عدا الجزء الصغير الذي يضم البحيرة شرق وجنوب بور فؤاد أو شمال رأس العش شرق القناة . وسيناء منطقة قاحلة جرداء تكاد تكون منعزلة عن العالم ولكنها تكوّن جسراً يربط بين شرقي الوطن العربي وغربيه وبين آسيا وافريقيا وفاصلا بين أهم بحرين في العالم البحر المتوسط والبحر الاحمر .

كانت سيناء ممرا للجيوش الغازية وليست ساحة اقتتال بين الجيوش حتى ظهر الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ في قلب العالم العربي وبالقرب من سيناء وأصبحت ميدانا من ميادين الصراع بين العرب والكيان الصهيوني وقد شهدت حربين احداهما عام ١٩٥٦ والأخرى في حزيران عام ١٩٦٧ والتي كان من نتيجتها أن احتلها الكيان الصهيوني مع غيرها من الاراضي إضافة إلى القدس وهكذا أصبحت سيناء منطقة مهمة في تاريخ العرب العسكري وإحدى الساحات العسكرية التي يتقرر فيها مصير الصراع العربي الصهيوني .

تؤلف سيناء ٦% من مساحة مصر ونفوسها لا يزيدون على ٤٠٠,٠٠٠ الف نسمة وفيها مدينة واحدة هي العريش وفيها بعض المواقع المشهورة مثل

شرم الشيخ ورأس النصراني وذهب وعيون موسى وغيرها وارضـها تجمـع بين الأراضي المنبسطة والمتموجة والجبلية ، تتألف سيناء من منطقتين :
أ . شمالية وهي عبارة عن تلول من الكثبان الرملية تحيـط بسـاحل البحـر المتوسط تاركة سهلا عمقه بين ٨ - ١٦ كم تتيسر فيه المياه على عمـق بضعة أقدام تحت الأرض ويمر فيها طريق رفح - العريش - القنطـرة - وخط السكة الحديد الموازي له ويتعذر السير خارج هذا الطريق .
ب. الهضبة (التيه) : وهي هضبة صخريـة واسـعة تكـثر فيـها التلـول والمرتفعات التي يصل ارتفاع بعضها إلى أكثر من ٣٠٠٠ قدم . ويمر فـي هذه المنطقة طريقان :
أولاً . طريق العوجة - ابو عجيلة - بئر جفجافة - الاسـماعيلية وهـو طريق سيناء المركزي الذي يمر في اراضٍ صخرية ويمكـن التنقـل خارجه الا إنه يصعب الحفر .
ثانياً. طريق رأس النقب - قلعة النخل - مضيق متلا - السويس - وهـو طريق الحج القديم ويمر في أراضٍ رملية وعرة تزداد وعورتها عنـد القسم الغربي من الطريق الذي يمر بمضيق متلا والذي يبلـغ طولـه ٢٤ كم ولا يمكن التنقل خارجه بالآليات .
ثالثاً. المنطقة الجبلية وهي تتألف من جبال وعرة تعدَ من أوعر المنـاطق الجبلية وتتألف من سلسلة متتالية تمتد جنوبـا حتـى رأس محمـد وتنحدر شرقا حتى خليج العقبة وغربا حتى خليج السـويس واعلـى جبل فيها هو كاترينا الذي يبلغ ارتفاعه ٨٦٥١ قدما وفي سفحه اقيـم دير (سانت كاترينا) الذي هو من اقدم الاديرة في العالم وفي هـذه المنطقة يقع جبل موسى وجبل المناجاة .
ويحيط بهذه المنطقة الجبلية طريق ساحلي يبدأ من رأس النقب ويمـر بذهب وشرم الشيخ وهو الموقع الستراتيجي المسيطر علـى مضيـق تيران ثم يصعد شمالا فيمر بالضور وابو زنيمة والسدر وينتهي مقابل مدينة السويس وهو طريق وعر يصعب التنقل عليه بالآليات .
وفي سيناء معادن كالنفط والمنغنيز والفحم ورمل الزجـاج والجبـس والفيروز وفيها قناة السويس التي تحصن خلفها الصهيونيون وبنـوا

خط بارليف . وتخيلوا أنهم وراء حصن ومانع مائي تحميه نار تحرق الاخضر واليابس . جرت على ضفتي القناة معركة هجومية نادرة في التاريخ ودفاعية اشترك فيها كل انواع الاسلحة الحديثة يدعمها غرور قاتل . . ويمكن وصف ساحة المعركة بما يلي :

كانت قناة السويس التي تقطع شبه جزيرة سيناء من خليج السويس إلى البحر المتوسط وبطول ١٦٥ كم مانعا مائيا ينفرد بميزات خاصة إضافة إلى الموانع الصناعية التي أنشأها العدو فزادت من مناعته ويمكن وصف هذا المانع الذي كان يفصل بين القوات الصهيونية والمصرية بالصفات التالية :

أولاً. تعد قناة السويس مانعا مائيا صناعيا عرضه بين ١٨٠ - ٢٠٠ متر ضفتاها حادة الميل مكسوة بالحجارة والحصى لمنع انهيار الاكتاف وهذا ما يجعل عملية عبور الدبابات صعبة جدا الا إذا نسفت الاكتاف وانشئ مدخل ومخرج لتستطيع الدبابة البرمائية النزول إلى الماء والخروج منه.

ثانياً. وجود السد الترابي الذي أقامه العدو بعد احتلاله شبه الجزيرة والذي يصل ارتفاعه في بعض المناطق المهمة إلى نحو عشرين مترا مما يتعذر على الدبابات البرمائية عبوره إلى الشاطئ الاخر إلا إذا ازيل هذا السد الترابي وكان ميل هذا السد بين ٤٥ - ٦٥ درجة حسب طبيعة التربة ويحجب الرؤية على التحركات الصهيونية .

ثالثاً. وعلى طول هذا السد الترابي بنى الصهيونيون خطا دفاعيا قويا اطلق عليه خط بارليف BARLEV LINE والذي يتكون من ٣٥ حصنا المسافة بين حصن وآخر من كيلومتر إلى خمس كيلو مترات حسب أهمية المنطقة المدافع عنها.. وزادت المسافات بين الحصون في منطقة البحيرات حتى بلغت من ١٠ كم إلى ١٥ كم . كانت هذه الحصون من النوع الذي يجعلها قادرة على تحمل قصف المدفعية الثقيلة إذ إضافة إلى بنائها بعمق داخل الأرض كانت سقوفها مشيدة من الخرسانة المسلحة التي تقاوم انفجارات قنابل المدفعية وأحيطت بالاسلاك الشائكة وحقول الالغام التي تسترها النيران . . إضافة إلى اقامة ابراج لمراقبة الضفة الغربية من القناة واستطلاع التحركات فيها . ـن كل طبقة من هذه

الحصون من عدة منعات مشيدة من الخرسانة المسلحة وتفصل بين كل طبقة وأخرى أيضا طبقة من القضبان الحديد والخرسانة المسلحة والاتربة والاحجار ويبلغ سمك الطبقة نحو مترين وجهزت كل منعة بعدة فتحات ليتسنى للجنود المدافعين فيها الرمي إلى جميع الجهات والقتال باسلوب الدفاع الدائري .

كانت الحصون مكتفية ذاتيا لمدة سبعة ايام ووسائل مواصلاتها جيدة مع قياداتها الخلفية ونيران المنعات تتقاطع في رميها لصد المهاجمين ، وتتصل اجزاء كل نقطة مع بعضها بعضاً بخنادق مواصلات عميقة مبطنة بالواح من الصلب واكياس الرمل.

رابعا . لم يكتف الصهاينة بكل هذه الحصون والاستحكامات ولكنهم ادخلوا سلاحا دفاعيا جديدا هو النيران المشتعلة فوق سطح الماء لكي تحرق كل من يحاول عبور القناة لبث الرهبة والرعب في نفوس المصريين واليأس في قلوب قادتهم ووصولا إلى غرضهم هذا بنوا مستودعات ملأوها بهذا السائل واوصلوا المستودعات بانابيب تنقل السائل إلى سطح الماء والذي سيطفو فوقه لقلة كثافته عن كثافة الماء فإذا اشتعل بطريقة اوتوماتيكية أو بقنبلة فوسفورية تحول سطح الماء إلى نار حارقة تستمر مشتعلة ما دامت التغذية مستمرة .

٤. موقف قوات الطرفين

أ . مصر

كان حجم القوات المسلحة المصرية صباح يوم ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ كما يلي :

القوات البرية

١٩ لواء مشاة آلياً

٨ الوية مشاة آلية نصف مسرفة

١٠ الوية مدرعة

١٠ الوية محمولة جوا

١ لواء برمائي

١ لواء صواريخ أرض - أرض

وكانت تتسلح بـ ١٧٠٠ دبابة و ٢٠٠٠ عجلة مدرعة و ٢٥٠٠ مدفع وهاون و ٧٠٠ قاذف صاروخي موجه و ١٩٠٠ مدفع مضاد للدبابات و ٥٠٠٠ RPG ضد الدبابات وعدة الاف من القنابل اليدوية المضادة للدبابات ٤٣ RPG .

القوات الجوية

٣٠٥ طائرات قتال ميغ ١٧ ، ١٩ ، ٢١ وبعض طائرات الميراج

٩٥ طائرة تدريب

٧٠ طائرة نقل

٢٥٠٠ مدفع مضاد للطائرات من عيار ٢٠ ملم فما فوق

قوات الدفاع الجوي

١٥٠ كتيبة صواريخ

٢٥٠٠ مدفع مضاد للطائرات من عيار ٢٠ ملم

القوات البحرية

١٢ غواصة

٥ مدمرات

٣ فرقاطات

سفينة مقاومة غواصات

١٧ زورق صواريخ

٣٠ قارب طوربيد

١٤ كاسحة الغام

١٤ زورق انزال

إن دراسة اعداد الوحدات والاسلحة التي تتجهز بها مختلف صنوف الجيش المصري يظهر لنا أن حجم السلاح والقوات الذي كان لدى مصر قبل حرب تشرين يفوق ما لدى الكثير من دول حلف وارشو وحلف الناتو (كل دولة بمفردها) وأن القوات البرية المصرية تتفوق على القوات البرية البريطانية أو الفرنسية عددا ولكن هذه الميزات الكبيرة والكثيرة تتضاءل أمام السياسة الامريكية التي تبنتها في منطقة الشرق الاوسط منذ قيام الكيان الصهيوني

حتى وقتنا هذا والقاضية بضرورة ادامة التفوق الصهيوني على جميع الدول العربية مجتمعة ولذلك كانت تمد امريكا الكيان الصهيوني بكل ما هو جديد ومتطور من الاسلحة وقد قام التفوق الجوي التقني والفني الصهيوني ولا يزال يقوم بالدور الاكبر في شل واحتواء فعاليات الوحدات البرية والبحرية والجوية المصرية والعربية الأخرى .

ب. سورية

في يوم ٥ تشرين الأول اتمت القوات السورية انفتاحها النهائي للمعركة بحيث كانت صبيحة يوم ٦ تشرين الأول يوم (ي) موزعة على الوجه التالي [١] (وكانت معنويات الجنود والضباط عالية ويطلبون الثأر واسترداد الأرض السليبة) .

القوات التي في الخط الامامي

في الشمال فرقة المشاة الالية السابعة [٢] ويغطي جناحها الايمن لواء مستقل .

في الوسط فرقة المشاة الالية التاسعة .

في الجنوب فرقة المشاة الالية الخامسة .

في الخط الثاني

الفرقة المدرعة الثالثة – في المنطقة الواقعة جنوب قطنا[٣]

الفرقة المدرعة الاولى – في المنطقة الواقعة جنوب الكسوة

لواءان مدرعان مستقلان (٧٠ و٧٨) في كل منهما (٩٥ – ١٠٠) دبابة مع جحفل لواء مغربي .

---

[١] كانت الدروع السورية تغير تشكيلاتها من يوم إلى آخر من الدفاع إلى الهجوم من باب التمويه .

[٢] تضم الفرقة الالية أو فرقة المشاة الالية السورية لواءي مشاة محمولين ولواء مشاة ولواء دبابات ويبلغ عدد دباباتها (دبابات اللواء المدرع وكتائب الدبابات التابعة لالوية المشاة) نحو ١٨٠ – ١٨٥ دبابة (ت – ٥٤) و (ت – ٥٥) .

[٣] تضم الفرقة المدرعة السورية لواءين مدرعين ولواء مشاة آلي ويبلغ عدد دباباتها بما فيها الدبابات التابعة للواء المشاة الآلي) ٢٢٠ دبابة .

هذا وتلقت وحدات الهندسة السورية المنتشرة على الخط الامامي امرا ليلة ٤/ ٥ تشرين الأول بفتح الثغرات في حقول الالغام السورية بمعدل ثغرة لكل فصيل أو رعيل وقيل لهم إن الغاية منها هي السماح للدوريات السورية بالمرور لمراقبة تسلل قوات العدو وذلك من اجل الاحتفاظ بالسرية وفتحت الثغرات بالطرائق الصامتة وحددت وأشرت بعلامات خاصة لا ترى إلا من الجهة السورية .

القوات الجوية

١٠٠ طائرة ميك ٢١ اعتراضية
٨٠ طائرة ميك ١٧
٣٠ طائرة سوخوي
٨ طائرة اليوش ١٤ ، ٤٧ نقل
١٤ طائرة س ٢ ، ٤

وكان مجموعها ٢١٠ طائرات مقاتلة و ٢٢ طائرة نقل و ١٠٠٠٠ رجل.

الاسناد العسكري العربي

وزع الاسناد العسكري العربي قبيل حرب اكتوبر أو اثنائها بين الجبهتين المصرية والسورية وكالآتي :

الجبهة المصرية

سرب ميج ٢١ جزائري
سرب سوخوي جزائري
سرب ميج ١٧ جزائري
سربا ميراج ليبيان (احدهما يقوده طيارون ليبيون والآخر يقوده المصريون)
سربا هوكر هنتر عراقي
لواء مدرع جزائري
لواء مدرع ليبي
لواء مشاة مغربي

لواء مشاة	سوداني
كتيبة مشاة	كويتية
كتيبة مشاة	تونسية

الجبهة السورية

ثلاث اسراب ميج ٢١	عراقية
سرب ميج ١٧	عراقي
فرقتان مدرعتان	عراقيتان
فرقة مشاة	عراقية
لواءان مدرعان	اردنيان
لواء مدرع	مغربي

الجبهة الاردنية

لواء مشاة	سعودي

قامت تسع دول عربية بتقديم الاسناد العسكري لدولتي المواجهة ولقد قوّم[١] الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس اركان حرب القوات المسلحة المصرية في تلك الفترة هذا الدعم من ناحية قوة التأثير فكان ترتيب الدول بالاسبقية التالية :

المركز الأول	جمهورية العراق ١٥٠ نقطة
المركز الثاني	الجمهورية الجزائرية ٧٠ نقطة
المركز الثالث	الجمهورية الليبية ٥٠ نقطة
المركز الرابع	المملكة الاردنية ٢٠ نقطة
المركز الخامس	المملكة المغربية ١٥ نقطة
المركز السادس	المملكة العربية السعودية ٥ نقاط
المركز السابع	جمهورية السودان ٥ نقاط
المركز الثامن	دولة الكويت نقطة واحدة
المركز التاسع	الجمهورية التونسية نقطة واحدة

---

[١] لقد أُجري التقويم بناء على الأسس التالية : سرب جوي يعادل ٢٠ نقطة – لواء مدرع يعادل ١٠ نقاط – لواء مشاة يعادل ٥ نقاط – كتيبة مشاة تعادل ١ نقطة – وفي حالة التعادل تعطى الاسبقية لتاريخ الوصول.

وهكذا يمكن القول إن التعاون العربي خلال حرب تشرين كان يمثل افضل صورة ظهر بها العرب منذ انشاء الكيان الصهيوني ولكن كان هناك تأخير واضح في ارسال هذا الدعم العسكري إلى جبهات القتال مما جعل الكثير من الوحدات تصل في وقت متأخر لا يسمح لها بأن يكون لها تأثير كبير في سير المعركة ومما زاد في تقليل أهمية هذا الدعم هو أن بعض الوحدات كان مستوى تجهيزها وتدريبها لا يسمح أن يدخل في معركة ضد القوات الصهيونية التي كانت على مستوى عال من التجهيز والتدريب .

القوات الصهيونية

كان حجم القوات الصهيونية يوم ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ كما يلي :

عشرة الوية مدرعة

تسعة الوية مشاة

تسعة الوية آلية

خمسة الوية مظلات

ثلاثة الوية مدفعية

تتسلح هذه القوات بـ ١٧٠٠ دبابة منها :

- ٤٠٠ دبابة من طراز م - ٤٨ مزودة بمدفع عيار ١٠٥ ملم
- ٢٥٠ دبابة من طراز بن غوريون (دبابات سنتورين البريطانية) مزودة بمدفع عيار ١٠٥ ملم.
- ٦٠٠ دبابة سنتورين
- ٢٠٠ دبابة شيرمان وسوبر شيرمان

القوات الجوية

٤٨٨	طائرة مقاتلة منها ١٢ قاذفة خذيفة
٩٥	طائرة مقاتلة قاذفة اعتراضية طراز ف - ٤
٣٥	طائرة ميراج بعضها مزود بصواريخ جو - جو
١٦٥	طائرة مقاتلة قاذفة سكاي هوك
٣٢	طائرة من طراز باراكس
١٨	طائرة مستير

وقوام القوة الجوية (١١٠٠٠) رجل في الخدمة العاملة و ٢٠٠٠٠ في حالة التعبئة (احتياطي) .

القوات البحرية

مدمرة واحدة

تسع زوارق مزودة بصواريخ جابريل سطح - سطح

ثلاث غواصات فضلاً على ثلاث غواصات أخرى كان يجري بناؤها .

مقارنة بين قوات الطرفين

- إذا قارنا بين القوات العربية (مصر وسورية) فقط والقوات الصهيونية لظهر لنا ما يلي :
- إن القوات المصرية المسلحة وحدها تتفوق عددا على القوات الصهيونية .
- إن القوات السورية المتحشدة في الجبهة يوم ٦ تشرين تتفوق بضعفين على القوات الصهيونية عددا .
- تتفوق مصر وسورية بعدد كتائب المدفعية على القوات الصهيونية من كل الانواع .
- تملك مصر وحدها ١٧٠٠ دبابة وهذا العدد يملكه الكيان الصهيوني أي أن الكيان الصهيوني سيحارب في الجبهتين بالعدد نفسه الذي تملكه مصر من الدبابات .
- يبلغ عدد الطائرات المصرية والسورية المقاتلة نحو ٥٠٠ طائرة .
- يبلغ عدد الطائرات الصهيونية المقاتلة نحو ٩٠٠ طائرة .
- تتفوق القوة الجوية الصهيونية على الطائرات العربية (مصرية وسورية) بالنوعية. احدث من الطائرات العربية . والطيارون الصهاينة أكثر عددا بالنسبة للطائرات العاملة من الطيارين السوريين والمصريين .

المبحث الثاني

وضع الخطط للطرفين

كيف وضعت جرانيت (٢) المعدلة إلى (بدر)

عند تعيين الفريق احمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة في ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٢ عرض عليه الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس الاركان الخطة الهجومية لمناقشتها معه والتي كانت تستهدف مجرد انشاء منطقة رؤوس جسور على عمق ١٠ - ١٢ كم شرق القناة اقتنع الفريق احمد اسماعيل بها لعدم قدرة القوات المسلحة المصرية على تنفيذ الخطة جرانيت ٢ التي كانت تستهدف الوصول إلى المضايق . وفي ١٠ كانون الثاني ١٩٧٣ صدر قرار من مجلس اتحاد الجمهوريات العربية بتعين الفريق احمد اسماعيل قائدا عاما للقوات الاتحادية وبمجرد صدور تعيين اللواء بدر الدين نوفل رئيسا لاركان القيادة الاتحادية بدأت القيادة تمارس عملها في التخطيط لعملية هجومية على الجبهتين المصرية والسورية في آن واحد ووضع أسس التعاون بينهما في المراحل المختلفة من تطور القتال وافضل السبل في استخدام الجيشين في عملية واحدة منسقة وربط الجبهتين المصرية والسورية بالوسائل المطلوبة .

إن غرض الهجوم السوري هو تحرير هضبة الجولان بأكملها ووصول القوات السورية إلى الخط - نهر الاردن - الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا - ويعني نجاح الهجوم السوري في اجتياح مرتفعات الجولان وصول قطعات الدروع السورية إلى نهر الاردن الذي لا يفصله عن كبرى الموانئ الصهيونية في الشمال وهما عكا وحيفا سوى مسافة ٥٠ كم والتي يمكن لقطعات الدروع قطعها ببضع ساعات كما يعني وقوع شمال الكيان الصهيوني المكتظ بالسكان والذي يضم كثيرا من القرى والمدن والأهداف الستراتيجية المهمة تحت النيران السورية .

أما الجبهة المصرية فلم تكوَن بالنسبة للكيان الصهيوني خطورة عاجلة على المراكز ذات الكثافة السكانية في الجنوب بسبب وجود حاجز صحراوي هو سيناء (٢٢٥ كم) .

لذلك كان من المفروض والطبيعي أن يركز الكيان الصهيوني الجهد الرئيس لقواته على الجبهة السورية مما يسهل للقوات المصرية بتطوير هجومها شرقا والوصول إلى خط المضايق ولكن الخطة المصرية الحقيقية والتي تمَ استطلاع القادة للأرض لتنفيذها ودراسة احتياجاتها كانت تستهدف الوصول إلى هدف متواضع هو مجرد انشاء منطقة رؤوس جسور على عمق ١٠ - ١٢ كم شرق القناة - وكان من المنتظر أن تعترض القيادة السورية على أهداف الخطة المصرية التي ستتيح للقيادة الصهيونية تثبيت القوات المصرية بينما تلقي بكل ثقلها ضد القوات السورية المتقدمة في مرتفعات الجولان .

وتطمينا للقيادة السورية (أو لخدعها) أخذت مديرية الحركات العسكرية (هيئة العمليات الحربية المصرية) التي كان يرأسها وقتذاك اللواء محمد عبد الغني الجمسي في اعداد خطة أخرى غير خطة المآذن العالية تستهدف تطوير الهجوم شرقا بعد العبور للوصول إلى خط المضايق ولم تكن هذه الخطة جدية بل كان الغرض منها ارضاء السوريين فقط لأن الخطة الجديدة كانت هي بالضبط الخطة كرانيت ٢ مع تعديلات اجريت عليها بكرانيت ٢ المعدلة (أو المآذن العالية) والتي غير اسمها في ايلول وقبل بدء الهجوم بشهر واحد إلى (خطة بدر) تيمنا بمعركة بدر .

وفي ٧ حزيران ١٩٧٣ جرت في القيادة العامة في مدينة نصر عملية تنظيم التعاون للخطة الهجومية المشتركة بين القوات المصرية والقوات السورية التي حضرها الفريق احمد اسماعيل قائد القيادة الاتحادية والفريق سعد الدين الشاذلي رئيس الاركان واللواء علي الدين نوفل رئيس عمليات القيادة الاتحادية (مدير الحركات) وعدد من القادة المصريين الآخرين والسوريين حيث حددت أهداف الخطة على الجبهتين وكانت تهدف إلى وصول القوات المصرية إلى خط المضايق الستراتيجية شرق قناة السويس وقد قام قائدا الجيشين الثالث والثاني بتخصيص المهمات لقادة الفرق المشاة الخمس التي تقرر قيامها باقتحام وعبور قناة السويس وقام قادة فرق مشاة الخط الأول وقادة الفرق المدرعة وفرق المشاة

الآلية بالخط الثاني جميعا بمهمات الاستطلاع الخاصة بعملية العبور وتنفيذ المرحلة الاولى وكذلك بمهمات استطلاع المرحلة الثانية عند تطوير عملية الهجوم شرقا والوصول إلى المضايق واتمام المرحلة الثانية ووضعوا الخطوط الكفيلة بتحقيق الأهداف والتعاون داخل كل جيش .

ولابد من ذكر أن المرحلة الاولى من الخطة كانت تناقش بدقة وتفصيل واسعين ولم تترك صغيرة أو كبيرة إلا اشبعت بحثا بينما كان يُمر مر الكرام على المرحلة الثانية ولقد علل الفريق الشاذلي في كتابه حرب اكتوبر سبب ذلك بقوله بأنه هو شخصيا لم يكن يتوقع أن يطلب من القوات المصرية تنفيذ المرحلة الثانية وأن هذا هو شعور قائدي الجيشين الثاني والثالث انفسهما .

بنيت خطة حرب تشرين الأول (بدر) على الدروس المستمدة من تجارب الحروب التي خاضتها القوات المصرية خلال حربي ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ وكانت تستهدف الاسس التالية :

١. تقويض نظرية الأمن الصهيوني . . وكان التخطيط لعبور قناة السويس وتدمير خط بارليف بحصونه المنيعة في حالة نجاح الخطة يعني أن نظرية الاستناد الى موانع طبيعية كونها حدودا آمنة ليست سوى وهم وادعاء صهيوني باطل تتوخى منه ضم الأراضي العربية .
٢. خطة المخادعة السوقية . . وقد نُسقت الخطط المصرية بالتعاون مع اجهزة الدولة العليا وحققت نجاحا تاما كما نُسق بينها وبين الخطط السورية الخاصة بالسرية والأمن والمخادعة السوقية والسياسية ، وقد نجحت الدولتان بخداع المخابرات الصهيونية .
٣. ارغام الجيش الصهيوني على القتال على جبهتين اساسيتين في وقت واحد يفصل بينهما نحو ٥٠٠ كم لتشتيت جهد قواته واضعافها ولمنع القوات الصهيونية من تطبيق خططها السابقة بتثبيت احدى الجبهات وتركيز هجومها على الجبهة الأخرى فإذا ما قضت عليها توجهت نحو الثانية - كما حدث في حرب ١٩٦٧ .
٤. اغلاق مضيق باب المندب وافهام الكيان الصهيوني أن شرم الشيخ التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ والتي اعلنت عن عزمها على البقاء فيها لابقاء سيطرتها على مدخل خليج العقبة لضمان حرية المرور لسفنها من ايلات إلى

آسيا وافريقيا لم تكن كذلك ولم تؤمن حرية المرور ما دام مضيق باب المندب قد اغلق في وجه السفن الصهيونية قبل الحرب مباشرة .

٥. ابطال وتحييد عناصر القوة الجوية في الجيش الصهيوني عن طريق :

أ . الافادة من شبكة الدفاع الجوي المتكاملة والتي كانت تعد من اقوى الشبكات الدفاعية في شل فعاليات القوة الجوية الصهيونية المتفوقة واضعافها .

ب. تزويد المشاة الذين يعبرون قناة السويس باكبر عدد من الاسلحة والصواريخ المضادة للدبابات على أن يتعاونوا مع نيران المدفعية في المرحلة الاولى من المعركة لشل فعاليات القوات المدرعة الصهيونية .

جـ. انزال وحدات كاملة من رجال الصاعقة بالسمتيات في عمق سيناء وانزال وحدات صاعقة أخرى عن طريق البحر على ساحل البحر المتوسط وذلك لعرقلة وصول القوات الاحتياطية الصهيونية من العمق وبث الذعر على خطوط مواصلات العدو وتشتيت جهوده في الوصول إلى ساحة المعركة .

الخطوط العامة لخطة الهجوم المصري لعبور قناة السويس

١. كانت الخطوط العامة لخطة بدر كما يلي :

أ . يجري الهجوم على طول قناة السويس وبجبهة خمس فرق مشاة زائدا قوات بورسعيد على أن يلتحق بكل فرقة لواء مدرع وعدد اضافي من صواريخ مالوتكا المضادة للدبابات لعبور قناة السويس ويؤلف من الفرق الخمس جيشان .

ب . الجيش الثاني من الشمال ويشمل الفرق ١٨ ، ٢ ، ١٦ منطقة عبوره بين شمال البحيرات المرة والكاب (خارج) .

جـ. الجيش الثالث في الجنوب ويشمل الفرقتين ٧ ، ١٩ منطقة عبوره بين رأس خليج السويس والبحيرة المرة الصغرى .

٢. الأهداف العامة والواجبات

هدف الجيش الثاني : الاستيلاء على نقاط بارليف القوية في منطقته وتدميرها ويكون واجبه بعد ذلك انشاء رأس جسرين .

رأس الجسر الأول تحتله الفرقة ١٨ ويستر منطقة (القنطرة شرق) ويسيطر على محور الطريق الشمالي المؤدي إلى بالوظة - رمانة - العريش .

رأس الجسر الثاني تحتله الفرقتان ٢ ، ١٦ ، ويستر المنطقة المواجهة للاسماعيلية بين شمال البحيرات المرة والفردان ويسيطر على محور الطريق الوسطي المؤدي إلى الطاسة – ام مرجم - بئر جفجافة .

هدف الجيش الثالث : الاستيلاء على نقاط خط بارليف القوية في منطقته وتدميرها ويكون واجبه بعدئذ انشاء رأس جسر تحتله الفرقتان ١٧ ، ١٩ ويستر المنطقة بين شمال رأس مسلة وجنوب كبريت ويسيطر على محوري الطريقين المؤديين إلى ممر متلا .

٣. **هدف قوات بورسعيد** : الاستيلاء على نقاط خط بارليف القوية بين شمال الكاب وبور فؤاد وتدميرها . واجبها انشاء رأس جسر في المنطقة الضيقة بين شمال الكاب وشرق بور فؤاد ويسيطر على الطريقين المارين بين بالوظة والكاب وبين رمانة وبور فؤاد .

يوم (ي)   يوم ٦ تشرين الأول ١٩٧٣
ساعة (س)   الساعة ١٤٠٥
وقت عبور قوات المشاة ١٤٢٠

٤. واجبات القوة الجوية

أ . انزال ضربة جوية على أهداف العدو في سيناء بـ ٢٠٠ طائرة في الساعة ١٤٠٥ تمهيدا لعبور المشاة .

الأهداف . . مطارات المليز – ثمادة – رأس سدر – العريش .

مواقع صواريخ هوك ، مراكز القيادة والسيطرة في بالوظة والطاسة وممر متلا والمركز المتقدم لقيادة القوة الجنوبية في ام مرجم ومركزها الخلفي في العريش ومركز التشويش والاعاقة الالكترونية في جبل ام خشيب

ومركز محطة الاستطلاع اللاسلكية (في جبل يعلق) وموقعا مدفعية العدو بعيدة المدى ومناطق الشؤون الادارية للعدو ونقاط العدو القوية شرق بور فؤاد .

ب. القيام بعدئذ بالمهمات التالية :

أولا . أضعاف مجهود العدو الجوي بالاستمرار على مهاجمة مطاراته ومواقع صواريخه ومحطات الرادار ومراكز القيادة والتشويش .

ثانيا. مهاجمة احتياطيات العدو القائمة بالهجمات المقابلة وإنزال الخسائر بها.

ثالثا. معاونة الجيشين المهاجمين بمهاجمة الأهداف البرية التي تعترض طريق تقدمها .

رابعا. حماية الأهداف الجوية مثل المعابر والمطارات والقواعد الجوية بالتعاون مع قوات الدفاع الجوي .

خامسا. نقل قوات الصاعقة وجماعات الاستطلاع إلى خلف خطوط العدو .

سادسا. القيام بالاستطلاع الجوي لصالح القوات البرية .

٥. واجبات المدفعية

أ . ترمي المدفعية نارا تمهيدية مدبرة على نقاط خط بارليف القوية وأهداف العدو شرقها وذلك ابتداءا من الساعة ١٤٠٥ ولمدة ٥٣ دقيقة ويشترك في رمي هذه النار المدبرة (٢٠٠٠) مدفع علاوة على النيران التي يرميها عدد من انواع المدافع الأخرى بالتوجيه المباشر .

ب. تعبر جماعات من المدفعية إلى سيناء مع الموجة الاولى لتقوم بتوجيه نيران المدفعية المباشر على تحصينات العدو ومدرعاته .

جـ. تقوم مدفعية مقاومة الدبابات بمهمتين :

أولا . مشاغلة دبابات العدو من الضفة الغربية بالرمي المباشر ومنعها من مهاجمة قوات المشاة العابرة .

ثانيا. تشكل مجموعات لاقتناص دبابات العدو وتتألف هذه المجموعات من حملة صواريخ ضد الدبابات وتعبر في ساعة الصفر لتكوّن مع

مفارز من الصاعقة كمائن على المحاور والطرق التي تسلكها الدبابات المعادية لمنعها من مهاجمة القوات العابرة .

٦. **واجبات قوات الصاعقة :**

أ . امتصاص هجوم الاحتياطي للعدو القريب تقوم مفارز من جنود الصاعقة مزودين بصواريخ مقاومة الدبابات وتعبر في ساعة الصفر وتندفع لمسافة كيلومترين أو ثلاث كيلومترات عند الممرات والطرق والمحاور التي تسلكها قوات العدو الاحتياطية القريبة - المدرعة - والآلية . في تقدمها نحو مناطق العبور لمهاجمة القوات التي احتلت النقاط الحصينة أو قطعات الهندسة التي تقوم بمعالجة الساتر الترابي.

ب. امتصاص هجوم احتياط العدو البعيد ، ويتم ذلك بانزال قطعات الصاعقة بالطائرات العمودية وراء خطوط العدو وفي المناطق المهمة من سيناء كمناطق النفط.

٧. **واجبات الهندسة**[٢٨٠] **:**

أ . فتح الثغرات في الساتر الترابي بالمضخات المائية (٨٥) ثغرة .

ب. اقامة الجسور والمعابر (١٠ جسور ثقيلة ٥٠ عبارة) .

جـ. ارسال جماعات هندسية مع قوات المشاة العابرة لمساعدتها في اجتياز حقول الالغام والاسلاك الشائكة .

د. ارسال جماعات هندسية خاصة إلى الضفة الشرقية لزرع الالغام بوجه دبابات العدو التي تنوي مهاجمة القطعات .

هـ. مساعدة قطعات المشاة العابرة في تحكيم مواضعها في رؤوس الجسور .

و. نسف نقاط خط بارليف القوية بعد الاستيلاء عليها .

٨. الوقفة العملياتية

وبعد عبور الفرق الخمس المهاجمة وتأسيسها رؤوس جسور فـــي الضفـــة الشرقية تعطى لها وقفة عملياتية لمدة اربعة ايام للاغراض التالية :

أ . ضمان ثبات رؤوس الجسور المحتلة وتعزيزها وجعلها قاعدة لتستند إليــها القوات التي ستقوم بتطوير الهجوم شرقا .

ب. العمل على امتصاص ردود الفعل المعادية وقدرات العدو الهجومية باعمــل دفاعية وايجابية نشطة والسعي لتدمير قوات العدو القائمـــة بالـــهجمات المقابلة وخاصة الدروع منها على مراحل أو تكبيدها أكثر خسائر ممكنة.

جـ. تأمين الدفاع الجوي للقوات المحتلة لرؤوس الجسور والســعي لاســقاط اكبر عدد ممكن من طائرات العدو التي ستهاجمها أو تهاجم جسورها .

د. إعادة تنظيم وتجحفل القـــوات المرابطـــة فـــي رؤوس الجســـور واكمـــال احتياجاتها الادارية والفنية استعدادا لتطوير الهجوم شرقا .

هـ. ضمان التوازن السوقي في ساحة العمليات باستخدام احتياطيات الجيــش الثاني والثالث واحتياطيات القيادة العامة المصرية .

٩. احتياطات القيادة العامة وواجباتها

تتألف احتياطيات القيادة العامة المصرية من :

ثلاث فرق مشاة آلية وفرقة مدرعة وكتيبتين مدرعتين وترابط غرب القنـــاة وتتأهب لتطوير الهجوم شرقا على محاور الحركات التالية وفي ضـــوء مـــا تسفر عنه المعارك في رؤوس الجسور .

أ . محور القنطرة شرق – بالوظة – رمانة .

ب. محور الاسماعيلية ام مرجم – جفجافة .

جـ. محور الشالوفة – ممر الجدي .

١٠. واجبات قيادة الدفاع الجوي

أ . حماية القوات المهاجمة ضد هجمات قوة العدو الجوية أثناء العبور وعند مهاجمتها اهدافها واحتلالها رؤوس جسورها .

ب. حماية قطعات الهندسة عند قيامها بشق الثغرات في الساتر الترابي وتأسيس الجسور والمعابر ثم حماية الجسور والمعابر التي تقيمها من قصف العدو الجوي .

جـ. تعبر مفارز صواريخ سام – ٧ مع القطعات المهاجمة لحمايتها من هجمات العدو الجوية أثناء قيامها بمهماتها في الضفة الشرقية .

هـ. تستمر قوات الدفاع الجوي بالقيام بواجباتها الاعتيادية الأخرى وهي حماية المطارات والقواعد الجوية ضد هجمات العدو الجوية والتصدي لطائرات العدو التي تحاول التوغل في العمق غربا لمهاجمة الأهداف الجوية في الداخل .

الخطة الصهيونية

خطة شوفاخ يونيم SHOVACH YONIM

كانت للكيان الصهيوني مقابل خطة بدر خطة دفاعية تسمى بـ خطة شوفاخ يونيم تتلخص في ما يلي :

١. تقسم جبهة قناة السويس إلى ثلاثة قطاعات رئيسة تدافع عن ثلاثة اتجاهات رئيسة :

أ . القطاع الشمالي ويدافع عن اتجاه القنطرة – العريش .

ب. القطاع الاوسط ويدافع عن اتجاه الاسماعيلية – ابو عجيلة .

جـ. القطاع الجنوبي ويدافع عن اتجاه السويس ممر متلا والجدي .

٢. يجري الدفاع على شكل خطين وخط ثالث للاحتياط :

أ . الخط الأول خط بارليف ويحتله لواء مشاة ويدافع هذا اللـــواء داخـــل ٣٥ حصنا ونقطة قوية بينها فواصل مجهزة بمرابض نيران للدبابـــات بمعـــدل مربض لكل ١٠٠ متر .

ب. الخط الثاني على مسافة ٥ - ٨ كيلو مترات وتحتلـــه ٣ كتـــائب دبابـــات قوامها ١٢٠ دبابة .

جـ. خط الاحتياط وتتجمع فيه ثلاثة الوية عدا ثلاث كتائب على مسافة ٢٥ - ٣٠ كم شرق القناة وقوامه ٢٤٠ دبابة .

٣. في حالة رفع درجات الاستغداد يندفع الخط الثاني لدعم الخـــط الأول ويندفـــع الاحتياطي ليحتل اماكن الخط الثاني وبذلك تنضم ١٢٠ دبابة إلى خط بـــارليف ويدخل بعضها ضمن النقاط القوية وبعضها الآخر يحتل الثغرات في ما بينـــها وتسند هذه القوات عدة كتائب من مدفعية الميدان والمدفعية الثقيلـــة بـــالذات (نحو ٢٤ مدفعا من مختلف العيارات) .

كتيبة صواريخ هوك ومثلها مدافع ضد الطائرات .

١٠ مواقع صواريخ هوك ومثلها مدافع ضد الطائرات . قطعات فنية وخدمات ادارية ملحقة .

وكانت جميع هذه القوات تحت قيادة اللواء (غونبن) قائد المنطقة الجنوبيـــة للكيان الصهيوني غير أن القوات المدرعة منها كانت بقيادة اللواء (ابراهـــام مندلر) وكانت تؤلف فرقة مدرعة واحدة (كان غونبن في اجازة قبيل نشـــوب الحرب) . قاد مندلر جميع هذه القوات وقد صدرت إليه الاوامر صبيحة يـــوم ٦تشرين الأول باتخاذ درجة الانذار (جـ) بعـــد أن وردت للقيـــادة العامـــة الصهيونية معلومات تشير إلى احتمال قيام المصريين والسوريين بالهجوم فـــي الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم ، وكانت خطة شوفاخ يونيم كما رسمتها القيادة الصهيونية للدفاع عن جبهة قناة السويس تعتمد علـــى تعبئـــة الدفـــاع الفعال أو الدفاع التعرضي أي إنها بنيت على فكرة الافادة من حصـــون خـــط

بارليف لمنع عبور المصريين على قدر الامكان وتكبيدهم افدح الخسائر الممكنة ثم دفع القوات المدرعة لتدمير قواتهم التي تنجح في العبور .

القوات الصهيونية التي تواجه القوات السورية

كانت القوات الصهيونية المقابلة للقوات السورية المهاجمة في ساعة بدء الهجوم تضم :

١. اللواء المدرع السابع في الشمال من منطقة القنيطرة ويتألف من ٣ كتائب دبابات (الاولى والثانية والسابعة) ويضم (١٠٠ - ١١٠ دبابات) .

٢. اللواء المدرع ٣٧ في جنوب منطقة (رافد - تل الفرس) ويتألف أيضا من ٣ كتائب دبابات (الثالثة والرابعة والخامسة) وكتيبة مشاة آلية ويضم أيضا (١٠٠ - ١١٠ دبابات) .

٣. لواء غولاني وكان منتشرا على خط آلون ويتألف من ثلاث كتائب مشاة آلية وكتيبة دبابات وكانت هذه الكتيبة تؤلف الاحتياطي المدرع للنسق الأول (الخط الدفاعي الأول)

وكانت ٥ كتائب دبابات من اللواءين المدرعين (٧ ، ٣٧) وهي الكتائب (١، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧) منتشرة في النسق (العمق) الثاني في حين بقيت كتيبة الدبابات الثالثة احتياطاً بيد قائد الجبهة الشمالية .

كانت معنويات الجندي الصهيوني عند بدء القتال وكنتيجة لحروبه السابقة مع العرب عالية . . . ويعتقد بأنه (لا يقهر) . .

المبحث الثالث

تنفيذ الخطة وسير المعركة

١. في الساعة ٢٠٠، بعد الظهر قام أكثر من ٢٠٠ طائرة مصرية من المقاتلات والقاذفات المقاتلة من طراز ميج ٢١ وميج ١٧ وسوخوي ٧ بعبور قناة السويس في اتجاه الشرق على ارتفاع منخفض بعد أن اقلعت من ٢٠ قاعدة جوية لتنفيذ المهمة التي حددت لها في الضربة الاولى في عمق سيناء والتي شملت مركز القيادة الصهيونية في أم مرجم ومركز الاعاقة والتشويش الالكتروني في جبل أم خشب ومطاري المليز وثمادة ومناطق تحشد احتياطيات العدو ومواقع بطاريات الصواريخ هوك المضادة للطائرات ومحطات الرادار ومدفعية العدو بعيدة المدى من عيار ١٧٥ ملم وبعض مناطق الشؤون الادارية وحصن بوداسب (من حصون خط بارليف) الذي يقع على الضفة الرملية شرق بورفؤاد . وقد نجحت الضربة الجوية نجاحا مؤثرا وعادت الطائرات في الساعة الثانية وعشرين دقيقة (٢٠٢٠) بعد أداء مهمتها خلال ممرات جوية محددة اتفق عليها بين قيادة القوات الجوية وقيادة الدفاع الجوي من حيث الوقت والارتفاع وكانت خسائر الضربة الجوية خمس طائرات فقط .

٢. في الساعة ٢٠٥، الثانية وخمس دقائق بدأ ٢٠٠٠ مدفع من ٨٢ كتيبة من مختلف أنواع المدفعية قصف النقاط القوية في خط بارليف وتجمعات الدبابات ومقرات قواته الامامية في بالوظة واستغرق القصف ٥٣ دقيقة عن طريق الرمي المباشر وغير المباشر وبلغ وزن القنابل التي رمتها المدفعية المصرية خلال هذه المدة ٣٠٠٠ طن وبلغ عددها ١٠٥٠٠ قنبلة أي بمعدل ١٧٥ قنبلة في كل ثانية وقد احتلت مدفعية الرمي المباشر مرابض الدبابات والسواتر الترابية على الشاطئ الغربي للقناة خلال القصفة الأولى التمهيدية وذلك لمنع العدو من احتلال السواتر الترابية ومرابض الدبابات على الشاطئ الشرقي للقناة وشل حركة المواقع الصهيونية الحصينة ولكي توفر للقوات المصرية أثناء اقتحامها القناة ومهاجمتها المواقع الحصينة المعاونة المباشرة بازالة

الاسلاك الشائكة وحقول الالغام وتدمير المنعات والمزاغل وابراج المراقبة في النقطة القوية ، أما المدفعية الثقيلة من عيار ١٣٠ ملم و١٥٥ ملـــم فكـانت مخصصة للتعامل مع البطاريات الصهيونية المتحركة في العمق .

ومع بدء القصف التمهيدي بدأت مجموعات اقتناص الدبابـــات عبـور قنـاة السويس بقوارب مطاطية لتدمير دبابات العدو ومنعها من التدخل في عمليـات عبور القوات الرئيسة وحرمانها استخدام مرابضها بالســـاتر الـترابي علــى الضفة الشرقية للقناة وتحت ستر هذه النيران كلها تسللت مفـــارز اسـتطلاع الهندسة إلى الشاطئ الشرقي للقناة للتأكد من اغلاق (الانابيب) التي توصـل السائل المشتعل إلى سطح القناة وقد اثبتت وقائع القتال أن العدو إضافة إلـــى المباغتة الستراتيجية فوجئ تعبويا أيضا إذ لم يتمكن من رفع درجـــة انـذار قوته إلى الحالة القصوى ساعة الهجوم ولم تحتل دباباته الموجـــودة بـالخط الثاني اماكنها المحددة لها لدعم حصون خط بارليف وسد الثغرات بين النقــاط القوية إذ حالما تقدمت الدبابات الصهيونية باتجاه القناة في اثر انتهاء القصف التمهيدي ونقل المدفعية المصرية قصفها إلى العمق تصدت لـــها مجموعـات اقتناص الدبابات التي سبقتها في احتلال بعض المرابض المخصصة لها فـــي الخط الدفاعي الأول مما أدى إلى تدمير اعداد كبيرة منها بـــهذه المجموعـات علاوة على القذائف التي اطلقت عليها من مدافع الدبابات والمدافع المضـــادة للدبابات وصواريخ مالوتكا التي كانت تحتل المرابض والسواتر الترابية علــى الشاطئ الغربي للقناة .

وقد فوجئ العدو بكثافة نيران المدفعية كما فوجئت قواته الجوية بالطائرات المصرية وهي تدك المواقع الصهيونية في عمق سيناء إذ لم تكن هناك أية طائرة صهيونية في الجو ولكن سرعان ما بدأ رد الفعل بعد مرور خمس دقائق فقط من مهاجمة الطائرات المصرية أهدافها وذلك بدفع أسراب من الطائرات الصهيونيـــة التي كانت في الانذار في مطارات سيناء وجنوبي الكيان الصهيوني لمحاولة صـد الضربة الجوية المصرية .

٣. وفي اللحظة التي تم فيها القصف التمهيدي والذي دام ١٥ دقيقة وبعمق كـان بين ١ - ١,٥ كم للاهداف الصهيونية ورفع نيران المدفعية لتبـــدأ المرحلـة الثانية من القصف على الأهداف المعادية وبعمق كان بين ١,٥ - ٣ كم وفـــي

هذه اللحظة بالذات بدأ عبور الموجات الاولى واستمر عبور عناصر الفرق الخمس حسب الاوقات التالية :

أ . في الساعة ١٤٢٠ بدأت الموجة الاولى من المشاة في ركوب القوارب والعبور إلى الشاطئ الشرقي وكانت تتالف من ٤٠٠٠ رجل وقد ركبوا ٧٢٠ قاربا مطاطيا وقد غطت عملية العبور جبهة القناة كلها - وكانت قوات الصولة هذه مدعمة باسلحة وصواريخ خفيفة ضد الدبابات آر بي جي / ٧ وصواريخ سام - ٧ ستريلا وتجهيزات أخرى سبق أن ذكرناها .

ب. وصلت هذه الموجة بعد ١٠ دقائق إلى الشاطئ الشرقي للقناة واحتلت بعض اجزاء الساتر الترابي الذي يقع بين نقاط خط بارليف القوية وقد قام افراد الموجة الاولى من تثبيت علامات الدلالة التي تحدد اماكن وصول القوارب وكانت هذه مرقمة من ١ إلى ٧٢٠ وقد روعي أن تكون الفاصلات بين القوارب كما يلي :

٢٥ مترا بين كل قارب وآخر سرية المشاة ٢٠٠ متر بين كل سرية وأخرى، ٤٠٠ متر بين كل كتيبة وأخرى (بين فوج وآخر) ، ٨٠٠ متر بين كل لواء وآخر ، وكانت المسافة بين كل فرقة مشاة وأخرى نحو ١٥ كم .

جـ. ثم بدأت عناصر الهندسة في فتح الثغرات في الساتر الترابي باستخدام ضغط المياه وقد اشترك في هذه العملية ٧٠ فصيل هندسة ومعهم ٣٥٠ مضخة مياه وكانوا يقومون بفتح الثغرات في الفاصلة التي بين الالوية و(الافواج) والسرايا.

د. وفي الوقت نفسه بدأت عناصر من كتائب الصاعقة التي تحت امرة قيادة الجيشين الميدانيين في عبور القناة للعمل ضد مراكز القيادة والسيطرة للعدو ومرابض مدفعيته بهدف ارباك سيطرته على قواته ودفع الكمائن وزرع الالغام على طرق اقتراب العدو ، وطرق حركة احتياطياته في اتجاه (حصون خط بارليف ونقطه الحصينة) ولايقاف الدبابات وتدميرها التي تتحرك من العمق ومنع اشتراكها في المعارك الدائرة للاستيلاء على الحصون .

هـ. ومع تدفق الموجات الاولى من المشاة بدأت عناصر من اللواء البرماني بالعبور وكانت تتكون من كتيبتين من اللواء ١٣٠ المشاة الآلي البرماني المستقل واتجهت نحو البحيرة المرة الصغرى بغرض الاندفاع شرقا .

و. وفي الساعة ٠٢٣٥ الثانية وخمس وثلاثين دقيقة قامت طلائع القوات التي عبرت القناة برفع اعلام جمهورية مصر العربية على الشاطئ الشرقي للقناة معلنة بدء تحرير الأرض السليبة واستمر تدفق الموجات عبر القناة بانتظام وبين كل موجة وأخرى ١٥ دقيقة حتى الموجة الرابعة حيث بدأت تتباطأ سرعة وصول الموجات نتيجة ارهاق طواقم التجديف المخصص للقوارب ولحدوث بعض العطب في بعضها مما أدى إلى تسرب المياه بداخلها وعندئذ اعطيت الاسبقية لعبور الافراد والاسلحة المضادة للدبابات والمعدات التي تؤثر في سير القتال ويلاحظ أن جدول التوقيتات بتسلسل العبور لم يراع بدقة بعد الموجة الرابعة للاسباب التي ذكرت .

ز. استمرت المعركة بالنار بين القوات الصهيونية والقوات المصرية وكانت المعركة الرئيسة تدور بين الدبابات واسلحة ضد الدبابات المصرية التي تحتل مواقعها غرب القناة وبين دبابات العدو التي تحاول شق طريقها نحو القناة وفي الوقت نفسه كانت المعركة مستمرة بين الاسلحة المصرية ذات الرمي المباشر (خط المرور المسطح) وبين المواقع الفعالة في خط بارليف بغية اسكات هذه المدافع .

ح. وفي الساعة ١٤٤٥ (نهاية الموجة الرابعة) كان قد عبر للمصريين ٢٠ كتيبة مشاة قوامها ٨٠٠ ضابط و ١٢,٥٠٠ جندي ومعهم الاسلحة التي يستطيعون حملها أو جرها ولكن هذه القوات وحتى الساعة ١٥٠٠ لم يتمكن المشاة منها من التقدم أكثر من ٢٠٠ متر في الساتر الترابي وفي هذه الساعة ادخل العدو الصهيوني قوته الجوية في المعركة فاشتبكت مع الدفاع الجوي المصري الذي تمكن من اسقاط ٧ طائرات منها . وفي الساعة ١٦٣٠ كانت قد عبرت ٨ موجات مشاة وأصبح للقوات المصرية في الشاطئ الشرقي ٥ رؤوس جسور كل منها قاعدته ٨ كم وعمقه ٦ كم احتلت بـ ١٠ الوية مشاة تألفت من ١٥٠٠ ضابط و ٢٢٠٠٠ جندي وفي

هذا الوقت سقط بعض حصون خط بارليف ونقاطه القوية وأسكت بعضها الآخر وبدأت نيرانها تخف وتضعف .

ط. استمرت قطعات الهندسة في فتح الثغرات وتحركت وحدات الهندسة المكلفة تشغيل العبارات بالحركة إلى الاماكن المحددة لها وبدأت في الاستعداد والتحضير انتظارا لاتمام فتح الثغرات . بدأت وحدات الجسور في المرحلة الاولى في نصب الجسور .

ي. وفي الساعة ١٦٣٠ - ١٨٣٠ اتمت الموجة ١٢ من المشاة عبورها وأصبح عمق رؤوس جسور الفرق نحو ٣ - ٤ كم .

ك. بدأت قطعات الانضباط العسكري بالعبور مع المشاة بالقوارب وكان واجبها الخاص هو تحديد الطرق وترقيمها وتمييزها لمساعدة الدبابات والعجلات التي تعبر على العبارات للتعرف على اتجاهاتها .

ل. في الساعة ١٧٣٠ أنزلت ٤ كتائب صاعقة بالطائرات السمتية في مواقع مختلفة في اعماق مواقع العدو في سيناء .

م. وفي الساعة ١٨٣٠ فتحت أول ثغرة في الساتر الترابي أي بعدما يقرب من اربع ساعات من بدء عبور المشاة .

ن. وما بين الساعة ١٨٣٠ - ٢٠٣٠ من بداية ليلة ٦ / ٧ تشرين الأول فتح معظم الثغرات في الساتر .

س. وفي الساعة ٢٠٣٠ كانت تعمل ٣١ عبارة بين الضفتين وفي الوقت نفسه تم بناء أول جسر ثقيل على القناة وبدأت الدبابات تعبر عليه . وفي الساعة ٢٠٣٠- ٢٢٣٠ من الليلة نفسها عززت قوات المشاة مواقعها في رؤوس الجسور شرق القناة واتم المهندسون فتح الثغرات وتشغيل معظم العبارات والجسور .

ع. وفي الساعة ٢٢٣٠ كانت قطعات الهندسة قد أكملت الأعمال التالية :

اكمال بناء ٨ جسور ثقيلة وتركيب وتشغيل ٣١ عبارة واكمال بناء ٤ جسور خفيفة وفتح ٦٠ ثغرة في الساتر الترابي .

قام العدو الصهيوني بغارات جوية على الجسور المصرية فتصدت لها وسائل الدفاع الجوي المصري واسقطت بعضا منها وبحلول الساعة

٢٢٣٠ كان قد بلغ ما اسقط من الطائرات الصهيونية منذ بدء القتـــال ٢٧ طائرة .

ف. وفي الساعة نفسها ٢٢٣٠ والساعة ٠١٠٠ من يوم ٧ تشرين أول قامت الدبابات والاسلحة الثقيلة بالانضمام إلى المشاة في رؤوس الجسور التـــي أصبحت بعمق ٨ كم . قام العدو خلال الليل بهجمات مقابلة نجحت القـــوات المصرية في صدها جميعاً على أن الصهاينة استطاعوا الوصول إلى خـــط مياه القناة واستخدام الدبابات في تعطيل جسرين وتدمير بعـــض وسـائط العبور المصرية الأخرى ولكن الصراع بين المشاة المصريين وبين دبابـات العدو التي نجحت في اختراق المواقع المصرية استمر طوال الليل .

ص. وقبل الصباح كان قد دُمر جميع دبابات العدو التي اســـتطاعت اخـتراق المواقع المصرية ولم ينج منها غير اعداد قليلة شوهدت في الصباح وهـي تنهزم بأقصى سرعتها كانت قطعات الهندسة تقوم بتصليح الجسور التـــي تتعطل من جراء قصف مدفعية العدو وطائراته ثم تعيد تشغيلها بعـــد مـدة وجيزة .

ق. وفي صباح ٧ تشرين الأول كانت القوات المصرية قد حققت نجاحا حاسـما في معركة القناة فقد عبرت مانعا يعد من أصعب المواقع المائية في العــالم وحطمت خط بارليف في مدة ١٨ ساعة وهو رقم اســـتثنائي لـم يعـرف التاريخ العسكري مثيلا له وتم ذلك باقل خسائر ممكنة فقد بلغـــت خسـائر القوات المصرية ٢٨٠ شهيدا و٢٠ دبابـــة و٥ طـــائرات . أمـــا الجـانب الصهيوني فقد بلغت خسائره ٣٠ طائرة و٣٠٠ دبابـــة وعـــدة الاف مـــن القتلى والجرحى وقد تمكن المصريون أيضا من تدمير لواء مشاة وثلاثـــة الوية مدرعة كانت تدافع عن القناة كما احتلوا خط بارليف الـــذي اعتقـد الصهاينة باستحالة احتلاله من قبل المصريين . استمرت هذه الحـــرب ٢٣ يوما وانتهت يوم ٢٨ تشرين الأول ١٩٧٣ بموافقة الطرفين علـــى وقـف اطلاق النار .

ملحوظات بشأن خطة الهجوم

لقد انطوت خطة الهجوم المصرية على تطبيق معظم مبادئ الحرب المعروفة وهي :

١ . المباغتة - وقد تمت باختيار يوم الهجوم وساعته .

٢. التعرض - إن الهجوم الذي قامت به القوات العربية في الجبهتين المصرية والسورية يوم ٦ تشرين الأول كان أول حركة تعرضية كبرى يقوم بها العرب ضد الكيان الصهيوني منذ ١٩٤٨ .

٣. مبدأ توخي الهدف - طبقت القيادة المصرية هذا المبدأ بهجومها على جبهة واسعة معا شتت نيران وجهد قوات العدو الجوية والمدرعة ونيران مدفعيته على طول الجبهة ولهذا حرم الكيان الصهيوني فرصة حشد قواته لاحباط الهجوم المصري كما إنها باستخدامها هذا الاسلوب طبقت مبدأين من مبادئ الستراتيجية :

أ . اختيار الهدف الاقل توقعا .

ب. التفتيت السوقي وذلك باحداثها الاضطراب في توزيع وتنظيم قوات العدو .

٤. مبدأ التحشد : لقد استطاعت القيادة المصرية أن تزج خمس فرق في الهجوم في آن واحد وتستخدم أكثر من ٢٠٠ طائرة في الضربة الاولى لأهداف العدو و ٢٠٠٠ مدفع لاسناد الهجوم .

٥. مبدأ التعاون - لقد نجحت القيادة المصرية في تطبيق هذا المبدأ نجاحا قل مثيله في التاريخ العسكري كما بينّا في شرحنا عملية العبور وتعاون جميع الصنوف تعاونا ينطوي على الكفاءة والمقدرة .

٦. مبدأ قابلية الحركة - إن عبور الفرق الخمس قناة السويس واحتلالها اهدافها المرسومة وخط بارليف بتلك السرعة غير المتوقعة وتأمين تنقلها بعد ذلك يعد انموذجا رائعا لتطبيق مبدأ قابلية الحركة . .

أنباء الحرب وردود الفعل الصهيونية

في نحو الساعة ١٤٣٠ (الثانية والنصف بعد الظهر) من يوم ٦ تشرين الأول انطلقت صفارات الانذار في تل ابيب وعرف الصهاينة أن الحرب قد نشبت.

وفي نحو الساعة ١٥٠٠ اذاع متحدث عسكري صهيوني على الشعب البيان التالي :

" ابتداء من الساعة ١٤٠٠ تهاجم القوات المصرية والسورية سيناء وهضبة الجولان في الجو والبر ، وبعد سلسلة من الغارات الجوية على مواقعنا ومعسكرات قواتنا بدأت قوات المشاة في هجوم بري وقد عبرت قوات مصرية قناة السويس في عدة أماكن وبدأت قوات سورية في هجوم مدرعات ومشاة على طول الخط في هضبة الجولان وتعمل قوات جيش الدفاع الصهيوني ضد المهاجمين وتجري في المنطقتين معارك في الجو وفي البر " . انتهى

لقد كان الصهاينة يتوقعون انتصارا سهلا على العرب في خلال بضعة ايام كما كان الحال في حروبهم السابقة . وفي الساعة الرابعة مساء التقى موشي دايان وزير الدفاع بالصحفيين وقال لهم " غدا مساء عندما يصل الاحتياطي إلى الخط سوف تبدأ الحرب الحقيقية وسنحول المنطقة إلى مقبرة كبرى لهم ، وقال دايان أيضا (سوف يدحر جيش الدفاع (الصهيوني) المصريين في سيناء بضربة شديدة وسوف ينتهي القتال بانتصارنا في الايام المقبلة) .

أما القيادة الصهيونية فقد عالجت الموقف كالآتي :

ما أن بدأت القوات المصرية بالعبور . . أمر الجنرال ماندلر كتائب الدبابات الصهيونية بالحركة لدعم قوات خط بارليف ودحر القوات المصرية . ثبت المشاة المصريون في مواقعهم وأخذوا يطلقون من مسافات قصيرة على الدبابات الصهيونية قذائف البازوكا ار بي جي ومن مسافات اطول صواريخ ساجر (مالوتكا) ونظرا للخسائر الجسيمة التي وقعت في الدبابات الصهيونية اصدر الجنرال غونين اوامره قبل غروب يوم ٦ تشرين الأول إلى قادة وحدات الدبابات بتجنب الاقتراب من المشاة المصريين وأن يراعوا اطلاق نار الرشاشات من مسافات بعيدة وقد أدى ذلك إلى استخدام تعبوي خاطئ فبدلا من دخولها كقوة مجتمعة وبقيادة واحدة وهو الاسلوب الصحيح في استخدام الدبابات نراها قد انتشرت واستخدمت في مجموعات صغيرة ودخلت المعركة في تشكيل سرايا مما ساعد في سرعة تدميرها سواء من جماعة القنص أم بتأثير نيران المدفعية والدبابات وغيرها من الاسلحة .

ونتيجة لذلك صدرت الاوامر إلى قادة الالوية الثلاثة المدرعة بالقيام بواجبين كان من الصعب التوفيق بينهما الأول هو الالتحام بدباباتهم بحصون خط بارليف الموجودة في قطاع كل منهم لتدعيم هذه الحصون بعدد من الدبابات واخلاء القتلى والجرحى أما الواجب الثاني فقد كان القيام بمنع القوات المصرية التي عبرت القناة من التوسع وتعميق رؤوس الجسور وطوال ليلة ٦ / ٧ تشرين الأول انهمكت المجموعات المدرعة التي أخرجها قادة الالوية في القيام ببعض الهجمات المضادة المحلية ضد رؤوس الجسور والوصول إلى بعض حصون خط بارليف وقد نجح بعض هذه المجموعات في عمليات الانقاذ ولكن بعد أن تكبدت خسائر جسيمة كما نجح بعض حاميات بعض الحصون من النجاة بأنفسها بمجهوداتها الخاصة ومن الوصول إلى المواقع الصهيونية واستسلم بعضها ووقع افرادها في الاسر وتاه رجال حصن " ليتوف " الذي يقع على الطرف الجنوبي للبحيرة المرة الصغرى وسقطوا جميعا في الاسر .

لم يبدل الجنرال ماندلر رأيه برغم اتصالات قادة الالوية المدرعة وبيان صعوبة قيامهم في الواجبين المكلفين بهما معتذرا بأنه ليس من صلاحيته اصدار الاوامر باخلاء الحصون إذ لم يكن احد من القادة الصهاينة يجرؤ على اصدار الأمر باخلائها إذ أن ذلك كان يعني في نظرهم الانسحاب وترك القتلى والجرحى في صفوف المصريين وتحت رحمتهم مما يخالف اعراف وتقاليد الجيش الصهيوني التي درج عليها منذ حرب ١٩٤٨ ونتيجة لهذا الموقف العصيب فقد خسر كل من الالوية المدرعة الثلاثة خلال المعارك نحو ثلثي دباباته وفي صباح يوم الاحد ٧ تشرين الأول كان عدد الدبابات في كل لواء لا يزيد على ٢٣ دبابة من اصل ١٠٠ دبابة بدأت القتال حال عبور القوات المصرية بعد ظهر ٦ تشرين الأول وعلاوة على ذلك استطاعت القوات المصرية سحق اللواء ١١٦ القدس الذي كان يتولى الدفاع عن خط بارليف سحقا تاما .

بدأت القوات الاحتياطية الصهيونية تصل إلى الجبهة على مراحل وبطريقة تدريجية بسبب الظروف غير المتوقعة في تل ابيب والتي أدت إلى عملية استدعاء الاحتياط والى الاخطاء الأخرى التي ارتكبتها القيادة الصهيونية مما اعطى الفرصة للقوات المصرية أن تعزز مواقعها وامكانية اندفاعها حتى الممرات وخاصة بعد قرار رئيس اركان القوات الصهيونية بسوق القوات الاحتياطية

الاولى من القوات المدرعة إلى جبهة الجولان في الشمال فورا نظـــرا لخطـورة الوضع على الجبهة السورية بالنسبة لقربها الشديد مـــن المركــز ذات الكثافــة السكانية ، كل هذه العوامل أرغمت الجنرال غونين على تأخير قيامه بشن الهجوم المضاد والذي كانت القيادة المصرية تتوقعه قبل ظهر يوم ٧ تشرين الأول .

الهجوم الصهيوني المضاد

في أثر الاجتماع الذي عقده الجنرال دافيد اليعازر رئيس الاركـــان العامــة الصهيوني في المقر الامامي للقيادة الجنوبية في أم مرجم مساء يوم ٧ تشـــرين الأول ١٩٧٣ والذي حضره الجنرال شموئيل غونين قائد القيادة الجنوبية وقـــادة القطعات الثلاث في سيناء والذي وضع فيه رئيس الاركان الخطـــوط الأساسـية لخطة الهجوم المضاد الذي تقرر أن يبدأ صباح يوم الاثنين ٨ تشرين الأول علـى منطقة رؤوس الجسور المصرية شرق القناة ، وضع الجـــنرال غونيـــن خطتــه التفصيلية للهجوم المضاد والتي خصص فيها المهمات بدقة للفرق المدرعة التـي ستقوم بالهجوم سنوجزها كما يلي : (راجع توزيع القوات فـــي خطـــة شـــوفاخ يونيم) .

١. يقوم قائد القطاع الشمالي الجنرال ابراهام ادان (بـــرن) بالـــهجوم صباحـا بفرقته المدرعة من اتجاه الشمال إلى اتجاه الجنوب بـــالقرب مـــن الشـــاطئ الشرقي للقناة بهدف تدمير القوات المصرية في القطاع بين القنطـــرة شـــمالا والدفرسوار جنوبا واستغلال العبور إلى الضفة الغربية للقناة علـــى الجســـور المصرية التي يستولي عليها على أن تقوم الفرقـــة خـــلال هجومـــها بانقـــاذ الحاميات الصهيونية المحاصرة في حصن هيزايون (الفردان) وبوركان (رقم ٦ الاسماعيلية شرق الدفرسوار) .
٢. تقوم القوات المدرعة في القطاعين الاوسط والجنوبي بالتقدم في اتجاه الغرب للاقتراب من رؤوس الجسور المصرية .
٣. تخصص قوة مدرعة تتألف من كتيبتين مدرعتيـــن وســـرية دبابـــات بقيـــادة الجنرال كلمان ماجن لتأمين الجانب الايمن للهجوم المضاد .
٤. تؤمن الجانب الايسر فرقة الجنرال شارون بالقاطع الايسر .

كان هذا هو مجمل الخطة . . . أما كيف نفذ القادة الصهاينة الهجوم المضاد سنلخصه بما يلي :

كانت الغاية من الواجب الذي خصص للجنرال ابراهام ادان (برن) قائد القطاع الشمالي بالهجوم بفرقته المدرعة صباح يوم ٨ تشرين الأول هو اختراق المواقع الدفاعية للقوات المصرية على الشاطئ الشرقي للقناة بهدف تدمير القوات المصرية في القطاع بين القنطرة شمالا والدفرسوار جنوبا كما مر بنا لتحقيق مزايا عسكرية بتأمين اجنحة القوات الصهيونية التي ستصل إلى الضفة الغربية للقناة بموانع طبيعية عن طريق بحيرة المنزلة في الشمال وترعة الاسماعيلية في الجنوب إذ لا يحتاج هذا القطاع إلى قوات كبيرة للدفاع عنه حيث لا تزيد جبهته على ٤٥ كم . في حين يصعب على القوات المصرية القيام بهجمات مضادة لاستردادها نظرا لوجود بعض الأراضي الزراعية والاشجار في ساحة العمليات وكثرة الترع والمصارف والقنوات المائية التي تحدد سير العجلات المدرعة وغيرها إضافة إلى ذلك وجود القاعدتين الجويتين المصريتين التي هما الصالحية وابو صوير . . . كما تؤمن هذه العملية في حالة نجاحها للكيان الصهيوني نصرا سياسيا ودعائيا كبيرا وخاصة وسائل الاعلام الغربية والامريكية الحليفتين للكيان الصهيوني . إذ أن استيلاء الكيان الصهيوني على ثلاث مدن مهمة بالقطاع – الاسماعيلية – القنطرة – الصالحية كفيل باعطاء وسائل الاعلام المادة التي ستظل تشهر بها بالعرب وبنصر وبقدرة الكيان الصهيوني التي لا تبارى وجيشها الذي لا يقهر ولا يهزم كما تسهل على الكيان الصهيوني عزل مدينة بورسعيد من الجنوب وحصارها تمهيدا للاستيلاء عليها كما سيتم للكيان الصهيوني السيطرة على مدخلي طريقين مهمين للوصول إلى القاهرة وهي طريقا:

١. الاسماعيلية – القاهرة الزراعي (طريق المعاهدة)
٢. الاسماعيلية – القاهرة (الصحراوي)

خطة الجنرال ابراهام أدان لتنفيذ خطة الهجوم المضاد

بعد أن تلقى الجنرال ابراهام ادان قائد القطاع الشمالي الاوامر بالـــهجوم ، قام بالأعمال التالية لتنفيذ الواجب المكلف به :

حشد الجنرال ادان معظم القوات التابعة له والمخصصة للهجوم المقابل في القطاع الشمالي ، قام بتوزيع الويته المدرعة الثلاثة على طريق العرض ٣ وهـي الالوية التالية :

(لواء مدرع العقيد جابي من الجيش النظامي وكان مشـتبكا مـع قـوات الجيش الثاني المصري طوال يومي ٦ ، ٧ تشرين الأول فـــي معـارك) وفـي محاولات الالتحام بحصون خط بارليف مما انقص الكثير من قدراته القتالية .

لواء مدرع احتياط يقوده العقيد نيتكا على الطريق الساحلي محمولا فـوق ناقلات وقد سبق أن ذكرنا ان هاجمه كمين من قوات الصاعقة .

لواء مدرع احتياطي يقوده العقيد اربيه قدم مـن مركـز تجمـع وحـدات الاحتياطي في بئر السبع ، كان الجنرال ادان يتوقع أن القوات المصرية ستسـتغل النجاح الذي حققته يومي ٦ ، ٧ تشرين الأول للتقدم شرقا للوصول إلى طريـق العرض رقم ٣ الممتد من بالوظة شمالا إلى الطاسة جنوبا لأن الطريـق ممـهدا أمامها لتحقيق هذا الغرض .

اكتشف الجنرال ادان أن القوات المصرية التي عبرت القناة انصرفت إلـى تدعيم مناطق رؤوس الجسور ولم تندفع إلى الشرق كما يتوقع [1] . مما مكنه أن يضع الخطة التالية لتنفيذ ما اوكل إليه :

١. يقوم اللواء المدرع (العقيد جابي) بالهجوم على قطاع الفردان الاسـماعيلية بهدف تحرير موقعي ميزايون (الفردان) وبوركان (رقـم ٦ الاسـماعيلية شرق) .
٢. يبقى اللواء المدرع (نيتكا) أمام قطاع القنطرة كاحتياطي للفرقة . . يسـتعد للتقدم في اتجاه الجنوب بمجرد تلقيه الاوامر .

---

[1] قال الجنرال ادان في كتابه الذي اصدره عن معركة العبور وعن توقعاته باندفاع المصريين شـرقا حتى طريق العرض ٣ ما يلي (والويل لنا لو أنهم قد فعلوا ذلك) . .

كانت الضربة الرئيسة للهجوم المضاد الصهيوني تستهدف قطاع الفرقة ٢ مشاة بالفردان .

في الساعة ٠٧٣٠ من يوم ٨ تشرين الأول بدأت مجموعات مدرعة من لواء جابي بالتقدم على الجناح الايسر للفرقة ٢ مشاة ومشاغلة جبهة الفرقة لاختيار اضعف نقطة يمكن اختراقها . .

وفي الساعة ٠٩٠٠ بدأ لواء جابي بالهجوم بقدمات (خطوط) متتابعة مركزا هجومه على اللواء الايسر للفرقة ٢ مشاة تمكنت ٤ دبابات من اختراق الخط الدفاعي الامامي للفرقة في اتجاه حصن الفردان . . . ودمرت بالقنابل اليدوية ضد الدبابات ، وفشل الهجوم وتراجعت الدبابات الصهيونية في الساعة ١١٠٠ .

وعندما ادرك الجنرال ادان فشل جابي خلال هجومه على الفرقة ٢ مشاة المصرية اصدر امره إلى العقيد نيتكا بترك كتيبة مدرعة من لوائه أمام قاطع الفرقة ١٨ مشاة في القنطرة بغرض تثبيتها والتحرك بالكتيبتين الاخريين جنوبا إلى قطاع الفردان لتعزيز لواء جابي تمهيدا للقيام بهجوم مشترك باللواءين في اتجاه حصن الفردان (هيزابون) ونفذ ذلك . وفي الساعة ١٢٣٠ قام لواء نيتكا بالهجوم المضاد وركز هجومه على نقطة الاتصال بين لواءي الخط الأول ، وجرى الهجوم بخطين متتاليين وتقدمت كتيبة الخط الأول بسرعة عالية تصل إلى نحو ٤٠ كم بالساعة ، واخترقت مواضع كتيبة مصرية ولكن خلال ١٣ دقيقة فقط دمر معظم دبابات العدو وتم الاستيلاء على ٨ دبابات صهيونية سليمة كما اسر المقدم عساف ياجوري قائد كتيبة الخط الأول في لواء نيتكا بعد تدمير دبابته ومحاولته الهرب راجلا ولم يبق من دبابات القوة المهاجمة إلا اربع دبابات . توقف لواء جابي الذي كان على يمين لواء نيتكا وبدأت دباباته تحترق من جراء النيران المصرية وبعد هذه الخسائر الجسيمة وافق الجنرال ادان على انسحابها فورا من المعركة والعودة إلى اتجاه الشرق صوب الطريق العرضي رقم ٢ وانتهت المعركة في الساعة ١٢ ظهرا ، وفشل الهجوم الصهيوني المضاد .

اسباب فشل الهجوم الصهيوني المضاد

انتهى الهجوم المضاد الصهيوني يوم ٨ تشرين الأول بفشل ذريع حيث عجزت القوات الصهيونية عن اختراق المواضع المصرية والاستيلاء على بعض الجسور المقامة على قناة السويس تمهيدا لعبورها إلى الجانب الثاني وبالتالي فشلت في تحقيق الأهداف السوقية والتعبوية في الوقت الذي لم تكمل فيه القوات المصرية كل استعداداتها الدفاعية وتثبيت اقدامها على الجانب الآخر ويعزى هذا الفشل إلى عوامل عسكرية واخطاء تعبوية نوجزها بما يلي :

١. اهملت القيادة الصهيونية مبدأ التحشد فبدلا من أن تحشد الوحدات المدرعة المتيسرة لديها في احد قطاعات الجبهة وتوجيه الهجمات على جبهة ضيقة وهو الاستخدام الامثل للدبابات للحصول على نتائج حاسمة . . . اخطأت واستخدمت قوتها المدرعة في توجيه ضربات متفرقة وعلى جبهات واسعة مما ترتب عليه فشل جميع الهجمات . . كان على القيادة الصهيونية أن تراعي مبدأ التحشد وتقوم بحشد فرقتي الجنرالين ادان وشارون معا ضد قطاع الفردان مع اسناد بالطيران والمدفعية المتيسرة لديها ولو فعلت ذلك لربما كان النجاح حليفها في اختراق جبهة القاطع المصري والوصول إلى ضفة قناة السويس ومما زاد في مضاعفة خطأ القيادة الصهيونية هو خطأ الجنرال ادان نفسه باهماله المبدأ التعبوي السليم أيضا في حشد قواته واستخدامها مجتمعة في هجومه ضد اضعف نقطة وبدلا أن يتبع هذا الاسلوب نراه يدفع بألويته الثلاثة المدرعة في هجومه وهي متفرقة ومبعثرة وكانت النتيجة الفشل الذريع.

٢. الغرور الصهيوني : اعتقد الصهاينة أن نجاحهم في استخدام الدبابات في حرب ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، على أن تندفع باقصى سرعة وسط المواقع المصرية مما سبب الذعر بين صفوف القوات المصرية وهروب بعض افرادها هو مبدأ عام غير قابل للتبديل . . فلما اتبعوا الاسلوب نفسه ظهر خطأ المفاهيم التي توصل إليها القادة العسكريون الصهاينة إذ صمد المشاة المصريون وقاتلوا الدبابات الصهيونية وهي تدوس على اجسامهم فحطموها وفشل الهجوم الصهيوني ، ومما زاد في خطأ المفاهيم العسكرية الصهيونية التي استنبطوها

من حروبهم السابقة مع المصريين حيث اعتقدوا أن بامكانهم استخدام قواتــهم المدرعة دونما حاجة إلى اسناد المشاة أو المدفعية .

٣. لو كانت الدبابات الصهيونية برفقة وحدات كافية من المشاة الالية وبطاريــات المدافع والهاونات الثقيلة والخفيفة لتعرض المصريون لخسائر جســيمة لقــد اذهل قتال المصريين واستبسالهم الجنرال غونين قائد المنطقة الجنوبية الــذي قال : قاتل المصريون بطريقة انتحارية ، إنهم كانوا يأتون موجات بعد موجات لا تستطيع قواتنا مواجهتها .

٤. صعوبة الحرب على جبهتين . .

كان من اسباب فشل الهجوم الصهيوني المضاد هو النقص في نار الاسناد من بطريات المدفعية الصهيونية أثناء الهجوم الصهيوني بسبب قلة عددها نظــرا لدفع الكيان الصهيوني معظم قواتها الاحتياطية في المرحلة الأولى من الحرب إلــى جبهة الجولان إضافة إلى الاخطاء التي وقعت فيها القيادة الصهيونية في عمليــة استدعاء الاحتياطي في بادئ الأمر نتيجة جو الارتباك العام الذي وقعت فيه القيادة من هول المباغتة السوقية . . كما كان الاسناد الجوي محــدودا برغــم الالحــاح المستمر بطلبه من قادة الالوية المدرعة وكان هذا ناتجا من زج الســوريين بكــل ثقلهم وقتئذ في حربهم مع الكيان الصهيوني لتحرير الجولان ودفعوا باحتياطيــهم الاخير من القوات المدرعة في المعركة وأصبح الجيش الســوري بأكملــه يقــاتل الصهاينة الذين كانت تشكيلاتهم الاحتياطية قد وصلت إلى ساحة القتــال وكــانت المعركة تتأرجح للوصول إلى نهايتها الحاسمة مما حمل القيادة الصهيونية علــى أن تسرع بدفع معظم المجهود الجوي ضد جبهة الجولان .

المبحث الرابع

الشؤون الإدارية

١. تطوير خطة التعبئة المصرية

كانت حرب تشرين الأول عاملا مهما في تطوير خطة التعبئة المصرية بقفزة حضارية إلى الأمام قللت الكثير من العيوب والمساوئ التي كانت سائدة في تعبئة القوات المصرية مما كان له الأثر الكبير في نجاح الخطة في التعبئة سوق ٧٠- ٨٠% من الجنود إلى وحداتهم القديمة خلال ٢٤ ساعة بعد أن كان ينظر إلى خطة التعبئة المصرية إنها من اسوأ ما هو معروف لعدم تطور خطط الشؤون الادارية مع متطلبات العصر ذلك أن ما يتبع في الدول الحديثة ومن ضمنها سويسرا والسويد والكيان الصهيوني الذي يأخذ بنظام التعبئة السويدي أن تكون نسبة القوات العاملة بين ٣٠ - ٤٠% من حجم القوات المسلحة على أن تستطيع تعبئة قواتها الاحتياطية خلال ٢٤ ساعة ، أما في مصر فقد كانت نسبة القوات العاملة قد تصل إلى ٩٩% من حجم قواتها المسلحة (حسب الملاكات) والتي ظلت تحتفظ بالمجندين برغم تجاوز مدة خدمة معظمهم السنوات الست ولم تقرر متى تدخل الحرب مما أشاع التذمر وتدني المعنويات إضافة إلى حرمان الاقتصاد القومي وخطط التنمية الاقتصادية من العناصر المهنية الكفء والمثقفة الجامعية كالمهندسين والأطباء والاقتصاديين والمعلمين والتكنولوجيين وغيرهم حيث بلغ حجم القوات المسلحة خلال النصف الأول من عام ١٩٧٢ نحو مليون رجل وكانت حجة القيادة المصرية أن الكيان الصهيوني يتمتع بتفوق جوي ساحق فإذا لم تتيسر لدى مصر القوة الجوية التي تؤمن الحماية للقوات فقد يحسم الكيان الصهيوني المعركة بهجوم مباغت إذا كان نحو ٦٠% من القوات في الاحتياط ولكن الحقيقة حتى ولو قبلنا بهذه الحجة غير العلمية فقد كانت خطة التعبئة المصرية مليئة بالعيوب الادارية ويمكن تلخيصها بما يلي :

أ . عدم دقة تسجيل المعلومات في بطاقات الجنود حيث كان التسجيل سيئا للغاية والذي كان من نتيجته أن كثيرا من جنود الاحتياط يساق إلى عمل لم يؤهل إليه والى صنف لم يتدرب عليه ، فيختلط الحابل بالنابل .

ب. كان السوق يتم على أساس ميلاد الشخص ولا يحدد طبقا لتغير سكن الفرد بعد تسريحه من الخدمة وبالتالي فلم يكن من السهل العثور على الشخص والاتصال به .

جـ. برغم تطور نظام الاحصاء والتعبئة في الجيوش الحديثة منذ الحرب العالمية الثانية وبرغم دخول الحسابة بعد الحرب مباشرة فإن خطة التعبئة المصرية كانت تتم بالاسلوب اليدوي وهو عمل شاق ويحتاج إلى الدقة والوقت الطويل وكنتيجة لذلك وتحت عامل ضيق الوقت كان سوق الجنود يكون باكثر مما هو مطلوب لبعض الوحدات ، وبأقل مما هو مطلوب لبعض التخصصات . .

د. كانت خطة التعبئة المصرية تعتمد على المركزية الشديدة فقد كان سوق الجنود يتم في القاهرة - مركز التعبئة - حيث يتسلم الجندي سلاحه وتجهيزاته ثم يرحل إلى مركز تدريب معين - مشاة - هندسة - مدفعية - الخ - وبعد قضاء فترة التدريب يساق مرة ثانية إلى وحدة أخرى يخدم فيها- وهكذا يجد الجندي نفسه في وحدة هو غريب فيها لا تربطه أية رابطة حب أو ذكريات مع بقية افرادها - إنه غريب بين مجموعة غرباء ولو أن المثل يقول وكل غريب للغريب نسيب .

هـ. والاسوأ من كل ما مر أن الضباط الذين ينفذون تدريب الوحدات الاحتياطية (وحدات التدريب) ينتخبون من اضعف المستويات فهم أما مشاغبون أو لا يتقنون مهنتهم أو من الذين ترفضهم وحداتهم للتخلص منهم أو من اصحاب الحظوظ والمحسوبيات التي لا تؤثر الخدمة في هذه الوحدات على ترفهم وبلوغهم المراتب التي يطمحون إليها ولذلك فهم يفضلون الراحة ما دام المستقبل مضموناً . وتنعكس هذه المعنويات الضعيفة وقلة الضبط واللامبالاة على تدريب الجنود الملتحقين وبالتالي على كفاءة الوحدات التي ينقلون إليها وعلى مستقبل البلاد وتقدمها إذا خسرت أي حرب تخوضها كما حدث في السابق .

٢. درست القيادة العسكرية المصرية هذه النواقص بعد هزيمة ١٩٦٧ في ضوء ما يجري في السويد التي كانت خطة التعبئة فيها تخدم خطة دفاعية ثابتة وتعكس الفكر العسكري السويدي حيث كانت جميع الاسلحة الثقيلة من دبابات ومدافع وعربات تخزن في المناطق التي من المحتمل أن يجري القتال فيها طبقا للخطة العسكرية المتوقعة ، وأن جميع الجنود والمراتب والاحتياطي الذين يدعون إلى الخدمة سيلتحقون بهذه المناطق التي تخزن فيها الاسلحة لأنهم يعيشون في المنطقة نفسها أو قريبا منها مع ملاحظة التعديلات التي تجرى في شعب الاحصاء طبقا لانتقال الافراد إلى محلات سكن جديدة وفي مناطق جديدة حيث يساق إلى وحدة قريبة من محل عمله الجديد .

إن هذا الاسلوب مثالي إذ سيقلل وقت التعبئة إلى أدنى حد ويخفف الضغط عن وسائل المواصلات ويسهل التعاون بين الافراد لمعرفة بعضهم بعضاً وكذلك يسهل دعوتهم السنوية لاجراء التمارين والتدريب لادامة كفاءة القتال كما إنه يمكن توقيت وقت دعوة الاحتياط بالاوقات التي لا تؤثر في الانتاج الوطني وفوق هذا وذاك إضافة إلى كون الإنسان يدافع عن وطنه الكبير فهو يدافع بالدرجة الأولى عن مسكنه وبلدته وعائلته.

وبعد التمحيص والامعان قررت القيادة العسكرية المصرية أن تأخذ بعض أفكار الخطة السويدية مع ادخال التغييرات الضرورية والتي تماشي ظروف مصر العسكرية والسياسية والاقتصادية فمثلا لم يكن من الممكن القيام بالتعبئة جغرافيا لأن الاعتداء الصهيوني يشمل مصر كلها ويأتي من سيناء وعليه تقرر ما يلي :

أ . أن يكون حجم القوات الاحتياطية في نهاية تسع سنوات من بدء تنفيذ الخطة يصل إلى ما يعادل حجم المسرحين في خلال تسع سنوات أي ما يعادل ١,٥ مليون رجل ثم يجري بعد ذلك تغيير ١ / ٩ هذه القوة سنويا وذلك بانهاء خدمة القدامى نهائيا من الخدمة في وحدات الاحتياطي على أن تحل محلهم عناصر جديدة من الجنود المسرحين حديثا في القوات العاملة وكمرحلة ابتدائية لتشكيل قوات احتياطية سرح بعض الجنود ليكونوا قوات احتياطية على أن لا يزيد اعداد المسرحين عن ١٥% من قوة الوحدات العاملة بعد نقل افرادها إلى الاحتياطي ولا ينقص عن ١٠% أي أن في

حالة نقل عدد من قوة الوحدة إلى الاحتياط فإن هذه الوحدة تحتفظ بوظائف ومناصب هؤلاء المجندين المنقولين إلى الاحتياطي شاغرة طالما هذا النقص يكوَن بين ١٠ - ١٥% من قوة الوحدة في كل صنف وعند دعوته ثانية يعود الفرد إلى وحدته التي يعمل فيها والى منصبه الذي كان يشغله وكأنه كان في اجازة طويلة من الوحدة .

ب. ادخلت التعديلات المطلوبة في بطاقة المجند في السجلات على وفق الدراسة بحيث امكن تلافي الكثير من العيوب السابقة .

جـ. ادخل الحسَابة في عمليتي الاحصاء والتسجيل ووضعت البرامج العلمية التي تخدم تحقيق غاية الجيش وبذلك سهل استدعاء عدد محدد وبالقدر الضروري سواء أكان طبقا للمهنة أم المنصب أم الوحدة أم تاريخ التجنيد أم الصنف أم الاختصاص .

د. تقرر انشاء ٣٥٠ - ٤٠٠ مركز تدريب (على أن يتوفر مركز واحد لكل تجمع سكاني يبلغ تعداده مئة الف نسمة وعلى أن لا تزيد المسافة بين المركز وبين ابعد منطقة يخدمها على ١٠ كيلومترات أيهما افضل وافتتح في المرحلة الأولى ١٠٠ مركز تدريب وعند استدعاء المجند عن طريق المركز يسلم ملابسه المدنية ويتسلم ملابسه العسكرية .

هـ. عندما ينتقل المجند إلى الاحتياطي يذهب إلى مركز التدريب ويقوم بتسليم مهماته العسكرية ويقطع علاقاته .

وهناك تعديلات كثيرة أخرى ادخلت على نظام التعبئة لا مجال لذكرها . نجحت الخطة الجديدة للتعبئة واجريت تجارب متكررة خلال عام ١٩٧٣ لاختبار الخطة واثبتت نجاحها بالتحاق بين ٧٠ - ٨٠% من المجندين الاحتياط خلال ٢٤ ساعة واستمرت التجارب ونفذت القيادة وعودها بصدق فإذا قالت أن الدعوة لمدة ثلاثة ايام نفذت وإذا كانت الدعوة إلى أكثر من ذلك اعلنت عنه وهكذا تولدت الثقة بين الجميع وأصبحت فترات الاستدعاء فرص ممتازة لإعادة التدريب وصقل جنود الاحتياط.

والأهم من ذلك أن الكيان الصهيوني قد خدع عندما دعت القوات المسلحة قوات الاحتياطي قبيل حرب تشرين الأول وعدّت هذه الدعوة أيضا من قبيل الدعوات السابقة لغرض التدريب والممارسة وبهذا انتقلت القوات المصرية

إلى مرحلة جديدة ضمنت لها النجاح في عبور قناة السويس بعد التحسينات التي اجرتها في تجديد خطط الشؤون الادارية التي كانت سائدة قبل معركة ١٩٦٧ .

٣. اكمال نقص الضباط

لم تتوقف عملية إعادة تنظيم القوات المسلحة المصرية منذ خسارة حرب ١٩٦٧ ولكن الجهد الرئيس في اكمال نقص الضباط بدأ قبل حرب تشرين الأول بسنتين ونصف السنة تقريبا ، وأدى إلى نتائج كان لها اثرها في النصر الذي احرزته القوات المسلحة المصرية في عبورها قناة السويس . لقد كانت القوات المسلحة المصرية في ايار ١٩٧١ تضم ٨٠٠٠٠٠ ثماني مئة الف رجل منها ٣٦٠٠٠ ضابط ٧٦٤٠٠٠ مراتب أخرى وعند القرار على اقتحام قناة السويس وعبورها في تشرين الأول ١٩٧٣ كانت القوات المسلحة قد وصلت إلى ١٢٠٠٠٠٠ مليون ومئتي الف رجل منها ٦٦٠٠٠ ضابط طبقا لتقديرات القيادة لحاجتها من الضباط ومعنى هذا أن القيادة العسكرية المصرية تمكنت من تجنيد وتدريب ٣٠٠٠٠ ضابط و ٣٧٠٠٠٠ من المراتب الأخرى في مدة تزيد قليلا على السنتين .

٤. اكمال نقص الجنود

سعت القيادة العسكرية المصرية إلى اكمال نقص الجنود قبل بدء المعركة واكمال ملاكات الوحدات الجديدة التي تقرر انشاؤها وكان المطلوب هو تجنيد ١٦٠٠٠٠ مئة وستين الف مجند سنويا ولكن مصر ذات ٣٥ مليون في تلك الفترة كانت عاجزة عن تأمين هذا العدد المطلوب ، لقد كان المستوى الثقافي والصحي متدنِ إلى درجة إنه لا يمكن عدُ إلا ثلثهم لائقين للخدمة العسكرية فمن نحو ٣٥٠٠٠٠ شاب يصلون إلى سن التجنيد لا يمكن عدَ إلا نحو ١٢٠٠٠٠ منهم صالحا لسوقه إلى الخدمة . . وتقرر التغلب على هذه المشكلة بـ :

أ . فتح مجال التطوع أمام المرأة على أن تشغل وظائف السكرتارية والكتابية وعلى أن يقتصر عملها على القواعد الخلفية وعلى أن لا ترسل إلى

المناطق الامامية أو المناطق النائية وهكذا برهنت المرأة العربية على إنها كفء وقادرة على المشاركة في الدفاع عن وطنها .

ب. التساهل في قبول مستويات اقل لبعض الاختصاصات وباتباع هذه الوسائل تمكنت القيادة المصرية من أن تنشئ مئات الوحدات خلال العامين والتي تطلبتها معركة عبور قناة السويس منها اللواء البرماني AMPHIBIOUS BRIGADE الذي ارتبط تشكيله بخطة العبور ارتباطا وثيقا والذي كان الغرض من انشائه هو دفعه في عمق العدو عبر البحيرات أو البحر لغرض شل مراكز قيادة العدو وتعطيل تقدم احتياطياته لأن هذا اللواء يستطيع أن يعبر البحيرات في اقل من ساعة باعداد كبيرة من الدبابات والعربات مما يكون تهديدا خطيرا لقيادات العدو وتحرك احتياطياته وباستخدام هذا اللواء تمكنت القيادة المصرية من التغلب على التأخير الذي كان من المحتمل حصوله في حالة نقل الدبابات بالعبارات .

٥. تخفيف احمال الجندي

لقد كان موقف جندي المشاة المكلف عبور القناة صعبا للغاية لانه سيواجه بهجمات مدرعة مضادة بمجرد أن يضع قدمه على الشاطئ الآخر ولذلك كان يجب تسليحه وتجهيزه بما يساعده على التغلب على هذه التحديات ولذلك كان عليه أن يجهز بعدد كاف من الاسلحة المضادة للدبابات ولاسيما الصواريخ مالوتكا ATGM حتى يمكنه أن يدمر الدبابات التي تهاجمه وبعدد من الصواريخ المضادة للطائرات (SAM 7) حتى يمكن أن يسقط الطائرات التي تهاجمه من ارتفاعات منخفضة وكان عليه أن يحمل ما يكفيه من ذخيرة وطعام ومياه لمدة يوم كامل وكان عليه أن يحمل الغاما مضادة للدبابات حتى يمكنه الدفاع عن مواقعه التي احتلها ضد هجمات الدبابات كانت المشكلة التي واجهت القيادة الموائمة بين ما يستطيع حمله الجندي ومقداره ٢٥ كغم وبين عدد ونوعية الاسلحة ومقدار الاعتدة التي يحملها الجندي (المترجل).
إنها معادلة صعبة – ولكن القيادة المصرية أخذت بالشعار الذي رفعه جنود المظلات وهو (اقصى ما يمكن من السلاح والذخيرة واقل ما يمكن من الاحتياجات الادارية الأخرى) ليست هناك أية مشكلة بالنسبة لجندي المشاة

العادي المسلح ببندقية ذاتية الحركة مع ٣٠٠ طلقة و ٢ قنبلتين يدويتين حيث وزنها جميعا يقل عن ١٥ كغم مع العلم أن وزن ملابسه وحقيبة الظهر وخوذته وغيرها لا تتجاوز عشرة كغم ولذلك فاحمال الجندي ضمن الوزن النظامي والذي يستطيع حمله والقتال به .

ولكن كيف السبيل مع جنود اعداد اسلحة الاسناد كمدفع عديم الارجاع B10 ومدفع B12 وصواريخ مقاومة الدبابات مالوتكا واعداد الرشاشات المتوسطة واعداد قواذف اللهب وغيرها . إن مجموع وزن هذه الاسلحة إذا اضيف إليه الحد الأدنى من الذخيرة التي يجب أن ترافقها يصبح من المستحيل على اعدادها أن يتحملوا وحدهم عبء حملها وعتادها لذلك تقرر أن توزع هذه الاحمال بين بقية افراد المشاة بطريقة تجمع بين عدالة التوزيع في الاحمال وسهولة الحصول على هذه الاحمال بطريقة لا تؤثر في كفاءة الاستخدام التعبوي للسلاح وعليه أصبح ما يحمله الجندي بين ٢٣ كغم و ٣٠ كغم للفرد. كذلك تقرر عمل حقائب ظهر مختلفة (خمسة أنواع) تناسب الاحمال الخاصة بحيث يستطيع كل منها أن تخدم عدة احمال . كما بدلت القيادة زمزميات المياه من سعة ٣/٤ لتر إلى سعة ٢,٥ لتر حتى يكون مع جندي العبور ما يكفيه من المياه لمدة يوم كامل وقد أمكن انتاج ٥٠٠٠٠ من هذه الزمزميات قبل العبور.

٦. عربة الجر اليدوي

برغم محاولات تخفيف الاحمال على جنود المشاة المترجلين والذين سيعبرون القناة في الحرب فقد كان العتاد الذي يحملونه قليلا جدا ومن الممكن أن يستهلك في القتال خلال ساعة واحدة مع أنهم لم يجهزوا بالغام أو كاشفات الغام أو علامات ارشاد أو وسائل مواصلات ومعنى هذا أن قدرتهم على الاستمرار في المعركة لمدة طويلة يكتنفها كثير من الغموض وبعد دراسة مستفيضة قررت القيادة ادخال عربة جر يدوية يمكن أن يجرها جنديان بعد تحميلها بنحو ١٥٠ كغم من الذخائر أو المعدات العسكرية . وقد صنع هذه العربات صنف الهندسة الآلية الكهربائية . . وعندما اقتحم المشاة قناة السويس في تشرين الأول ١٩٧٣ كانت تجر معها ٢٢٤٠ من هذه

العربات محملة بذخائر والغام ومعدات عسكرية يبلغ وزنها ٣٣٦ طنا وباستخدام هذه العربات وفرت القيادة المصرية استخدام ٢٢٤٠٠ من جنود الشغل غير المسلحين والذين كان من الواجب تهيئتهم حتى يستطيعوا حمل ما قامت به هذه العربات لنقله .

٧. تجهيز افراد المشاة بمعدات خاصة

وحتى تضمن القيادة العسكرية المصرية نجاح خطتها في عبور قناة السويس جرى تجهيز جندي المشاة بأجهزة الرؤية الليلية التي كان منها ما يعمل بنظرية الأشعة تحت الحمراء ومنها ما كان يعمل بنظرية تقوية وتكبير ضوء النجوم STAR LIGHTER كما جهزت القطعات باجهزة ومعدات بدائية كالنظارات السود المعتمة وسلالم الحبال وذلك ليستخدم الأولى الجنود عندما يستخدم العدو أشعة ZENON بالغة القوة في التعمية ، أما الثانية فحتى يستطيع جندي المشاة أن يتسلق السد الترابي من دون أن تغوص قدماه في الماء كما إنه بوضع سلمين متجاورين يستطيعون جر المدافع والعربات التي ترافقهم فوق هذا الساتر من دون أن تغوص عجلاتها في الرمال . . ومرة أخرى برهن الجندي المثقف والضابط المجند الجامعي على كفاءته في استخدام التجهيزات الحديثة وحسن ادامتها . . ولا غرابة في ذلك فالحرب الحديثة حرب علم وفن.

٨. انشاء مصرف الدم الاشتراكي

إن لاسعاف الجندي الجريح أو من يُجري له الصنف الطبي عملية فللدم أهمية كبيرة في رفع معنويات الجندي المصاب وفي اسعافه من موت محقق. وللتغلب على مشكلة الحصول على الدم في أثناء المعركة اصدرت القيادة المصرية قبيل معركة تشرين الأول التوجيه رقم ٣٩ وكان عنوانه " القوات المسلحة لا تبيع دماءها وانما تضحي بها من اجل الوطن . . وكان التوجيه يفرض التبرع على كل من هو دون الـ ٤٠ سنة بزجاجتين من الدم مرة واحدة خلال مدة خدمته في القوات المسلحة إذا ما كانت حالته الصحية والطبية تسمحان بذلك . . وبهذه الطريقة وقبل أن تبدأ القوات المسلحة

عملياتها في ٦ تشرين الأول كان لديها نحو ٢٠٠٠٠ زجاجـــة مـن الـدم كاحتياطي .

إدامة القوات أثناء المعركة

(التعويض)

قام الاتحاد السوفياتي خلال الحرب باقامة اكبر جسر جوي فـي تاريخـه العسكري إلى كل من مصر وسورية . لقد قام بتنفيذ ٩٠٠ رحلة بطائرات انتـوف ١٢ وانتوف ٢٢ تم خلالها : نقل ١٥٠٠٠ طن من المعدات الحربية هذا مع العلم أن ذلك لم يكن مخططا له من قبل وبدأ به بعد ثلاثة ايام من نشوب القتال وواجـه المشكلات التي يمكن أن تظهر في مثل هذه الظروف وخاصة إذا انعـدم التخطيـط المسبق فاستهلاك العتاد يختلف باختلاف الاسلحة التي تستخدم وباختلاف نوعيـة المعركة صحيح جرت بعض الاخطاء بوصول بعض أنواع الاعتدة التي لا يحتـاج إليها في حين كان النقص واضحا في عتاد صنف آخر ولكن مع كل هذا فلا يمكـن أن نقلل من السرعة والكفاءة التي تمكن بها هذا الجسر من ادامة القوات المصرية والسورية .

إن هذا الجسر الجوي يعدّ شهادة على كفاءة القـائمين علـى الشؤون الادارية في الاتحاد السوفياتي . في التخطيط والتنفيذ والسرعة التي تم بها نقل ما هو مطلوب وكذلك على كفاءة الضباط المصريين والسوريين الاداريين في ادامـة القوات بالمعركة بالاعتدة والاسلحة والتجهيزات الأخـرى فـي التفريـغ والفـرز وسوقها إلى الجبهة بالنسبة لهذا الحجم الكبير من الامدادات .

اقتصر شحن الدبابات على الجبهة السورية فقط نظرا لجسامة الخسـائر التي لحقت بها وعلاوة على الجسر الجوي فقد قام السوفيات بعملية نقل بحـري واسعة النطاق بلغ حتى وقف اطلاق النار ٦٣٠٠٠ طن وقد وجه معظم المجـهود البحري إلى الجبهة السورية ، واستعان الكيـان الصـهيوني بحليفتـه لتعويـض خسائره لذلك .

لم يقتصر النقل جوا لادامة القطاعات المصرية والسورية علـــى الاتحـــاد السوفياتي إذ شحنت الولايات المتحدة الامريكية إلى الكيان الصـــــهيوني ٢٢٣٩٥ طنا من الامدادات مستخدمة الطائرات C 141 , C5 وقامت شركة العال الصهيونية بنقل ٥٥٠٠ طن أخرى مع العلم أن المسافة بين امريكا والكيان الصهيوني هــــي ٧٠٠٠ ميل ومعنى هذا أن الجسر الجوي الامريكي الصهيوني يساوي ٦,٥ مـــن الجسر الجوي السوفيتي على أساس وحدة طن / ميل وكان يشـــمل إضافـــة إلـــى الدبابات والاعتدة والتجهيزات الأخرى . طائرات الفـــانتوم وطـــائرات الـــهليكوبتر واحدث أنواع المعدات الخاصة بالحرب الالكترونية وهكذا تظهر كفاءة الاداريين الصهاينة والامريكيين أيضا .

المبحث الخامس

الدروس المستنبطة

يمكن استنباط الدروس المهمة التالية من عبور قناة السويس وهي :

١. عوامل نجاح خطة العبور

من دراسة عملية عبور قناة السويس في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ توصلت إلى أن عوامل النجاح كانت في مرحلته الأولى عملية هندسة متقنة جاءت نتيجة وضع الإنسان المناسب في المحل المناسب وتدريب شاق ومتكرر وخطط تفصيلية للأعمال الهندسية سنوجزها بما يلي :

أ . حشدت القيادة المصرية ٣٥ كتيبة هندسة من مختلف الاختصاصات قامت بعمل قل نظيره في التاريخ العسكري وكان من نتيجته أن عبر العرب من عار الهزيمة إلى قمة النصر وبرهنوا على خرافة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر ، إذ تمكنت كتائب الهندسة من فتح الثغرات في الساتر الترابي على الضفة الشرقية وتشغيل الاف القوارب التي حملت عشرات الالاف من أفراد القوات المسلحة واقاموا الجسور الثقيلة لعبور الدبابات والعجلات المختلفة إضافة إلى جسور الصولة التي عبرت الموجات الأولى من المهاجمين وركبوا واستخدموا العبارات المختلفة في نقل الدبابات والاسلحة. لقد قام صنف الهندسة بهذه الأعمال الجبارة تحت سيل منهمر من نيران وقذائف وصواريخ العدو التي لم تمنع منتسبي هذا الصنف المتعلم الشجاع من انجاز واجبهم على اتم وجه وقدم نائب مدير الصنف الشهيد العميد المهندس احمد حمدي روحه فداء لامته ووطنه فإلى روحه الطاهرة وإلى الشهداء العرب والعراقيين في كل حرب وفي كل مكان الف تحية وسلام واعجاب واكبار .

إن عملية عبور الموانع المائية في الجيوش الحديثة عملية عادية إذ ليس هناك من مانع مائي في التاريخ العسكري حال دون عبور جيش قد صمم على اجتيازه إذا اتخذ كل ما يلزم لانجاز المهمة ولكن الوضع بالنسبة

للقوات المصرية غرب القناة كان تكتنفه اشد الصعوبات وأعقدها فقناة السويس مانع مائي لا يماثل غيره من الموانع المائية لأن اكتافها حادة الميل مكسوة بالحصى والحجارة لمنع انهيار الاتربة والرمال إلى القاع مما يجعل من الصعب بمكان على أية دبابة أو عجلة أن تعبرها إلا إذا تم نسف الاكتاف (الجوانب) وعمل مدخل ومخرج تستطيع الدبابة والعجلة البرمائية أن تستخدمها في النزول والخروج ومما زاد من صعوبة اجتياز القناة هو وجود ساتر ترابي تكوّن نتيجة تطهير القناة وتعميقها إضافة إلى ما قام به المهندسون الصهاينة بعد احتلال سيناء من زيادة ارتفاع هذا الساتر إلى نحو (٢٠ - ٢٥) متراً في الاماكن المحتمل اختبارها للعبور ومما زاد في مناعة القناة وصعوبة اجتيازها هو بناء خط بارليف الحصين والذي سبق أن بينّا مواصفاته وعدم وجود أي كتف ظاهر أو مصطبة (قاعدة) على الجانب الغربي للقناة وذلك بعد أن قام الصهاينة بتحريك السد الترابي من القناة حتى أصبح ميله يقابل ميل شاطئ القناة وكانت درجة ميله بين ٤٥ إلى ٦٠ درجة .

فضلا على ابتكار المهندسين الصهاينة طريقة يمكن بها تحويل اجزاء كاملة من القناة إلى شعلة من لهب وذلك عن طريق اشعال النابالم السائل وهناك صعوبة أخرى إذ أن سرعة تجاه تيار الماء في القناة تتبدل اربع مرات في اليوم كما أن ارتفاع سطح الماء يختلف باختلاف المد والجزر بمسافة بين نصف متر ومترين .

لقد كانت قناة السويس مانعا مائيا فريدا من نوعه جعل موشي دايان يقول بكل صلف وغرور في إحدى مناقشات احتمالات عبور المصريين القناة "لكي يعبر المصريون قناة السويس فانه يلزمهم سلاح المهندسين الامريكي وسلاح المهندسين السوفياتي مجتمعان" .

كما ذكر اللواء جمال علي مدير صنف الهندسة خلال حرب تشرين الأول أن كبير الخبراء السوفيت قال له ذات مرة قبل ترحيل السادات الخبراء السوفيات - وهما يتطلعان إلى الساتر الترابي هائل الحجم على الشاطئ الشرقي للقناة - "إنكم تحتاجون إلى قنبلة ذرية لفتح ثغرة في هذا الساتر" .

إن عقل المهندس العسكري المصري وما تميز به من القدرة على الابتكار والابداع مكنه من القيام بجميع التحضيرات والانجازات المطلوبة والتغلب على جميع المصاعب والمشكلات فتم للقوات المصرية عبور المانع المائي من دون الحاجة إلى تفجير قنبلة ذرية أو حشد صنف الهندسة الامريكي والروسي إذ توصل المهندسون المصريون إلى طريقة يمكن بها فتح الثغرات في الساتر الترابي باستخدام مضخات الماء.. ومما يثير العجب إنه برغم اجراء عشرات التجارب على اسلوب فتح الثغرات في الساتر الترابي بطريقة الجرف والماء فإن الصهاينة لم يفطنوا إلى أن المهندسين المصريين قد توصلوا إلى هذا الاسلوب الجديد في فتح الثغرات وفوجئوا مفاجأة تامة يوم ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ فكان نظام التشغيل يقضي بوضع المضخات في قوارب تستعملها مجموعات من صنف الهندسة لترافق قوارب المشاة في الموجة الأولى من الاقتحام عند الوصول إلى الشاطئ يمهد الجنود المهندسون قواعد بسيطة لوضع مدافع المياه عليها وعن طريق تشغيل المضخات تندفع المياه بقوة هائلة للبدء في عمل المضخات .

ب. افاد المهندسون المصريون من جسور بيلي الانكليزية التي غنموها من القاعدة الانكليزية السابقة وتحويلها من جسور مصممة للاستخدام في الخطوط الخلفية إلى جسور صولة لا يستغرق نصبها وتركيبها أكثر من بضع ساعات وذلك لعدم وجود العدد الكافي من الجسور البرمائية الحديثة التي لا يستغرق نصبها على القناة أكثر من ساعتين كما لم يتيسر لدى الجيش المصري من الجسور الحديثة إلا نصف الكمية المطلوبة لعبور قوات الجيشين الميدانيين الثاني والثالث ولكن العقلية الهندسية العسكرية المصرية تغلبت على كل هذه المشاكل مستفيدة مما استولوا عليه من جسور بيلي بعد العدوان الثلاثي ولا حاجة للتفاصيل .

جـ. صنع المهندسون ١٢٥٠ قارباً وهذه الكمية تعادل نصف العدد المطلوب لعبور المشاة في المرحلة الأولى للعبور لتأمين رؤوس الجسور وابتكر المهندسون سلالم من الحبال درجاتها من الخشب لوضعها على الساتر الترابي وبها يتسلق جنود المشاة الساتر من دون أن تغوص اقدامهم في التراب وعليها المدافع وعربات الجر التي كانت ترافق المشاة وذلك باستخدام سلمين متجاورين .

إن الدرس الذي نتعلمه من معركة عبور قناة السويس في حرب تشرين الأول أن صنف الهندسة إذا ما اختير ضباطه من خريجي الجامعات أو المعدَين علميا وانصرف لاتقان مهنته العسكرية واتخذ من التدريب العملي وسيلة للارتفاع بمستواه التقني وتسلح بالعقيدة الوطنية والقومية تمكن من خلق الاعاجيب مما يسهل للجيش اجتياز اصعب مانع مائي مثل قناة السويس ضد عدو يتمركز في نقاط قوية وحصينة وباقل الخسائر .

٢. ضياع فرصة احتلال المضايق يوم ٧ تشرين الأول

أضاعت القيادة المصرية فرصة مواتية لاحتلال المضايق يوم ٧ تشرين الأول لأن نجاح الجيش المصري في العبور كان حاسما وبأقل الخسائر إذ لم يفقد إلا ٥ طائرات و ٣٠ دبابة في حين فقد العدو ٣٠ طائرة و ٣٠٠ دبابة والاف القتلى والجرحى وتم سحق ثلاثة الوية مدرعة ولواء مشاة كانت تدافع عن القناة ويذكر الشاذلي في كتابه حرب تشرين الأول (إن القوات المصرية كانت متفوقة تفوقا ساحقا على قوات العدو في الجبهة يوم ٧ تشرين الأول حيث يقول " أصبح لنا على الشاطئ الشرقي للقناة صباح يوم ٧ تشرين الأول خمس فرق مشاة بكامل اسلحتها الثقيلة ومنها نحو ١٠٠٠ دبابة بينما أصبح العدو في المنطقة في حالة فوضى عارمة وقد ابيدت قواته تماما " . وقد يستغرب المرء. . . مما حدث لماذا لم تستغل القيادة المصرية هذه الفوضى العارمة في صفوف الصهاينة والتقدم لاحتلال المضايق ، إن الادعاء بالتمسك بالخطة الاصلية لا يؤيده الواقع فالخطة الاصلية كانت تتضمن التقدم إلى المضايق أيضا بعد الوقفة العملياتية (حسب امكانات القوات المسلحة كما وضعها السادات) وحتى في هذه الحالة فقد اضيعت الفرصة لانه إذا كان قول الشاذلي أن القوات الصهيونية ابيدت تماما قد تنقصه الدقة فمما لاشك فيه أن قوات العدو أصبحت في حالة لا يمكنها الوقوف بوجه القوات المصرية المتفوقة ومنعها من التقدم إلى المضايق واحتلالها ، لقد اضاع السادات فرصة نادرة بعدم استغلالها ذلك لو أن المصريين احتلوا منطقة المضايق لحققوا الفوائد التالية :

آ. احتلالهم أهم منطقة سوقية في سيناء وكان بامكانهم التخلص من المواضع المنبسطة عند رؤوس الجسور باحتلالهم منطقة المضايق الحصينة .

ب. حرمان العدو امكانية عبور مقابلة إلى غرب قناة السويس كما فعل بعدئــذ نتيجة تمسك المصريين بمواضعهم التي احتلوهــا بعــد العبــور وعــدم استغلالهم الفرصة التي سنحت .

جـ. كان من الممكن أن تكون نتيجة الحرب لصالح مصر .

د. كان من الممكن أن يحتفظ السوريون بهضبة الجولان ولا يغادروهــا مــرة ثانية.

إن ادعاء القيادة المصرية أن أهداف الوقفة العملياتية (كمــا ســموها) تخدم الخطة الهجومية لتحرير سيناء . . يجانبه الصواب وصدق النيــة إذ أن الهجوم الذي شنته القيادة المصرية بعد الوقفة العملياتيـــة يــوم ١٤ تشرين الأول قد فشل في تحرير أي جزء آخر من سيناء وكــانت بــذور فشله تكمن في الوقفة العملياتية . .

٣. اهمال الخطة المصرية لتعطيل تدفق قوات الاحتياطي الصهيونية

استمر تدفق قوات الاحتياطي على الجبهة المصرية عدة ايام وامتلأت الطرق في شمال سيناء بالاف العربات والدبابات وحاملات الجنود المدرعة والقوافل الادارية التي كانت تحمل الوقود والذخائر والمؤن ولكن القيادة المصرية لــم تخطط من قبل لمقاتلة هذه القوافل أثناء اجتيازها تلك الطــرق الصحراويــة الطويلة المكشوفة بالطائرات المصرية عند دخولها في مدى عملها ولو إنــها لم تقع في هذا الخطأ الكبير وخططت لما هو متوقع في التعرض لهذه القوافل لكانت قد اوقعت بها خسائر فادحة خاصة أن معظم هــذه المركبــات كــانت ملزمة بالسير على الطرق المرصوفة ولم يكن في امكانها الانتشــار خــارج هذه الطرق لتقليل الخسائر عند مواجهة الهجمات الجوية نظرا لنعومة الرمل وتهايله في معظم المناطق في شمال سيناء . . ولو كانت القيادة المصرية قد سبقت النظر وخططت لمواجهة تدفق الاحتياطات الصهيونية وقوافل تموينــها لتعطل وصول الوحدات المدرعة الصهيونية وقوافل التموين إلــى الجبهــة الصهيونية ولكانت النتيجة غيرها اليوم . . إذا قيســت الأمــور بالمقــاييس

العسكرية فقط ولم تمزج بمقاييس سياسية لا تعرف مداخلها من مخارجها ومن الغريب برغم اتقان خطة العبور بحساباتها الدقيقة وتوقيتاتها المتقنة وحساب كل شاردة وواردة . . إلا أن القيادة المصرية اهملت وضع الخطة الكفيلة بمواجهة تدفق القوات الاحتياطية الصهيونية لدعم الجبهة ولم يحدث أي تدخل مصري لعرقلة وصول قوات الاحتياط الصهيونية إلى جبهة القتال إلا برجال الصاعقة المصريين الذين نقلوا إلى عمق سيناء عن طريق السمتيات إذ أعدت وحدة من الصاعقة كانت تتكون من نحو ١٥٠ مقاتلا كمينا على الطريق الشمالي القادم من العريش عند مشارف رمانة التي تقع على مسافة ٢٠ كم من قناة السويس على اعتبار إنه المكان الذي تتم فيه عملية انزال الدبابات من فوق الناقلات لكي تنطلق منه على سرفها إلى مواقعها المحددة في الجبهة وفعلا تمكنت هذه القوة من تدمير دبابتين وعربة مدرعة وقتل ستة جنود صهاينة وجرح ١٤ وهاجمت كتيبة المقدم عساف ياجوري المدرعة . . كانت هذه العملية الانتحارية الجريئة التي كلفت رجال الصاعقة ٧٥ شهيدا وعددا من الجرحى هي العملية الوحيدة التي عطلت تقدم الاحتياطات الصهيونية إلى جبهة القتال لمدة معينة .

٤. حاجة العرب إلى الاتحاد السوفيتي وحاجته إليهم

ظهر من دراسة معركة العبور لنا ، أن لولا الجسر الجوي السوفياتي الذي تولى نقل المعدات والاعتدة والنقل البحري الذي دعم النقل الجوي لما حقق المصريون ذلك الانتصار العظيم وتم عبورهم لذلك المانع ذي التحصينات والعوائق التي سبق أن ذكرناها، لقد كان الاتحاد السوفياتي سخيا مع مصر وسورية برغم تصرفات السادات ووزير حربيته الاسبق الفريق صادق ، فالاخير دبر تفتيش الخبراء السوفيات الذين يذهبون بالاجازة سعيا وراء الذهب المهرب (كما ادعى زورا وبهتانا) اما الاول قرر طرد الخبراء السوفيات بعد مجيء الامير سلطان وزير الدفاع السعودي من الولايات المتحدة وزيارته مصر . . لقد كان قرار الطرد من الخطورة بمكان لأن السادات ملأ الدنيا ضجيجا إنه مقبل على تحرير الأرض ، ولأن السوفيات يسهمون اسهاما فعالا في مسؤولية الدفاع الجوي إذ كان لديهم لواءان

جويان وفرقة صواريخ أرض جو والعديد من وحدات الحرب الالكترونيـة . .
إن القرار لم يكن عفويا بل شاركت في اتخاذه عناصر في الداخل والخـــارج
وبرغم أن السادات يتهم الفريق صادق بانه عميل للملك فيصل ملك السعودية
إلا إنه كان أحد الذين شاركوا في اقناع السادات بطرد الخبراء السـوفيات . .
(ذكر ذلك الشاذلي في كتابه حرب تشرين الأول) .

وبدأت حرب ٦ تشرين الأول وبرهن الاتحاد السـوفياتي - إذا لـم يكـن الصديق المثالي ولكنه كان افضل صديق للعرب في الساحة العالمية . . حيث إنـه حتى الان وبرغم كل المحاولات الجادة من الدول العربيـة فـي تحييـد الموقـف الامريكي من الصراع العربي الصهيوني إلا انها فشلت ولم يظهر فـي الافـق أن امريكا قد ادركت مصالحها الحقيقية. . ولما كان السلاح الثقيل والمتطور تسـيطر على انتاجه القوتين العظميين . . . . وأن حرب تشرين الأول لم تنه الصراع بيـن العرب والكيان الصهيوني وامامهم جولات أخرى . . فالدرس الذي نستنبطه هـو حاجة مصر إلى افضل العلاقات مع الاتحاد السوفياتي وحاجته هـو أيضـا إلـى العلاقات الصادقة مع الأمة العربية.

ملحق

ملخص رأي لجنة اغرانات

رأينا من المفيد أن نورد ملحقا بملخص رأي اللجنة التي ألفتها الحكومة الصهيونية برآسة القاضي اغرانات لمعرفة اسباب التقصير الذي وقع في حرب تشرين الأول وأدى إلى فشل الهجوم الصهيوني المضاد ورأي بعض الجنرالات عن التقصير واسباب الفشل .

إن لجنة تقصي الحقائق التي أمرت الحكومة الصهيونية بتأليفها في اواخر نوفمبر ٧٣ برئاسة القاضي شمعون اغرانات رئيس المحكمة العليا ، لمعرفة اسباب التقصير الذي وقع في حرب تشرين الأول ، حملت في تقريرها صراحة الجنرال غونين قائد القيادة الجنوبية المسؤولية الرئيسة في هزيمة الثامن من تشرين الأول ، فقد ذكرت في تقريرها " أن الجنرال غونبن لم يعد خطة عمليات مفصلة ، ولم يهتم بارسال خطة العمليات إلى قادة فرقه ، ولم يتأكد من تجمع قواته واستعدادها على النحو المطلوب للقيام بمهماتها . ولم يكلف نفسه عناء الذهاب إلى مسرح العمليات لكي يطلع بنفسه على ما يحدث هناك ، وقد اتخذ قرارات حاسمة بتحريك الفرق المدرعة من قطاع إلى آخر بسرعة ، قبل أن يتأكد بشتى الوسائل مما إذا كانت المهمات قد انجزت كما حددها رئيس الاركان العامة له كشرط لتحريك هذه القوات من قطاع إلى آخر ، وقام بتغيير مهمات الفرق المدرعة عدة مرات فارضا عليها مهمات أخرى من دون توعية كل فرقة باوضاع قواتها وقوات العدو . وعمل بالتدريج على تقليص الهدف والوسيلة التي كلفه بها رئيس الاركان ، وذلك بتحمسه للعبور بسرعة من دون تهيئة الظروف الضرورية لمثل هذه العملية الخطيرة " ، ولقد ثبت أن غونين قد نجح في الحصول على تصديق الجنرال دافيد اليعازر على خططه عن طريق التقارير الخاطئة التي كان يرسلها إليه ، والتي صورت لرئيس الاركان وضعا يخالف ما كان واقعا بالفعل . وعندما وجه اللوم إلى رئيس الاركان لمنحه غونين التصديق على عبور قواته قناة السويس واحتلال مواقع في الضفة الغربية للقناة ، وكذلك على الأمر الذي

أصدره للجنرال شارون بالتحرك بفرقته جنوبا في اتجاه السويس للهجوم على الجيش الثالث ، بينما كان الموقف يستدعي تحريكه شمالا لنجدة الجنرال ادان وتدعيم هجومه ، سوّغ رئيس الاركان ذلك بانه قد تخلى عن الحذر الواجب نظرا لأن الجنرال غونين كان يعطيه بتقاريره وبياناته الانطباع بان كل شيء كان يجري على ما يرام . وقد اعترف الجنرال ابراهام ادان في كتابه " على ضفتي قناة السويس " الذي أصدره باللغة العبرية بعد الحرب ، بالأخطاء الشخصية التي ارتكبها خلال الهجوم المضاد الذي قامت به فرقته المدرعة يوم الاثنين ٨ اكتوبر فقال بصراحة تامة : " كانت اكبر اخطائي هو هجومي في اتجاه القناة ، لقد أحسست في الثامن من اكتوبر بضغوطهم عليّ بينما لم يكن يحدث مثل ذلك في الحروب السابقة ، ولم يكن أمامي مفر سوى أن استجيب ، لم أعرف أن الخطة المتفق عليها في اليوم السابق قد غيرت . وبينما كنت في حالة من التردد إذا بأوامر يوري بن آري (نائب غونين) تدفع بي للاقتراب بقواتي من القناة . واشترطت لهجومي على القناة ضرورة حصولي على معونة جوية ومساعدة من المدفعية وتدعيمي بكتيبة مدرعة من فرقة شارون . لست اتنصل من مسؤولية ما حاق بالفرقة المدرعة التي توليت قيادتها من فشل ، فقد كان الاسلوب القتالي للفرقة متخلفا ، وكان التنسيق والسيطرة من جانبي على قواتي غير كافيين ، وفي الهجوم الثاني لم أنجح في تدعيم لواء نيتكا حتى لا يهاجم العدو بمفرده ، وكان قادة ألويتي المدرعة على هذا الحال نفسه، فقد كانت سيطرتهم وتنسيقهم بين قواتهم غير كافيين، ولم يكن هناك مسوّغ ليدفعوا بنا للهجوم على مقربة من القناة في الوقت الذي كان علينا فيه أن ننتشر جنوبا ، لقد كان أساس الفشل اننا هاجمنا وحدنا بلا مشاة وبلا مساعدة سواء من المدفعية أم من الطيران ، لقد وعدنا غونين بالمساعدة الجوية ولكن اتضح لنا بعد ذلك أن المساعدة الجوية مبعثرة ومشتتة في كل مكان ، فمن بين عشرات الطلعات التي قامت بها طائراتنا لمساعدة القوات الارضية لم تقم إلا باربع وعشرين طلعة فقط على قطاع الفردان " وقد سجل الجنرال ادان – إضافة إلى اعترافه بأخطائه الشخصية – مسؤولية قادة الفرق الآخرين في وقوع الهزيمة ، وركز بالذات على دور الجنرال شارون في هزيمة الثامن من تشرين الأول ، فقال: " إن قادة الفرق لا يمكن أن ينفضوا عن كاهلهم غبار المسؤولية بدعوى أنهم قد تلقوا اوامر . لقد تلقى شارون على سبيل

المثال امرا من غونين بمغادرة قطاعه ، ولكن تصرفه كقائد عسكري يثير العجب . فقد أصدر لقادة ألويته أوامره بالتحرك في اتجاه الجنوب من دون أن يـترك أيـة قوات لحماية القطاع الذي كان يحتله برغم نشاط العدو في مواجهته ، مما جعـل قطاعه خاليا وكان معرضا لأن يحتله المصريون . وقبل تحرك شارون بفرقته لـم يوضح حقيقة الموقف للجنرال غونين ، ولا استطيع أن اغفل حقيقة مهمة ، وهـي أن هناك عنصرا حيويا وحاسما من شأنه أن يضعف أو يقوي القوات المجـاورة ، وأن لاوجه اقسى النقد لشارون لرفضه التنازل عن كتيبة مدرعة لتدعيـم قواتـي القائمة بالهجوم في قطاع الفردان ، وكذلك لرفضه بعد أن تلقى أمر غونين بالعودة إلى قطاعه ، الاسراع لتدعيم هجومي والاشتراك معي بفرقته ، مما أدى بي إلـى الفشل ، كذلك من الواجب أن أذكر أن عدم السيطرة والتنسيق قـد لوحظـا علـى جميع مستويات القيادة ، وتمثل ذلك في ابشع صوره عندما عادت فرقة شـارون من الجنوب إلى القطاع الاوسط الذي تركته ، لم نعرف اطلاقا أن شارون قد عـاد ثانية ، مما تسبب في أن وحدات من الفرقتين أطلقت على بعضها النيران اعتقـادا منها إنها تطلق النار على العدو .

هذا وقد رد الجنرال أدان في كتابه على الانتقادات العنيفة التي وجهها لـه الجنرال غونين واتهامه إياه بأنه كان السبب في هزيمة ٨ تشرين الأول بقوله :

" حاول غونين القاء تهمة ما حدث من فشل علـى شـخصي فـادعى أن أوامره كانت منطقية وقابلة للتنفيذ ، وانني لو كنت قد قمـت بالـهجوم بطريقـة مركزة من الشمال إلى الجنوب بدلا من الشرق إلى الغرب ، لكنت قد حطمت بذلـك الجناح الايسر للعدو . لقد كان الهجوم بهذه الطريقة منطقيا ما دمنا لا نقترب مـن منطقة البطاريات والمصاطب غرب القناة ، ولكن منذ اللحظة التـي ضغـط علـى غونين للاقتراب من خط القناة والعبور من الشرق إلى الغـرب لاحتـلال مواقـع بالضفة الغربية للقناة ، اضطررت إلى الهجوم بالطبع من الشرق إلى الغرب ، كمـا أن الهجوم من الشمال إلى الجنوب بالقرب من القناة معناه تعريض جناح قواتـي الايمن للعدو الذي يملك بطاريات مضادة ومصاطب معدة غرب القناة لتطلق منـها الدبابات نيرانها . ولكي تنطلق منها الصواريخ المضادة للدبابات سواء ذات المدى القصير أم البعيد ، في الوقت الذي تهيء فيه القناة - بحكم إنـها عـائق مـائي ضخم- وقاية وحماية للعدو من خطر انقضاضي وهجومي عليه . وبالنسبة لادعاء

غونين قيامي بحشد القوات وتركيز الهجوم المضاد فانه هو شخصيا الـــذي قـام بالدور الرئيس في ارتكاب هذا الخطأ . فعندما بحثنا في مساء يوم ٧ تشرين الأول الاحتمالات المختلفة للهجوم المضاد الذي سنقوم به في اليوم التالي ، وتقدم البرت ماندلر باقتراحه بشن هجوم مركز في قطاع ضيق بفرقتين مدرعتين تمهيدا للعبور إلى الضفة الغربية رفض هذا الاقتراح . وما دام غونين قد قرر أن يكون الـــهجوم المضاد بفرقة واحدة فقط ، فلماذا لم يسند هذه المهمة إلى فرقة شـــارون ؟ لقـد كانت فرقته منتشرة بالقطاع الاوسط ، وكان قد خطط واستعد للعملية مـــن قبـل . فلماذا يأتي غونين بفرقة أخرى من مسافة بعيدة للقيام بعمل لم تستعد لــــه ؟ وإذا كانت المهمة قد أوكلت برغم الظروف إلى فرقتي ، فلماذا أصدر غونين الأمر إلـــى شارون بالتحرك من قطاعه إلى الجنوب قبل أن ابدأ هجومـــي الرئيـــس ، وبذلـك كشف قطاعي في الوقت الذي ضغط علي فيه للتقدم بقواتي على وجه السرعة إلى الجنوب ؟ وفي وجه كل هذه الاخطاء كان من الطبعي أن ينتـــهي هجـــوم فرقتـــي بالفشل الذريع ، لقد خرجنا من الثامن من تشرين الأول بدرس مهم مفيد ، هـو أن من السابق لأوانه التفكير في القيام بهجوم مضاد على القناة والعبور إلى الضفـــة الغربية ، لقد كان الهدف من الهجوم هو ضرورة انتزاع المبادأة بسرعة من ايـدي المصريين . وارباك وأضعاف صفوفهم ، ووقف تقدمهم واسترداد اكـــبر اجـزاء ممكنة من الأرض التي اخليناها، ولو كنا قد علمنا بأمر الوقفة العملياتيـــة التـي تضمنتها خطة القيادة المصرية عقب النجاح الذي أحرزته قواتها في انشاء منطقة رؤوس الجسور ، لكنا قد فضلنا بلا شك الانتظار إلـــى أن يتـم تجميـع القـوات الاحتياطية وتنظيمها وتزويدها بمعدات العبور ، ولكننا للأسف لم نعلم ذلك .

الفصل الخامس

الأمـــــن

قناة السويس ، تشرين الأول ١٩٧٣

عن الكتاب المرجعي للجيش البريطاني

ARMY FIELD MANUAL
VOLUMEI
PART I
THE APPLICATION OF FORCE

الخلفية السياسية

بعد انتصاره في حرب حزيران ١٩٧٣ صمم (الكيان الصـــهيوني) علـــى الاحتفاظ بمكاسبه في سيناء وقطاع غزة والضفة الغربيـــة والقـدس ومرتفعـات الجولان حتى يتم التوصل إلى تسوية مع جيرانه العرب لحماية حـــدوده الراهنـــة وللحصول على الاعتراف العربي . . لقد واجهته عندئذ حــيرة ، إذ أن الاحتفـــاظ بحدود عام ١٩٦٧ يتطلب اجراءات امنية جدية يمكن تنفيذها لكن علـــى حسـاب السلام في حين أن الانسحاب كمبدأ مقبول دوليا لم يكـــن مقبــولا علـــى الصعيـد الداخلي . .

كما أن ناصرا كان في حيرة هو الآخر وبصفته المدافع الرئيس عن الكرامة العربية ، فقد كان مدفوعا بقوى الرأي العام الغربي ومموليه العرب بـــأن يطلـب انسحابا صهيونيا (كاملا) من الأراضي العربية وبأن يطالب (بالحقوق الشرعية) للاجئين الفلسطينيين وبعدم الاستسلام . وعندما لم يكن قادرا علـــى القتـال بعـد اندحار عام ١٩٦٧ ، فانه قد اتخذ ستراتيجية دفاع طويلة الامد ، لكن ليس إلى ما لا نهاية ، حيث لم يكن ليستطيع السيطرة على شعبه عند ذلك . . وهكذا فقد كـان مضطرا إلى القبول بالدفاع في الوقت الذي انهمك فيه بإعادة تجهيز وتدريب قواته قبل أن يتخذ ستراتيجية أكثر تعرضا وهي التي عرفت بحرب الاستنزاف ١٩٦٩ - ١٩٧٠ .

لقد وافق الروس فورا على تأمين المعدات ومن ضمنها منظومات صواريخ الدفاع الجوي (سام) [١] لحماية قواعد القوة الجوية المصرية لمنع تكــرار مـا سبق حصوله عام ١٩٦٧ وقد كان ثمن هذه المساعدة هو التســهيلات البحريـة المصرية والسورية (التي قدمت للسوفيت) . واذ وافق كل من نـــاصر والاسـد على ذلك لشعورهما بأن وجود الاسطول السوفيتي الخـامس [٢] سـيحبط تــأثير الاسطول الامريكي السادس .

---

[١] يعني مختصر SAM – صواريخ سطح – جو Surface to Air Missiles . (المترجم)

[٢] هو اسطول البحر الاسود الروسي الذي توجد قيادته وقاعدته الرئيسة في اوديسا وسيفاستوبول وقـد تم تقسيمه الآن بين روسيا واوكرانيا. (المترجم)

لقد كانت حرب الاستنزاف فشلا من وجهة النظر المصرية ، وعندما توفي ناصر في تشرين الثاني ١٩٧٠ [1] عاشت مصر فترة من عدم اليقين قبل أن يحطم السادات الجماعة اليسارية المتطرفة الموالية للسوفيت تحت قيادة علي صبري ليصبح بعدها في الربيع اللاحق قائدا لمصر بلا منازع لقد كان السادات حريصا على اشعار السوفيت في وقت مبكر بأن ازاحة مؤيديهم لن يعني انعطافا عن تحالفه معهم . وقد تم لذلك عقد معاهدة صداقة وتعاون بين البلدين امدها خمسة عشر عاما..

الأهداف الحربية لمصر

كان السادات بحاجة إلى حلف ذي أهداف يمكن بلوغها واسلحة لأجل أن يخوض حرباً ناجحة . لقد قرر بأن الاردن لا يتوفر على منظومة دفاع جوي كافية وبان الملك حسين قد لا يتمكن من قبول مجازفة قد تطيح بعرشه فيما لو تدخل مباشرة ، ومع ذلك فقد أمل أن يحصل على نيات الملك حسين الحسنة من دون أن يزجه في التخطيط السري للحرب ، وبأن يعبئ سورية إلى جانب مصر في مهاجمة عدوهما المشترك . لقد فقدت كل من مصر وسورية اراضيهما في عام ١٩٦٧ لكن اهدافهما كانت مختلفة الان ، ذلك لأن مصر قد قبلت بقرار مجلس الأمن ٢٤٢ في حين أن سورية لم تقبل به . . وأن مصر كانت جاهزة للتسوية على أساس إعادة الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، في حين أن سورية مثلها كمثل منظمة التحرير الفلسطينية التي تؤويها ، تهدف وبشكل لا واقعي لتدمير (الكيان الصهيوني) .

نجح السادات في اقناع الاسد بأن يقبل اهدافا أكثر محدودية وهو الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ و(تسوية عادلة) لقضية اللاجئين والاعتراف بكيان فلسطيني . ولقد كانت وسائلهما لذلك هي إعادة السيطرة على الجولان والشاطئ الشرقي لقناة السويس كعرض لتصميمهما للحصول على

---

[1] هذا ليس بصحيح ، إذ أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد انتقل إلى جوار ربه في ٢٨ ايلول ١٩٧٠ رحمه الله . (المترجم)

التعاطف الدولي وبفرض حظر نفطي يؤذي اوربا بشكل كاف لاجبار حكوماتها لاقناع اميركا لاجبار (الكيان الصهيوني) على القبول بتسوية .

إن مثل هذه الأهداف المحدودة لا تكون تهديدا للمصالح الحيوية (الصهيونية) كما أن ليس من المحتمل أن تثير ردا نوويا الذي يخشى العرب أن (الكيان الصهيوني) قد تكون توفر عليه . .

حصلت مصر وسورية على اسلحة اضافية كمكافأة على تمديد الاتفاقية البحرية المصرية السوفيتية ، حصلت مصر على بعض طائرات TU22 [١] وصواريخ Scud [٢] وذلك في شهر نيسان ١٩٧٣ ، في حين حصلت سورية على صواريخ (فروغ) [٣] في تموز ومع ذلك ولأجل تحقيق الأمن فقد اقدم البلدان على انشاء اكثف جدار صاروخي في العالم من منظومة صواريخ (سام ٢ و ٣ و٦ وهي صواريخ فولغا وبيجورا وستريلا السوفيتية) (المترجم) ؛ لحماية عاصمتيهما ومدنهما الرئيسة ، ولحماية مرتفعات الجولان وكلا شاطئي قناة السويس.

أمّن خليط من صواريخ الدفاع الجوي (سام - ٧) ومنظومة مدفعية م / ط الموجهة زد اس يو- ٢٣- ٤ (شيلكا) حماية كبيرة ضد الطائرات في منطقة القتال الامامية ، كما قام الطرفان بتقوية مطاراتهما لمنع إعادة ما تم أثناء كارثة حزيران ١٩٦٧ . لقد أُعير اهتمام خاص لتدريب القوات العربية وبالاخص ضباطها الأحداث . حيث تم تجنيد ضباط الصنف المدرع المصري من خريجي الاختصاصات العلمية بغض النظر عن تأثير ذلك في الاقتصاد . . .

أوضح السادات في الرابع والعشرين من شهر تشرين الأول ١٩٧٢ هدفه بتحقيق السيطرة على الشاطئ الشرقي للقناة (شاطئ سيناء) كموقف مساومة وقد قدم ذلك إلى مجلس الحرب الاعلى للقوات المسلحة المصرية ، وعندما شكا الفريق صادق (الفريق أ ح محمد احمد صادق وزير الحربية المصري في حينه

---

[١] هي الطائرات القاصفة الستراتيجية السوفيتية من طراز توبيلوف .

[٢] وهو المعروف بالترميز السوفيتي بالصاروخ R - 17 لونا (المترجم) .

[٣] وهو الصاروخ التعبوي السوفيتي المعروف باسم

(المترجم)) ، بانه يعاني نقصا في المعدات بدّله بالفريق احمد اسماعيل وأصبح الفريق الشاذلي رئيسا للاركان العامة والفريق الجمصي (*) مديرا للعمليات .

لقد كان الفريق احمد اسماعيل ضابط مشاة حذر وبطيء الفعل [1] ، وبرغم إنه لا يتمتع بالذكاء كما إنه ضيق الافق نوعا ما ، إلا إنه كان ذا ضمير حي ويتصف بالتصميم وغير ذي ميول سياسية قطعيا . لقد كان هو الرجل المطلوب لعملية محدودة ذات ابعاد واضحة . في حين كان الفريق الشاذلي رجل مظلات يتمتع بخبرة التملص من الاسر ، حيث تمكن من الهرب من سيناء مع قسم من لوائه في هزيمة عام ١٩٦٧ ، لقد سبق وعمل ملحقا عسكريا في لندن وعمل كذلك مع قوات الأمم المتحدة في الكونغو . وقد كان هناك مع احمد اسماعيل الذي فتشه وقد قابل الشاذلي ذلك بامتعاض . . واخيرا فقد خرج الرجلان . . أما الفريق الجمصي فقد كان قادرا وكفءاً وهادئا وذكيا . . لقد كان في واقع الحال متفوقا بحيث إنه يمثل الفعل الذكي في القيادة العليا . .

خطط الحرب المصرية

عندما قدم الفريق احمد اسماعيل خططه لتقدير الموقف إلى وزير الدفاع السوري الفريق مصطفى طلاس في شباط ١٩٧٣ لخص ما يراه منها نقاط قوة وضعف (الكيان الصهيوني) بما يلي :

١. نقاط القوة

أ. الفائقية الجوية .

ب. القابلية التقنية .

ج. مستوى التدريب العالي .

د. امدادات مضمونة من السلاح من الولايات المتحدة الامريكية .

---

* وهو الفريق الركن محمد عبد الغني الجمسي مدير عمليات القوات المسلحة المصرية والعقل التخطيطي المدبر لعملية العبور وواحد من أفضل ضباط الركن العرب (المترجم).

[1] آثرنا هذه الترجمة لكلمة Stolid التي تعني حرفيا بطيء الفهم ومتبلداً كما جاء في الاصل (المترجم) .

٢. نقاط الضعف

أ . طول خط المواصلات من الداخل وحتى جبهات قناة السويس ومرتفعات الجولان .

ب. التردد في قبول الخسائر البشرية العالية في عدد صغير من السكان (كما هو الحال في الكيان الصهيوني) .

ج. عدم القدرة على خوض حرب طويلة .

د. الغرور .

وبأخذ المبادأة فقد راهن الفريق احمد اسماعيل على تحقيق درجة عالية من المباغتة لتحقيق اهدافه المحدودة وترصينها والحفاظ عليها قبل أن يتمكن (الصهاينة) من الرد.

إن هجوما متزامنا على جبهتين سيمنع (الصهاينة) من التركيز أولا على أحد الحليفين ثم الاستدارة للثاني كما فعلوا في عام ١٩٦٧ .

لقد كانت التوقيتات مهمة جدا ، فقد كان الهدف الاصعب الذي واجه المصريين على قناة السويس . لقد كانت هنالك تيارات تسري في القناة من الجنوب إلى الشمال لتعوض عن الماء الذي يفقده البحر المتوسط بالتبخر . ويكون هذا التيار قويا خصوصا أثناء موجة المد . . إذ أن هنالك تياراً ضعيفاً يتواجد بين أدنى مد واعلى جزر وبين اعلى مد وأدنى جزر وقد كانت هذه الفترة حيوية ومفضلة للمصريين لتنفيذ صولة العبور اثناءها وكذلك لانشاء ونصب العبارات الروسية وجسور البونتونات . . كما كانت الحاجة ماسة إلى قدر كاف من ضوء النهار لاتمام عبور قدمات الصولة عبر القناة بسرعة في مواجهة مقاومة خفيفة نسبيا .

لقد كان ضوء القمر مهما للمساعدة على بناء الجسور في النصف الأول من الليل وكانت العتمة مرغوبا فيها لاخفاء عملية عبور عجلات فرق الصولة المعقبة والدروع ، كما كانت الفترة غير المغطاة برصد القمر الصناعي (الساتل) الامريكي مهمة ، كما كانت الحاجة ضرورية إلى خطة مخادعة جيدة لادامة الكتمان وللحصول على المباغتة .. لقد كانت هذه هي اساسيات عملية بدر .

كانت التوقيتات الوحيدة الملائمة لعمل كهذا تقع في أشـــهر ايـــار وايلـــول واوائل تشرين الأول ، ولم تكن مصر ولا سورية قادرتين على استيعاب تسليحهما الحديث بحلول ايار ١٩٧٣ لتنفيذ هجومهما ، ولهذا فقد تم أخذ التوقيتين الآخريـن بالحسبان خلال المؤتمر التنسيقي الرئيس الأخير المنعقد فـــي ٢٢ آب ٧٣ وعلـى الأساس التالي:

٧ - ١١ ايلول

٥ - ١٠ تشرين الأول

كانت هيئة الركن بحاجة إلى انذار قبل خمسة عشر يوما (من بداية العملية) لاستكمال عملية الانفتاح ولهذا فقد تم غض النظـر عـن شـهر ايلـول . . أمـا السوريون فقد كانوا بحاجة إلى خمسة أيام لافراغ مصافي حمص . . وهكذا فقـد اختار المصريون يوم ٦ تشرين الأول كيوم (ي) [١] وتم القرار من قبلهم علـى هذا التوقيت يوم ٢١ ايلول ٧٣ وابلغوا السوريين به في اليوم التالي . . لم يتمكـن السوريون لاسباب لم يتم اعلانها بعد ، من افـراغ مصـافي حمـص (بـالموعد المحدد).. اختار المصريون الساعة ١٨٠٠ كساعة (س) [٢] حيث أن بإمكانـهم اجتياز وعبور القناة والشمس وراء ظهورهم . وعندما اعترض السـوريون بـأن الشمس ستكون في وجوههم عند الهجوم اتفق الطرفان الحليفـان علـى تحديـد الساعة ١٤٠٠ من يوم ٦ تشرين الأول كساعة (س) . . .

غاية (الكيان الصهيوني) الحربية

هدف (الصهاينة) في حالة قيام الحرب إلى ايقاع هزيمة قاسية بالعرب إلى الحد الذي يردعهم عن أية هجمات مستقبلية ، وذلك من أجل ادامة وحماية حـدود الأمن التي استولوا عليها في عام ١٩٦٧ ، ومن أجل الحصول على اعتراف منـهم (بالدولة الصهيونية) ، وكذلك فقد كان لزاما على (الصهاينة) تحقيق الحسم قبـل قيام الدول العظمى بفرض وقف اطلاق النار ولهذا فقد كان احتلال أراضٍ اضافيـة إن امكن هدفا لاغراض المساومة . .

---

[١] يوم (ي) (D Day) مصطلح عسكري يعني يوم بداية العملية العسكرية المعنية (المترجم).

[٢] ساعة (س) هي ساعة الصفر للحركة (H Hour) . (المترجم) .

الدفاع عن قناة السويس (معضلة أمنية)

من وجهة النظر العسكرية ، كان على (الصهاينة) أن يستخدموا حجابات متحركة لمراقبة قناة السويس وأن يحتفظوا بدروعهم بعيدا إلى الخلف كاحتياط جاهز للقيام بهجوم مقابل فور أن يتمكن المصريون من اجتياز الموانع فيما وراء الخطوط التي تتيحها لهم مظلة الدفاع الجوي وحجابات مقاومة الدروع التي تفرضها مقذوفات وصواريخ م / د ب الموجهة من غرب قناة السويس ، ومع ذلك فإن المطالب السياسية التي كانت ترمي إلى منع المصريين من ايجاد مواطئ قدم والاحتفاظ به على أرض سيناء مهما كان صغيرا حتمت نمطا دفاعيا إلى الأمام على خط المياه .. وكانت نتيجة هذا تحمل عقوبات عسكرية قاسية .

أعطى رئيس الاركان (الصهيوني) الاسبق بارليف اسمه إلى منظومة دفاعية مع إنها لم تكن مجرد خط دفاعي خطي ، إذ إنها كانت منظومة من المواقع المحصنة على طول الشاطئ الشرقي للقناة منحت (الصهاينة) امكانية مراقبة خط الموانع على الماء وما وراء ذلك إلى أن قام المصريون ببناء ساتر ترابي على الضفة الغربية للقناة .

تم مسك كل من المواقع في غرب القناة بحامية مؤلفة من نصف فصيل يتم تبديله دوريا ، وكانت هذه القوة تضاعف في اوقات الطوارئ . وضعت قوة من ثلاث دبابات [1] (لاسناد كل من هذه المواقع من دكات رمي كانت توفر الرمي المباشر عبر القناة ، كما أُنشئت على خط المرتفعات الرملية الأول الواقع على خط يبعد ٥ - ٨ كم خلف القناة مواقع محصنة ممسوكة بسرية مشاة لكل منها في وضع الانذار . وتم وضع احتياطات مدرعة صغيرة خلف خط المرتفعات المذكور وكانت هذه الاحتياطات جاهزة للحركة إلى الأمام إلى مواقع رمي تقع على بعد ٥٠٠ - ٨٠٠ متر من القناة لاسناد المواقع الشاطئية ولستر الثغرات .

أنشئ طريق للمدفعية خلف خط المرتفعات لتستخدمه المدافع ولتوجيه الاحتياطات إلى خط الجبهة ، كما وأُنشئ طريق آخر على الطوار على بعد ١٦ إلى

---

[1] قوة تعادل رعيل دبابات (المترجم) .

٢٤ كم [١] إلى الخلف كجزء من شبكة المواصلات لتحريك الاحتياطـــات الرئيســة والامدادات عبر الرمال الدقيقة .

وكانت هنالك مواقع أخرى إلى الخلف من هذه الشبكة حيث تـــم اختيارهــا لحماية الممرات عبر التلال الغربية وهي ممرات الختمية ومتلا والجدي وستر حيث يمكن مسكها باحتياطات الوية المشاة عند حالة النفير . .

لقد كان موقع القيادة الرئيس لفرقة سيناء ومنطقتها الادارية تقع فـــي بــير (جفجافة) (رفيد يم) في وسط شبه الجزيرة حيث كان محميا بالتلال الغربية . وتم بناء اربعة مواقع قيادة محمية لمقرات فــرق علــى طــول طريــق الطــوارى[*] (المحيطي). كان مقر القيادة الجنوبي السلمي يقع في بئر السبع في النقب في حين تم انشاء الموقع المتقدم في أم خشبة وهو موقع جيد للرصد وللاتصالات اللاسلكية يقع على المرتفعات الغربية قرب ممر الجدي . . وهكذا ففي حيــن أن المنظومــة بكاملها كانت تؤمن مرونة دفاعية وقابلية حركــة ، إلا أن الاعتبــارات السياســية المتعلقة بامن الحدود المتنازع عليها أوصلت الموقف إلــى حالــة الجمــود التــي سيستغلها المصريون .

كان اللواء (الجنرال) البرت مندلر (من بين القادة الصهاينة في الجنوب) هو الذي تولى قيادة فرقة سيناء . وفي عام ١٩٦٧ كان قد قاد لواءه المدرع فــي هجمة حاسمة تمخض عنها كسر الدفاعات السورية في الجولان وخرقها . وقد كان اللواء مندلر يُعدّ واحدا من افضل قادة الدروع الصهاينة إذا مـــا اقررنــا بخبرتــه المهنية وجرأته وتهوره مع طبعه الاقترابي . أما القائد العام للقيادة الجنوبية فقــد كان اللواء شموئيل غونين الذي هو واحد من ضباط الصنف المدرع وهو رجــل ذو مستوى مهني عال جدا وذو شخصية خشنة، لقد كان اسلوبيا وعنودا وغــــير ذي شعبية . أما آمر اللواء الذي تحمل الصولة المصرية الأساسية فقد كـــان امنــون ريشيف – وهو ضابط طويل – هادئاً مهنياً حتى العظم محبوب ذا شخصية جذابــة تشع بالهدوء المنبعث من الثقة .

---

[١] في الاصل ١٠ إلى ١٥ ميلا (المترجم) .

[*] الطريق الطوارى هو الطريق الذي يسير بمحاذاة النطاق الخارجي للموضع الدفاعي أي على الطوار وقــد ورد في الاصل (Littoral Road) (المترجم).

قضية استخباراتية

ربما كانت المباغتة السوقية (الستراتيجية) التي حققها المصريون والسوريون في هجومهم الابتدائي المظهر الأكثر امتيازا في هذه الحرب . لقد كانت هذه المباغتة ثمرة عملية مخادعة منظمة وتفصيلية وأمن ممتاز من الجانب العربي وسبباً للوقوع ضحية للأفكار المسبقة من جانب (الصهاينة) .

لقد كان فرع الاستخبارات العسكرية (الصهيوني) بقيادة اللواء ياريف ذي خبرة محسود عليها ، وقد نشر اهتماماته في الحقول الاستخباراتية السياسية والاقتصادية والتي هي أكثر ملائمة لجهاز الموساد الذي فقد تأثيره تدريجيا لصالح فرع الاستخبارات العسكرية (الصهيوني) .

وكان أن اعلن فرع الاستخبارات العسكرية الصهيوني متباهيا بقدرته على قراءة العقل العربي . . تم تبديل اللواء ياريف بمعاونه اللواء تسفي زعيرا قبل ستة أشهر من حرب الغفران [1] وهو رجل لا يتمتع بالمرونة . ولا يغير آراءه عندما يقرر عقله على شيء ما .

توصلت الاستخبارات العسكرية (الصهيونية) إلى قناعة لنفسها مفادها إن سورية لن تتحرك (هجوميا) من دون مصر ، وإن مصر من جانبها ليست قادرة على الهجوم حتى تمتلك قوتها الجوية قابلية العمل المؤثرة بالمديات المتوسطة . وقد كانت هنالك قناعة أخرى بأن مثل هذه القوة لا يمكن اعدادها وتدريبها قبل عام ١٩٧٥ وبناء على ذلك تم الافتراض بانه ليس بالامكان شن الحرب (من قبل العرب) قبل هذا الموعد.

ومن جانبه فانه لم يكن بمقدور السادات الانتظار كل هذا الوقت لاسباب سياسية ولهذا فإن المصريين قد راهنوا على صواريخ سكود [2] (السوفيتية) في حين اشترى السوريون صواريخ فروغ Frog [3] السوفيتية وهنا فشلت الاستخبارات (الصهيونية) في ادراك مغزى الامداد بهذه الاسلحة في شهر نيسان

---

[1] حرب الغفران أو حرب يوم الكفارة (Yom kippur) هو الاسم الذي يطلقه الصهاينة والمصادر الغربية على حرب رمضان (تشرين الأول ٧٣) (المترجم) .

[2] هي صواريخ اللونا R - 17 السوفيتية (المترجم) .

[3] وهي صواريخ تعبوية اقصر مدى من صواريخ السكود (المترجم) .

من عام ١٩٧٣ . وضع الصهاينة الكثير من يقينهم وثقتهم (بالحدود الرادعـــة) التي استولوا عليها عام ١٩٦٧. لقد افترضوا بأن العرب سيقدرون بأن صولتـــهم وهجومهم (على الصهاينة) سيكون مكلفا جدا ، ولكن المصريين والسوريين كانوا قد استكملوا تحشيد قوات كافية في قواطع العمليات مما سيجعل التحشد لاغـــراض التعرض أكثر سهولة واقل قابلية للانكشاف . لقد كان هنالك العديد مـــن اشـــارات التحذير الصغيرة وثلاثة مؤشرات مثيرة للذعر بين شـــهري كـــانون الأول ١٩٧٣ وايار ١٩٧٣ ، ففي كل من المؤشرات الكبرى قام المصريون بتحريك قســـم مـــن احتياطهم ومعدات التجسير الخاصة بهم إلى القنال ، كما قاموا بتهيئة اماكن العبور فضلاً على قيامهم بتحشـــيد الدبابـــات والمدفعيـــة والاشـــخاص . وقـــد اعتـــادت الاستخبارات (الصهيونية) هذا النمط من التحشد والانفتاح . اعتمد (الصهاينـــة) على خبرتهم في الحصول على انذار مبكر وبان قوتهم الجوية وجيشـــهم الصغـــير قادران على الصمود في الجبهة لحين اكمالهم النفير ، وكان ايمانهم بهذا المفـــهوم قد جعل هيئة ركن الاستخبارات تهمل كل هذه المؤشرات ، ومع ذلك فـــإن رئيـــس هيئة الاركان العامة الفريق دايفيد اليعازر قد أخذ مؤشر ايار ٧٣ على محمل الجـــد إلى الحد الذي حدا به محاولة اقناع مجلس الوزراء (الصهيوني) لاعـــلان نفـــير جزئي . . ولكن عملية النفير مكلفة ماديا ومربكة للاقتصاد ، كمـــا إنـــها مثـــيرة واستفزازية من الناحية السياسية . وعندما لم يحصل شيء (بعد هذه المحاولـــة) قلّ شأن رئيس الاركان العامة في أعين مجلس الوزراء وبالاخص لدى موشي ديان وزير الدفاع وهو الرجل الذي عين زعيرا مديرا للاستخبارات .

وفي منتصف عام ١٩٧٣ شعر الامريكيون بعملية (بـــدر) ولكـــن يبـــدو وكأنهم لم يأخذوها على محمل الجد . وقد كان مستوى الأمن على الجانب العربـــي جيدا (بغض النظر عن هذه الهفوة) [1] وكذلك كانت خطة المخادعة العربيـــة . . انتشرت الشكوك بشأن كفاءة منظومة صواريخ الدفاع الجوي (سام) وتم تشـــجيع الشاعات عن عدم وحدة الموقف العربي والحساسيات مع الاتحاد السوفيتي . وعلى الرغم من أن السادات لم يكن مقتنعا بكفاءة النفط كسلاح حتى يسيل الدم العربـــي ، إلا أن العرب قد هددوا باستخدامه طيلة الوقت بحيث شعرت الحكومات والشـــركات

---

[1] يعني اتضاح مؤشرات عملية التحشد المصرية في ايار / ٧٣ (المترجم) .

النفطية بقلق بالغ ازاء ذلك وكان يبدو وكأن العرب قد ركــزوا علــى الضغوطــات السياسية والاقتصادية وقد زاد من مصداقية ذلك البيانات والتصريحات الدبلوماسية في الأمم المتحدة وفي اماكن أخرى . . .

لقد كان المصريون قادرين على قلب علاقاتهم واتصالاتهم بالولايات المتحدة إلى الافضل ، فقد عينوا فريقا امريكيا لتقديم المشورة بشأن مدى ملائمـــة عبــور مقابل للقنال ، وعندما قدم الفريق الامريكي رأيا ليــس بصــالح العبــور ، ســمح المصريون بتسريب هذه المعلومة إلى الاستخبارات (الصهيونيـــة) ، كمــا قــام المصريون بتغطية اعلامية واسعة لقيام الامريكيين بالحصول على عقــد مقاولــة لانشاء خط انابيب نفطي من السويس إلى البحر المتوسط [1] ، وهي منطقة قريبــة من منطقة الحرب المتوقعة.

العد التنازلي للحرب

أقلعت الطائرات السورية يوم الثالث عشر من شهر ايلــول ١٩٧٣ للقيــام بمقاطعة طائرات استطلاعية (الصهيونية) كانت تهدف تصوير السفن الروســية القادمة إلى اللاذقية ، وفي معركة تمت مع ستارة الحماية الجوية (الصهيونيــة) تم اسقاط ثلاث عشرة طائرة سورية مقابل طائرة (صهيونية) واحــدة . . وقــد افصح السوريون عن نيتهم بالتحضير لمواجهة عدوان محتمل ممــا أمّــن لــهم فرصة لتغطية خطتهم بالتحشد على الجولان . ومع ذلك فقد كــان هــذا التحشــد واسعا جدا مما حدا بموشي ديان بتوجيه اللواء المدرع السابع (رومــاني) إلــى الجولان في نهاية الشهر.. أما المصريون فقد نفذوا تحشدهم تحت غطاء تمريــن (تحرير ٧٣) وهي المناورات الخريفية السنوية ، حيث تــم اســتدعاء وجبــات الاحتياط كافة مع نهاية شهر ايلول ١٩٧٣ مع وعد بتسريحهم يوم الثــامن مــن تشرين الأول ٧٣ . . استمرت الفعاليات على شاطئ القنال بالمستوى الاعتيــادي الطبيعي قدر الامكان ، وعلى الرغم من رفع الالغام وفتح الطرق والممــرات فــي بعض المناطق واغلقت في المناطق الأخرى وبنمط بدا وكأنه عشوائي . . تم جلب الوحدات إلى ما وراء القنال ليلا وارسلت نقليتها إلى الخلف في اليوم التالي . لــم

---

[1] هو الذي أصبح يعرف بسوميد فيما بعد (المترجم) .

يتم ايجاز القطعات (المنفذة) إلا في صباح اليوم التالي . . وكان تنفيذ تمرين خلال رمضان امرا ليس بالطبيعي حيث يتحاشى المسلمون عادة الفعاليات العنيفة والشاقة ، ولكن ذلك مرّ من دون أن يجلب اهتمام وملاحظة الاستخبارات (الصهيونية) وعلى أية حال وكأحتياط روتيني ، فإن فرقة سيناء (الصهيونية) كانت تنذر إلى درجة الاستعداد الأولي في تمارين الخريف وتم ذلك في الأول من تشرين الأول ٧٣ ، وفي اليوم نفسه قام أحد الملازمين اولين في هيئة ركن الاستخبارات للمنطقة الجنوبية بابلاغ قيادته بأن هجوما (مصريا) محققا سيحدث بعد اجرائه تحليلاً دقيقاً . . ونظرا لأن خلاصاته لم تكن تلائم (المفهوم [١]) فقد تم رفض هذا التحذير . قام اللواء غونين القائد العام للجبهة الجنوبية بزيارة خط بارليف وقد أمر باعلى درجات الاستعداد ومراجعة عملية (شوفاخ يونيم) وهي الخطة المعدة لمقاومة هجوم مصري في سيناء بالقوات الموجودة في المكان . . وصلت الانباء عن زيارة مساء اليوم نفسه مما أثار بعض القلق .

وفي اليوم التالي ، الثالث من تشرين الأول ٧٣ قامت الاهرام وهي الصحيفة اليومية الرئيسة في مصر ، بالاشارة إلى أن القائد العام (المصري) قد أمر بفتح سجل للراغبين من الضباط في أداء العمرة في مكة المكرمة ، كما اعلنت عن مقابلة ستتم بين المشير احمد اسماعيل ووزير الدفاع الروماني في الثامن من تشرين الأول ٧٣ ، كما واشارت اخيرا إلى حركة اللواء المدرع السابع (روماني)[٢] إلى الجولان متهمة (الصهاينة) بالقيام بعمليات استفزازية .

وفي مقر القيادة الجنوبية أعد ضابط الاستخبارات (المشار إليه آنفا) باصرار تقريراً آخر تم اهماله هو الآخر . .

اطلق الروس قمرا صناعيا في سلسلة من الاقمار لمراقبة الشرق الاوسط وعادت المسز غولدا مائير من زيارة لاوربا في اليوم نفسه بعد أن تم تمديدها نتيجة لحادث وقع في النمسا ، حيث قامت منظمة الصاعقة وهي منظمة (ارهابية)

---

[١] يقصد بالمفهوم هو القناعة التي ترسخت لدى (الصهاينة) بأن العرب لن يهجموا قبل عام ٧٥ وهو التاريخ الذي توصل إليه الصهاينة باكمال العرب استحضاراقم (المترجم) .

[٢] تدل تسمية (روماني) الملحقة باسم اللواء المدرع السابع على تقليد في الجيش الصهيوني يطلق اسماء وصفات على التشكيلات فهنالك أيضا لواء آخر باسم (غولاني) . . (المترجم)

تديرها الاستخبارات العسكرية السورية ، باحتجاز قطار من المهاجرين اليهود على الحدود وطالبوا باغلاق خط الهجرة اليهودية من روسيا عبر النمسا . وقد سلم المستشار كرايسكي بذلك ، وقد ثار الرأي العام (الصهيوني) لذلك وغادرت مائير المجلس الاوربي في ستراسبورغ إلى فيينا في محاولة غير ناجحة لتغيير قرار المستشار . . وبغض النظر عن كون ما جرى في النمسا محض مصادفة سعيدة أو بتوقيت جيد ، فإن غارة الصاعقة (على القطار) قد شتت الاهتمام (الصهيوني) عن التحشد العسكري على حدودهم . وكان هنالك عامل آخر لتشتيت الانتباه ، إذ ان (الصهاينة) كانوا يهيئون لانتخابات وكان الامريكيون منقسمين (بفضيحة) ووترغيت .

وفي الرابع من شهر تشرين الأول ٧٣ قام السادات باشعار السفير السوفيتي (بالهجوم) ، وقد كانت هذه مخاطرة محسوبة . . ففي حالة عدم ابلاغهم مسبقا كان السوفيت سيشعرون بالاهانة ، وقد لا يمكن توقع تصرفاتهم ، فقد يبلغ الأمر بهم أن يشعروا الامريكيين لمصلحة حالة الوفاق القائمة بين الطرفين . قامت موسكو باسناد العرب ضمنيا ولكنهم ألحّوا باخراج سفنهم من الموانئ المصرية والسورية وقاموا باجلاء رعاياهم من المدنيين وعوائلهم . . إن وصول ومغادرة ست طائرات توبيلوف (سوفيتية) إلى مطاري القاهرة ودمشق أثناء الليل والمغادرة المفاجئة للسفن السوفيتية قد تم استشعاره من قبل الاستخبارات البحرية (الصهيونية) والتي قامت بدورها باشعار رئيس هيئة الاركان العامة بأن الحرب قد أصبحت امرا واقعا لا محالة . . وقامت الموساد بالتوصل إلى الاستنتاج نفسه ولكن الاستخبارات العسكرية جلست على مقعد الوفاق [1] . . فلو أن العرب قد قرروا شن الحرب ، فإن الروس كانوا سيبلغون الامريكيين ، الذين سيقومون بدورهم باشعار (الصهاينة)...

وصل اللواء ماغين إلى سيناء صباح يوم ٥ تشرين الأول لتسلم الفرقة المدرعة من اللواء (ابراهام) مندلر بعملية تبديل روتينية ، ولكن التبديل قد تأجل بسبب رصد تقديم المصريين لست وخمسين بطرية عبر القناة من بين أمور استحضارية حربية أخرى، تم رفض طلبات التعزيز كافة والسماح بتطبيق خطة

---

[1] يقصد أنها اصرت على قناعتها بعدم قدرة العرب على الهجوم في الوقت الراهن (المترجم) .

(شوفاخ يونيم) خشية عدها أيضا إلى الأمام ليلا ولكن الاستخبارات العسكرية (الصهيونية) فشلت في التعرف على مغزى ذلك . . وكان تقويم اللواء زعيرا (مدير الاستخبارات) حجم التهديد بانه اقل القليل وعلى الرغم من ذلك فإن رئيس هيئة الاركان العامة قد وضع الجيش بالانذار باعلى درجات الاستعداد .

وفي الصباح الباكر من يوم ٦ تشرين الأول ٧٣ حصلت الاستخبارات العسكرية (الصهيونية) على خطة (بدر) ولكن حسب التوقيت الأولي الذي كان يشير إلى ساعة الصفر بالساعة (١٨٠٠) . . وقامت هيئة الاركان العامة بالاجتماع بالساعة ٠٤٣٠ من فجر ذلك اليوم وتم اتخاذ الخطوات التمهيدية لاعلان حالة النفير (التعبئة) وانذار الدفاع المدني واخلاء المستعمرات الآهلة في الجولان واتخذت الاجراءات اللازمة لتنفيذ عملية ضربة استباقية ضد المطارات السورية ومواقع صواريخ الدفاع الجوي .

وفي حدود الساعة السابعة والنصف تم استدعاء قائدي المنطقة الشمالية والجنوبية اللواء جوفي واللواء غونين إلى القيادة العامة في تل ابيب وأبلغا بالتهيؤ للحرب مع الغروب والتهيؤ كذلك لتنفيذ عملية هجوم مقابل في غضون يومين . . اجتمع مجلس الوزراء المصغر في الساعة الثامنة صباحا واقترح رئيس هيئة الاركان العامة اعلان النفير الكامل الأمر الذي عارضه موشي دايان (وزير الدفاع) مقترحا تعبئة فرقتين وقام مجلس الوزراء المصغر بالموافقة على استدعاء (١٠٠٠٠٠) من الاحتياطي كمقترح تسوية ، ولكن رئيس هيئة الاركان تحمل مسؤولية دعوة عدد اكبر كثيرا . . ونظرا لعدم وجود وقت لاستكمال النفير وتشكيل الالوية والفرق ، فقد قام (اللواء) تال وهو نائب رئيس هيئة الاركان بارسال السرايا إلى الجبهة فور استكمالها . . رفضت مائير تنفيذ الضربة الاستباقية ضد سورية ، فقد تم تحذيرها من خلال السفير الامريكي بأن الاسناد الدبلوماسي والمادي الامريكي (للكيان الصهيوني) مشروط بوقوعها ضحية عدوان بشكل لا لبس فيه . .

وفي الساعة ١٣٣٠ (الواحدة والنصف ظهرا) وقبل بداية العبور بنصف ساعة قطعت اذاعة القاهرة برامجها لتعلن اخبارا (غير حقيقية) عن غارة (صهيونية) على الزعفرانة على ساحل البحر الاحمر ، وتقدمت مصر بشكوى إلى

مجلس الأمن الدولي في الساعة ١٤٠٠ (الثانية بعد الظهر) وهو توقيت ساعة (س) نفسه [١] نفسه وبعد نصف ساعة من ذلك اعلنت اذاعة القاهرة أن القوات المصرية قد عبرت قنال السويس كرد على ذلك ، وهكذا فقد تمت مباغتة (الكيان الصهيوني).

المصريون يؤمنون العبور [ملحق الخرائط]

واجهت عناصر فرق المشاة المصرية الخمس لواء مشاة (صهيوني) احتياطياً مستنزفاً كان قد عهد إليه بمسك المواقع (المحصنة) الشاطئية على القناة وكان هذا اللواء مسندا بلواء مدرع واحد فقط . . وهو لواء عمنون ريشيف، أما اللواءان المدرعان الآخران فقد كانا متمركزين بعيدا إلى الشرق (خلف الدفاعات) وعلى بعد يستدعي وقتا يصل إلى ساعات عن ساحة المعركة . . بدأت موجات الصولة المصرية بعبور القنال بعد الساعة ١٤٠٠ وكانت يسندها بشكل غير مباشر العديد من السمتيات [٢] التي كانت تحمل عناصر من القوات الخاصة التي هاجمت عقد المواصلات ومواقع الرادارات . ومع الضياء الأخير (الساعة ١٩٣٠) كان لدى المصريين ثمانون الف شخص شرق القنال ولم يتحملوا سوى ٢٠٨ قتلى (شهداء) وعلى الرغم من أن اللواءين المدرعين (الصهاينة) قد وصلا عصرا ومساء وفي وقت متأخر ، إلا انهما لم يتمكنا إلا من تأخير عملية الترصين المصرية. وقد فشلت الجهود المبذولة كافة لازاحة رؤوس الجسور المصرية بالهجمات المقابلة المحلية بفضل قوة الدبابات وصواريخ مقاومة الدبابات المصرية والتي فتحت على دكات على ضفة القناة هذا فضلاً على اسلحة مقاومة الدبابات اليدوية والتي كان يحملها المشاة المصريون . . قامت منظومة صواريخ الدفاع الجوي (سام) [تعني حرفيا صواريخ سطح - سطح] بتأمين رؤوس الجسور من الهجمات الجوية المعادية لضمان اكبر قدر من الأمن لقوات الصولة . قام المصريون في تلك الليلة بنصب الجسور في عدة مواقع لكي يتمكنوا من تحريك

---

[١] ساعة (س) مصطلح عسكري يعني ساعة الصفر (المترجم) .

[٢] طائرات الهليكوبتر بالمصطلح العسكري العراقي والطوافات كما هو مستخدم في الجيشين السوري واللبناني.. وهنالك مصطلح آخر وهو الطائرات العمودية يفيد المعنى نفسه . (المترجم)

القدمات المعقبة لفرق الصولة عبر القنال إلى الضفة الشرقية . تم اخـــلاء معظـم مواقع الشاطئ (الحصينة) (الصهيونية) خـــلال الســاعات الاربــع والعشــرين التالية.. وكانت المعلومات التي وصلت إلى مقر القيادة الجنوبيـــة (الصهيونيـــة) تفيد بأن ما حصل هو عبور مصري وضغط على طول الجبهـــة مـــن دون وجـــود مؤشر على محاور هجوم رئيســـة . . لقـــد تعرضـــت فرقـــة ســـيناء المدرعـــة (الصهيونية) إلى ضغط قوي وتكبدت بذلك خسائر فادحة . .

ولم تكن الخسائر المصرية كبيرة إلا تلك التي نتجت عن عملهم خارج نطاق غطاء الدفاع الجوي وحجاب مقاومة الدبابات إذ قامت القوة الجوية (الصهيونية) باسقاط العديد من الطائرات السمتية التي نقلت القوات الخاصة (قوات الصاعقـــة المصرية) بالعمق لاغلاق ومسك ممرات الختمية والمتلا والجدي ، ومع ذلك فقـــد نجح عدد كاف منهم في الوصول مما تمخض عنه معاناة (القوات الصهيونيـــة) من مصاعب جمة قبل أن يتم تعبئة ما يكفي من المشاة وتوجيههم للتعامل معهم .

قام لواء مشاة البحرية البرمائي ١٣٠ بالسباحة عبر البحيرة المرة الكـــبرى في جهد لتأمين الاتصال مع قوات الصاعقة وبهدف إحداث فعـــل لتشـــتيت انتبـــاه القوات (الصهيونية) . . وقد اصطدمت الدبابـــات البرمائيـــة PT 76 والعجـــلات البرمائية العائدة لهذا اللواء بلواء (اللواء) دان شمرون وهو في طريقه لمســـك القاطع الجنوبي من الجبهة حيث تم تدميرها، وصل في المساء لواء ثالث هو لـــواء غابي آمير لمسك القاطع الشمالي ، مما أتاح للواء عمنون ريشيف الفرصة للتحشد في الوسط . .

وفي صباح يوم الأحد السابع من تشرين الأول ٧٣ بدأ المصريـــون بتعبـــير الالوية المدرعة المعززة لفرقة المشاة عبر القنال . . وقد بذلـــت القـــوة الجويـــة (الصهيونية) قصارى جهدها للتدخل في عملية العبور ، لكن المصريين نجحوا أما بتصليح بونتونات الجسور (المتضررة) أو ازاحتها جانبا . ومـــع الضيـــاء الأول هبطت قوة فرقة اللواء ماندلر المدرعة في سيناء من ٢٨٠ دبابـــة إلـــى (٩٠) دبابة هاربة واستمر تكبيده خسائر خلال النهار ، ومع ذلك فإن هذه التضحيات لـــم تكن لتذهب سدى كلياً . إذ لم يتمكن المصريون مع حلول المساء إلا تعبير (٤٥٠)

دبابة من اصل (١١٠٠) دبابة خطط لتعبيرها القناة وفشلوا في السيطرة على القطع (الساتر) الذي يحمي طريق المدفعية .

إعادة التجحفل (الصهيونية) [انظر ملحق الخرائط]

قام اللواء غونين حينئذ بالتحرك من مقر قيادته السلمية في (بئر السبع) إلى موقع القيادة المتقدم في (أم خشيبة) ليلة ٦ / ٧ تشرين الأول ٧٣ . . وقد وصل قائدا الفرقتين المدرعتين (الصهيونيتين) الاحتياطيتين المخصصتين إلى سيناء قبل وصول قطعاتهما صباح يوم الأحد ٧ تشرين الأول لانشاء مقري قيادتيهما ولتخطيط انفتاح قواتهما . .

وفي خلال عصر ذلك اليوم قامت فرقة ادان بمسك قاطع لواء غابي آمير في الشمال ، في حين تسلمت فرقة اريل شارون قاطع لواء عمنون ريشيف في الوسط في حين تحشد ابراهام مندلر وهو القائد الاصلي في سيناء مع ما تبقى من فرقته في قاطع لواء دان شمرون [1] . . تم اعداد تشكيل مشاة جديد في القطاع الشمالي لمراقبة منطقة المستنقعات والطريق الساحلي شمال القنطرة ووضع بامرة اللواء ماغين في حين تسلم اللواء غافيش مسؤولية قيادة منطقة سيناء الجنوبية حيث أصبح مسؤولا عن خليج السويس . . وقام (الصهاينة) باقصى ما سمح به الموقف بتأسيس هيكليتهم القيادية (نظام معركتهم) بزج الفرق الواصلة على قواطع الالوية الموجودة اساساً لكي يستطيع القادة الجدد تسلم المسؤولية من القادة الاساسين الذين يعرفون الموقف جيدا[2] .

---

[1] أصبح دان شمرون رئيسا لاركان الجيش (الصهيوني) اواخر الثمانينات واوائل التسعينات وادخل بعض التعديلات على العقيدة العسكرية (الصهيونية) (المترجم) .

[2] خصصت لسيناء فرقة ثالثة يقودها موشيه بيليد في خطة النفير ولكنها حولت إلى الجبهة الشمالية (الجولان) لمواجهة التهديد السوري في الجولان مما جعل اللواء غونين يعاني نقصاً في الدروع لتنفيذ الهجوم المقابل .

هجوم الساعات الثماني والاربعين الصهيوني المقابل
المصريون يحافظون على مبدأ الامن

بينما كان الصهاينة يوازنون دفاعاتهم على الساتر الذي يحمي طريق المدفعية، كان القادة يفكرون بخطواتهم التالية . . لقد كانت عقيدة القتال لجيش الدفاع الصهيوني تقضي بشن هجوم مقابل رئيس بعد ٤٨ ساعة من اندلاع الحرب. لقد كان هذا المفهوم يعتمد على افتراض مفاده بأن سوف يتيسر انذار قبل ٧٢ ساعة لأجل تعبئة وانفتاح الفرق الاحتياطية في سيناء . . وعندما ثبت فشل وعدم صحة هذا الافتراض ، لم يتأت لأي كان مناقشة العقيدة وتأجيل الهجوم . . بل أن شارون اقترح القيام بهجوم في تلك الليلة مع امكانية عبور القناة . . لقد تم التقليل من حجم ونوعية المقاومة المصرية .

وصل رئيس هيئة الاركان العامة (دايفيد) اليعازر إلى مقر القيادة المتقدم (لغونين) الساعة ١٩٠٠ من يوم الأحد السابع من تشرين الأول ١٩٧٣ فور تجمع قادة الفرق لمؤتمرهم المسائي الأول طلب اليعازر الاراء والمقترحات بصدد الهجوم المقابل . . فأقترح غونين نصب رؤوس جسور قرب القنطرة في الشمال والكوبري قرب السويس في الجنوب . . في حين اقترح ماندلر الانتظار حتى منتصف النهار ثم تحشيد فرقتين للعبور من منطقة ضيقة عند (الكوبري) ، واقترح أدان هجوماً مقابلاً محدوداً في الضفة الشرقية فاسحاً المجال للقنال نفسها لتدمير الجنود المصريين المكشوفين مع استعادة المبادأة . . وعندما وصل شارون اقترح القيام بتقدم صوب القنال لتخليص الحصينة الصامدة في قاطعه .

وبعد استماع الفريق اليعازر (رئيس هيئة الاركان) آراء قادته عارض مقترح عبور القنال وامر بعملية محدودة جداً ضمن امكانات وقدرات القطعات المتيسرة . وبهذا كان على اللواء (آدان) أن يتقدم جنوباً في الصباح من موقعه الحالي مقابل القنطرة إلى رأس البحيرة المرة الكبرى ، وعلى شارون أن يحتوي التقدم المصري في الوسط وإن يكون جاهزاً لاسناد (أدان) في حالة تعرض فرقته لمصاعب . . وفي الجنوب كان على اللواء مندلر الصمود . . قدر الفريق اليعازر بأن فرقة آدان ستنجز مهمتها عند الظهيرة وعند ذاك على شارون أن يستأنف تقدمه جنوباً نحو السويس في الوقت الذي يقوم ماندلر باحتواء وتثبيت

المصريين امامه وإن يؤمن احتياطا عاما لشارون وهو ما يمثل تكــرار لمحطــة الصباح . . سيؤمن تكليف فرقة واحدة في الوقــت الواحــد للصهاينــة الفرصــة لاستخدام وتحشيد العدد المحدود من المدفعية والجبهه الجوي المتيسر لاسناد كــل من الفرق الهاجمة على التوالي .

لقد كان من التوجهات المركزية لكل من الفرق أن تترك بينها وبين القنال مسافة ٣ كم في الاقل لتكون القطعات (الصهيونيــة) خــارج مديــات الدبابــات وصواريخ مقاومة الدبابات ساغر (مالوتكا) التي تطلق من الدكات المهيأة لــــها غرب القنال . لقد كان الهدف هو سحق المجاميع المعزولة من المصريين الذيــن تقدموا أمام رؤوس الجسور ولم يتم القيام بأية محاولة لانقاذ المواقــع الشــاطنيه الحصينة ناهيك عن اخذ مجازفة العبور .

لقد كانت العملية (الصهيونية) ليوم ٨ تشرين الأول كارثــة ، فبعــد أن ترك اليعازر بدل غونين رأيه واصدر سلسلة من الاوامر المشوشة التــي اربكـت قادة الفرق الذين بامرته ، وهكذا تحول ما كان اساساً عملية محدودة إلى محاولــة لاستخدام فرقة آدان لتدمير رؤوس الجسور وانقاذ المواقع الشــاطئية والســيطرة على عدد من نقاط العبور على الضفة الغربية للقنال بين الفــردان والاســماعيلية وفي الدفرسوار بالسيطرة على بعض الجسور (المنصوبة على القنال) سالمة إن امكن.. وبافتراض نجاح عملية آدان آمر غوتين شارون لفك التماس مع الجبهـــة في الساعة ١١٠٠ والحركة جنوبًا لمباغتة أحد الجسور المصرية قرب السويس ، وكان ترك شارون الجبهة سببا في أحداث ثغرة كبيرة فيها .

تكبدت فرقة آدان خسائر فادحة في هجوتها غير المنيرة والمنسقة بشــكل مسيء ضد جسر الجيش المصري الثاني الذي كان ممسوكاً بشكل أمين من قبــل المشاة المسلحين بقاذفات RPG7 والمسند بالمدفعية بشكل جيد وبــالدروع التــي عبرت اثناء الليل وبالدبابات وبصواريخ ضد / د ب ساغر (مالوتكا) التي كـــانت ترمي من دكات الضفة الغربية للقنال .

في الساعة ١٤٣٠ كانت خسائر اللواء (آدان) بالدبابات بالغة الفداحــة وثم بعثرة جهد فرقته على واجبات كثيرة بحيث أمــر غونيــن شــارون بــالعودة لاسناد وابداء المساعدة له. وكانت فرقة شارون منتشــرة علــى طــول طريــق

الطوارى (المحيطي) جنوبا حتى مضيق المتلا، ولا يكمن له أن يعود ليسند آدان قبل الساعة ١٧٠٠. قام المصريون حينئذ بتنفيذ جملة من الهجمات المقابلة بالالوية المدرعة من كل من فرقتي المشاة الثانية والسادسة عشرة على الجناح الايسر لقوات آدان من منطقة الفردان ومن جنوبي الإسلاعيلية مما هدد بقطع الطريق المتجهة إلى الطاسة حيث وصل أحد ألوية شارون إلى طريق الطاسة في الوقت المناسب تماماً للسيطرة على الموقف .

أنشأ آدان خط أمن(*) بوحدات الاستطلاع المدرعة التي وصلت حديثاً مما اتاح له سحب وحدات فرقته المتضررة للقيام باعادة التنظيم والتصليح والتعويض.. تحملت فرقة آدان خسائر الدبابات مقدارها ستون دبابة من أصل ١٧٠ دبابة . . ولقد حقق المصريون نجاحين آخرين في التاسع من تشوين الأول ١٩٧٣ عندما قام شارون بهجمات مقابلة من دون تسلم اوامر .

لقد كانت الانتصارات المصرية مسوغاً كاملاً لمفهومهم في السيطرة على أهداف محددة بدقة وتأمينها تحت غطاء دفاع مقاومة دبابات منسق بشكل جيد متمركز على القنال تحت مظلة دفاع جوي .

أما بالنسبة للكيان الصهيوني فقد كان الوقف مثالا تقليديا (كلاسيكياً) في الفشل توخى واختيار الأهداف التي يمكن تحقيقها وادامة ذلك فضلا على الفشل في التحشد وفقدان التعاون والتخلي عن المباغته باتباع أكثر المسالك وضوحاً والتمسك الاعمى بالافكار المسبقة . ترددت الحكومة (الصهيونية) في اقصاء غونين لاسباب سياسية ، ولكن تم استدعاء بارليف(*) للخدمة وارسل إلى سيناء ممثلاً شخصيا لرئيس الاركان العامة مع منحه صلاحية القيادة العامة وظل غونين رئيساً لاركانه مع احتفاظه بمنصبه كقائد عام للمنطقة الجنوبية .

---

* المقصود منطقة القطعات الساترة أمام الموقع الدفاعي والتي أصبحت تدعى منطقة الامن حالياً وهي المنطقة الواقعة أمام المواقع الدفاعية والتي لابد من اخضاعها للرصد والمراقبة المستمرة ، لتأمين الموضع الدفاعي (المترجم) .

* هو الفريق حاييم بارليف رئيس الاركان السابق وقد كان حينئذ وزيراً للتجارة والصناعة في وزارة حزب العمل التي رأستها غولدا مائير واستدعي للخدمة اثر تفاقم الموقف في سيناء (المترجم).

المصريون يهملون مبدأ الامن

بعد مرور ثمانٍ واربعين ساعة على هجمات اللواء غونين وصل المصريون ما بين رؤوس جسور فرقهم في القنال والجنوب لكنهم لم يوحدوا بين الجيشين الثاني والثالث في الوسط ، وكانت في محاولاتهم لاستثمار رؤوس جسورهم قد منيت بخسائر فادحة فور خروجهم من مظلة الدفاع الجوي وقد كانت هذه اخفاقات صغيرة ، بحيث أن السادات كان واثقا جدا من النصر مما حدا به لرفض المقترحات الانكلوامريكية لوقف اطلاق النار الذي كان سيؤمن نجاحاته دونما مجازفة أكبر اعطى الصهاينة الجبهة السورية اسبقية عالية بسبب قلة العمق للاهداف الحيوية في الجولان . وعندما قاموا بشن هجومهم المقابل داخل سورية يوم الحادي عشر من شهر تشرين الأول ١٩٧٣ ، رجا الرئيس حافظ اسد من الرئيس المصري انور السادات أن يخفف الضغط الذي يهدد دمشق بشن هجوم مقابل في سيناء .

لقد كان هذا الطلب عاملا في تقوية موقف الضباط في هيئة الاركان العامة المصرية الداعين إلى استثمار الفوز لغاية الممرات* عبر سلسة التلال الغربية . . ولهذا فقد اتخذ القرار بنقل فرقتين مدرعتين مصريتين وما تبقى من الفرق الالية إلى الضفة الشرقية لتنفيذ هجوم رئيس يوم الأحد ١٤ تشرين الأول . . وقد راقب الصهاينة هذه الحركة بارتياح وبدلا من أن يركز المصريون قوتهم بضربه في المركز لفتح ممري الختمية والجدي كمرحلة للسيطرة على قاعدة الادامة الصهيونية في رفيديم (بير جفجافة) قام المصريون بهجوم جبهوي شامل وكما يلي :

١ . أهداف اللواء (سعد) مأمون قائد الجيش (الميداني) الثاني .

أ. من الشمال : فرقة الشاة ١٨ معززة بلواء مدرع ومسندة بقوة انزال بالسمتيات على حافة المستنقعات قرب بالوظه للسيطرة على (روماني) على الطريق الساحلي الشمالي .

---

* المقصد ، خط ممرات المتلا- الجدي- الختمية- سدر في سيناء .

ب. شمالي الوسط : الفرقة المدرعة ٢١ معززة بلواء مدرع من فرقة المشاة الالية ٢٣ للسيطرة على ممر (مضيق) الختمية واستثمار الفوز حتى / رفيديم (بير جفجافة)

٢ . أهداف اللواء واصل قائد الجيش (الميداني) الثالث

جنوب الوسط

آ. تقوم الفرقة المدرعة الرابعة لواء آلي من الفرقة الآلية السادسة باحتلال مضيق الجدي ومسكه وموقع القيادة (الصهيوني) بقربه في أم خشبة والاستدارة شمالا خلف التلال الغربية للاتصال بالفرقة المدرعة ٢١ في / فيديم (بير جفجافة)

ب. يقوم اللواء المدرع من الفرقة الالية السادسة باحتلال ممر المتلا .

جـ. جنوب الوسط : يتقدم المتبقي من الفرقة الالية السادسة معززاً بلواء مدرع ولواء مشاة إلى راس سدر على خليج السويس .

وبمثل هذا الخليط من المقرات والتشكيلات كانت ترتيبات القيادة معقدة وغير كاملة..

قام الصهاينة باجراء بعد التعديلات بهدف القيام بهجوم مقابل من قبلهم ولهذا فقد تم سحب فرقة آدان يوم الثاني عشر من شهر تشرين الأول ١٩٧٣ لاغراض إعادة التنظيم ولاستيعاب تعويضات خسائر المعركة . . وكان واحداً من التشكيلات يقوم باعادة التجهيز في منطقة فيديم (بير جفجافة) حيث يتمكن من حماية القاعدة ايضاً . . وكان بارليف يأمل سحق الهجوم المصري من دون الحاجة إلى زج فرقة آدان وكان قسم من فرقة شارون يؤمن الاحتياط القريب . . كانت عملية الانفتاح التي نفذها بارليف تهدف إلى تحقيق كل من عاملي الأمن والاقتصاد بالجهد . وفي المساء وقبل بداية المعركة قتل اللواء ماندلر بصاروخ ساغر (مالوتكا) وبهذا تسلم غونين الذي كان من المفترض أن يبدله ليلة اندلاع الحرب منصبه قائداً لفرقة سيناء المدرعة، وقام ساسون بالحلول محله في القاطع الشمالي .

بدأ المصريون هجومهم يوم الرابع عشر من شهر تشـرين الأول ١٩٧٣ بقصف مدفعي كثيف . . وتمكنت فرقة المشاة المصرية ١٨ المعززة في الشـمال من تحقيق تقدم تجاه وحدات المشاة وبهذا فقد هددت طريق بالوظـة - رومـاني وقام بارليف بعد تردد بتكليف احدا الوية آدان لاعادة السيطرة على الموقـف . . وفي الوسط شوهدت دبابات فرقة شارون المدرعة على الأرض المرتفعة لحمايـة ممري الجدي والمتلا . .

وبعد أن اتيحت الفرصة للمصريين لمغـادرة حجـاب مقاومـة الدبابـات العراقي وكذلك مظلة الدفاع الجوي الصاروخية . وقعوا في شرك العمـل بـارض مفتوحة وبحشد هجومي عالي الكثافة مما جعل المدافعين (الصهاينة) يفتحـون ناراً حامية مدمرة من مدى قصير وقد استخدم الصهاينة كفاءتهم فـي الحركـات السيارة بالمنارة للهجوم المقابل على المصريين من الاجنحة . . وفـي الجنـوب حقق المصريون بعض التقدم باتجاه مضيق سدر على الساحل وباتجـاه مضيـق المتلا من الجنوب الشرقي قبل أن يتم ايقافهم .. وتم تدمير أكثر من ٢٠٠ دبابـة مصرية بالدروع الصهيونية وما أن خرج المصريون من النطاق العراقـي لمظلـة الدفاع الجوي حتى قامت القوة الجوية الصهيونية بمهاجمـة الارتـال المصريـة مدمرة ستين دبابة أخرى والعديد من عجلات القتال المدرعـة والمدافـع ذاتيـة الحركة . . ولم يخسر الصهاينة إلاَّ عشر دبابات أمر المشـير أحمـد اسـماعيل الجيشين المصريين (الثاني والثالث) بالانسحاب إلى رؤوس الجسور في المساء. اقترح الشاذلي(*) سحب الفرقة الرابعة والفرقة المدرعة ٢١ إلى الضفة الغربيـة للقنال لاعادة التوازن للقوات المسلحة لصالح امنها ولكن المشير أحمد اسـماعيل رفض المشورة على أساس أن تأثير ذلك سيكون سـلبيا فـي المعنويـات وبـان الرئيس السادات يود الحديث إلى مجلس الشعب يوم السادس عشـر مـن شـهر تشرين الأول من موقع قوة . . ومن الجانب الآخر (الجـانب الصـهيوني) فـان بارليف قد تحدث هاتفياً إلى غولدا مائير رئيسة الوزراء لابلاغها بانه كان يومـا

* هو اللواء سعد الدين الشاذلي رئيس هيئة الاركان العامة المصرية (المترجم) .

سعيداً إذ أن قواتنا قد عادت لتكون كما هو معروف عنها وكذلك المصريين . . وهكذا فإن معنويات الجيش الصهيوني قد استعيدت.

إن زج الدرع المصري في سيناء وتكبده هذه الخسائر الفادحة اعطى الفرصة لشن هجوم مقابل صهيوني تم شنه في الليلة التالية . . ومع كون الجيش المصري في حالة اللاتوازن وإن امنه قد تم شله، فقد كانت القوات المصرية المسلحة غير قادرة على منع خرق صهيوني على الضفة الغربية للقناة ، برغم إنها قاتلت ببسالة على الضفة الشرقية للقناة لقطع رؤوس الجسور الصهيونية . . استخدمت الدبابات الصهيونية بالغارة على مواقع صواريخ الدفاع الجوي المصرية المسيطرة على رؤوس الجسور . . وعند ذلك قامت القوة الجوية الصهيونية بفتح الطريق للدروع وبذلك خسر المصريون الفرصة الاخيرة لاحتواء رؤوس الجسور الصهيونية .

الخـــلاصة

عند التقدير الواقعي لعدم قدرة المصريين على شن وادارة عمليات سـيارة خارج مظلة الدفاع الجوي اختار المصريون الاحتفاظ براس جسر محدود يمكنــهم مسكه ضد أي هجوم مقابل متوقع . أن خليطاً من الدبابـــات وصواريـــخ ســاغر (المالوتكا) من دكات انشئت على الضفة الغربية للقنال ، تمكن من حماية المشــاة المحمي باسلحة مقاومة الدبابات قصيرة المدى والدبابات والمدفعية علـــى طـول الضفة الشرقية للقنال .

لو كانت الفرقتان المدرعتان في شرق القنال في مواضعهما لتمكنتا مـــن شن هجوم مقابل على آية عملية عبـــور مـــن دون أن تتمكـــن القـــوة الجويـــة الصهيونية بالتدخل الجدي في ذلك . لقد امنت الخطة المصرية وانفتـــاح القـــوات درجة عالية من الامن والتوازن . . نجحت الدفاعات المصرية في اجهاض هجــوم مقابل صهيوني رئيس يوم الثامن من تشرين الأول ١٩٧٣ وهجمات اصغر قبلـــه بيوم وبعده . . ولم تتح للقوات الصهيونية الفرصة في تحقيـــق هزيمـــة كبـيرة للمصريين ، إلاَّ بعد أن قام المصريون بالخروج من مظلة الدفاع الجــوي وســتار مقاومة الدبابات بصواريخ ساغر يوم الرابع عشر شهر تشرين الأول ١٩٧٣ ممـــا افسح المجال لهم لشن هجوم مقابل رئيس وعبور القنال . .

ومن وجهة نظر امن المعلومات والمخادعة فقد تمكن المصريـــون مـــن تحقيق انجازات في مبدأ المباغته يرقى إلى ما قام بهِ مارلبورو في اقتحامه خطوط في ني بلو في عام ١٧١١ ، وكذلك لمستوى الهجومين الالمانيين الكبـــيرين فـــي غابات الآردين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ ، إذ نادراً ما كان سر عملية كهذا ليبقـــى سرا لهذا الدرجة وإن المدافع قد اخذ على حين غرة بالكامل .

التحليـــــل

الفريق الركن
طارق محمود شكري

قبل الدخول في تحليل ما جاء في البحوث التي يضمها هـذا الكتـاب بيـن دفتيه، تحضرني خاطرة أجدها ذات علاقة حميمة مع التحليل الذي نحن بصـدده . إن الخاطرة تتعلق بحدث وقع ابان الحرب العالمية الثانية ، يوم أمر قـائد إحـدى السفن الحربية - رتبته عقيد بحري - اخلاء سفينته بعـد اصابتـها بطوربيـد ، وتركها ومغادرة جميع المراتب والضباط بزوارق النجاة ، فغرق منهم من غـوق ، ونجا من نجا ، وابتلع البحر الصاخب الباخرة بعد فترة . كان قائد السفينة من بين الناجين ، فخضع إلى التحقيق ، ثم الاحالة إلى محكمة عسكرية كون قـراره فـي الاخلاء مخطوءا ، وترتبت عليه خسائر واضرار جسيمة . في نهايـة المحاكمـة وقبل اصدار قرار الحكم سأله رئيس المحكمة إن كان لديه ما يقوله ، فقال نعـم ، واوضح قائلاً : " حقق معي ثلاثة ضباط أحدثهم أقدم مني وكلهم أكثر مني خـبرة وتجربة ، وبعد عدة أشهر من الاستجواب داخل اروقة مريحـة وفـي ظـروف هادئة، توصلوا إلى أن قراري لم يكن صائباً . وها أنذا أمام محكمتكم الموقـرة ، وكلكم أقدم مني بمرحلة كبيرة واصحاب دراية وخبرة غنية في مجال البحريـة ، وبعد عدة جلسات حضرها العشرات من الشهود سوف تصدرون حكمكم في النهاية لتقولوا إني مذنب أم لا . كما دبلج الادعاء العام اتهاماً ، وهو في راحة تامة مـن ناحيتي الوقت والظرف ، يكتب هذا ويحذف ذاك ، ليقول في النهاية انني اسـتحق العقاب . فلو اتيح لي كل هذا الوقت الذي اتيح لكم جميعاً ، وفي مثـل الظـروف المريحة التي اشرت إليها ، لربما اتخذت قراراً غير الذي اتخذتـه . ولكننـي يـا سيادة الرئيس اتخذت قراري وأنا اقاتل العدو قتالاً مريراً ، في ظـروف الاجـهاد وتحت وطأة السهر والتعب وفقدان الأمن والضغط النفسي من دون مشورة أحـد ، وعليّ اتخاذ القرار خلال لحظات في مثل تلك الظروف ، بما يخدم انقاذ أكـبر مـا يمكن انقاذه ، فقررت اخلاء السفينة في تلك العجالة عن قناعة وثقة حفاظاً علـى ارواح رجالي الذين اريدهم معي في سفينة أخرى لأقاتل بهم العـدو ذاتـه ، لأن

السفينة تعوَض ، ولكن الرجال يصعب اعدادهم وتعويضهم في حرب قد تضع اوزارها بين عشية وضحاها ، لا تتيح فرصة اعداد غيرهم " .

أوردت هذه الخاطرة لأشير إلى أن الجيوش العربية التي خاضت حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ، اجتهدت وعملت على تحقيق النصر لبلادها ، وكانت قراراتها موجهة لخدمة الأهداف التي قامت من اجلها الحرب ، ولكن القرارات دائماً وأبداً اسيرة ظروفها . ليس من المعقول أن يتخذ القائد العسكري قراراً يريد به افشال مسعاه أو خذلان قواته ، بل على العكس يتوخى تحقيق النصر وبلوغ الأهداف ، باعطاء القرارات التي يعتقد أنها تلائم الظروف حسب اجتهاده وقناعته، شريطة أن تستند إلى المبادئ والأسس المهنية ، لأنها وحدة القياس التي تقرر مدى الالتزام بقواعد المهنة أو الخروج عليها واصولها واجبة الاتباع . وها نحن بعد مرور ما يقرب من ثلاثين سنة ، نحاول تحليل تلك الحرب في جو من الهدوء والراحة بعيدا عن صخب المعركة وظروفها القاسية ، ولكن لا نريد شأننا في ذلك شأن قائد السفينة ، ومن حقق معه وحاكمه في روايتنا آنفة الذكر ، وما اصابه بسبب تلك الممارسة . ولكن ينبغي لنا أن ندرك في الوقت ذاته ، أن ذلك لا يعني عدم دراسة الحروب والمعارك وتحليلها بموضوعية ، بل على العكس ، فالدراسة واجبة ، لأن جميع كراسات الجيش كتبت في اروقة المؤسسات التدريبية ، ولكن مدادها عرق المعارك ودمائها مسجلة خبرتها وتجربتها . ومن دون مثل تلك الدراسات تصبح المبادئ والأسس نظرية صرفاً ، لا تصلح للتطبيق في الميدان وخاصة في حرب حديثة قادمة ، فخبرة الحروب السابقة أحد الروافد الغزيرة التي تصب في نهر تطوير الفكر العسكري وفن الحرب .

سوف أعمل جاهداً على تحليل حرب تشرين الأول ١٩٧٣ بموضوعية رصينة وحيادية تامة ، مركزاً على ما اعتقده يستحق التعليق وليس تكراراً لما ورد، لأن البحوث بحد ذاتها قد اشبعت هذه الحرب مناقشة وتحليلاً ، ومن يُرِد المزيد فليقرأ البحوث ليطلع على التفاصيل ، ويتعرّف بنفسه على ما ابداه الباحثون من آراء وما توصلوا إليه من دروس . ولكن لايزال المجال واسعاً للاضافة والاستزادة، ومهما قيل أو سيقال ، لا يلغي أي رأي مضاف ، فالعين الفاحصة والفكر المهني الكفء قادران دائماً على أن يستنبطا ويستخلصا . فقد

صدرت بحوث وتحاليل حديثة بشأن حروب قديمة ، لتخرج علينا بآراء وافكار لم يتطرق إليها من سبق ، برغم غزارة ما كتب عنها في ما مضى . فلا غرابة اذا أن تأتي الاضافات اللاحقة غنية ثرّة بما تنطوي عليه من أفكار وآراء جديدة .

كان أول ما خطر لي ببال أن أركز على جوانب مر عليها الباحثون مرور الكرام ، أو أنها جلبت انتباهي على ما فيها من فائدة تستحق البحث ، وبيان الرأي. سوف اعالج الموضوع من الناحية المهنية العسكرية ، وهو مجال اختصاصي ، خاصة إن البحوث جميعها - عدا بحث مونرو - عسكرية ، كتبها عسكريون ، عالجت باسلوبية كبيرة دراسة الحرب وبما يخدم العسكريين . سأعمل على أفراد عناوين للأمور التي اريد تحليلها مهنياً ، على وفق التعاليم والسياقات والمبادئ والأسس المعتمدة في معظم جيوش العالم ، ومنها جيشنا ، واستشهد ، حسب مقتضى الحال ، بنصوص مما جاء في البحوث نفسها ، تأييداً للرأي أو مخالفاً له . وأملي أن يتذكر القارئ الكريم ذلك عند سبر غور التحليل . كما ارجو أن أوفق في قول ما سأقوله ، آخذاً ظروف الحرب وما رافقها من نصر واحباط ، ومحاولة معايشة ظروف رجالها وهم في آتون الصراع قدر المستطاع ، وإن ألبس لبوسهم كي ارى الأمور باعينهم وحسب تفكيرهم وظروفهم ، لا كمن هو جالس لينقد فقط ، في جو من الراحة والهدوء والاسترخاء . واضعاً نصب عيني الحيادية والانصاف ، وعلى قدر المعلومات المتيسرة في البحوث ذاتها وليس من خارجها ، لأن هناك امورا اغفلتها البحوث سبق واطلعت عليها في مصادر أخرى، أو ما سمعته من اخواننا المصريين أو شاهدته أثناء حضوري تمارين عسكرية في منطقة الدفرسوار. وكم كنت اتمنى لو توفرت لنا بحوث مصرية أو سورية كوثائق تعطينا صورة واضحة عن الخطط وسير المعركة ، لتسد الثغرات القائمة حالياً من دونها . وهناك تساؤلات بحاجة إلى اجابة ، ستخضع للاجتهاد والتكهن والاستنتاج لعدم توفر الحقيقة التي تقطع الشك باليقين .

عمل الركـــن

مهما قيل عن حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ، والاستحضارات التـي سبقتها وتنفيذها ، ومهما أطريت تلك الاعمال ، فإنها تستحق المزيد . وينبغي لنا أن نذكر أولئك الجنود المجهولين الذين كانوا وراء كل شيء في تلك الحرب ، ومن دونـهم لم يكن ليخرج شيء إلى حيز الوجود ، فهم الذين فكروا وخططوا واشرفوا ، لأنهم عين القيادة واداتها المسيطرة . إن ضباط الركن في كـل المستويات ، وعلـى الاخص أولئك الذين في المقر العام ، قد قدموا عملاً رائعا بارعا ، يمتـاز بالدقـة والكفاءة العالية . ولم يتركوا شاردة أو واردة إلا وحسبوا لها حساب ، فضلا على الابداع والتطوير والتجديد . لقد اعدوا كماً هائلاً من جداول الركن وتعديلاتها فـي ضوء الممارسات والتجارب أثناء فترة الاستحضارات . ويعرف ضباط الركن مـاذا يعني اعداد جداول الركن وتعديلاتها ، وكم تأخذ من الوقت والجـهد والمعانـاة . فهذه جداول التنقل ، وجداول اسبقيات العبـور ، ومنـاهج التكديـس ، وتحديـد الاسبقيات ، وترتيب منظومات السيطرة على السابلة ، وما إلى ذلك من متطلبـات تفصيلية - لايمثل ما ذكرته إلا النزر اليسير منها - لعبور مانع مائي كبير فريـد في مواصفاته. سوف لا اناقش جميع اعمال الركن في هذه الحرب ، لأنـها مـن الكثرة بحيث يصعب حصرها - ابتدأت قبل الحـرب ، وانتـهت بعدهـا - ولكـن سأكتفي بأمثلة منها تظهر عظمتها .

الاستحضارات

ظهرت روعة عمل الركن في مرحلة الاستحضارات بصورة جلية ، حيث ابتـدأت باعداد تقارير موقف - واعادة النظر بها بين فترة وأخرى وتعديلها فـي ضـوء المتغيرات - لجميع الاختصاصات ، والتي اعتمدت اساساً لكل التخطيط اللاحـق ، ورافق العمل صبر وتأن ومثابرة في ايجاد الحلول للمعاضل التي تظهر هنا وهناك، نتيجة الممارسات والفحوص والتطبيق ومن امثلتها :

١. حركت مصر جيشها في إطار ممارسة عمليات الهجوم على المواضع الكائنـة على القناة ، ما لا يقل عن (٤١) مرة ، خلال السنوات التي سبقت الحرب .

وعلى الشاكلة نفسها اكملت سورية نفير قواتها وحركت جيشها باكمله نحو مرتفعات الجولان في كل صيف خلال سنوات عديدة سبقت حرب ١٩٧٣ .

تعليق

لقد حركت كل من مصر وسورية كامل جيشيهما هذا العدد الكبير من المرات. ماذا يعني ذلك بحسابات الركن ؟ وما مقدار الجهود التي بذلت لتشخيص الخلل ووضع الحلول الناجعة ؟ وما ترتب على ذلك من تعديل في الحسابات والجداول ، التي يستغرق اعدادها اياماً وليال ، يكابد اثناءها ضباط الركن ، المعاناة والسهر والصبر والتحمل بلا حدود .

٢. الاستحضارات المصرية

أخذت الجانب المصري لأن ما كتب عنه أكثر مما كتب عن الجانب السوري، وقد اعطاني ذلك حرية انتقاء أكثر ، علماً أن الاستحضارات في الجانب الآخر متميزة أيضاً . فمن أمثلة تلك الاستحضارات ما يأتي :

آ . الممارسات المتكررة للدخول إلى مواضع الانفتاح غرب القناة .

ب. إجراء التجارب والممارسات للتغلب على مولدات اللهب الصهيونية ، بغلق البخاخات بالكونكريت ، أو السيطرة عليها سالمة بسرعة .

جـ. ازالة السدة الترابية بجرفها بالمضخات المائية ، بعد أن عجزت كل الوسائل الأخرى من مدفعية وصواريخ وقوة جوية ودروع .

د . وضع الخطط للتقليل من تدخل المواضع الحصينة ، بمعالجتها بالقصف المدفعي المكثف والقوة الجوية ورمي الدروع المباشر من الضفة الغربية من المصاطب التي اعدت لذلك الغرض .

هـ. ايجاد الأساليب لحماية القطعات العابرة من هجمات القوة الجوية والدروع الصهيونية ، وذلك بالعبور السريع ، وحمل جندي المشاة اسلحة م / د ب قصيرة المدى (ساغر) و(آر . بي جي) ، وصواريخ (سام ٧) المحمولة على الكتف لمقاومة الطائرات .

و. تنفيذ تمارين بقوة فرقة ، قرب الضفة الغربية للقناة ، خلال الـ (٩) أشهر التي سبقت الحرب .

ز. المخادعة السوقية والعملياتية التي بهرت العالم .



ح. بناء مساطب وتحكيمات في الضفة الغربية للقناة خلال الفترة نفسها .
ط. تكديس كميات كبيرة من الاعتدة والمستلزمات الادارية الأخرى .
ي. تأسيس شبكة مواصلات ميدانية متطورة في خدمة خطة العبور والتعرض.
ك. الاشراف على ممارسات المشاة والهندسة العسكرية لتنفيذ الصولة مئات المرات ، وتمخض ذلك عن أفضل النتائج في احتلال خط بارليف وتأسيس رأس الجسر .

تعليق

يبين ما تقدم أنهم يخططون لقضية مصيرية ، تتطلع إليها الأمة ، وليس لديها استعداد لقبول نكسة أخرى ، وما تركه ذلك من ضغط نفسي على ضباط الركن ، لانجاز كل تلك المهام الجبارة بالتخطيط والممارسات والتعديل . إنه عمل ركن هائل ، يرقى إلى مستوى اعمال الركن في ارقى الجيوش . ولا يستطيع أحد تقدير ذلك العمل العظيم ، إلا ضباط الركن الذين اتيحت لهم فرصة العمل في المقر العام، وانجزوا اعمال ركن هائلة لتنفيذ مهمات جسيمة ، لأن هاجس المجهول يبقى قائماً ، كما قال نابليون " تحسب للعدو ألف مسلك ويأتيك من المسلك ألف وواحد".

التوقيتات

كانت التوقيتات حيوية لارتباطها بعوامل طبيعية ، كالمد والجزر والتيارات المائية، وساعات الظلام وضوء القمر ، وفترة عدم تغطية القمر الصناعي الأمريكي منطقة القناة ، وانشغال العدو بعيد (الغفران) . ينبغي أخذ ذلك كله وكثير غيره بالحسبان لتحديد يوم (ي) وساعة (س) .

تعليق

كانت التوقيتات من اصعب اعمال الركن ، لكثرة ما فيها من تداخلات وملابسات، فبعضها لا يمكن تغييره أملته الطبيعة ، وعليهم التكيف معه ، وبعضها من إجراءات العدو التي يتعذر اعطاء رأي قاطع فيها لأنه يملك حرية العمل في



المواجهة ، كما يجب التوفيق بين كل تلك التحديدات المتناقضة لبلوغ محصلة تخدم الغاية وتحققها .

فالتيارات المائية فى القناة تتغير يومياً ، من الشمال إلى الجنوب وبالعكس ، كما أن حالة الجزر تؤدي إلى هبوط مستوى الماء في القناة إلى ما يزيد على ثلاثة امتار في أقل تقدير . وذلك يعني أن مداخل ومخارج الجسور والاطواف ترتفع وتنخفض ، وتخلق مشكلة . وينبغي أن تعبر موجة الصولة الأولى ، أما في فترة المد أو في فترة الجزر للحصول على استقرار للجسور والاطواف لضمان السرعة لعبور الموجة الأولى في ضوء النهار ، والمعقبة من الآليات والدروع والاسلحة السائدة بالافادة من ضوء القمر ، كما أن اختيار ساعة (س) ينبغي له أن يكون والشمس في عيون الاعداء ، أي بعد الظهر . كانت معضلة القمر الصناعي الأمريكي الذي يغطي منطقة القناة ليست بالهينة ، حيث أملت تحديدات كبيرة على ساعة (س) بالذات ، إذ يجب الشروع أثناء فترة ابتعاد القمر الصناعي عن منطقة القناة . فضلاً عن أن اختيار يوم (ي) في يوم عيد (الغفران) ، كان دليل ذكاء وحسن تدبير ، إذ مهما كان فإنه ليس يوماً اعتيادياً ، ولابد لكثير من المسؤولين وعناصر الاحتياط أن يكونوا بعيدين عن مناطقهم المعتادة ، بحيث يصعب الاتصال بهم ، وذلك يعني كسب وقت ثمين في الساعات الأولى من العبور، وتأسيس رؤوس الجسور - وسوف تثبت الأحداث صحة ذلك- . ومهما بيّنت فلن أوفي فقرة التوقيتات حقها ، لأنها من السعة والتعقيد تتعذر الاحاطة بكل جوانبها . ولكنها مفخرة يعتز بها كل ضابط ركن وكل مقاتل وكل عربي ، فقد أعطت ثمارها وأكلها في تحقيق مباغتة سوقية نادرة في عصر التقنية والمعلوماتية والاتصالات .

وضع الخطط

ابتدأت الخطة باسم (كرانيت ٢) ، ثم اطلق عليها اسم (المآذن العالية) ، أما الخطة التي نفذت يوم ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ ، فقد اطلــق عليــها الاســم الرمزي (بدر) . وتنص تلك الخطة على الهجوم بالجيشــين الثــاني والثــالث وبثلاث صفحات. مسؤولية الجيش الثاني من شمال البحيرات المرة وإلى الشمال، والجيش الثالث من البحيرة المرة الصغرى وإلى الجنوب حتى السويس .

تعليق

تركت منطقة البحيرة المرة الكبرى خارج مسؤولية الجيشين كمــا يبـدو مــن الخطط، ولم يظهر في الخطة المذكورة وفي جميع البحوث التي بين ايدينا ، مــا يشير إلى أي إجراء من حماية أو مراقبة أو نقاط اتصال ، واستثمر الصهاينة تلك الثغرة وعبروا إلى الضفة الغربية للقناة . لماذا أهمل المصريون هذه المنطقــة؟ هل لضحالة مياهها وسعتها وعدت غير صالحة للعبور ؟ أم ماذا ؟ وسوف يظـهر لنا في ما بعد وجود قوة ضعيفة غير مدربة منتشرة في الضفة الغربيــة ، ولـم تحدد أية مسؤولية أو واجبات في الضفة الشرقية للقناة . وفي سياقاتنا نقـول أن الحدود الفاصلة داخل إلى القوة الفلانية ، وذلك يعني تولي مسؤوليتها من جميـع الوجوه .

١. الصفحة الأولى

يهجم الجيشان الثاني والثالث في آن واحد بفرقهما الخمس لمسك رأس جسـر بعمق (١٠ – ١٥) كيلو متراً ، وإلى اقصى الجنوب حتى حقول النفط فــي رأس السدر ، ويستعدان للاستمرار بالهجوم عند الطلب . ينفذ ذلك خلال (٤– ٥) أيام ، وانشاء خط دفاعي قوي لمواجهة الهجوم المقابل المدبر للــدروع الصهيونية .

تعليق

إن عمق (١٠ – ١٥) كيلو متراً قليل يسهل خرقه والوصول إلى ضفة القناة الشرقية ، كان الأفضل تحديد المضائق كأهداف صفحة اولى ، لأنها حاكمــة ، ويحرم العدو منها ويمنع من اتخاذها موطــئ قـدم للتعـرض علــى رؤوس الجسور، واحتلالها يربك جميع الخطط المسبقة التي اعدها العدو ، لمواجهــة

أي هجوم من الغرب . خاصة إن القوات الهاجمة مشاة والمعقبة آلية ومدرعة في مقدورها الاندفاع واستثمار النار والحركة والحماية . والعدو لمّا يفق بعد من صدمة المباغتة ، وترك الآخرين يهيئون الموضع الدفاعي بدلاً من (٤ - ٥) أيام تكامل ، يستغلها العدو استحضاراً للرد ، وهذا الذي حصل فيما بعد .

٢. الصفحة الثانية

تتخلل القوات المدرعة والمشاة الآلي من مواضع فرق المشاة الماسكة للارض، والاندفاع باتجاه مضيقي (متلا والجدي) ، لاستعادة سيناء الغربية إلى الخط المار من الشمال إلى الجنوب عبر (بئر جفجافة) . تبدأ هذه الصفحة بعد فشل الصهاينة في هجومهم المقابل . تستغرق الصفحة (٤ - ٥) أيام مثل سابقتها .

تعليق

المفروض أن لا نتوقف في انتظار شن الهجوم المقابل المعادي ، لأن ذلك يعطيه فرصة للاستحضار بعد انتهاء الصفحة الأولى ، ثم إنه مشروط بالفشل، ماذا لو نجح الهجوم المقابل المعادي ؟ ومتى يكون الهجوم المقابل المعادي في حساب الأيام ؟ لماذا هذا الربط بين الهجوم المقابل المعادي وفعالياتنا ؟ المفروض أن لا نعطيه مثل هذه الفرصة ، باحباطها بالهجمات الاجهاضية وارباك استحضاراته لها بكل الوسائل وليس تركه على راحته . المفووض أن تبدأ الصفحة الثانية فور انتهاء الصفحة الأولى ويكون تكاملها أثناء ذلك بالتداخل لكسب الوقت واستثمار الصدمة التي حلت بالعدو وقبل استفاقته منها.

٣. الصفحة الثالثة

إنشاء مواضع دفاعية قوية بعد نجاح الصفحة الثانية تماماً . وتتحرك فرق المشاة لتسلم المواضع من القوات المدرعة والآلية ، وتنسحب الاخيرة إلى الغرب في مواضع خلفية مناسبة .

التعليق

هذه الصفحة مرهونة بتطورات الموقف ولا يمكن التكهن بها أكثر من ذلك .

٤. كانت الحاجة ماسة لاعداد خطط مخادعة جيدة ومفصلة لادامة الكتمان والحصول على المباغتة .

تعليق

سوف تأتي تفاصيل ذلك تحت عنوان (الأمن والمباغة) ، وسيجد القارئ الجهود العظيمة التى بذلها ضباط الركن في جميع المستويات في اعداد وتنفيذ تلك الخطة ، والتى دفعت البريطانيين إلى تثبيتها في الكراسة الرسمية الموسومة (استخدام القوة) ، تحت عنوان الأمن الذي طبقه المصريون كأحد الدروس التي يعتمدها الجيش البريطاني مستقبلا . وهذا ما جاء نصاً في متن الترجمة .

الأمن والمباغتة

لقد كانت المباغتة السوقية التي حققها المصريون والسوريون موضع اعجاب الدارسين والباحثين ، وقضية لا يرقى اليها الشك ، لا بل هي قضية الحرب الأولى، بحيث اعتمدتها دول متقدمة . ولم تكتف القوات العربية على الجبهتين بذلك المستوى من المباغتة فقط ، وإنما عززته بالمباغتة العملياتية احياناً . وبالعديد من اوجه المباغتة التعبوية ، في الوقت أو في المكان أو السلاح أو الاسلوب . وقد اخترت الحد الادنى من الأمثلة ، وباستطاعة القارىء الكريم الاستزادة من قراءة البحوث ذاتها .

١. فشلت الاستخبارات الصهيونية في تزويد قواتها المسلحة بانذار (٨ ٤) ساعة لتعزيز الوحدات الأخرى من الاحتياط ، وعندما تأكد لهم اخيراً أن المصريين سيهجمون يوم (٦) تشرين ، افترضت الاستخبارات أن ساعة (س) ستكون الساعة ١٨٠٠ بناءً على الخبرات السابقة للمناورات المصرية التي كانت تبدأ دائماً في مثل هذا الوقت ، لذا أبلغت القطعات المدرعة الصهيونية عدم التقدم إلى الامام قبل الساعة ١٦٠٠ - قرار سياسي في مستوى الدولة لتجنب الاعمال الاستفزازية - وبذلك تمكنت براعة العرب وللمرة الأولى التغلب على دهاء اليهود وشكوكهم .

تعليق

اسطورة أخرى من اساطير الصهاينة تسقط ، فهم يتبجحون بأن استخباراتهم من ارقى دوائر الاستخبارات في العالم ، وهاهم يفشلون في معرفة أي شيء

عن الحرب . واثبتت القوات العربية براعتها في تضليل الصهاينة برغم مكرهم وخبثهم . وقد أدى بهم الغرور إلى اعلان فشلهم الذريع . إن إحدى علل عمل الاستخبارات هي الثقة الزائدة ، لأنها تؤدي إلى استنتاجات مخطوءة . تبنى عليها مواقف خطأها مضاعف . في حين ينبغي أن تكون عقلية هؤلاء متفتحة تقبل كل الاحتمالات ، فليس هناك أكيد إلا الحقيقة . ويبقى الاستنتاج يتحمل درجة عالية من الاحتمالية ، سلباً أو ايجاباً .

٢. اتخذ المصريون الإجراءات الآتية لتحقيق الأمن والمباغتة :

أ . دخول عجلات حاملة لقاذفات الصواريخ إلى الاسماعيلية ، وحركة عجلات خلف الضفة الغربية ، وحركة ضباط مصريين يوم (١) تشرين الأول ، بحيث بدت فعالية الهجوم الرئيسة عند الشروع ، وكأنها فعاليات اعتيادية تماماً .

ب. استحمام الجنود في القناة واستمرار فعالياتهم الاعتيادية اليومية .

جـ. طبق تمرين (تحرير ١) وحددت له فترة (١ - ٧) تشرين الأول .

د . انفتاح الالوية بالامام في النهار ، ثم تنسحب الافواج فرادى خلال الليل ، ترافقها ضوضاء كبيرة ، لاعطاء الانطباع بمغادرتها كاملة في حين لايغادرها إلا جزء يسير .

هـ. اعلنت وسائل الاعلام على اختلافها تطبيق تمرين خلال الفترة (١ - ٧) تشرين الأول .

و. جلب معدات العبور إلى مناطق قريبة من القناة في آخر لحظة ، ووضعت داخل حاويات أثناء نقلها ، للحيلولة دون معرفة محتوياتها ، كما أنها نقلت ليلاً إلى الامام ، وأخفيت في مناطق مهيأة مسبقاً .

تعليق

إجراءات المخادعة هذه رائعة وممتازة ، ومن يرد أن يعمل يستطع أن يبدع ويبتكر . ومهما كانت الإجراءات فهناك المزيد ، المهم المحاولة والمثابرة ، وكل ما ورد يستحق الاعتبار والتقدير ، ويعتمد كنماذج تصلح للتطبيق ، مع تلاؤم الظروف وصلاحية البيئة . أما الأساليب والوسائل فهي من صنع الرجال المبدعين.

٣. استخدم المصريون تعبية نقل الجسور السيارة بدرجة عالية من المرونة لمسافة كيلو متر واحد تحت جنح الظلام ، للحيلولة دون ضرب القوة الجوية المعادية لها ، بموجب الخطط المسبقة التي يعدها الصهاينة . هذا الإجراء السلبي المقترن باستعمال الدخان أسهم في حماية الجسور والاطواف ، بحيث كان للمصريين سبعة جسور عاملة بشكل كامل دائماً .

تعليق

إن عمليات المخادعة بمثل هذا الإجراء عظيمة ورائعة ، ولعل رجال الهندسة العسكرية خير من يقدر معنى نقل جسر من مكان إلى آخر خلال ساعات معدودة ، وما يترتب عليه من جهود واعباء ومعاناة . ولكن الحرب خدعة . ومن يُرد أن ينتصر يجب أن يطاول ويتحمل ويبدع ، وذلك شأن الرجال المتميزين .

٤. وحتى مع هذه الدرجة من التمويه والغش فإن الحفاظ على سرية توقيت الهجوم، كان عملاً بطولياً رائعاً ، بالنسبة لأناس مهذارين . واستغرب العسكريون في الخط الامامي عند تزويدهم بالقذائف الحية بوقت مفاجئ . ولم يعرف كبار المسؤولين المدنيين أي شيء عن توقيت الحرب . لم يكن الصهاينة وحدهم من أخذ على حين غرّة .

تعليق

يحتاج مثل هذا السلوك الرائع صبر ايوب ، وحكمة الانبياء ، فالسر ثقيل تضيق به الصدور ، وثقل كتمانه لا يحتمله جميع الرجال . . ولكن أعطى ثماره وأكله ، حيث حقق أعظم مباغتة في الحرب الحديثة ، " واستعينوا على قضاء حوانجكم بالكتمان " حديث شريف ، والعمل بمبدأ (المعلومات لمن يحتاج اليها) . وليس لمن لا يعنيهم الأمر .

٥. ومهما كان الإجراء الذي سيتخذه الصهاينة بعد ذلك ، فإن القوات المصرية (البرية والجوية) قد نجحت بشكل تام في تحقيق المباغتة ، وخرق خط بارليف، ومهما كان المستوى الذي تقاس به العملية فإنها عملية تدل على البراعة التامة .

باغت السوريون الصهاينة في الجولان وفي كل مكان من الجبهة ، وجـاءوا يهرعون إلى السلاح ، وكان بعضهم يستحم على الشاطئ ، واسـرعوا إلـى مواضع الرمي بملابس السباحة وشاهدوا سحباً كثيفة من الغبار تتجه نحوهم.

تعليق

بغباء الفرنسيين نفسه عندما انشأوا خط (ماجينو) الذي لم يقم بـأي دور في الدفاع عن فرنسا وأهمله الالمان عند هجومهم عليها . وهكذا كان شـأن خط (بارليف) لم يقهم (وظنوا أن مانعتهم حصونهم) قرآن كريم ، لأنـهم فكروا بعقلية الحرب السابقة ، ولـم يطـوروا خبرتـهم وتجربتـهم لتلائـم التطورات والمتغيرات التي استجدت . فأخذ الصهاينة على حين غرة ، بشـر اعمالهم ، في الجبهتين ، نتيجة غرور اعمى بصرهم وبصيرتهم ، في حيـن كانت كل الدلائل تنذر بنشوب الحرب في أي وقت ، وهـم علـى الشـاطئ يمرحون .

٦. ربما كانت المباغتة السوقية ، التي حققـها المصريـون والسـوريون فـي هجومهم الابتدائي ، المظهر الأكثر تميزاً في هذه الحرب . لقـد كـانت هـذه المباغتة ثمرة عملية مخادعة منظمة وتفصيلية وأمن ممتـاز مـن الجـانب العربي ، وسبباً لوقوع الصهاينة ضحية للافكار المسبقة التي اوصلتهم إلـى درجة الغرور .

تعليق

اطراء من جانب الباحث يغني عن كل تعليق ، حيث بمقدور القوات العربيـة اذاً ، تنفيذ اعمال خارقة يعترف بها العدو قبل الصديق ، متذكريـن الرجـال الذين خططوا لها ونفذوها ، فلهم وسام المجد .

٧. ركزت الكراسة الرسمية البريطانية (استخدام القوة) على أساليب الأمن التي اتبعها المصريون وحققوا تلك المباغتة الفريدة ، والتي يجب اعتمادهـا فـي الجيش البريطاني .

تعليق

لقد ذهل الجميع بالانجاز الهائل للقوات العربية في مجال الأمن والمخادعة والمباغتة ، وأطروه إلى درجة اعتماد اساليبه ، وفي أهم كراسة رسمية عسكرية إن لم تكن الاهم ، فقد كان فريداً في بابه .

٨. ومن وجهة نظر أمن المعلومات والمخادعة ، فقد تمكن المصريون من تحقيق انجازات في مبدأ المباغتة ، ترقى إلى ما قام به (مارلبورو) عند اقتحامه خطوط (ني بلو اولترا) الدفاعية عام ١٧١١ ، وكذلك لمستوى الهجومين الالمانيين الكبيرين في غابات الآردين عامي ١٩٤٤ و١٩٤٥ . إذ نادرا ما كان سر عملية بهذا الحجم ليبقى سراً لهذه الدرجة ، ويؤخذ المدافع على حين غرة بالكامل .

تعليق

وشهد شاهد من اهلها . ورد النص المذكور في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

٩. التقطت فرقة (أدان) عند تقربها من الضفة الشرقية للقناة لغرض العبور . رسالة لاسلكية مصرية فجر يوم ١٧ تشرين الأول موجهة إلى ل مع ٢٥ المستقل المصري ، يطلب فيها منه التحرك شمالاً لابداء المساعدة في غلق الثغرة بين الجيشين الثاني والثالث . نصبت الفرقة الصهيونية كمينا من الامام والجناح الايمن . وتكبد اللواء خسائر كبيرة بالدبابات .

تعليق

كل ذلك الانجاز العظيم في مجال الأمن ، لتحقيق مباغتة فريدة في نوعها ، يذهب نشوتها اهمال في أمن المواصلات ، ليؤدي إلى كارثة عبور الصهاينة إلى الضفة الغربية للقناة . ولولا ذلك الاهمال ربما لا يحصل الذي حصل ، فضلاً على الخسائر الجسيمة بالدروع والاشخاص . قد يبدو الخطأ ضئيلاً لكنه خطير ، ويكفينا دليلاً نتائجه . أمن المواصلات حيوي ، وعدم التساهل في تطبيقه ، أمر يجب أن لا يغفله أحد .

أردت أن اضرب هذا المثل من مجريات الحرب ، وحتماً هناك غيره أقل خطورة ، إن الأمور لا تسير دوماً مضبوطة ، فهناك هفوات عفوية أو نتيجة

الاهمال ، ينبغي أن توأد في مهدها كي لا تستفحل ، (إن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم) .

سير المعركة

ذكرت جميع البحوث سير المعركة باسهاب وتفصيل ، ولو اردنا أن نتطرق لكل فقرة منها لأدى ذلك إلى تكرار لا مسوّغ له . انني قد انتقيت فعاليات معينة من سير المعركة ، من أجل إظهار بعض الجوانب الايجابية أو السلبية ، لتسليط الضوء على ما يمكن الافادة منه كدروس لحروب المستقبل ، وخاصة مع ذات العدو ، وبالتالي تعرفنا على خواصه أثناء الحرب تمكننا من مواجهته بقدرة أعلى. وسترد بعض فقرات سير المعركة تحت الفقرات الأخرى ، لنستشهد بها في ذلك المجال . وفي النهاية ما مجريات الحرب ؟ هي سير المعركة ، فأي جانب تريد مناقشته عن مجريات الحرب ، لابد من الرجوع إلى سير المعركة .

الجبهة المصرية

١. فتح المصريون (٦٠) ثغرة في السدة الترابية ، ونصبوا (٥٠) طوفاً ، وأُنشئت (١٠) جسور عائمة خلال (٦ – ٨) ساعات ، منذ بداية الهجوم ، في حين كان الصهاينة يتوقعون حصولهم على انذار (٤٨) ساعة .

تعليق

لقد كانت ثقة الصهاينة عالية جداً برصانة خط بارليف ، والأسس التي بني عليها ، والخطة التي وُضعت له لاستثمار امكاناته ، فزادت من غرور الصهاينة ، (ولكن حسابات الحقل ليست كحساب البيدر) . ومتى حقق الدفاع المديد نصرا أو نجاحا ؟ لأن الرتابة وانتظار المجهول يحطمان المعنويات ، ويؤديان إلى الاحباط ، ويبقى المُدافع أسير الطرف الآخر .

٢. حقق المصريون تفوقاً حاسماً في القدرة القتالية بالقوات البرية على الصهاينة، واستثمروها لتوسيع رؤوس الجسور المنفصلة وجعلها رأس جسر واحد متكامل، مع وجود ثغرة صغيرة بين الجيشين ، بدلاً من الاندفاع نحو الممرات الحيوية .

تعليق

أثار ذلك الإجراء انتقادات شديدة في الاوساط العسكرية ، لماذا عدم الاندفاع إلى المضائق وحسم الموضوع مبكراً ؟ ثم لماذا هذه الثغرة ؟ فإن كان لابـــد من وجودها لأي سبب كان ، لماذا لم تتخذ إجراءات مراقبتها وحمايتها فـــي أقل تقدير ! ؟

٣. كان القسم الأعظم من القدرة القتالية للقوات البرية الصهيونية موجـــهاً إلـــى الجبهة السورية ، التي كانت الجبهة الأكثر أهميـــة لـــهم . وفـــور اســـتعادة الصهاينة خط وقف اطلاق النار لعام ١٩٦٧ في ١٠ تشرين علـــى الجبهـــة السورية ، بدأوا بتحويل الجهد والتركيز على جبهة سيناء ، ومعالجتها علـــى انفراد .

تعليق

كان التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية ضرورياً في هـــذه المرحلـــة من الحرب لاشغال العدو على الجبهتين ، وعدم انفراده بكل جبهة على حدة. وزاد الطين بلة الوقفة العملياتية الكارثة ، التي أعطت الصهاينة فرصة ثمينة لا مثيل لها .

٤. وابتدأت الطائرات والدروع والاسلحة والاعتدة والمعدات تصل إلـــى الكيـــان الصهيوني جواً – ومؤخراً بالبحر – من الولايات المتحـــدة . لـــولا الدفعـــات الأمريكية الجوية من الاسلحة فضلاً علـــى المتطوعيـــن فـــي تشـــرين الأول ١٩٧٣، لربما خسر الصهاينة الحرب .

تعليق

هذه ليست المرة الأولى التي تساعد فيها أمريكا الكيـــان الصـــهيوني فـــي حروبه مع الدول العربية ، فقد ساعدته في كل الحروب عدا حـــرب ١٩٥٦ ، ولم يكن ذلك بدافع الحيادية والتجرد ، بل نتيجة موقف سياسي أملته ظروف تلك الحرب .

والظلم من شيَم النفـــوس فـــإن تجـــد ذا عفـــة فلعلـــة لا يظلـــم .

وعلة عدم الظلم الأمريكي عام ١٩٥٦ ، كان لخلاف مع المعتدين الثلاثة في تلك الحرب ، لعدم اخبارها بنياتهم ، وإلا فإن الظلم متأصل في نفوسهم ، واثبتته الحروب اللاحقة . وينبغي للدول العربية أن تحسب حساب ذلك في كل حرب تخوضها ضد الكيان الصهيوني ، والعمل على احباطه في منشئه أو في طريقه أو عند وصوله أو في المراحل جميعها ، حيث لا امل أن تغير أمريكا موقفها .

٥. استمر القصف لمدة (٥٣) دقيقة ، وكان حدثاً رائعاً بثباته ودقته . وبعد مرور (١٥) دقيقة من بدء رمي المدفعية ، باشر المشاة من عشرة الوية التوجه إلى الاستحكامات الترابية في الضفة الغربية للقناة يحملون زوارق الصولة . وسرعان ما القوها في القناة ، وبالتجذيف وصلوا إلى الضفة الشرقية وسيطروا عليها ، وقد أخذت الموجة الأولى معها سلالم خفيفة الوزن يمكن تطويلها ، حيث وضعوها على المتاريس الترابية . وخلال بضع دقائق ، بدأت اعداد المشاة الحاملة لقاذفات اللهب والصواريخ والرشاشات والغدارات والرمانات اليدوية ، بمشاغلة المواقع الصهيونية الامامية عن قرب ، في حين رفعت المدفعية نيرانها . واتجهت قوات مصرية أخرى إلى الشرق نحو الصحراء المفتوحة .

زج المصريون بجيشين عبر القناة ، الجيش الثاني مؤلف من ثلاث فرق مشاة وفرقة مدرعة ، واجبه الاستيلاء على رأس جسر بين القنطرة والاسماعيلية ، إلى الشمال مباشرة من البحيرة المرة الكبرى ، والجيش الثالث مؤلف من فرقتي مشاة وفرقة مدرعة ، يؤسس رأس جسر مقابل السويس .

واصلت الافواج الامامية للجيش الثاني القتال نحو اهدافها الكائنة خلف تحصينات خط بارليف حسب التوقيتات المحددة بالخطة . وبدأت القطعات بحفر مواضعها الدفاعية وتعبئة صواريخ (ساغر) لمقاومة الدبابات على اكتاف التلال الواطئة المتموجة .

تعليق

صولة مدبرة لعبور مانع مائي كبير ، مرتبة بدقة وعلى وفق سياقات العبور المدبر ، ونتيجة لاتباع الأسس والمبادئ العسكرية في هذا المجال ، حققت

نصراً مذهلاً ، اطراه الاعداء قبل الأصدقاء . ثم الاندفاع بالجهد الرئيس من دون انتظار ، وهذا الذي يجب أن يكون ، انطلاقاً من مبدأ الاعمال المتداخلة التي تجري في وقت واحد . ليس هناك وقت في الحرب نضيعه ، ولا مجال لانتظار أحد ، كل يسعى إلى تنفيذ واجبه .

٦. أثناء عبور المشاة هيأ المهندسون المصريون معابر للعجلات أسفل المتاريس، وازالوا الاحجار التى تغلف الضفة الشرقية بايديهم ، لتهيئة نقاط انزال للاطواف الخفيفة التي تعمل آلياً ، والتي تنقل الأدوات الثقيلة والمتفجرات . وكان واجب الهندسة الرئيس ، تطهير الممرات الموجودة بين التحصينات لمرور العجلات ، وفي الاخص الدبابات . وبعد مرور سبع ساعات على صولة المشاة ، تمكنت الهندسة العسكرية المنتصرة من اكمال جسر الاطواف العائم الأول ، وامكن نصب عشرة جسور وخمسين عبارة متوسطة وثقيلة على امتداد القناة قبل منتصف الليل ، وابتدأت الدبابات بالعبور إلى الضفة الشرقية.

تعليق

من اروع عمليات العبور تخطيطاً وتنفيذاً ، وروعيت فيها مبادئ العبور بكفاءة عالية ، وبرزت فيها الاعمال المتداخلة بوضوح راجح . كانت ثمار هذا الانجاز الذي يبدو وكأنه تمرين بقطعات نصراً اذهل الصهاينة ، فكل جزء من العملية يستحق التقدير والاعجاب . وينبغي أن نسأل ، ما مقدار التدريب الذي تلقاه هؤلاء الرجال لانجاز هذه الاعمال الباهرة . وهنا يصح الشعار القائل (التدريب يقلل من دماء المعركة) . فاتقانهم عملهم ضيع الفرصة على العدو لايقاع الخسائر بهم .

٧. أخفقت الهجمات الجوية الصهيونية في ضرب الجسور العائمة على القناة ، ولم تتمكن حتى من تدمير موقع جسر واحد . وكلما تمكنت من فعله تأخير المرور على الجسور نصف ساعة فقط ، وتكبدت خسائر جسيمة في الطوائف الجوية وخسائر أكثر في الطائرات .

عصر يوم الأحد ٧ تشرين الأول ، عززت القوات المصرية وجودها بثلاثة الوية ، ووسعت رأس الجسر إلى عمق (٦) اميال ، وصدت هجوماً مقابلاً شنه

اللواء (غونين) باحتياطه المدرع . أما يوما الاثنين والثلاثاء (٨ و ٩) تشرين الأول فقد وسعت رؤوس الجسور شمال البحيرة المرة الكبرى لتكوّن قاطعاً كاملاً.

تعليق

عمليات العبور وتأسيس رؤوس الجسور سارت على وفق الخطة ، وحققت النتائج المرجوة . ولم يغفل المخططون حماية الجسور والقطعات التي عبرت ، بحيث تعذر على الصهاينة الوصول للتأثير فيها ومُنيت قوتهم الجوية بخسائر جسيمة . بالرغم من كل الانجازات الرائعة ، كان المفروض الاندفاع إلى المضائق أثناء عملية توسيع رؤوس الجسور وترابطها ، كاعمال متداخلة لحماية رؤوس الجسور ذاتها ، واجبار العدو على التوقف امامها وعدم استثمارها لصالحه . لقد كانت الفترة (٧ – ٩) تشرين الأول هي الفترة الذهبية لمثل هذا العمل ، يوم كان العدو بثقله مشغولاً في الجبهة السورية ولم يستفق من الصدمة بعد .

٨. استمر المصريون بترصين المنطقة التي احتلوها في الضفة الشرقية للقناة ، وعند الالحاح على (المشير أحمد اسماعيل) لضرب الممرات في السلسلة الجبلية في سيناء واحتلالها ، قال إنه لا يريد الانغماس بمعركة مفتوحة . وربما كان ينوي التقدم ثانية بعد صد التعرض الصهيوني المحتمل ، ومن المحتمل أيضاً ، لم تكن لديه النية للقيام باية مغامرة ، والاكتفاء بما استولى عليه وما يحققه له من فائدة . وربما لا يحبذ العمل خارج نطاق المظلة الجوية.

تعليق

عدم الاندفاع إلى المضائق في الأيام الأولى للحرب ، عندما كان العدو الصهيوني مرتبكا مذهولا لم يستفق من صدمة المباغتة بعد ، اضاع فرصة ذهبية لا تثمن في تدمير القوات الصهيونية وانتزاع النصر كاملاً منها . كما لاننسى أن الخطة الأصلية تحدد الأهداف بـ (١٠ – ١٢) كيلو متراً وتعطيها (٤ – ٥) أيام للتكامل ، ولكن القادة الميدانيين ألحوا على التقدم إلى المضائق بعد ما شاهدوه من اندحار الصهاينة وتراجعهم غير المنظم ، وعدم وصول الاحتياطات المدعوة بالنفير ، وهو ما يجب أن يكون عند اندحار العدو

مطاردته، وعدم اعطائه الفرصة لاستعادة انفاسه . والمفروض بمن يحصل على المبادأة يعمل المستحيل من أجل الاحتفاظ بها ، وكانت الفرصة مواتية ، وليس الانتظار وتسليم المبادأة للعدو هدية لعدم مطاردته . وإن كانت معضلة دفاع جوي فبالامكان نقل الاسلحة لتتولى المهمة وهي لا تحتاج إلى أكثر من (٦ – ٨) ساعات للتنقل والانفتاح ، وسوف نأتي على تفاصيل ذلك في فقرة الدفاع الجوي في ما بعد . لقد تسبب عدم مطاردة العدو واحتلال المضائق بسرعة وحرمان العدو منها بالآتي :

آ . وصول الجسر الجوي الأمريكي غيّر موازين القوى لصالح الصهاينة .

ب. توقف المصريين مكّن الصهاينة من التفرغ للجبهة السورية وحسمها لصالحهم .

جـ. حصولهم على المعرفة التي مكنتهم من معالجة الاسلحة الحديثة التي دخلت ساحة المعركة وخاصة اسلحة الدفاع الجوي (سام ٦) و(سام ٧).

د . احتفاظ الصهاينة بالمضائق منحهم حرية المناورة ، كانت إحدى نتائجها عبورهم إلى الضفة الغربية للقناة .

هـ. أصبح المصريون في ما بعد ضحية عدم اندفاعهم ، حيث تفرغ الصهاينة لهم بعد حسم الجبهة السورية ، وردوهم عن المضائق التي حاولوا احتلالها بعد فوات الاوان من دون مظلة دفاع جوي ولا درع ضد الدبابات اللذين توفرا لهما في الأيام الذهبية .

الجبهة السورية

٩. ابتدأ الهجوم بسلسلة من الضربات الجوية بالساعة (١٣٥٨) يوم ٦ تشرين الأول ٧٣ ، وحال ابتعاد الطائرات السورية ، تبدأ المدفعية الثقيلة والمتوسطة والراجمات (١٢٢) ملم ، والهاونات الثقيلة ، بصب نيرانها على التلال التى يحتلها الصهاينة وحولها ، وعلى مواضع المدفعية والهاونات والدبابات والمقرات ونقاط التموين . باغت هذا العمل الصهاينة كثيرا .

واجه السوريون خندقاً ضد الدبابات بعمق (١٥) قدما على طول أغلب الجبهة . واقام الصهاينة عليه من جانبهم ساترا بارتفاع (١٢) قدما وعززوه بالالغام ، على جميع مقتربات الدبابات المحتملة . إن مرتفعات الجولان مفتوحة ومتموجة - عدا مجموعة التلال على سفح جبل الشيخ ، وجزء من أراض جبلية - مكسوة بالجلمود ، وهي أرض وعرة وتصعب حركة الدبابات والعجلات الأخرى عليها ، ولا تستطيع المدولبات الحركة إلا على الطرق المعبدة .

تعليق

لا تقل الموانع في الجبهة السورية في اهميتها وتأثيرها عن قناة السويس كمانع، ولكن السوريين استطاعوا تجاوز ذلك ، والاستيلاء على المواضع الصهيونية . بما حققوه من مباغتة أولاً ، وما أبدوه من عزم واصرار على القتال . واتبعوا كل سياقات القتال الصحيحة ، وتنسيق جميع النيران البرية مع الاسناد الجوي . فكانت نتائج مذهلة في المرحلة الأولى .

١٠. هجمت الفرق الآلية السورية الثلاث (٥ و٧ و٩) ، وكل واحدة مؤلفة من لواءين آليين ولواء مدرع . وخلفهم فرقتان مدرعتان (١ و٣) ، مستعدة للتعقيب بانذار قصير ، وفي الاحتياط لواءان مدرعان مستقلان ولواء آلي .

واجب الفرق الآلية ، التغلغل في الدفاعات الصهيونية ، وفتح ثغرات تمكن الفرق المدرعة من المرور خلالها عبر نهر الاردن إلى ما وراء مرتفعات (الجليل) . وعلى محور مواز لهجوم الفرق الآلية ، هجمت قوة واجب على الموقع الصهيوني الامامي في جبل (الشيخ) . تطورت الخطة التعبوية خلال ساعات النهار برغم الصعوبات ، بسبب الالغام وخنادق ضد الدبابات .

اكملت قوة الواجب السورية احتلال اهدافها في جبل (الشيخ) يوم الأحد ٧ تشرين الأول ، وفي النهار أصبح للمدفعية السورية رصد لعموم القاطع ، وبقيت القوات السورية صامدة في مواضعها الدفاعية التي احتلتها ، برغم القصف الصهيوني الكثيف . وعند العصر كانت خسائر الدروع المعادية جسيمة .

تعليق

الالتزام بالخطط وتوخي الهدف كأحد مبادئ الحرب ، أعطت ثمارها ، ومكنت القوات السورية من تحقيق أهداف الصفحة الأولى بنجاح تام ، وكان تنظيم الاسناد الناري بكل انواعه متميزاً . وفي اختتام اليوم الثاني استقر الموقف لصالح السوريين ، واربك الصهاينة وأخذ على ايديهم ، وكبدهم خسائر جسيمة بالدروع . ومما يجدر ذكره هنا ، أن تطبيق مبادئ الحرب لايعني بالضرورة النجاح . ولكن . . عدم تطبيقها يعني الفشل بكل تأكيد .

١١. استمر تقدم الجيش السوري ببطء صباح يوم الأحد ٧ تشرين الأول . واقترب من (العال) . واكتسح مقر اللواء في (نفخ) المهجورة . واصبحت القنيطرة في الخلف ، وبقي القاطع الشمالي الصهيوني متماسكاً . ارتفع عدد قتلى الصهاينة صباحاً بشكل حاد ، وكان آمر اللواء من بين القتلى ، وخيم الهدوء مع منتصف النهار . توقفت الدبابات السورية عن التقدم عند الغروب ليوم الأحد . ولن ينسى السوريون أنهم تغلغلوا عبر نهر الاردن في داخل الأراضي المغتصبة .

تعليق

ترك القاطع الشمالي الذي يحتله الصهاينة في الجولان متماسكاً ، والاندفاع إلى نهر الاردن . جعل تلك القوة خلف القطعات السورية وهددتهم في ما بعد، وغيرت الموقف . كان المفروض معالجته اسوة ببقية القاطع . خاصة أن العدو منهار وخسائره كبيرة ، وقتل أحد امري الالوية ، فهذه كلها عوامل مساعدة .

١٢. تحول الصهاينة إلى الهجوم يوم الاربعاء ١٠ تشرين الأول . وبحلول الليل، تمكنوا من استعادة كل مواضعهم في هضبة الجولان ، عدا الموقع في الطنف العالي لجبل (الشيخ) . وفي ١١ تشرين الأول وبعد مناوشات على طريق دمشق – القنيطرة ، اندفع الصهاينة داخل سورية إلى ما وراء خط وقف اطلاق النار لسنة ١٩٦٧ .

تعليق

سبب التحول يعود إلى ، اولها وصول المساعدات عبر الجسر الجوي الأمريكي ابتداءا من يوم ٩ تشرين الأول ، المؤلفة من الاسلحة والتجهيزات والدروع والطائرات والمتطوعين من مختلف الاختصاصات وثانيهما الاندفاع السوري السريع إلى أهداف بالعمق لم يحسب حساب الاحتفاظ بها ، لأن العبرة ليست باحتلال الأهداف بل بالاحتفاظ بها . وثالثها الوقفة العملياتية المصرية ، التي مكنت الصهاينة من التفرغ للجبهة السورية والانفراد بها بكل ثقلهم . فضلا على ترك العديد من الجيوب خلف القطعات المتقدمة ، أصبحت في ما بعد تهدد خطوط المواصلات والمناطق الخلفية ومناطق المدفعية . وكانت نتيجة هذا الاندفاع غير المحسوب خسارة أرض اضافية ، وتهديد دمشق .

١٣. كان السوريون يقاتلون معركة انسحاب في اسوأ الظروف ، من أجل كسب الوقت ، ووصول سيل التعويض من الاتحاد السوفيتي جواً ، كما ارسل العراق ثلاث فرق إلى سورية ، وارسل الاردن لواءاً مدرعاً ولواءاً آخر في الطريق . كان استخدام المعدات الجديدة والتعزيزات العربية بحاجة إلى فترة من الوقت ، للتفكير والتخطيط واعادة التجحفل لتعود عليهم بافضل فائدة . وينبغي أن لا تبقى الجبهة المصرية هادئة والحالة هذه . فارسلت دمشق طلبات ملحة إلى القاهرة ، للتعرض على الصهاينة ، فاجبرتهم روح التحالف على الموافقة .

تعليق

انقلب الموقف في الجبهة السورية على حين غرة إلى فوضى وارتباك ، ولم يعد للخطط الموضوعة دور ، فاين الفرق المدرعة في الخط الثاني ؟ واين الاحتياط العام الذي خصص في البداية ؟ هل زُجت جميعها على شكل لقم التهمها العدو من خلال كمائنه وهجماته المقابلة بسهولة ؟ وهكذا تحولت الحرب في الجبهة السورية إلى نجدة ، قدمها العرب طائعين وراغبين ومتحمسين وعلى رأسهم العراق . ولكن زج قوات لم يحسب حسابها في أي من الخطط الموضوعة مسبقاً ، ليس بالامر الهين ، لما يترتب على ذلك من

تخطيط وتقدير موقف واعادة تجحفل وتخصيص قواطع وتنقل إلى حيث الواجب ، وما إلى ذلك من أمور حيوية يصعب حصرها . خاصة إن القطعات القادمة ذات معرفة محدودة بالارض والموقف في الميدان . ولهذا كله أخذت تلك الإجراءات بعض الوقت الذي لا يثمن ، وكان لصالح الصهاينة ، حيث ثبتوا الموقف في الجولان ، واستقر لصالحهم ، وهددوا دمشق . تحول معظم الجهد الصهيوني ، إن لم يكن كله – عدا تلك القوات الماسكة للجبهة وعناصر اسنادها المختلفة – إلى الجبهة المصرية ، ابتداءاً من يوم ٩تشرين الأول ، واصبحوا على اتم استعداد للمواجهة في سيناء . ولذلك عندما شن المصريون هجومهم بناء على طلب السوريين والحاحهم ، لتخفيف الضغط عنهم ، كان الصهاينة لهم بالمرصاد . فكان الهجوم من دون مظلة جوية . ومن دون درع مقاومة الدبابات ، فكانت النتيجة فادحة للجيش المصري بالدبابات والاشخاص والمعدات ، وعدم تحقيق شيء يذكر بالنسبة للسوريين لأن الصهاينة اكتفوا بما حققوه حتى الآن في تلك الجبهة . كانت النتيجة النهائية سيطرة الصهاينة في الجبهتين ، وانتزعوا المبادأة وحرية العمل من ايدي القوات العربية ، واصبحت الإجراءات ردود فعل لمواجهة العدو ، بعد أن كانت مبادرات جريئة واندفاعات شجاعة ارعبت الصهاينة . وهكذا انحسر ذلك المد الهائل الذي بلغ ذروته في الأيام الأربعة الأولى من الحرب .

الدفاع الجوي

برز الدفاع الجوي في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ، وأدى دوراً حيوياً في المعركة ، لا بل كان حاسماً في بعض المواقف ، وسيكون له دور أكثر أهمية في المستقبل ، مما هو عليه أيام تلك الحرب . وقد اخترت بعض المواقف التي تظهر دوره الايجابي ، والحالات التي أدت إلى الفشل ، بسبب الخروج من مظلة الدفاع الجوي ، من أجل الافادة من الأولى ، والاعتبار من الثانية .

١. لقد أصبحت تعبية الطيران الواطئ غير مؤثرة ، كما في الاشتباكات السابقة مع العرب ، لأنها كانت تواجه سداً منيعاً من صواريخ محمولة على اكتف جندي المشاة المصري نوع (سام ٧) ، ومنظومات صواريخ (سام ٦)

محمولة على العجلات ، ومدافع مقاومة الطائرات محمولة على المسرفات نوع (شيلكا) رباعية السبطانة ، فضلاً على (سام ٢) و(سام ٣) للارتفاعات العالية .

تعليق

إن التعبية الصحيحة للاسلحة . تؤدي دورا حيويا في صد العدو وتحجيم تأثير فعالياته . وذلك يقتضي تدريبا راقيا ، ومعرفة مفصلة بخواص الاسلحة المستخدمة. ولذلك فشلت تعبية الطيران الواطئ فشلا ذريعاً ، كبّد الصهاينة خسائر فادحة بالطائرات والطيارين في الأيام الأولى من الحرب .

٢. بينما كانت الدبابات المصرية تقترب من المواضع الصهيونية ، أصبحت خارج حماية اسلحة م / د ب الخاصة بالمشاة ، كما خرجت من نطاق مظلة الدفاع الجوي الممثلة بمنظومات (سام) وللمرة الأولى خلال الحرب .

تعليق

لقد كان درساً قاسياً للمصريين ، تكبدوا خلاله خسائر فادحة بالدروع من القوة الجوية الصهيونية واسلحة م / د ب ، فضلاً على أنهم خسروا المعركة . ولم استطع أن أجد سببا لهجومهم من دون غطاء جوي ، ولماذا لم ينقلوا اسلحة الدفاع الجوي لتواكب المعركة ؟ ويؤكد هذا المعركة المشتركة لجميع الصنوف ولا يمكن أن يعمل احدها بمعزل عن الآخر .

٣. على الرغم من أن الإسناد الجوي القريب كان يؤدي دورا متزايدا في سيناء ، إلا أن منظومات الدفاع الجوي المصرية حالت دون استخدامه بحرية ، وفعلاً اسقطت طائرتان نوع (أف ٤ - فانتوم) كحد ادنى بمنظومات (سام ٦) خلال المعركة الطويلة لنهار يوم ١٤ تشرين الأول .

تعليق

أتى تحديد الاسناد الجوي القريب الصهيوني من حسن تعبية اسلحة الدفاع الجوي واجادة طوانفها لاستخدامها ، ولذلك حرمت القوات الصهيونية من اسناد حيوي كانت تعوّل عليه كثيراً ، في ضوء خبرتها لحرب عام ١٩٦٧ .

٤. أصبح للقوة الجوية الصهيونية حرية عمل بعد تدمير اسلحة الدفاع الجوي المصري في الضفة الغربية ، بعد العبور ، وفتحت فسحة كبيرة في مظلة الدفاع الجوي المصري ابتداءاً من ١٧ تشرين الأول .

تعليق

مما لا يقبل الشك أن تدمير أو اسكات اسلحة الدفاع الجوي في الحرب الحديثة، يعني البقاء تحت رحمة القوة الجوية المعادية من دون أية حماية . وعندها تؤدي القوة الجوية دورا حاسما كاسحا . فلابد من ايجاد البدائل في أساليب الانفتاح المتغير والمتكرر ، وعدم اعطاء الفرصة للعدو في تدمير تلك الاسلحة بالقوات البرية ، وذلك بتأمين الحماية الارضية لها .

٥. إن أحد الأسباب وراء القرار المصري لوقف الهجوم يوم ٨ تشرين الأول على مسافة (١٠ – ١٢) كيلو مترا شرق القناة ، ربما إلى الضعف المحتمل في امكانية منظومات الدفاع الجوي لاسناد خططهم التعرضية في ما بعد تلك المسافة . وفي ما إذا كان ذلك القرار لايقافهم زخم الهجوم ، جاء نتيجة عدم القدرة المتأصلة في دفاعاتهم الجوية للانتشار في الامام بالسرعة الكافية . وتصبح عاملة بعد التقدم .

تميزت منظومات الدفاع الجوي المصرية الأكثر حداثة بقابلية الحركة خارج الطرق ، وكانت تلك الميزة مهمة لسببين هما :

آ . التنقل السريع لمنظومات الدفاع الجوي خارج الطرق لاسناد القوات البرية.

ب. ضمان النجاة والبقاء في ميدان المعركة لقدرتها على التنقل والانفتاح السريع .

تعليق

وردت الفقرتان آنفتا الذكر في التحليل الذي قدمته كلية اركان (لفنورث) . وهما متناقضتان إلى حد بعيد . ولذلك فإن الاكتفاء بالوصول إلى مسافة (١٠– ١٢) كيلو مترا شرق القناة ، لم يكن بسبب عدم القدرة المتأصلة في عجز الدفاعات الجوية على الحركة لمواكبة القوات البرية ، لأن الفقرة الثانية تنفي مثل هذا العجز . فلابد من وجود أسباب أخرى لمثل هذا التوقف لم تظهر في البحوث ، وكل ما هنالك تكهنات واستنتاجات بعضها رجما بالغيب .

٦. فوجئت القوة الجوية الصهيونية بمفاجأتين رئيستين هما :

آ . فوجئت عند اندلاع الحرب بتنوع منظومات الاسلحة القادرة على مشاغلة الطائرة المهاجمة بالارتفاعات الواطئة .

ب. العدد الكبير من كل نوع من أنواع منظومات الدفاع الجوي المستخدمة في حزام الدفاع الجوي المصري ، والتي لم تكن معروفة للقوة الجوية الصهيونية .

كما دمجت اعداد كبيرة من منظومات مختلفة في مدياتها ، وانفتحت بمسافات جغرافية تسمح لنيران العديد من الوحدات أن تجمع في إطار اسناد متبادل . بحيث كانوا يطلقون مجموعات من المقذوفات بدلاً من واحدة على هدف واحد .

تعليق

هكذا استطاع المصريون بكل جدارة ، تحقيق المباغتة العملياتية في مجال الدفاع الجوي ، بالنوع والكم والاسلوب ، فعالجت المستويات الواطئة ، وشاغل الهدف أكثر من سلاح واحد ، وأوجدت حزاماً للدفاع الجوي لم يألفه الصهاينة سابقاً .

٧. تكبدت القوة الجوية الصهيونية خسائر كبيرة نتيجة لتعرضها لحزام متماسك من منظومات الدفاع الجوي ، عند قيامها بالرد على الهجوم العربي المشترك يوم ٦ تشرين الأول . لم تكن القوة الجوية الصهيونية قادرة على معالجة منظومات الدفاع الجوي العربية بصورة مؤثرة ، اعتماداً على التعبية ، أو اتخاذ إجراءات الكترونية . لذا فقدت (٣٠) طائرة في اليوم الأول من الحرب، نتيجة اتقان المصريين استخدام هذه المنظومات المتطورة ، وتجنب خروج القوات الامامية من مظلة الدفاع الجوي ، وتعذر عليهم فرض أية خسائر جدية على القوات المصرية الهاجمة .

تعليق

إن وجود حزام متماسك لمنظومات الدفاع الجوي والاسناد المتبادل لاسلحته، حال دون اختراق الصهاينة له ومعالجته ، نتيجة لاتقان القوات العربية تلك المنظومات المتطورة ، وفشلت كل وسائل التغلب عليها ، وتعذر على القوات

الصهيونية فرض أية خسائر جدية عليها ، طالما بقيت تحت تلك المظلة ، وعندما خرجت القوات المصرية خارج المظلة تكبدت خسائر فادحة . وهذا ما يؤكد مرة أخرى المعركة المشتركة لجميع الصنوف ، ومسألة اعداد مقاتل يجيد استخدام سلاحه . فالتدريب هو سر النجاح .

٨. استخدم المصريون قواتهم الجوية بشكل مكثف في مهمات الاسناد الجوي القريب عند بداية الهجوم . ثم اعتمدوا على كفاءة شبكات مدفعية الدفاع الجوي في تدمير أو شل تأثيرات القوة الجوية الصهيونية ضمن الحافة الامامية لمنطقة المعركة .

تعليق

تعاون الاسلحة مع بعضها مبدأ من مبادئ الحرب المعروف باسم (التعاون) . وقد اثمر هذا بين القوة الجوية ومدفعية م / ط ، بحيث تفرغت القوة الجوية لواجبات الاسناد الجوي القريب ، الذي يؤمن اسناداً لا مثيل له في العمليات التعرضية لدقته والمرونة العالية التي يتمتع بها . وهذا خلافاً لما تنادي به بعض الاصوات هنا وهناك التي تقول أن القوة الجوية لم تعد تمارس دور الاسناد الجوي القريب للقطعات البرية !

٩. أدى التنوع التعبوي المصري . واستثمار امكانية مظلة د / ج إلى تأمين درجة عالية من الحماية للقوات البرية ، باستعمال مدفعية م / ط كاجراء احتياطي لها. وبذلك تحول التأثير الايجابي لهذه التعبية إلى جعل ميدان المعركة ببعدين فقط بدلاً من ثلاثة ، نتيجة لشل القوة الجوية الصهيونية .

تعليق

لقد أدى الابداع في تعبية اسلحة الدفاع الجوي ، وتنوع المنظومات ، دوراً كبيراً في نجاح المعركة في المراحل الأولى ، وتدهور الأداء البري بعد الخروج من تحت مظلة الدفاع الجوي ، فأسقطوا بذلك فعلاً البعد الثالث لميدان المعركة . بعد أن حجّموا دور القوة الجوية الصهيونية ، التي كان الصهاينة يعوّلون عليها كثيرا في حسم المعركة لصالحهم . فالابداع في الأساليب والاستخدام هما المطلوبان في المعركة الحديثة ، لأن الأطراف المتصارعة غالباً ما تملك اسلحة وتجهيزات متطورة .

١٠. كان أكثر ميزات الدفاع الجوي العربي أهمية هو الحرب الالكترونية . إذ لم تكن الترددات المضاعفة المتطورة . المستخدمة في منظومتي صواريخ (سام ٦) ومدافع (ZSU - ٢٣ - ٤) معروفة للصهاينة . ولم يعتادوا نظام التوجيه المعقد . ولذلك لم يكن بمقدورهم اتخاذ إجراءات الكترونية مضادة . وحتى الأيام الاخيرة للحرب .

تعليق

وهذه مباغتة أخرى يواجهها الصهاينة . وهي المنظومات الالكترونية المعقدة لأسلحة الدفاع الجوي . والتي تصب في المحصلة بالمباغتة العملياتية التي حققتها القوات العربية . وهنا كانت المباغتة بالنوع .

١١. اتخذ المصريون العديد من إجراءات الدفاع الجوي السلبية منها :

آ . كان أحد الإجراءات البارعة . حماية طائراتهم على الأرض ، حيث انشأوا ملاجئ بسقوف محكمة يبلغ سمكها (١٠) اقدام من الكونكريت المسلح . قادرة على تحمل القنابل الكبيرة . فضلاً على جدران سميكة من التراب مفتوحة من الطرفين لتضم طائرتين في وقت واحد . ولم تقع فيها أي خسائر وهي في ملاجئها .

ب. كان الإجراء الآخر استثنائيا وفريداً من نوعه لحماية الجسور على القناة . فقد استخدموا تعبية نقل الجسور بدرجة عالية لمسافة كيلو متر واحد تحت جنح الظلام . لمنع القوة الجوية الصهيونية من مهاجمة الجسور على وفق خطط مسبقة . بالقنابل باستعمال طائرات مفردة من ممر قصف منفرد . وبذلك أصبحت الخطط المسبقة عديمة الجدوى . إن هذا الإجراء مع استخدام الدخان . أسهم كثيراً في حماية الجسور والاطواف . وبرغم كل المحاولات الصهيونية لضرب الجسور ، فقد احتفظ المصريون بسبعة جسور عاملة بشكل كامل طيلة فترة الحرب .

جـ. الاستخدام المكثف للمواقع الكاذبة . كانت هذه المواقع المدروسة بعناية بالغة وبصورة مفصلة ، تبث موجات رادارية فعالة ، واستخدمت لسببين: أولاً . لجلب القوة الجوية الصهيونية نحو أهداف مغرية ولكنها غير مفيدة.

ثانيا . تدمير الطائرات الصهيونية بعد ادخالها في مصائد الدفاع الجوي حول المنطقة . وقد كان عدد المواقع الكاذبة غرب القناة أكثر بكثير من المواقع الحقيقية .

تعليق

تعدَ الإجراءات السلبية تجاه القوة الجوية من الفعاليات الحيوية في الحرب ، وهي معروفةَ منذ ظهور الطائرة في الحرب العالمية الأولى ، ولكن الابتكار والابداع في استخدام الوسائل السلبية هو ما يسجل للمصريين في جبهة القناة. سواء ما يتعلق منها بحماية طائراتهم الجاثمة على الأرض من خبرة حرب ١٩٦٧ ، أم عمليةَ نقل الجسور ليلا من اماكنها إلى مناطق أخرى للحيلولة دون تعرضها للضربات المدبرة ، برغم ما يكتنف ذلك التحويل من جهود ومعاناة وصعوبات ، ولكنها حققت اغراضاً عظيمة تجعل كل ما بُذل من جهد في نقلها شيئا لا يذكر . والمواضع الكاذبة هي الأخرى من انجح الأساليب واكثرها فاعلية في الإجراءات السلبية ، شريطة أن تكون أقرب ما يمكن من الحقيقية لتغري العدو في معالجتها .

١٢. حاولت القوةَ الجويةَ الصهيونية اخماد منظومة الدفاع الجوي المصريةَ في سيناء باستخدام :

آ . تدابير الكترونية مضادة حديثة .

ب. شرائح معدنية محورة .

جـ. الطيران بارتفاعات عالية والانقضاض على بطريات (سام ٦) ضمن المدى الميت لها .

إن هذه الإجراءات الصهيونية لم تجد نفعاً في الجبهة المصرية على خلاف جبهة الجولان السورية . قد يكون السبب هو التدريب الأفضل ، والتعايش مع الاسلحة والمعدات في الدفاع الجوي المصري ، والاسناد المتبادل بين منظومات واسلحة الدفاع الجوي . لقد أدى التوسع في الاسناد المتبادل المصري إلى معدلات استنزاف عالية للطائرات المعادية المغيرة عند عودتها من منطقة هجومها نتيجة لتعرضها لاكثر من وحدة نارية للدفاع الجوي .

تعليق

إن الأساليب التي اتبعها الصهاينة لمعالجة الدفاع الجوي العربي ، سواء بالاجراءات الالكترونية أم الشرائح المعدنية أم طريقة انقضاض الطائرات لم تجد نفعاً ، ولكن كان هناك فرق واضح في الأداء بين الجبهتين المصرية والسورية ، ويعود ذلك إلى التدريب بالدرجة الأولى ، الذي يعد عماد المقاتلين وحاميهم في ميدان المعركة . فضلاً على معرفة خواص الاسلحة التي بين ايديهم وحسن استخدامها ، وتحقيق الأداء الامثل لكل سلاح . ولذلك تكبدت القوة الجوية الصهيونية خسائر أكثر بالطائرات في الجبهة المصرية عما عليه الحال في الجبهة السورية . تأكيد آخر على التدريب لايقبل الشك .

١٣. يعود أحد أسباب عبور القوات الصهيونية إلى الضفة الغربية للقناة إلى عدم قدرة القوة الجوية الصهيونية من اخماد منظومات (سام ٦) المصرية الكائنة في الضفة الغربية بشكل مؤثر . وكانت إحدى المهمات الرئيسة للقوات العابرة . مهاجمة تلك المنظومات وفتح مجاز آمن للطائرات فيها . استطاع الصهاينة اخماد نحو (١٠) بطريات للدفاع الجوي المصري خلال يومين من العبور بنجاح ، وعدّ ذلك مؤشراً واضحاً على فشل المصريين في تأمين الدفاع الارضي المناسب لوحدات الدفاع الجوي . وكان وهن مواقع بطريات سام هذه تجاه فعاليات القوات البرية المعادية ، وراء النجاح مؤخراً للقوة الجوية الصهيونية على هذه الجبهة . وبحلول ٢٠ تشرين الأول ، أدت الجهود المشتركة للقوتين البرية والجوية الصهيونية إلى انهاء دور الدفاع الجوي المصري على جبهة سيناء كلياً .

تعليق

من الأمور الحيوية للغاية تأمين الحماية الارضية لاسلحة الدفاع الجوي ومنظوماته . فباستطاعة دوريات العدو البعيدة وغاراته الوصول إليها وتدميرها ، أما إذا وقع هجوم بري عليها كما حصل بعد عبور العدو إلى الضفة الغربية للقناة . فإنه لن يدمرها فقط ، بل سيستولي عليها سالمة ويستخدمها في المواجهة . لقد أدى هذا الاهمال في الحماية إلى اخماد

اسلحة الدفاع الجوي ، وفتح مجازاً آمناً للطائرات الصهيونية لتعمل بحرية ، بحيث يؤكد المعركة المشتركة لجميع الصنوف ، فبقدر حاجة القوات البرية إلى مظلة الدفاع الجوي ، يحتاج هو الآخر إلى حمايتها الارضية .

١٤. هناك نقطة ضعف أخرى في كلتا الجبهتين ، ألا وهي التعقيد الزائد في السيطرة على المجال الجوي ، فعند تمييز طائرة في منطقة مدافع عنها بصواريخ يصعب معالجتها بشكل مؤثر . ولكن المصريين عالجوا هذه المعضلة بانشاء منطقة تكون فيها الاسلحة حرة ، تتجنبها طائراتهم ، على خلاف السوريين الذين لم يطبقوا ذلك السياق ، واستخدموا طائراتهم فوق المناطق المستورة بمنظومات سام ، واستمروا في الوقت نفسه بالمعركة الجوية ، وتكبدوا بذلك خسائر كبيرة في طائراتهم .

تعليق

تعدَ معضلة السيطرة الجوية لتنظيم عمل اسلحة الدفاع الجوي والطائرات المقاتلة قائمة منذ ظهور الدفاع الجوي كسلاح مستقل ، والتنسيق بين الطرفين، وتقييد الاسلحة أو جعلها حرة . لقد أدت تلك الازدواجية إلى ارتباك، كانت نتائجه خسائر بالطائرات الصديقة بالاسلحة الصديقة ، وانتهاز فرصة الارتباك هذه ، لتمر الطائرات المعادية لغرض معالجة اهدافها في الدفاعات الصديقة . ولكن مرة أخرى كان ذلك أكثر تنظيماً وتنسيقاً لدى المصريين منه لدى السوريين ، ويعيدنا ذلك مجدداً إلى التدريب واهميته ، ليس على المستوى الفردي ، بل الاجمالي والمشترك .

١٥. كان الصهاينة في حروبهم السابقة ينظرون إلى قوتهم الجوية على أنها تخفف عنهم الضغط الناجم عن الاعداد المتفوقة عليهم . إلا أن مقاتلاتهم التي تقدم الاسناد الارضي غير قادرة الآن على اعطائهم أكثر من مساعدة خاطفة ، لأن الطيارين فوق – الجولان وسيناء – غالباً ما كانوا يتعرضون للاصابة بصواريخ (سام ٦) ، والتي تأتي بارتفاع واطئ تصيبها المدافع الرباعية ، إلى الحد الذي توقفت فيه جميع الطلعات الجوية مع حلول العصر.

تعليق

حجم الدفاع الجوي الكفء الاسناد الجوي القريب المعادي ، وحرم القوات البرية أهم اسناد كانت تعول عليه ، وتعرضت الطائرات للاصابة بصواريخ (سام) والمدافع الرباعية ، واوقعوا فيها خسائر كبيرة ، بحيث توقفت جميع الطلعات مع عصر اليوم الأول للحرب . إن هذا السلاح هو سلاح الحرب الحديثة في المستقبل ، وينبغي اعداد رجاله ليكونوا قادرين على تداول اسلحته المتطورة وتقديم أحسن أداء . فالتدريب هو سر المهنة ، وبه يتحقق النصر .

١٦. استمر حاجز صواريخ الدفاع الجوي على طول القناة في جبهة سيناء ، بصد المغيرين الصهاينة ، وكانت القوة الجوية المعززة باسراب من الدول العربية الأخرى ، تقوم باعمال الدورية على الاجنحة ، وحدثت بعض المعارك الجوية فوق (بورسعيد) وخليج (السويس) .

تعليق

لقد كان لنجدة الدول العربية دور فاعل في صد العدو ، ومعاونة المصريين والسوريين في المحافظة على دفاعاتهم الجوية ، لخلق حاجز يحول دون اجتياز العدو له . وينبغي لنا أن نعلم ، ما لم يكن هناك تعاون بين الدول العربية في مواجهة الصهاينة ، فإن أية دولة بمفردها لن تكون قادرة على انهاء وجوده . وهذا ما يؤكد ضرورة ايجاد صيغة للتعاون العربي المشترك لمواجهة الصهاينة باقتدار عالٍ .

١٧. كانت محاولات المصريين استثمار رؤوس الجسور والاندفاع ، قد منيت بخسائر فادحة فور خروجهم من مظلة الدفاع الجوي .

تعليق

كانت الوقفة العملياتية من أجل تأمين مظلة الدفاع الجوي - وهي وقفة كارثة- ثم اندفعوا من دون مظلة دفاع جوي وتكبدوا الخسائر . فلو تقدموا منذ البداية والعدو مرتبك ولم يستفق بعد من الصدمة ، أفضل كثيراً من الاندفاع بعد حصول العدو على الوقت اللازم للاستحضار والمواجهة ، ووصول المساعدات الأمريكية وتثبيت الجبهة السورية .

الوقفة العملياتية - الفرصة التي ضاعت

هذه الوقفة ضيعت النصر الذي تحقق ، وأعطت فرصة للعدو لترتيب اموره، وفي الوقت نفسه ، لا أجد لها ضرورة ، من معطيات المعلومات المطروحة في البحوث . إن الوقفة العملياتية تعطى عادة بعد التقدم لمسافات كبيرة بتماس مع العدو، من أجل اتاحة الفرصة لتكامل القطعات واعادة الاملاء وسد النقص ، لاستئناف التقدم في اليوم التالي . ولكن أن تعطى لقوات هجمت واحتلت اهدافها وباشرت في ترصين مواضعها ، وتستند من الخلف إلى مانع مائي كبير ومعقد . أمر يدعو إلى الاستغراب . في حين كان المفروض الاندفاع لاستثمار ارتباك العدو وقبل أن يستفيق من صدمة المباغتة ، خاصة إن الموضع الدفاعي في الخلف متماسك ويتكامل . وقد اخترت بعض ما ورد في البحوث يخص هذه الوقفة ، واترك للقارئ الكريم ليقول كلمته في ضوء المسوّغات المطروحة من جانب من أمر بتنفيذها .

١. لم تضغط القوات المصرية على التقدم إلى الامام كثيراً ، بعد أن تراجع الصهاينة ، وقد ضيّع ذلك عليهم فرصة ثمينة . كما يشار إلى الفترة من (١٠ - ١٢) تشرين الأول بفترة الهدوء في العمليات التعرضية لدى الجانبين، حيث كان القادة منهمكين في وضع ستراتيجياتهم للعميات المقبلة . ويعتقد أن أحد أسباب القرار المصري لوقف الهجوم يوم ٨ تشرين الأول على بعد (١٠) كيلو مترات شرق القناة ، ربما لاحتمال ضعف منظومات الدفاع الجوي لاسناد خططهم التعبوية ابعد من ذلك .

تعليق

كل تلك الأسباب غير مقنعة ، فعندما يتراجع العدو ، يلاحقه الطرف الهاجم لادامة التماس معه ، وعدم اعطائه فرصة استرجاع انفاسه ، فالضغط عليه يبقيه لاهثاً ، غير قادر على ردود فعل منظمة . كما أن القادة لا يوقفون العمليات من أجل اعداد ستراتيجياتهم ، فالخطط موضوعة مسبقاً ، واحدة قيد التنفيذ ، والاخرى جاهزة للتنفيذ حال انتهاء الأولى ، فضلاً على وجود خطوط عامة لما يلي ذلك ، فليس هناك وقت يمكن اضاعته أثناء المعركة وخاصة عندما يتقهقر العدو . ثم أن اسلحة الدفاع الجوي تستغرق (٦ - ٨) ساعات

للحركة والانفتاح مجدداً ، واين العمل الدباخي ؟ في حركة الاسلحة ، ولماذا لم يحسب ذلك مسبقاً بحيث تبقى القوات البرية تحت حماية مظلة الدفاع الجوي . ضاعت فرصة ذهبية لا تعوض ، فلو لم تتوقف الجبهة المصرية لكانت نتائج الجولان مختلفة تماماً ، ولاصبحت نتائج الحرب غير ما آلت إليه .

٢. أعطى التوقف المصري للصهاينة احتياجهم من الوقت ، حيث تمكنوا من تحويل ثقل اسنادهم الجوي إلى الجبهة السورية ، الأكثر حراجة وتهديداً لهم. لأن اسلحة الدفاع الجوي في الجبهة السورية أقل كثافة مما يسهل التعامل معها .

تعليق

عدم التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية ، والوقفة العملياتية المصرية، تسببا في خسارة الطرفين ، حيث انفرد الصهاينة بكل منهما على حدة وعالجوه منفرداً . وكان اخشى ما يخشاه الصهاينة العمل على أكثر من جبهة في الوقت نفسه . فاضاع المصريون والسوريون فرصة لا تثمن ، نتيجة الوقفة العملياتية وعدم التنسيق .

٣. لقد كان التأثير الخطير للوقفة العملياتية هو اتاحة الفرصة للقوة الجوية الصهيونية لتطوير تعبية جديدة للتعامل مع نيران منظومات صواريخ (سام ٦) واخمادها ، واجبار المتبقي منها على الانسحاب باتجاه دمشق . اتخذ الصهاينة الإجراءات الآتية لمواجهة صواريخ (سام ٦) فوق مرتفعات الجولان :

آ . مبتكرات الكترونية متطورة زودتهم بها الولايات المتحدة الأمريكية .

ب. رقوق معدنية محورة .

جـ. اسقاط المشاعل لجذب الاشعة تحت الحمراء للصاروخ .

د . استخدام الطائرات من دون طيار تعمل بالسيطرة البعيدة .

هـ. الطيران بارتفاعات عالية ومن ثم الانقضاض فوراً على المنطقة الميتة لـ (سام ٦) .

و . استخدام السمتيات في الرصد والمراقبة والاستكشاف .

ثم تحولت جهود القوة الجوية الصهيونية نحو الجبهة المصرية بعد استقرار الجبهة السورية .

تعليق

كم جرّت الوقفة العملياتية من ويلات على المصريين والسوريين ، فقد اتاحت للصهاينة الانفراد بالجبهة السورية ، ثم التحول إلى الجبهة المصرية . والاكثر حيوية منحتهم الوقت الكافي لايجاد وسائل معالجة صواريخ (سام ٦) . السلاح الذي ارعب الصهاينة وكبدهم خسائر فادحة ، وحقق مباغتة بالنوع شلت القوة الجوية الصهيونية .

٤. استمر المصريون في ترصين المنطقة التي احتلوها بعد العبور إلى الضفة الشرقية للقناة ، وعند الالحاح على (المشير أحمد اسماعيل) بضرب الممرات فى السلسلة الجبلية في سيناء واحتلالها ، قال إنه لا يريد الانغماس بمعركة مفتوحة . وربما كان ينوي التقدم ثانية بعد صد التعرض الصهيوني المحتمل . ولعله لم تكن لديه نية القيام بأية مغامرة والاكتفاء بما استولى عليه وما حققه له من فائدة ، وربما لا يحبذ العمل خارج مظلة الدفاع الجوي.

تعليق

يمكن تثبيت الملحوظات الآتية بشأن ما جاء بهذه الفقرة :

أ . اضاع فرصة احتلال المضائق وهي مفتاح سيناء ، خاصة إن العدو كان مذهولا مرتبكاً لم يستفق بعد من صدمة المباغتة .

ب. أعطى الوقت الكافي للعدو للاستحضار للتعرض المقابل ووصول المساعدات الأمريكية .

جـ. وفي النهاية اضطر إلى التقدم إلى المضائق من دون غطاء الدفاع الجوي، وبعد فوات الاوان ، لمساعدة سورية ، وتكبد خسائر فادحة .

د . عادة لا تعطى الفرصة للعدو لشن هجومه المقابل ، بل يجب الضغط عليه لحرمانه شن هجوم مقابل مدبر ، ومن هنا جاءت خطوط استثمار الفوز ، وادامة التماس مع العدو المتقهقر .

٥. بعد عبور الفرق الهاجمة الخمس ، وتأسيسها رؤوس جسور في الضفة الشرقية، تعطى لها وقفة عملياتية لمدة أربعة أيام لاغراض :

أ . ضمان رؤوس الجسور المختلفة وتعزيزها وجعلها قاعدة تستند إليها القوات التي ستطور الهجوم شرقاً .

ب. العمل على امتصاص ردود الفعل المعادية وتدمير قدرات العدو الهجومية باعمال دفاعية والسعي إلى تدمير هجماته المقابلة وخاصة الدروع منها .

جـ. تأمين الدفاع الجوي للقوات التي احتلت رؤوس الجسور ، واسقاط أكبر عدد ممكن من طائرات العدو .

د . إعادة تنظيم وتجحفل القوات المرابطة في رؤوس الجسور وسد نقصها استعدادا لتطوير الهجوم شرقاً .

هـ. ضمان التوازن السوقي في ساحة العمليات باستخدام احتياطات الجيشين الثاني والثالث ، واحتياطات القيادة العامة المصرية .

تعليق

هذا ما ورد في الخطة ، اذاً الوقفة العملياتية مخطط لها مسبقاً ، والفقرات الخمس آنفة الذكر لا تبرر مثل تلك الوقفة ، لأن جميع تلك الفقرات هي سياقات واجبة الاتباع والتطبيق . فبعضها يجري كاعمال متداخلة ، فكل يقوم بواجبه كسباً للوقت . واعادة التنظيم مرحلة أساسية من مراحل الهجوم تجرى خلالها الاعمال المذكورة في الفقرة (د) . أما الدفاع الجوي فقد كان مؤمنا حيثما وصلت القطعات بعد العبور ، بل كان المطلوب نقله إلى الضفة الشرقية لحماية القطعات التي ستندفع إلى المضائق . أما بصدد امتصاص ردود الفعل المعادية، فقد كان بالامكان انهاؤه في مكانه باحتلال المضائق التي كونت القاعدة الأساسية لانطلاق قوات الهجوم المقابل المعادية وعدم اعطائه الفرصة لشن هجمات مدبرة ، خاصة إن العدو قد زج بكل ثقله البري والجوي في جبهة الجولان . أما التوازن السوقي في ساحة العمليات فإنه متحقق لوجود احتياط الجيشين في الضفة الشرقية واحتياط القيادة العامة كاملاً ومتماسكاً في الضفة الغربية للقناة حيث لم يستخدم حتى ذلك الوقت . كانت الفرصة ذهبية خلال أيام الوقفة العملياتية الأربعة لتحقيق نصر كامل ، فلم تكن للعدو قدرة على القتال على جبهتين .

٦. الترتيبات التى اتخذت لاحتلال المضائق أثناء الوقفة العملياتية ، عقدت العملية بسبب إعادة التجحفل ، وربط الوية من فرق مختلفة مع فرق أخرى ، واربكت القيادة والسيطرة والمواصلات .

تعليق

لم يظهر ما يشير إلى هذا التغيير عن الخطة الأصلية - المذكورة في فقرة عمل الركن من هذا التحليل - فالصفحة الثانية تنص على تخلل القوات المدرعة والمشاة الآلي من فرق المشاة الماسكة للجبهة ، والاندفاع باتجاه مضيقي (متلا والجدي) . فكانت فرق جاهزة ومكلفة بالواجب تنتظر الاوامر بالتنفيذ . ما الذي دعا إلى إعادة التجحفل ، لأن اعقد الأمور هو فك وربط تشكيلات أو وحدات مع غير قيادتها الام ، لما يترتب على ذلك من مشاكل قيادة ومواصلات وأمور ادارية ، ويكون الأداء في كل الاحوال اضعف وأقل كفاءة ، لأسباب عديدة معروفة للعسكريين . ينبغي تجنب إعادة التجحفل ، وخاصة أثناء المعركة ، إلا للضرورات القصوى عندما لا يكون هناك مفر . فلماذا جرى هذا التجحفل ليزيد الأمور تعقيداً ؟ فلو نفذت الصفحة الثانية كما منصوص عليها في الخطة الأصلية من دون وقفة عملياتية واعادة تجحفل ، لكانت نتائجها أفضل بكثير ، على ما اعتقد ، كما تشير إلى ذلك المعطيات الواردة في البحوث . على أية حال أنها فرصة ضاعت ولا مجال الآن للتكهنات والاجتهادات .

الأداء العربي واسطورة الجيش الذي لا يقهر

اقتبست غيضا من فيض الأداء العربي في حرب تشرين ١٩٧٣ ، لأن البحوث جميعها تزخر بالمواقف البطولية والأداء المتميز ، ويذكرها كتابها بالتمجيد والفخر ومعظمهم اجانب ، فكيف لا نفخر بها نحن اهلها ؟ ولو اردت أن استشهد بها كلها لكررت معظم صفحات تلك البحوث . ولم أجد بداً من الاطراء ، لأن المواقف المدونة بحد ذاتها ، تثير في النفس الحمية ، ومشاعر العزة والقدرة وتذكي روح الشموخ ، وتؤكد أن الآخرين - أياً كانوا - هم ليسوا أحسن ولااقدر. لا من باب الغرور والعنجهية ، بل من منطلق الاعتداد بالنفس والاعتماد على

الذات وما اثبته الأداء العربي فعلا في الميدان . لقد جاء هذا الأداء الرائع الذي انهى اسطورة الجيش الذي لا يقهر نتيجة الاعداد الجيد والجهود الكفء المبذولة التي لا حدود لها في الاستحضار والتهيؤ والتنفيذ ، فالتدريب عماد القوات المسلحة وعمودها الفقري ، وأخيراً اقول اعطني جندياً مدرباً ، مؤمناً بقضية ، اعطيك نصراً !

١. فتح المصريون (٦٠) ثغرة في السدة الترابية ، ونصبوا (٥٠) طوفاً ، وانشئت (١٠) جسور عائمة خلال فترة (٦ – ٨) ساعات منذ بداية الهجوم، لقد أدى هذا العمل البطولي الفذ إلى :

آ . اخماد المواضع الحصينة بسرعة وبصورة مؤثرة .

ب. السرعة في اختراق السدة الترابية .

جـ. كفاءة استخدام معدات التجسير الروسية القياسية فضلا على الجسر الروسي العائم الحديث .

د . الحماية الفعالة تجاه الهجمات الجوية والمدرعة الصهيونية .

تعليق

انجاز رائع بكل المقاييس العسكرية ، واقتحام استثنائي قل مثيله في التاريخ العسكري ، يدل على التدريب الراقي والممارسات التي بلغت بالتنفيذ الكمال . فضلاً على العزيمة والاصرار والمعنويات العالية . إن هذا الانجاز يُخرس كل الالسن التي تتقول على المقاتل العربي ، وعلى رأسهم الصهاينة ، حيث لقنتهم الحرب درساً لن ينسوه ابداً ، وسوف يحسبون ألف حساب قبل أية مواجهة مع القوات العربية مستقبلا .

٢. حمل جندي المشاة ، فضلا على ما يحمله من تجهيزات وسلاح وعتاد ، عند العبور اسلحة م / د ب القصيرة (ساغر) وقاذفات (ار بي جي ٧) وصواريخ (سام ٧) لمقاومة الطائرات وسلالم تطوى لتسلق الساتر ، وعربات تسحب باليد لحمل الاعتدة والمعدات . . الخ .

تعليق

لا يقدر قيمة هذا الحمل الكبير الذي تمنطق به الجندي العربي ، إلا من كابده ، وهو يتسلق جداراً من رمال تنهال ، وابتكر في مواجهة تلك المعضلة سلالم

تطوى يمدها امامه في الصعود ، وفتح الثغرات بالساتر بالتجريف باستخدام خراطيم المياه والمضخات . وحالما أصبح فوق خط بارليف ، كانت له حماية ذاتية ، أتت مما يحمله معه في مواجهة اخطر عدوين ، هما الدبابة والطائرة ، فقد حمل (الساغر) و(ار بي جي) ليرمي بها دروع العدو ويدمرها محمولة على كتفه . وحمل (سام ٧) ليقاتل به طائرات الصهاينة باطلاقها من الكتف، وكانت مفاجأة مذهلة للعدو ، اوقعت به خسائر فادحة . . فماذا بعد ذلك من أداء، شهد له العدو قبل الصديق .

٣. ظهر في ما بعد أن هدف المصريين المباشر هو دحر القوات الصهيونية في الجانب الغربي من سيناء ، وتبديل جو (اللاسلم واللاحرب) . وكان الهدف النهائي هو تحقيق تنازلات سياسية . كان الاهتمام منصباً على التحدي بصورة خاصة ، مع امكانية تحطيم أسس السياسة الخارجية الصهيونية الثلاثة :

آ . اسطورة قوات الجيش الصهيوني الذي لا يقهر .

ب. حدود آمنة مبنية على الواقع الجغرافي .

جـ. سلام يفرض على وفق المفهوم الصهيوني .

تعليق

شن حرب عسكرية لتحقيق أهداف سياسية ، وهذا ما يؤكد أن القوات المسلحة آخر أدوات السياسة . فضلاً على روح التحدي وتمريغ انف الصهاينة في تراب سيناء ، وقد فعلوا . كما استطاعوا تحقيق الأهداف المنصوص عليها في هذه الفقرة .

٤. حقق المصريون يوم ٧ تشرين الأول تفوقاً حاسماً في القدرة القتالية بالقوات البرية على الصهاينة . أدى هذا التفوق إلى توسيع رؤوس الجسور المنفصلة وجعلها رأس جسر واحد متكامل .

تعليق

كانت الأيام الأولى لحرب تشرين الأول ١٩٧٣ ، من اروع ما قدمه المقاتلون العرب ، وكانوا متفوقين بكل شيء ، ليس بالقوات فقط ، بل بالعزيمة

والاندفاع والحماسة والمعنويات التي جعلت كل فرد منهم صخرة صلدة يتحطم عليها الاعداء عند المواجهة .

٥. بدأت وحدات الاحتياط الصهيونية بالوصول على شكل دفعات مع صباح يوم ٧ تشرين الأول ، وكان اولها لواء احتياط من فرقة (ادنز) ، ثم وصل اللواء الثاني من الفرقة نفسها الذي اشتبك برأس الجسر يوم ٨ تشرين الأول ، ولم يصل اللواء الثالث حتى يوم ٩ تشرين الأول .

تعليق

لقد فشلت اسطورة النفير المثالي التي يروجها الصهاينة ، وها هي ردود فعلهم مرتبكة مشوشة ، بحيث وصلت وحدات الاحتياط على شكل لقم ، وحتى أن بعضها لم يصل إلا بعد ثلاثة أيام . وهم من يدعون أن نفيرهم يكتمل من جميع الوجوده خلال (٤٨) ساعة ، ولكن الأداء العربي المتميز شلّ تفكيرهم ووسائلهم وكل خبثهم .

٦. عندما توقفت ناقلات الدبابات الصهيونية في منطقة (روماني) لانزال الدبابات، وقعت في كمين نصبه المغاوير المصريون ، إذ تسللت السمتيات خلال ظلام الليل على بعد (٣ - ٥) كيلو مترات من الطريق العام باتجاه القناة ، تكبد الصهاينة نتيجة لذلك خسائر بالدبابات وناقلات الأشخاص .

تعليق

كانت الكمائن من كل الاشكال ممارسات صهيونية في جميع المواجهات السابقة، وهاهم يشربون من الكأس نفسها . كمن لهم المقاتل العربي ودمر قطعاتهم، واوقع فيهم خسائر فادحة ، ولم يكن نقل الكمائن بالسمتيات وفي الاخص ليلاً ، امرا سهلاً من الوجود كافة ، ولكنه العقل العربي الذي قدر ودبر، فانجز بنجاح قل نظيره ما لم يكن بالحسبان .

٧. كانت معظم الدبابات الصهيونية في حالة تنقل من بئر السبع ، ومن غير المتوقع وصولها قبل الضياء الأخير يوم ٧ تشرين الأول . وصلت وحدات كثيرة ولكنها من دون معدات كاملة ، كما لم تكن الدبابات بكامل حمولتها من العتاد والوقود ، فضلاً على النقص في رشاشات ونواظير فوج الاستطلاع ،

وعدم وصول آمري الدبابات . وحتى هذا الوقت كان الصهاينة يرقصون على انغام مصرية ، أي أن اعمالهم ردود فعل تجاه فعاليات القوات المصرية .

تعليق

في مثل هذا الجو من الارتباك والفوضى الذي يحيط بالصهاينة ، لا يمكن التكامل بكل تأكيد ، ويعانون النقص في كل شيء ، وحقاً أنهم يرقصون على انغام مصرية . فاعمالهم كلها عبارة عن ردود فعل من دون أي ابداع أو مبادرة، لاتقاء ضربات المقاتل العربي . واصبح الجيش الذي لا يقهر في خبر كان ، واسطورة النفير المثالي اثرا بعد عين .

٨. حالما اقترب الفوج الامامي من فرقة (ادان) من المواضع المصرية يوم ٨تشرين الأول ، وقع في كمين من المشاة المصري المجهزين بصواريخ ضد الدبابات الموجهة والمحمولة . وكانت هناك وحدة قريبة منها ، إلا أنها استنفدت اعتدتها ، ولم تكن قادرة على ابداء المساعدة ، كما كانت هناك وحدة من فرقة (شارون) رفضت ابداء المساعدة ، لتضارب الاوامر . فضلا على نقص كبير في الاسناد المدفعي والجوي ، وتكبد الفوج خسائر بالدروع والارواح ، مع انقطاع المواصلات بين الالوية ومقر الفرقة . كانت المعلومات عن العدو والصديق غامضة والاوامر موجزة وغير كاملة . هاجم أحد الالوية القوات المصرية ، إلا أن اللواء الآخر لم يكن مستعداً للهجوم ، فاصبح هجوماً فردياً .

اوقع المصريون افواج الهجوم الرئيس الصهيونية في كمين منظم بشكل جيد ، وتمكنوا من تدمير (١٨) دبابة من مجموع (٢٢) وأسر (المقدم عساف ياتوري) آمر أحد الافواج وعرض على شاشة التلفزيون المصري .

تعليق

لا يمكن أن يكون هناك أكثر من هذا الموقف تشويشاً وعجزاً ، فقد شُلَ الصهاينة بحيث لم يكن في مقدورهم التعاون في ما بينهم ، وهم من يدعي الكمال ، واستنفدوا طاقتهم ، وانقطعت مواصلاتهم . فضلاً على اوامر غامضة غير دقيقة ، كل ذلك بفعل القتال المنظم الذي نفذته القوات العربية ، واحتفاظها بالمبادأة ، وتحقيق مباغتة تعبوية في كل المواقف ، بالسلاح أو

الاستخدام أو بالأساليب ، ففي كل موقف هناك واحد أو أكثر من أنواع المباغتة هذه ، أذهلت الصهاينة وفتت في عضدهم وافقتدهم صوابهم .

٩. إن الذي جعل الصهاينة يفشلون في التقدير هو الثقة الزائدة بانفسهم وكفاءتهم، وبقدرتهم على استخدام قواتهم المدرعة . وقضى العبور العربي لقناة السويس والتقدم السوري الأول تجاه القسم الأعلى من نهر الاردن على اسطورة عدم امكانية دحر القوة الصهيونية ، وعجز القدرة العربية . فضلاً على كل ذلك ، فإن السيطرة السورية يوم ١٠ تشرين الأول غيرت موازين القوى واربكت الصهاينة .

تعليق

لم يُسعف الصهاينة ما ادعوه من كفاءة في النفير ، وتفوق في ادارة المعركة، فقد تلكأ النفير ، ورافق هجومهم ارتباك وفوضى في ادارة المعركة ، وكانت القوات العربية هي الاجدر والاكفأ . لقد انتهت اسطورة الجيش الذي لا يقهر منذ اليوم الأول ، وظهر عجز الصهاينة وتميز القدرة العربية ، واصبح المقاتل العربي هو الاسطورة . لو استمرت السيطرة السورية إلى آخر أيام الحرب لكانت النتائج غير ما آلت إليه في النهاية .

١٠. بعد مرور (١٥) دقيقة من القصف التمهيدي ، شرع المشاة من عشرة الوية بالتوجه نحو الاستحكامات الترابية في الضفة الغربية من القناة وهم يحملون زوارق الصولة ، وسرعان ما القوها في القناة ، وبالتجذيف وصلوا إلى الضفة الشرقية . كانت الموجة الأولى من جماعة العبور تحمل معها سلالم خفيفة الوزن تطوى ، وضعوها على المتاريس الترابية ، وخلال بضع دقائق شاغلوا المواقع الصهيونية عن قرب ، وهم يحملون قاذفات اللهب والصواريخ والقاذفات ضد الدبابات والرشاشات والغدارات والرمانات اليدوية. وقد كانت روحهم المعنوية عالية عند عبورهم إلى الضفة الشرقية من القناة ، برغم النيران الحامية من المواقع الامامية لخط بارليف ، ونيران المدفعية المعادية الثقيلة والمتوسطة .

تعليق

من اروع عمليات العبور في تاريخ الحروب ، فالمانع فريد في نوعه ومواصفاته ، لأن عبور هذا الحجم من القوات في موجة واحدة محملين بكل تلك التجهيزات والاسلحة كانت موضع تقدير العالم واعجابهم . فالتدريب الراقي والممارسات الكثيرة ، جعلت التنفيذ تلقائياً ، باغت العدو واذهله ، بحيث لم يكن له رد فعل مؤثر ، بل تخبط عشوائي لا ينم إلا عن الفوضى والارتباك ، وكانت اروع مباغتة . إن هذا درس يحتذى في كل المستويات ، ويسجله التاريخ للمقاتل العربي ، ويتذكره الصهاينة بمرارة وأسى . واثبت ذلك أن الدفاع مهما كان رصيناً يزيحه المقاتل العزوم ، الذي يقاتل من أجل قضية مؤمناً بها ، ويضحي بحياته من اجلها . لقد قالها (هرقل) من قبل في معارك الشام ، يوم سُئل عن أسباب اندحاره فقال " كيف تريدوننا أن نقاتل رجالاً يحبون الموت أكثر من حبهم الحياة " .

١١. وبين كل موجتين متعاقبتين ، كان بعض الرجال المصريين يركعون لحظات ويقبلون الأرض التي حرروها . وكانت الاعلام المصرية تغرز في الرمال والمواقع الدفاعية التي يستولون عليها . وبدأت تقع في صفوفهم بعض الخسائر ، ولكن زخم المعركة لم يفتر .

تعليق

عندما يقاتل الرجال من أجل قضية يؤمنون بها يعملون العجب ، ولن يحول بينهم وبين هدفهم مقاومة العدو وصعوبات القتال أو حتى الموت . فقد اعلنوا عن ايمانهم بشتى الأساليب الروحية والمادية .

١٢. لقد ازال رجال الهندسة المصرية الاحجار التي تكسو ضفة القناة الشرقية بايديهم ، لتوفير نقاط انزال للاطراف الخفيفة لنقل الأدوات الثقيلة والمتفجرات. وقد ابتكر أحد الضباط الشباب طريقة جديدة لجرف الساتر الترابي على الضفة الشرقية للقناة ، باستخدام مضخات ذات ضغط عالٍ ، محمولة على اطواف تستخدم ماء القناة وتضخه بقوة ليجرف التراب الذي يكوّن خط بارليف ، لإحداث ثغرات فيه . وبعد سبع ساعات من صولة المشاة، استطاعت الهندسة المنتصرة من اكمال جسر الاطواف العائم الأول،

ونصب عشرة جسور ، وخمسين عبارة متوسطة وثقيلة ، على امتداد القناة قبل منتصف الليل .

تعليق

انجاز رائع ومتميز بقياسات عبور الموانع المائية ، وهنا نتساءل ، ما مقدار التدريب الراقي الذي تلقاه هؤلاء الرجال ، لتنفيذ مهمة بهذه الجسامة ؟ وهذا الاقتدار في مواجهة مقاومة العدو وقصفه المدفعي . لقد قيل في أهمية التدريب (الممارسة تصنع الكمال) والممارسة تدريب متكرر ، وهذا ما اثبتته حرب تشرين الأول ١٩٧٣ .

١٣. عندما كانت القلة القليلة من الصهاينة عاثرة الحظ ، من الاحتياطات الامامية، تكافح بشكل بائس لنجدة مواقعهم الامامية ، تجاه التدفق المصري العارم ، جاءت الطائرات الصهيونية ، معتمدة على خبرتها من حرب ١٩٦٧ ، في الضرب والحوم فوق ساحة المعركة في سيناء ، وضرب المطارات ، فوجدت ذلك كله محاطاً الآن بشبكة صواريخ الدفاع الجوي . ولم تكن للصهاينة خبرة في مواجهتها ، وكلفهم ذلك ثمناً غالياً في الارواح والطائرات .

تعليق

يؤكد هذا الموقف ، إن من يقاتل في حربه الحالية بعقلية وافكار الحرب السابقة لا يجني إلا الفشل ، وهذا ما جناه الصهاينة نتيجة غرورهم وعنجهيتهم . فالخبرة السابقة يجب أن تضاف اليها متغيرات الظرف والعلم والتقنية ، وامكانات العدو الحالية وليست السابقة ، حتى يمكن الحصول على نتيجة ايجابية ، وبخلافه تكون كارثة ، وشواهد التاريخ العسكري كثيرة .

١٤. استمر الجيش السوري على الهجوم بضراوة مستميتة اذهلت الصهاينة ، وإلى الجنوب من القنيطرة كان اللواء الصهيوني الذي يدافع هناك قد أصبح واهناً لما تكبده من خسائر كبيرة بالدبابات . وقد وجد نفسه أمام هجوم من اتجاهين، وأُجبر مشاته على ترك العديد من المواقع ، ولم يستطيعوا منع تسلل جماعات صيد الدبابات السوريين خلال ليلة السبت وصباح الأحد . كما لم يتمكن الصهاينة من معالجة الموجات التالية لدبابات القدمة الأولى ، حيث

كان عددها كبيراً . وفقد الصهاينة الدقة التي كانوا يتمتعون بها في الاصابة من مديات بعيدة . وعندما اجبروا على الانسحاب ، كانوا من دون مشاة في حالات عديدة فاصبحوا واهنين تجاه اسلحة مقامة الدبابات المحمولة على الكتف .

تعليق

ادارة المعركة الجيدة ، والمباغتة والمبادأة تعززها جميعاً العزيمة والمعنويات العالية تحقق المعجزات . إن ما تمتعت به القوات العربية من مواصفات ، جعلتها متميزة ومشهود لها ، ولقنت الصهاينة دروساً ، واشبعتهم صفعات ، وكبدتهم خسائر بالارواح والمعدات . ذُهل الصهاينة ، وفقدوا الدقة حتى في استخدام اسلحتهم ، ولولا المساعدات الأمريكية والوقفة العملياتية وما أدت إليه من نتائج ، لخسر الصهاينة الحرب لا محالة. وهذا انموذج حي يدلل على قدرات المقاتل العربي ، وأداء الجيوش العربية في مواجهة الصهاينة .

١٥. استخدم السوريون معدات الرؤية الليلية جيداً ، والتي تعمل بالاشعة تحت الحمراء لمشاغلة الدبابات الصهيونية قبل الفجر .

تعليق

أتقن المقاتل العربي استخدام أحدث التقنيات واكثرها تطوراً ، واستثمر أداءها التصميمي لدحر العدو وهزيمته ، وهذا يؤكد قدرة رجال القوات المسلحة العربية على التعامل مع ارقى التقنيات ، متى ما اتيحت لهم فرصة التدريب عليها ، والتعامل معها بمعرفة ودراية .

١٦ . اخفقت الهجمات الجوية الصهيونية في ضرب الجسور العائمة على القناة ، ولم تتمكن حتى من تدمير موقع جسر واحد . وكل ما استطاعت فعله تأخير المرور على الجسور لنصف ساعة فقط ، وتكبدت خسائر جسيمة بالطوائف الجوية ، وخسائر أكثر بالطائرات .

تعليق

سقطت اسطورة الجيش الصهيوني ، واصبح الجيش الذي يدحر . ولابد للمرء أن يطري تعبية اسلحة الدفاع الجوي لحماية الجسور ، واتقان المقاتل

العربي استخدام سلاحه ، بحيث لم يستطع العدو من تدمير تلك الجسور ، أو حتى التأثير في العمليات وتكبده خسائر جسيمة .

١٧ . لم يكن الصهاينة أقل تصميماً على انهاء الحرب بشروط في صالحهم وبسرعة، لأن خسائرهم البشرية من قتلى وجرحى كانت تبعث على الشعور بالخطر بدرجة عالية ، بغض النظر عن الكلف المادية التي تتحمل اعباءها الدولة .

تعليق

بالطبع أنهم تواقون لانهاء الحرب ، لأن الحرب الطويلة تعني بالنسبة لهم :

أ . خسائر بشرية غير قادرين على تحملها ولا على تعويضها .

ب . خسائر مادية ونفقات تؤدي إلى شل عجلة الاقتصاد .

ولكن المسألة هي المطاولة ، فمن يتصور إنه لم يعد قادراً على الاستمرار ، يجب أن يتذكر أن الطرف المقابل أكثر وهناً ولكنه يكابر ، فالصراع مطاولة محسوبة .

١٨ . انقطع الجيش الثالث المصري عن مصادر تموينه ، وبالرغم من المبالغة والدعاية الصهيونية بأن مصر جميعها تحت رحمة القوات الصهيونية ، إلا أن ذلك لم يكن صحيحاً بالمرة .

تعليق

أ . المصريون ادرى بالموقف ، فكان المفروض أن لا يتأثروا بالدعاية .

ب . كان الجيش الثاني متماسكاً في الضفة الغربية ، وبالتعاون بين الجيشين والقوة الجوية والمدفعية ، يمكن قطع الطريق على القوات الصهيونية العابرة ، ثم أن تدمير القوات العابرة مسألة فعل وصبر لا أكثر .

لقد غيرّ عبور الصهاينة إلى الضفة الغربية الأداء ، ومثلّ نقطة تحول في الحرب .

١٩ . اعاد المصريون بناء شبكة (سام) وتعويض خسائرهم المدرعة ، وسد نقصهم من عتاد المدفعية وعتاد مقاومة الدبابات . وإن أية محاولة للقوات الصهيونية للقيام بحرب مكشوفة داخل مصر ، قد تؤدي إلى كارثة بالنسبة للكيان الصهيوني .

تعليق

أ . صحيح جداً ، فقتال الصهاينة في الضفة الغربية يعني كارثة ما بعدها كارثة بالنسبة لهم ، لأنه :

أولا . يقاتل الصهاينة في بيئة معادية تماماً من جميع الوجود ، البشرية والجغرافية والدافع .

ثانياً . ادامة القوة الصهيونية وتعويضها ضرب من الخيال في مثل هذه البيئة ، وعليهم عبور مانع مائي في كل مرة لانجاز تلك المهمات .

ثالثاً . تدمير القوة العابرة أو اسرها أمر ممكن لو استمرت الحرب ، خاصة إن الجيش الثاني في الضفة الشرقية للقناة موقفه رصين ، والجيش الثالث متماسك .

رابعاً . سيقاتل المواطنون المصريون بكل الوسائل والأساليب على شكل عمليات انصار وعصابات ، بكل ما تنطوي عليه من معان عسكرية.

ب . اعود واقول كانت القضية بحاجة إلى فعل وصبر ومطاولة ، خاصة إن الأمة العربية قد مدت يد العون بكل سخاء ، وربما انقلب السحر على الساحر . هذا كل ما يمكن أن نقوله في ضوء ما ورد من معلومات في البحوث .

٢٠ . لم تشغل القوات السورية الموضع الحصين الذي احتلته ، بل اتخذت لها مواضع جيدة على سفح جبل الشيخ ، وعلى الطرق المؤدية إلى القمة . حقاً أنها كانت حركة تعبوية سليمة تدل على ادراكهم الكبير لدراسة الأرض . فشل الصهاينة في استعادة الموضع الحصين على جبل الشيخ . جرت محاولة أخرى في اليوم التالي إلا أنها فشلت أيضاً ، لم يحاولوا مرة أخرى الاستيلاء على موضع جبل الشيخ حتى الأيام الاخيرة للحرب .

تعليق

إن من يحسن استخدام الأرض ، وانتخاب المواضع الصحيحة ، ويشد العزم على القتال والصمود ، لن يسمح للعدو بالمرور أو باكتساحه ، وهذا ما حصل

في الأيام الأولى للحرب ، وظهرت قدرات ومواهب القوات العربية . ولكن لما اختلف ميزان القوى نتيجة للجسر الجوي الأمريكي ، وانعدام التنسيق بين الجبهتين ، انفرد الصهاينة بكل جبهة وعالجوها بالتعاقب .

٢١ . عند وصول السوريين إلى خط سنابر - جسر بنات يعقوب - كفر نفاخ ، أي بعمق (٣٠) كيلو متراً داخل الأراضي المغتصبة . هبطت القدرة القتالية في هذا الوقت للواء المدرع / ١٨٨ الصهيوني إلى (١٣) دبابة سنتورين. واصبح غير مؤثر ، وقتل آمره العقيد (شوهام) . كما دخل اللواء المدرع/٧ الصهيوني الحرب بقوة (١٠٠) دبابة سنتورين ، لكن هبط موجود إلى (٣٥) دبابة صباح يوم ٩ تشرين الأول .

تعليق

كان انجازاً رائعاً في الأيام الأولى للحرب ، وابلى المقاتل العربي بلاءً حسناً، ولو كان هناك تنسيق بين الجبهتين ، ومشاغلة العدو فيهما في الوقت نفسه ، لكانت النتائج مذهلة لصالح العرب ، حتى لو استمر الجسر الجوي الأمريكي ، لأنه يؤمن اسلحة وتجهيزات ، أما على صعيد البشر فقد كانوا اعداداً من المتطوعين فقط ، وهؤلاء لن يسدوا الحاجة مهما كثر عددهم مقارنة مع الخسائر التي تكبدها الصهاينة في الأيام الأولى للحرب ، ثم أنهم غير قادرين على الاستمرار في حرب طويلة .

٢١ . ليلة ١٢ / ١٣ تحرك لواء مدرع عراقي ، معززاً باتجاه أحد اجنحة الخوق لقوات (لانيير) ، أن هذا التدخل العراقي ، فوّت الفرصة على القوات الصهيونية ، من احاطة الجناح الايسر للقوات السورية المدافعة أمام مدينة (دمشق) . كان للالتزامات العربية من العراق والاردن والسعودية تأثير كبير في مضاعفة الامكانات السورية ، ورفع معنويات قواتها .

تعليق

اعتراف لا يرقى إليه الشك ، فقد جاء ذلك في الصفحة (٤١) من بحث كلية الاركان والقيادة الأمريكية . وهكذا انقذت دمشق من الاحتلال ، ولو لم تتوقف الحرب لطردت القوات الصهيونية من الجولان في أقل تقدير . وادى

الجهد العربي المشترك دوره الفاعل برغم قلته وقصر فترة اسهامه ، فكيف لو كانت القوات العربية متكاملة ومنسقة وتحت سيطرة قيادة موحدة .

٢٢ . عدّل موقعا رصد سوريان يقعان على اثنين من التلال الحاكمة ، نيران المدفعية على عجلات القتال وعجلات إعادة الاملاء الصهيونية على الطريق. وبالرغم من أن الضربات الجوية السورية على منطقة الخرق الصهيونية ، كانت ذات فائدة في ايقاف تقدم القوات المعادية ، إلا أنها أقل تأثيراً من القصف المدفعي المركز المستمر ، الذي أداره موقعا الرصد المذكوران . لم تتراجع القوات السورية المواجهة لقوات (بلييد) في القاطع الجنوبي ، بالرغم من تحقيق القوات الصهيونية النجاح في القاطع الشمالي من مرتفعات الجولان .

أصبح واضحا في هذا الوقت ، أن الاندفاعات الصهيونية قد أوقفت تماماً . وكان لاستخدام السوريين المدفعية على شكل تجمعات نارية كبيرة ، دور في ايقاف تقدم القوات الصهيونية داخل سورية . انفتحت مراصد المدفعية السورية في أماكن ممتازة ، بدرجة كانت معها قادرة على رصد ارتال عجلات إعادة الاملاء للعدو ، وتعديل النيران عليها بكفاءة .

استمر السوريون يوم ١٤ تشرين الأول على ادامة الضغط على الجناح الايسر الصهيوني ، وكان معظم الفعاليات على شكل ضربات بالمدفعية الثقيلة، وهجمات جوية مركزة ، وحددت هذه الفعاليات التحركات المعادية بدرجة كبيرة . واستطاع الاردنيون في القاطع الجنوبي من اكمال مواضع الصد على الطريق العام درعا – دمشق .

وخلال لية ٢٠ / ٢١ تشرين الأول ، قام المشاة السوري بالهجوم على منطقة قريبة من سعسع ، واجبروا القوات الصهيونية على التراجع بضعة كيلو مترات جنوب المدينة .

تعليق

إن الكفاءة القتالية للجندي العربي عالية ، وخاصة عندما يقاتل من أجل استعادة أرضه ، وأعد اعداداً جيداً لأستخدام سلاحه وتطويع الأرض لخدمته. ويقول فردريك الكبير في معرض التطرق لعامل الأرض " ليس من الحكمة

احتلال كل شبر من الأرض ، بل الحكمة في احتلال المناطق الحاكمة " . وعند السيطرة على الأرض الحاكمة يستثمر المقاتل طاقة سلاحه إلى اقصاها، ويستطيع الصمود بوجه الاعداء .

ولولا وقف اطلاق النار ، لأستطاعت القوات العربية تغيير الموقف لصالحها، لأنها استطاعت دحر العدو ليلة ٢٠ / ٢١ تشرين الأول ، ودفعه بضعة كيلو مترات إلى الخلف ، وكان معظم القوات العربية على الطريق ، ولو تكامل ذلك المجهود ، لكانت النتائج غير النتائج المعروفة ، وفي الأقل اطالة امد الحرب الذي لم يعد الصهاينة يطيقونه ، وكانوا تواقين لوقف القتال . ويعود ذلك إلى ضعف المطاولة ، وعدم التنسيق بين الجبهتين ، فضلاً على الأسباب الأخرى .

ثغرة الدفرسوار - اللغز المحيّر

كانت الدفر سوار خاتمة حرب تشرين أول ١٩٧٣ ، واردت لها أن تكون خاتمة التحليل كذلك . وقد أخذت هذه الفقرة حصة الأسد من التعليق والتحليل ، وهي تستحق كل ذلك ، لا بل المزيد ، لأنها القضية المحيرّة في هذه الحرب . وقد حاولت جاهداً أن أجد جواباً شافياً ، يحدد أسباب تجاهل هذه العملية الخطيرة من جانب المصريين ، وتعاملهم معها ببساطة ، أدت إلى عبور الصهاينة إلى الضفة الغربية ، وتكامل رأس الجسر ، والاندفاع بكل الاتجاهات ، وتدمير قواعد الصواريخ وتهديد الجيش الثالث بتطويقه من الخلف . إن الإجراءات التي اتخذت في جميع المستويات لا تناسب الحدث ، وشخصت نقطتين حيويتين هما :

١ . إن المعلومات لم تصل إلى القيادة العامة إلا بعد يوم من العبور ، وبعد فوات الاوان ، لماذا في هذه الحالة بالذات تأخر وصول المعلومات ، أم أن كل المعلومات كانت تصل من الجبهة إلى القيادة بعد (٤٨) ساعة في كل المواقف ، وكيف جرت المعارك السابقة أن كان الأمر كذلك ؟ وهل يمكن ادارة معارك في ضوء معلومات متأخرة ؟ والمواقف تتغير بسرعة .

٢ . لم تتخذ إجراءات حاسمة تجاه تقرب الصهاينة من الحافة الشرقية للقناة ، ولا أثناء العبور ، ولا عند تأسيس رأس الجسر، فلم تتعد القصف المدفعي ، أو

الهجوم المحلى الذي ينتهي بفك الاشتباك ، ويترك الأمر على حاله من دون التهوء لشن هجوم شامل ينهي الموضوع في اليوم التالي ، ليجدوا الصهاينة قد طوروا الموقف لصالحهم يوم الغد ، واصبح أكثر تعقيدا .
ويستطيع القارئ الكريم الاطلاع على تفاصيل ثغرة الدفر سوار في كل البحوث المرفقة التي استقيت معلوماتي منها - ولو انني ذكرت معظمها - ويتأكد بنفسه ، هل ما جرى مقنع من الناحية العسكرية ، أو في الحد الادنى مقبول على وفق السياقات وأسس ومباديء ادارة المعركة ، وتداول المعلومات؟ أم إنه لغز محير تكمن أسراره في صدور رجاله ؟ وهل يأتي اليوم الذي تظهر فيه الحقائق كما هي ؟ أم تطمر الحقائق إلى الابد ؟ الزمن كفيل بالاجابة . أما نحن فسوف نبقى ، بين مصدق ومكذب ومحتار ! لقد مضى على الحدث ما يقرب من ثلاثين سنة ، وهي فترة مناسبة لاطلاق الوثائق ، خاصة إن معظم شخوصه قد رحلوا إلى العالم الآخر ، ومن بقي منهم اليوم فهو خارج السلطة في الأغلب .

وصف القناة

تعدّ قناة السويس مانعاً مائياً رئيساً أمام أية حركة من الشرق إلى الغرب وبالعكس . ويقدر معدل عرضها بـ (١٥٠) متراً ، واقصى عمق لها (١٥) متراً . وطولها (١٦٠) كيلو متراً . وتعد غير صالحة للعبور كمانع مائي في مناطقها كافة ، إلا باتخاذ إجراءات استثنائية مبتكرة . تحدد البحيرات المرّة الكبرى والصغرى في الجنوب ، والتي يبلغ طولها (١٠ - ١٥) كيلو متراً ، والمستنقعات الملحية الكثيفة الكائنة على طرفي القناة من (القنطرة) إلى (بور سعيد) عمليات العبور بحجم كبير ، وغير قابلة للاجتياز بالآليات ، وخاصة المناطق بين (القنطرة- الاسماعيلية) و (الاسماعيلية - البحيرات) و(البحيرات مدينة السويس) . تمتد في الجانب الغربي من البحيرات المرّة ، مناطق زراعية شجرة بكثافة يقدر عرضها بـ (٥) كيلو مترات تمتد على طول القناة من الاسماعيلية حتى مدينة السويس .

مجمل خطة بدر لعبور الجيش المصري

تضمنت خطة بدر :

١ . مسؤولية الجيش الثاني شمال البحيرات المرّة حتى بور سعيد .

٢ . مسؤولية الجيش الثالث من السويس وحتى البحيرة المرّة الصغرى .

تركت منطقة البحيرة المرّة الكبرى خارج مسؤولية الجيشين ، ولم يظهر في الخطة أو البحوث ما يشير إلى حمايتها أو تخصيص قطعات مراقبة لها ، أو حتى نقاط اتصال بين الجيشين . وعندما وسع المصريون رؤوس الجسور المنفصلة بعد العبور ، وجعلوها رأس جسر واحد متكامل ، إلا أنهم تركوا ثغرة صغيرة بين الجيشين (كما جاء في بحث كلية الاركان الامريكية الصفحة ٥٩) .

تعليق

لم أجد سبباً ولا مسوغاً لوجود مثل هذه الثغرة الموصوفة سابقاً ، ولم استطع أن أتبين الحكمة منها ، وحتى لو أنها عُدّت لا تصلح للعبور كما جاء في وصف قناة السويس ، كان من الواجب في الأقل وضع قوات مراقبة لاعطاء انذار مبكر عن أية محاولة تقرب للعدو إلى الضفة الشرقية للقناة ، أو لغمها وسترها بالنار المرصودة .

الحدود الفاصلة - تعليق

الحدود الفاصلة ، حيوية وخطيرة في الدفاع ، وكلما ارتفع مستوى القوات على جانبي الحدود ازدادت الخطورة ، ويروي لنا التاريخ العسكري العديد من هجمات الخرق جاءت من الحدود الفاصلة ، وادت إلى انهيار الدفاع . فإذا استطاع العدو تحديدها فإنه سيتوجه في هجومه إليها ، لأنها واهنة وفيها نوع من الاتكال بين القوتين الموجودتين على جانبيها . لذلك اعتمدت سياقات خاصة لضبط الحدود الفاصلة ، ومنع العدو من استثمارها ، وتلك السياقات :

١ . توضع نقاط اتصال على الحدود الفاصلة يناسب عددها طول الحدود وطبيعتها، وتؤشر على الخرائط والشفافات بصيغة دائرة داخلها قطران متقاطعان على شكل علامة (ضرب) ، واسمها يدل عليها ، حيث تتصل عناصر من القوات الكائنة على طرفي الحدود في تلك المنطقة ، وتكون في أماكن مختارة تُسهّل

حماية عناصرها ، وفي حالة الثغرة بين الجيشين الثاني والثالث ، كان من المناسب - مجرد مثال لأن ذلك لا يمكن تحديده إلا بعد الاستطلاع الفعلي للارض - أن تكون واحدة عند مفرق الطرق (ي) ، والاخرى على حافة القناة أو قربها .

٢ . يفضل أن تكون الحدود الفاصلة مانعاً طبيعياً أو عارضة جغرافية ، وفي حالة عدم توفرها ، تلغم وتراقب وتحمى بالنار المرصودة ، وتحدد بكل دقة ، كونها (داخل) إلى القوة س و (خارج) إلى القوة ص .

٣ . تتألف نقاط الاتصال من :

أ . قوة عسكرية صغيرة - حضيرة أو عدة أشخاص - من كل واحدة من القوتين على طرفي الحدود ، ويعتمد حجمها على طبيعة الحدود ومستوى القيادة وطبيعة الأرض والتهديد ، مع وسائل نقل مناسبة .

ب . تتولى الانذار المبكر عن أي تقرب أو ظهور للعدو في منطقة الحدود الفاصلة .

جـ . مواصلات سلكية أو لا سلكية أو كلاهما حسب الموقف والظروف .

د . تتصل بمقر القيادة التي اخرجتها مباشرة .

هـ . تجهيزها بأجهزة رؤية ورصد كالمراقب ومعدات الرؤية الليلية وغيرها.

٤ . واجباتها

أ . رصد ومراقبة الحدود الفاصلة باستمرار ليلاً ونهاراً .

ب . الاخبار الفوري عن أي ظهور للعدو في المنطقة مهما كان شكله ولا يهمل أي شيء .

جـ . عدم الاشتباك مع العدو ، إلا في حالة الدفاع عن النفس فقط .

د . يخبر كل طرف من جماعة الاتصال قيادته بوسائل الاتصال المخصصة له.

هـ . تنتشر القوة قرب نقاط الاتصال ، وتتخذ لها مواضع تسهل لها الرصد والمراقبة ، كما تنتقل بين نقاط الاتصال ، وتؤمن الاتصال مع الجماعة الأخرى دوماً .

التفكير بعملية العبور

لم يكن معروفاً بعد من الذي فكر في دفع قوة عبر القناة إلى الضفة الغربية، لمهاجمة الجيوش المصرية من الخلف ، وليس أقل من ذلك أهمية ، هــو تدميــر مواقع صواريخ (سام) خلف القناة لأخراجها من المعركة . كان (اريل شارون) قائدا للجبهة الجنوبية قبل حرب تشرين ١٩٧٣ بفترة ، وهو اليوم أثنــاء الحــرب قائد فرقة احتياط في سيناء . وأثناء وجوده في قيادة الجبهة الجنوبية كان يفكــر بعملية عبور القناة بالقوة ، ولتحقيق ذلك ، اختار موقعاً قرب (الدفر سوار) ، في الحافة الشمالية للبحيرة المرة الكبرى ، وخفف الجانب الخلفي للساتر في المنطقة، وأشر القاطع بالطابوق . وبالقرب من التحصينات الخاصة بخط بارليف هيأ منطقــة لاجتماع العجلات ، ومعدات التجسير ، محمية بجدران من طين .

اقترحت عملية عبور القناة إلى الضفة الغربية من جانب الصهاينـــة للمــرة الاولى يوم ٧ تشرين الأول ، إلا أنها أجلت وتغيرت عدة مرات . بنيت الخطة علــى أساس تنفيذها بصفحتين .

١ . الصفحة الأولى

أ ينفذ العبور ليلة ١٥ / ١٦ تشرين الأول .

ب . تتولى فرقة فتح الطريق من (الطاسة) إلى مواقع العبور وتطهيرها .

جـ . تأسيس رأس جسر صغير في الضفة الغربية من القناة وانشــاء ثلاثــة جسور .

د . ابداء المساعدة لتخلل قوات العبور من جانب الفرقة التي فتحت الطريق .

٢ . الصفحة الثانية

أ . تعبر القوات الرئيسة وهي فرقة (ادان) .

ب . الحركة باتجاه الجنوب والتحشد شرق الفرقة التي فتحت الطريق .

جـ . يعقب لواء مدرع واحد من القوات التي فتحت الطريــق فرقــة (ادان) التي عبرت .

د . تتقدم العناصر الرئيسة لقوات (ماغان) إلى القناة .

هـ . تبقى القوات التي فتحت الطريق - عدا اللواء المدرع - وبقيــة قــوات (ماغان) في سيناء لتثبيت القوات المصرية .

٣ . مناطق العبور

أ . انتخبت مناطق العبور شمال مدخل قناة السويس في البحيرة المرّة الكبرى .

ب . يعتقد أن هذا الموقع معد مسبقاً لمثل هذه الحالة قبل ثلاث سنوات (كما جاء في فقرة التفكير بعملية العبور) ، يوم كان الصهاينة يشغلون خط بارليف .

جـ . اجريت استحضارات كبيرة مسبقة في مواقع العبور ، واكملت المداخل إلى القناة واشرت بالطابوق الأحمر .

٤ . تأليف قوات العبور

ثلاثة ألوية مدرعة ولواء مشاة وبعض القطعات المظلية . لواء مدفعية وقطعات هندسة اختصاصية ومعدات انزال وزوارق مطاطية ومعدات تجسير .

٥ . القوات المصرية الموجودة في المنطقة

الفرقة المدرعة ٢١ وفرقة المشاة ١٦ ، وهما خصمان مرعبان للصهاينة برغم خسائرهما في معارك يوم ١٤ تشرين الأول . وكانت فرقة المشاة ١٦ مجهزة بصواريخ ، وقد اتخذوا مواضعهم على طرفي الطريق المؤدية من (طاسة) إلى القناة .

كان من حسن حظ الصهاينة أن الموقع الذي اختاره (شارون) سابقاً ، يقع في الحدود الفاصلة بين الجيشين الثاني والثالث المصريين ، حيث كان كل من الجيشين يتوقع أن الجيش الآخر هو المسؤول عن مراقبة الحدود الفاصلة . وقد اكتشفت الدوريات الصهيونية ذلك .

تعليق

هناك تساؤلات كثيرة تثيرها المعلومات التي وردت في البحوث والمبينة آنفاً ، ولم نستطع أن نجد لها جواباً . منها أن القوات المصرية عندما احتلت الضفة الشرقية للقناة ، ألم تلاحظ التأشيرات والمقتربات إلى القناة ، ولماذا لم تتخذ إجراء بشأنها ؟ بأزالتها وتسوية المقتربات ولغمها ووضع قوة فيها ، لأنها تثير الشكوك . كما أن اتكال كل من الجيشين الثاني والثالث على أن الجيش الآخر هو المسؤول عن الحدود ، فذلك أمر يدعو إلى الدهشة والاستغراب ، فهل من المعقول بمستوى جيش لم تحدد المسؤولية في مثل هذا الأمر الخطير

وترك الحبل على الغارب ؟ لا اريد أن استعجل الأمور الآن ، ولنرى ما سيرد في ما بعد من معلومات .

تنفيذ العبور

بعد فشل الهجوم المصري يوم الأحد ١٤ تشرين الأول ، صدر أمر إلى (شارون) بمسك رأس جسر عبر القناة . وكانت خطته الهجوم غرباً من (الطاسة) باتجاه (الاسماعيلية) بلواء واحد ، والالتفاف باتجاه عكس عقرب الساعة بلواء آخر، بعدها ينفذ هجوماً كاذباً من الجنوب في محاولة للتغلغل في رأس الجسر المصري في الضفة الشرقية ، وفي الواقع أن بمقدور هذه القوات احتواء عدوها . في حين يقوم اللواء الثالث للفرقة بالتقدم نحو القناة ويستولي على مواقع العبور ، وحالما يتم ذلك ، يعبر اللواء (افراهام برين آدم) بقوة مدرعة إلى الضفة الغربية.

١ . المباشرة بالعبور

أ . في الساعة ١٧٠٠ يوم ١٥ تشرين الأول ، شن اللواء المدرع الصهيوني المتحشد شمال الطريق العام (الطاسة - البحيرة المرّة الكبرى) ، هجوماً ثانوياً باتجاه الشمال نحو طريق (الطاسة - الاسماعيلية) . وبعد ساعة من الشفق ، توجه لواء مدرع آخر نحو طريق (الطاسة - البحيرة المرّة الكبرى) ، على طريق نيسمي صحراوي ، وكان متجهاً نحو الجنوب ، ثم غير ناصيته غرباً نحو البحيرة المرّة الكبرى . كانت وحدة استطلاع الفرقة تقود التقدم ، لأنها سبق واكتشفت ثغرة بين الجيشين الثاني والثالث المصريين ، واستطلعت البحيرة ، منذ يوم ٨ تشرين الأول .

تعليق

منذ يوم ٨ تشرين الأول حدد العدو الثغرة بين الجيشين ، واستطلع البحيرة أي بعد بدء الحرب بيومين ، وخطط لأستثمار تلك الثغرة ، ولما أصبحت الفرصة مواتية نفذ خطته . وذلك دليل قاطع على أن السياقات المعتمدة في مناطق الحدود الفاصلة لم تطبق ، ولم يعرها المصريون أية أهمية ، إذ

ليس من المعقول أن تصل وحدة استطلاع إلى ضفة القناة ولم يرصدها أو يشاهدها أحد.

ب . وصل اللواء المعادي إلى الطريق العرضاني المار بمحاذاة ساحل البحيرة من الشمال إلى الجنوب . واصل اللواء تقدمه نحو الشمال من البحيرة ، وجناحه الايسر محمي . وحال وصوله إلى الطريق (الطاسة - البحيرة المرَة الكبرى) ، وجه قوة واجب غرباً من مفرق الطريق (ي) ، وأمن مواقع العبور على القناة . واصل القسم الأعظم من اللواء التقدم شمالاً لضمان منطقة دائرية وتأسيس قوة صد خلف الفرقة المدرعة ٢١ المصرية.

تعليق

بماذا فسرَ المصريون توجه الصهاينة نحو القناة ؟ لقد كان الصهاينة في هذه المنطقة قبل عدة أيام ، وأمضوا فيها ما يزيد على ست سنوات ، ويعرفونها جيداً . كل هذه الدلائل والاشارات والاشتباكات في المنطقة لاتثير شكاً بما ينويه العدو ؟ وتتخذ الإجراءات المناسبة لمواجهتها . متى يبدأ رد الفعل إذاً ؟ في الأقل المفروض الآن أصبحت الدلالة واضحة ، تدعو إلى اعطاء أهمية بالغة لهذا القاطع ، من الآن فصاعداً . لنرى ردود الفعل القادمة .

جـ . ما زال المقترب المؤدي إلى موقع العبور غير مفتوح أو مطهَر ، والذي ينبغي أن تسلكه القوات المظلية والآلية ، حيث قطعته الفرقة ١٦ المصرية. أرسل فوج دبابات واحد من لواء (رشيف) باتجاه الشمال ، في محاولة لأزاحة عناصر تلك الفرقة من الخلف . حقق هذا الهجوم نجاحاً جزئياً ، لأن الطريق لم يفتح بشكل كامل ، وبذلك تأخرت العملية عن موعدها ، على وفق الجدول الزمني للخطة ، وبقيت القوات المظلية التي كان عليها أن تضرب المصريين عبر القناة في منطقة الطاسة .

تعليق

فرصة ذهبية ، كان المفروض استثمارها . حتى الآن لم تصل القوات الصهيونية إلى ضفة القناة ، والطريق المؤدي إليها ، لا يزال غير مفتوح

أو مطهر . كان المطلوب الضغط على جناحي العدو ، وتعزيز كتفي الثغرة والضفتين الشرقية والغربية للقناة ، خاصة إن بقية الجبهة مستقرة ، ولكن بقي الحال على ما هو عليه .

د . بحلول الساعة ٣٠٠ . يوم تشرين الأول ، وصل لواء (دانتي) إلى القناة، ونجح في تأسيس رأس جسر صغير ، وعلى شكل نصف دائرة عمقها (٦٠٠) متر على الضفة الغربية . ومع الضياء الأول ليوم ١٦ تشرين الأول وجه المصريون مدفعيتهم على مفرق الطرق .

تعليق

ضاعت الفرصة الذهبية كما اسلفت ، ولكن لا يزال هناك امل كبير ، لأن رؤوس الجسور اوهن ما تكون في بدايتها ، ولو شن المصريون هجوماً مقابلاً يوم ١٦ تشرين الأول لأنتهى رأس الجسر ، وهو بعمق محدود جداً وقوات قليلة أيضاً . لقد أصبح الأمر واضحاً الآن ، والعدو في الضفة الغربية ، ولابد من تركيز الجهود لانهاء وجوده ، ولكن بدلاً من ذلك ، اكتفوا بقصف مفرق الطرق بعد فوات الاوان ، وكان المفروض أن يقصف رأس الجسر بكل الاسلحة من المدفعية والصواريخ والطائرات . كيف يمكن أن يفسر ذلك ! ؟

هـ . وصلت الاطواف ومعدات التجسير إلى دعامة القناة . دمر أحد الاطواف نتيجة القصف ، بينما كان الثاني يعمل جيداً . وباشرت الاطواف بالعمل ، ومع منتصف النهار ، وبحدود الظهر عبرت (٢٧) دبابة إلى الضفة الغربية ، لتعزيز القوات المظلية .

تعليق

في وضح النهار عبر الصهاينة (٢٧) دبابة ، واطوافهم تعمل . ما الذي حصل في الجانب المصري ؟ أين ردود الفعل الايجابية لمواجهة هذا الخطر الجسيم ؟ المفروض أن تقوم القوة الجوية والصواريخ بدورها الحيوي نهاراً. لقد عمل الصهاينة على راحتهم من دون مواجهة جدية ، وحققوا عبوراً كان يجب جعله كارثة لهم . مرّوا بين جيشين ولم يلاقوا صعوبة كبيرة ، وعبروا ولم يجدوا مقاومة في الضفة الغربية . إنه عبور ميسر

وليس استثنائياً أو اسطورياً كما يصفه الباحثون الغربيون ، فالقوات العربية هي التي اعطتهم الفرصة ، هل من جهل ؟ أو سوء ادارة معركة ؟ أم ضعف قيادة ؟ أم ماذا !؟

و . قسم الصهاينة قواتهم العابرة إلى جماعات اغارة صغيرة ، بالرغم من عدم نصب جسر ، كما لم يضمنوا رأس الجسر تماماً ، وارسلوهم خارج رأس الجسر للبحث عن مواقع صواريخ (سام) ، واكداس العتاد والوقود، وبطريات المدفعية ، والاغارة عليها وتدميرها . دمرت أربعة دبابات مصرية باسلحة م / د في الضفة الغربية . وعند منتصف النهار زاد عدد الجماعات المغيرة ، بعد أن عززت بالعدد القليل من الدبابات والعجلات نصف المسرفة التي عبرت بالاطواف ، وتمكنت من تدمير أربع مواقع صواريخ (سام) .

تعليق

يبدو من سير الأحداث أن الصهاينة تمتعوا بحرية عمل كبيرة ، فالفعاليات تجري في وضح النهار ، ولم يواجهوا مقاومة تذكر ، بحيث تمكنوا من تدمير مواقع صواريخ (سام) . ألم تكن هناك قوة مصرية تدافع في الضفة الغربية ؟ في الأقل أمام هذه الثغرة الخطيرة بين الجيشين . ثم أين القوة الجوية والسمتيات ؟ لم يظهر لهما أي دور كما جاء في البحوث . هناك إجراءات كثيرة كان بمقدور القيادة المصرية اتخاذها في مواجهة هذا الخطر الداهم ، الذي قلب الموازنة السوقية رأساً على عقب .

ز . قدم العمل المذكور في الفقرة السابقة مساعدة للقوة الجوية الصهيونية ، وذلك بفتح مجاز لها ، بحيث تمكنت الطائرات المقاتلة المعادية ، من المرور خلاله والعمل في المنطقة بحرية أكثر ، نتيجة لتدمير اسلحة الدفاع الجوي في الضفة الغربية .

تعليق

ماذا كان المصريون ينتظرون أكثر مما حصل ، فلم يظهر منهم أي رد فعل ايجابي حاسم ، الواجب يقضي أن يأخذ هذا الموقف اسبقية عالية على

جميع المواقف الأخرى ، ويعالج فوراً وليوأد في مهده ، إذ لا يوازيـــه أي موقف آخر مهما كانت خطورته .

ح . كانت المناوشات بين القوات المصرية والصهيونية عموماً ، على شـــكل اشتباكات محلية ، وكانت مفاجأة كبيرة للصهاينة ، عدم الإشارة إلى هـــذه الاشتباكات في تقارير الموقف التي ترفع للقيادة المصرية والتي يســـترقها الصهاينة .

تعليق

بعد مرور كل هذا الوقت ، وعبور الصهاينة ، ما زالت الاشتباكات محلية ، ولم يظهر أي دور للقيادات العليا في مواجهة هذا الخطر . فضلاً على عدم الاخبار في تقارير الموقف عن مثل هذا الحدث الجسيم . إنه اهمـــال مـــن جميع الأطراف ، ابتداءاً من الجندي في الجبهة وحتى أعلى القيـــادات دون القيادة العامة ، لقد تسببوا جميعاً في وقوع الكارثة . إنه خلل غير مســـوَغ من جميع الامرين والقادة في جميع المستويات في منطقة العبور . وليعتبر من يريد أن يعتبر ، أن التأخر في تعبير المعلومات مهما بـــدت ضئيلـــة ، يتسبب في كارثة . ويتطور الموقف مثل كرة الثلج حتى تصبح جبلاً ، وهذا ما حدث فعلاً ، حيث خرج الموقف على السيطرة .

٢ . تطور الموقف بعد العبور الاولي

أ . تسلمت القيادة العامة المصرية في البداية تقارير غير دقيقة ، عـــن قـــوة صهيونية مؤلفة من عدد قليل من دبابات برمائية ، والتي يمكن تدميرهـــا بسرعة ، وفي الحقيقة :

أولاً . كان الصهاينة يوسعون رأس الجسر ، عندما حصل قطع غير واضح في منظومة الاتصالات المصرية .

ثانياً . تعرض منظومات صواريخ (سام) ، والدبابـــات واكـــداس العتـــاد والوقود والمستلزمات الادارية الأخرى إلى هجوم العدو وتدميرها .

اعترف المصريون أخيراً ، أن هيئة الاركان العامة للقوات المسلحة ، ليست على بينة تامة بمدى التدخل الصهيوني خلال الـــ (٣٦) ساعة الماضية .

تعليق

(١) معلومات غير دقيقة ومشوشة تتطلب تأكيدها بالوسائل المتاحة للقيادة العامة ، وعدم قبولها على علاتها ، لدلالتها الخطيرة .

(٢) أين المواصلات البديلة للتعويض عن تلك المقطوعة ؟ وأين وسائل المواصلات متعددة السبل في حرب بهذا المستوى ؟

(٣) ما دمر في الضفة الغربية أعطى الارجحية للصهاينة ، وفعّل قوتهم الجوية ، واربك منظومات التعويض المصرية .

(٤) علمت القيادة العامة بحقيقة الموقف بعد فوات الاوان ، واصبح أمر معالجته بحاجة إلى إجراءات كثيرة تحتاج إلى وقت ، وهو غير متيسر .

هناك سر وراء هذا الموقف المحير في موضوع عبور الصهاينة إلى الضفة الغربية ، فليس من المعقول أن تحجب المقرات الدنيا المعلومات عن القيادة العامة كل هذا الوقت ، بحيث يتفاقم الموقف ، وتتعذر معالجته ، لا بل يخلق مشكلة كبيرة تسرق منجزات النصر الذي تحقق ، ويؤدي إلى مفاوضات فيها للصهاينة اليد العليا .

ب . لم يكن صمود رأس الجسر الذي أسسه (شارون) ، نتيجة لبراعة (شارون) ، بل نتيجة فشل المصريين في الاستجابة السريعة ، لشن عملية ينفذها الجيشان الثاني والثالث . كانت عملية نقل المعلومات مطولة ، تتداولها أربع هيئات ركن مختلفة . عملياً لم يجر تحريك قوة مصرية لسد الثغرة بالقوة حتى جنح ظلام يوم ١٦ تشرين الأول .

تعليق

لقد خلق رد الفعل المصري البطيء وغير الفعّال ، ابطالاً ليسوا جديرين بتلك الصفة ، ولو تعامل المصريون مع الموقف بجدارة ، لأصبح أولئك نكرات في مهملات التاريخ العسكري . لقد كان تلكوء يكتنفه غموض ، فهل هو جهل بالموقف حقاً ! أم عدم القدرة على رد الفعل ؟ أم ماذا ! ؟

كما أن هذا الموقف ، يؤكد ضرورة وجود شبكة مستقلة للمعلومات ، غير شبكتي الحركات والادارية، تستمع إليها جميع المقرات من اللواء حتى القيادة العامة ، تبث إلى آخذات ثابتة.

جـ . خاضت فرقة (أدان) ، قتالاً ضارياً في طريقها إلى الحقل الصيني ، وفتحت ممراً خاصاً بها ، وكان عليها مع بقايا لواء (رشيف) التصدي للهجمات المصرية التي تجددت في المنطقة . التقطت فرقة (أدان) رسالة لاسلكية مصرية فجر يوم ١٧ تشرين الأول ، موجهة إلى اللواء المدرع ٢٥ المستقل المصري ، يطلب فيها من اللواء ، التحرك شمالاً لأبداء المساعدة في غلق الثغرة . نصب الصهاينة كميناً من الامام والجناح الايمن، فكبدوا اللواء خسائر كبيرة في الدبابات .

تعليق

خاض المصريون معارك مع القوات الصهيونية التي حاولت الوصول إلى الضفة الشرقية للقناة ، ولكن مع الاسف على شكل لقم ، لم تكن قادرة على معالجة قوات العدو الصهيوني الكبيرة التي تحشدت في المنطقة .

أمن المواصلات مهم وحيوي ، وعدم مراعاته لأي سبب يؤدي إلى كارثة. وقد فشل الهجوم المصري بسبب عدم مراعاة أمن المواصلات ، في حين ربما كان سيوقف أو يحجم العدو ، ناهيك عما تسبب فيه من خسائر بالدبابات والارواح .

د . بدأ الصهاينة يوم ١٧ تشرين الأول بالضغط على القوات المصرية ، ودفعها ببطء نحو الشمال ، واستطاعوا بذلك فتح الطريق الجنوبي ، فأصبح ممكنا سحب اقسام الجسور باتجاه القناة . ركزت المدفعية المصرية على موقع العبور ، ودمرت أحد الرعائل ، وعند الظهر صد الصهاينة آخر هجوم مقابل مصري . أدى القصف المصري الكثيف على مواقع العبور إلى التقليل من سرعة نصب الجسر ، إلا إنه أكمل بالساعة ١٥٣٠ . لم تكن قوات (أدان) مستعدة للعبور ، لأنها ما زالت مشتبكة في معارك في منطقة الحقل الصيني، كما أنها بحاجة إلى إعادة الاملاء ، بالوقود والعتاد قبل المباشرة بالعبور .

تعليق

أولاً . استطاع الصهاينة فتح الطريق الجنوبي ، نتيجة لـزج القـوات المصرية على شكل لقم لمواجهتهم . لو أن مجموع القـوات التـي زجت قد جمعت ، وتعاون الجيشان الثاني والثالث كل من جانبه على سد الثغرة ، ربما كانت النتائج أفضل كثيراً .

ثانياً . المدفعية بقصفها تعيق العمل ، ولكنها لا تمنع تنفيذه ، وهـذا مـا حصل فعلاً ، فلو عزز القصف بعمل بري واسناد جوي لحقق الكثير.

ثالثاً . لقد كانت الفرصة متاحة للمصريين ، حتى بعـد ظـهر يـوم ١٧ تشرين الأول للقضاء على رأس الجسر في الضفة الغربيـة وغلـق الثغرة ، والدليل على ذلك أن فرقة (أدان) لم تعبر حتى ذلك الوقت ، كما أنها لقمة سائغة في حينه ، فقد استنفذت عتادها ووقودهـا ، وهي بحاجة ماسة إلى اعادة الاملاء . ولكن لم يتخذ أي إجراء فعال أكثر من القصف المدفعي ، وهذا ما تؤكده الفقرة الآنفة .

هـ . بدأت في الساعة ١٩٤٥ يوم ١٧ تشـرين الأول ، ألويـة فرقـة (أدان) الثلاثة بالعبور على الجسور إلى الضفة الغربية ، والاندفاع داخل الأراضـي المصرية ، وبذلك أصبح رأس الجسر في الضفة الغربية من القناة اميناً .

تعليق

مضى على عملية العبور ، التي ابتدأت في الساعة ١٧٠٠ يوم ١٥ تشـرين الأول حتى هذا الوقت ، (٥١) ساعة تقريباً ، أي يومين فقـط . ومـهما كانت الإجراءات التي قام بها الصهاينة في مسك رأس الجسر ، فهو لا يـزال ضعيفاً، لأن الحد الادنى من الوقت المطلوب لأعداد موضع دفاعي متماسك ، يستطيع الصمود أمام الهجمات المقابلة هو (٤ - ٥) أيام ، ويسمى دفاعـاً مستعجلاً وليس مدبراً . فلو أن أي إجراء منظم قد اتخذ خلال هذه الفـترة ، كان بمقدورد اكتساحه ، والقضاء على من عبر بين قتيل أو أسير ، ولكـن فات الاوان ، ووقعت الكارثة !

و . لم تتدخل القوة الجوية المصرية في فعاليات القوات الصهيونية التي عـبرت إلى الضفة الغربية حتى مساء يوم ١٧ تشرين الأول ، وشـنت أول هجـوم

ضخم لها على رأس الجسر الصهيوني يوم ١٨ تشرين الأول . كانت ثلاث غارات منفصلة ، بطائرات الميك والسمتيات ، خسرت خلالها عدد من الطائرات والسمتيات ، باسلحة م / ط والقوة الجوية الصهيونية ، حيث أصبح للقوة الجوية المعادية ، حرية عمل بعد تدمير اسلحة الدفاع الجوي المصرية في الضفة الغربية ، وفتح فسحة كبيرة في مظلة الدفاع الجوي المصري .

تعليق

أولاً . لماذا حتى هذا الوقت المتأخر ؟ بدأ العبور في الساعة ١٧٠٠ يوم ١٥ تشرين الأول ، ومرّت ثلاثة أيام كاملة بنهاراتها ولياليها . . أين يكمن السر في هذا اللغز المحير ! ؟

ثانياً . لو تدخلت القوة الجوية المصرية يوم ١٦ تشرين الأول ، لكانت النتائج لصالحها ، حيث لم يكن هناك دور للقوة الجوية الصهيونية في المنطقة، لأن قواعد اسلحة م / ط المصرية ، كانت موجودة في الضفة الغربية ولم يصل اليها الصهاينة بعد ، كما أن اسلحة م / ط الصهيونية لم تعبر إلى الضفة الغربية أيضاً ، ولأصبح موضوع تدمير رأس الجسر مضموناً .

ثالثاً . كان المفروض نقل ثقل القوة الجوية المصرية إلى رأس الجسر يوم ١٦ تشرين الأول ، على حساب الجبهات الأخرى . لو أن الغارات الثلاث نفسها ، وليس أكثر ، قد شنت يوم ١٦ تشرين الأول ، لاعطت نتائج ايجابية ، وانهت العبور الصهيوني .

و . اندفعت القوات الصهيونية ، مع الصباح الباكر ليوم ١٨ تشرين الأول ، من رأس الجسر في الضفة الغربية . شمالاً نحو الاسماعيلية ، وجنوباً نحو البحيرات المرة ، ثم الاندفاع إلى الغرب أكثر ، لاحتلال السويس وتطويق الجيش الثالث المصري .

تعليق

كل هذا الذي حصل ، وهذا الحجم من القوات المعادية عبرت إلى الضفة الغربية ، وبدأت تندفع شمالاً وجنوباً وغرباً ، وليس هناك رد فعل ايجابي وفعال تجاه ذلك كله . أليس ذلك لغزاً محيراً ! ؟

ز . واخيراً بدأت القيادة المصرية رد فعل جدي تجاه عبور القوات الصهيونية . انفتحت قوات الصد على المقتربات المؤدية إلى القاهرة . وبعد أن ادرك المصريون أخيراً هدف القوات الصهيونية ، قاموا بردود فعل سريعة وعلى مراحل ، وكان أول رد فعل لهم ، ارسال لواء آلي معزز من الجيش الثاني ، لصد القوات المعادية . في الحقيقة ، لم يكن اللواء القوة الكافية لانجاز هذا الواجب .

تعليق

بعد فوات الاوان ، وعلى عجالة ، وعلى شكل لقم صغيرة لا تجدي ، ولذلك فشلت جميع المحاولات الجزئية ، ولو أن هذا اللواء قد زج صباح يوم ١٦ تشرين الأول ، لأعطى نتائج باهرة . ويبقى تساؤلنا قائماً ، ولا نجد له جواباً ، لماذا حصل كل الذي حصل ! ؟

ح . استطاع الصهاينة انجاز الاعمال الآتية :

أولاً . يوم ١٨ تشرين الأول نصبوا الجسر الثاني ، وهو من نوع جسر صولة متدحرج .

ثانياً . يوم ٢١ تشرين الأول نصبوا الجسر الثالث ، وهو جسر بريطاني احادي عائم .

ثالثاً . يوم ٢١ تشرين الأول عبرّوا (٥٠) بالمئة من دباباتهم الموجودة في سيناء إلى الضفة الغربية من القناة عبر الجسور الثلاثة .

تعليق

إجراءات المواجهة الضعيفة والمرتبكة ، وردود الفعل البطيئة والمتأخرة، أدت إلى هذا التكامل المعادي ، الذي اعطاهم الارجحية في فرض ما يريدون .

ط . اقترب موعد وقف اطلاق النار الدولي يوم ٢١ تشرين الأول ، ولم يطوق الجيش الثالث المصري بعد . وصلت قوات العدو إلى خط كائن ، شمال الطريق العام القاهرة - السويس وقوات معادية أخرى ، ترصد الطريق العام من منطقة كائنة إلى الغرب أكثر . وفي الساعة (١٨٥٢) صدرت لهم الاوامر جميعاً بوقف اطلاق النار .

استمر الصهاينة في فعالياتهم في الضفة الغربية بعد وقف اطلاق النار ، واستمروا على دفع القوات والمعدات إلى الضفة الغربية ، منتهكين بذلك ، وقف اطلاق النار الذي اصدرته الأمم المتحدة .

مع بزوغ يوم ٢٣ تشرين الأول ، صدرت الاوامر إلى القوات الصهيونية في الضفة الغربية ، بالاندفاع لأكمال تطويق الجيش الثالث . وجهت القيادة المصرية جهودها كافة الآن لمنع تحقيق ذلك . نفذ الصهاينة احاطة مزدوجة واسعة لمدينة السويس ، وتمكنت قوات أخرى من احاطة اوسع ، عندها تكامل تطويق الجيش الثالث يوم ٢٣ تشرين الأول ، واصبح معزولاً في الضفة الشرقية من القناة . يقدر تعداده بـ (٢٠٠٠٠) رجل و (٣٠٠) دبابة ، ولديه مواد تموين تكفي لأسبوع واحد .

تعليق

أولاً . هذه ليست المرة الأولى التي يعمل فيها الصهاينة على خرق وقف اطلاق النار الدولي ، لتحقيق مكاسب لهم ، وتنفيذ مآرب خبيثة . فقد احتلوا (ايلات) بعد وقف اطلاق النار عام ١٩٤٨ ، واحتلوا شمال منطقة (غزة) بعد وقف اطلاق النار عام ١٩٥٦ ، واحتلوا شرم الشيخ بعد وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧ . وها هم يكملون تطويق الجيش الثالث بعد وقف اطلاق النار عام ١٩٧٣ ، بعد يومين كاملين ، وهذا تجاوز فاق ما سبقه من تجاوزات .

ثانياً . المحاولة المصرية لوقف اندفاع الصهاينة في الضفة الغربية جاءت متأخرة جداً ، بعد أن تفاقم الموقف واستفحل الأمر . كان المفروض عند وقف اطلاق النار يوم ٢١ تشرين الأول ، إعادة فرقتين مدرعتين في أقل تقدير إلى الضفة الغربية ، لتطويق القوات الصهيونية ومنعها

من الانتشار ، لأن الموقف في الضفة الشرقية استقر ، ولم يخرق فيه وقف اطلاق النار .

ثالثاً . هكذا اضطر المصريون إلى الجلوس للمفاوضات في الكيلو (١٠١) ، نتيجة لاتباع الصهاينة أساليب الخبث والمخاتلة والخداع المتأصلة فيهم ، وكأننا لا نعرف صفاتهم تلك ، ولمِ لمْ يتحسب لها المصريون وقد خبروهم عبر التاريخ .

ي . كان المفروض بالمصريين اشراك قواتهم الجوية في العمليات وبشكل مباشر، حتى فوق منظومات الدفاع الجوي العائدة لهم ، بعد عبور الصهاينة القناة إلى الضفة الغربية ، والمباشرة بتأسيس رأس الجسر وتوسيعه .

تعليق

صحيح جداً . كان المفروض اللجوء إلى هذا الاستخدام على حساب بقية المناطق ، خاصة إن تلك المناطق قد استقرت ، وأسست دفاعات رصينة ، مضى عليها ما يزيد على عشرة أيام . لأن عبور العدو إلى الضفة الغربية من القناة كارثة ، لا تضاهيها أية خسارة في أي قاطع في الضفة الشرقية .

ك . نالت منظومة صواريخ (سام – ٧) كثيراً من المديح ، وفي الوقت نفسه وجه لها بعض النقد . لقد كانت ناجحة في الغاء الاسناد الجوي القريب المعادي ، واحدثت هذه المنظومة ضربات مباشرة وكثيرة في مؤخرة طائرات الصهاينة ، ولكنها فشلت أحياناً لعدم كفاية الراس الحربي للمقذوفة ، الذي أحدث اضرارا في الانابيب الخلفية للطائرات المغيرة ، بدلاً من تدميرها فور اصابتها .

تعليق

كانت هذه الحرب حقل تجارب لأسلحة الدولتين العظميين في حينه ، وطورت تلك الاسلحة في ضوء خبرة وتجارب الاستخدام في تلك الحرب . وهذه نتيجة الاعتماد على اسلحة يصنعها الغير ، فليس لمشتريها الخيار ، وعليه استعمالها على علاتها ، ثم يصبح حقل تجارب للدولة المنتجة ، تطور اسلحتها وتحسنها من دون خسائر بشرية أو تكاليف مادية . ولو أن الدول العربية تجمع المبالغ التي تشتري بها الاسلحة من مختلف دول العالم ، وتؤسس لها

صناعة عسكرية، لأصبحت سيدة قرارها الذي تتلاعب به في الوقت الحاضر الدول المصنعة ، وفي احرج الظروف المصيرية وادقها . وشواهد ذلك كثيرة ، أثناء مواجهات الأمة العربية مع اعدائها في التاريخ القريب .

ل . انقطع الجيش الثالث المصري عن مصادر تموينه ، وبالرغم من المبالغة والدعاية الصهيونية بأن مصر جميعها تحت رحمة القوات الصهيونية ، إلا أن ذلك لم يكن صحيحاً بالمرة .

تعليق

وشهد شاهد من اهلها ، إذ لم يكن الموقف بذلك السوء ، بحيث يحول دون اتخاذ إجراء حاسم حتى في تلك الظروف . كان بمقدور المصريين عمل الكثير بعد معرفتهم الكاملة برأس الجسر المعادي ، وحصره ومنعه من التوسع في الأقل . والمحافظة على التوازن السوقي من أجل الدخول إلى المفاوضات من موقف المتمكن وليس العكس .

م . اعاد المصريون بناء شبكة (سام) ، والتعويض عن الخسائر المدرعة ، وسد نقصهم من عتاد المدفعية وعتاد م / د ب ، وإن أية محاولة للقوات الصهيونية للقيام بحرب مكشوفة داخل مصر ، قد تؤدي إلى كارثة بالنسبة للكيان الصهيوني .

تعليق

هذه هي الحقيقة ، لو اندفع الصهاينة أكثر غرباً لوقعوا في كارثة ، وكان على المصريين استثمار تلك الحالة . ولو حصلت لكانت النتائج غير التي توصلوا إليها بالمفاوضات ، أو في الأقل كان المفاوض المصري في الموقف الاقوى ، يفرض ما يريد ولا يفرض عليه ما يريدون . ولكن يبقى تساؤلنا من دون جواب ، لأن الجواب عند الرجال الذين خاضوا تلك الحرب .

تعليق عام بشأن الدفرسوار

إن ما يحيرني هو ، هل ما جرى في الدفر سوار ؟ ينسجم ويلائم مع ذلك التخطيط الرائع ، والاستحضارات المتميزة ، والكتمان المذهل ، والمباغتة السوقية الفريدة ، وانجازات النصر في اكتساح الصهاينة بفعل الأداء العربي الراقي في

المرحلة الأولى من الحرب ؟ إن من قدم كل ذلك لا يصعب عليه معالجة موقف مثل الدفر سوار . لا اريد أن اقفز إلى استنتاجات ، لأن حقيقة الأمر معروفة لدى اصحابها ، والاستنتاج يخطئ ويصيب ، ويقترب من الصحة في ضوء مقدار الحقائق المتيسرة . والحقائق في حالة الدفر سوار قليلة ، لا بل شحيحة ، مما جعلت القضية لغزاً محيراً حقاً . أليست كذلك عزيزي القاريء ! ؟ أم أن لك رأياً آخر ؟ عسانا أن نكون مخطئين في ظنونا ، لأن بعض الظن إثم ، وليس كله !

وجهة النظر المصرية في قضية الدفر سوار

١ . ورد في الصفحة (٦٨) من بحث كلية الاركان الأمريكية عما جرى في الدفر سوار من وجهة نظر المصريين ما نصه " عزا المصريون السبب إلى قلة الاستطلاع ، والارتباك في المواصلات ، والفوضى الناتجة عن التحول بالمسؤوليات بين القادة الرئيسين في هذا القاطع ، حيث كان الجميع يعيشون بهدوء في الضفة الغربية " .

تعليق

إن صح هذا هو ما قاله المصريون ، فإنه تسويغ غير مقنع ابدا للأسباب الآتية :

أ . هل هم بحاجة إلى استطلاع ؟ فهم يقاتلون في بلدهم ، ويعرفون ارضه شبراً شبراً ، وخاصة في الضفة الغربية ، أما في الضفة الشرقية فهناك جيشان على امتدادها .

ب . ما الإجراءات التي اتخذت لمعالجة ارتباك المواصلات ؟ وهم في حرب دائرة رحاها ، أين السبل المتعددة ، والبديلة ؟ في مواجهة مثل هذا الموقف.

جـ . لماذا الفوضى والارتباك أثناء تحوّل المسؤوليات بين القادة الرئيسين ؟ المفروض أن ذلك يجري بهدوء تام ، وله سياقات تجعله غير ملحوظ ، وخاصة أثناء القتال .

د . إذا كان القادة مشغولين بتحول المسؤوليات ، ماذا عن المقرات وهيئات الركن فيها ؟ ألم تكن تعمل على وفق السياقات في مثل هذا التحوّل ؟

وتعبر المعلومات إلى المراجع ، وتعرض مثل هذا الأمر الخطير على القائد القديم أو الجديد ، ليتخذ الإجراء المناسب ؟ لأن انتقال المسؤولية تحدد بوقت وتاريخ ، ويبقى القديم مسؤولاً حتى حلول موعده ، ويتولى الجديد عند بدء ذلك الموعد .

هـ . في ظروف حرب شرسة مصيرية ، يعيش العسكريون في الجبهة بهدوء، لابد من خلل كبير في فهم القادة والآمرين واجباتهم ، وعدم الشعور بالمسؤولية وتقدير الظروف . وإلاّ كيف ؟ بعد أن علموا في الأقل بعبور الصهاينة إلى الضفة الغربية ، والتعرض لقطعاتهم ولم يعالجوا الموقف ، أو يخبروا المقر الأعلى ، عجبي !

و . أين قوة حماية الحدود الفاصلة ؟ واين مواصلاتها المستقلة ؟ . . . الخ ، كما ورد في فقرة الحدود الفاصلة . يؤكد هذا ، عدم وجود شيء من هذه الإجراءات .

٢ . ورد في الصفحة (١٨١) من بحث (هوكلي) عما جرى في الدفر سوار ، من وجهة نظر المصريين ما نصه ، " وضعت مسؤولية الدفاع عن هذا القاطع في الضفة الغربية على عاتق قوة عربية وصلت قبل وقت قريب جداً ، ولم تكن لديها خبرة قتال ، ومنتشرة في منطقة واسعة من الأرض . لم تدرك هذه القوة ولا المصريون ماذا يحدث فعلاً ، حتى وقت متأخر من العصر ، كان هناك انطباع قوي ، بأن التقارير تشير إلى أن الصهاينة يقومون بغارة بقوة سرية " .

تعليق

إن صح هذا هو ما قاله المصريون فتلك مصيبة ، لأنها حالة ينطبق عليها المثل القائل (العذر أكبر من الذنب) ، إذ كيف توضع قطعة من جيش عربي وصلت تواً ، قليلة الخبرة بالقتال ، لا تعرف المنطقة ، ومنتشرة على بقعة واسعة ، في مواجهة اخطر قاطع ! ؟ - حدود فاصلة بين جيشين - هل القيادة لم تعر المنطقة الأهمية التي تستحقها وتقدر خطورتها ؟ أم ماذا ؟ وهل من المعقول قبول ذلك التسويغ ؟ لقد قاتلت الفرقة المدرعة ٢١ المصرية الصهاينة الذين اندفعوا إلى ضفة القناة ، وفتحوا ممراً آمناً إلى الضفة

الشرقية، واندفعت الاطواف ، ونصب جسر ، وعبرت قوة صهيونية إلى الضفة الغربية . انجلى الموقف في وقت متأخر عصراً ، كما جاء في النص اعـــلاه . لماذا لم يتخذ أي إجراء فعال حاسم صباح اليوم التـــالي !! ألـم يكـن هنـاك استطلاع جوي بأنواعه ؟ إلا توجد مراصد ؟ القوات التي اشتبكت مع الصهاينة على الضفتين ألم تخبر ؟ وتعطي تقارير تماس وتقارير موقف ؟ كيف ! ؟

٣. يُكمل (هوكلي) القول نقلاً عن المصريين في الصفحة المذكورة نفسها آنفـــاً ما نصه . " والعامل الآخر الذي أسهم في فشل رد الفعل المصري تجاه الدفـرسوار هو انشغال قادة التشكيلات المصرية في الجيشين الثاني والثالث . بصد الهجمات المدرعة الصهيونية على الحدود الفاصلـــة ، وارتباطـهم الوثيـق بمواقع قيادتهم ، ولو أنهم اندفعوا إلى الامام (آمرو الألوية وقادة الفـــرق) ليطلعوا على مجريات الأمور بانفسهم ، لكان بأمكانـــهم اكتشـاف الحقـائق بسرعة ، ولكنهم لم يفعلوا . وفي الوقت الذي حصل فيه الفريق (سعد الديـن الشاذلي) على جميع الحقائق في مقر القائد العام للقوات المسـلحة ، كـانت الهندسة الصهيونية قد اكملت بناء جسر على القنـاة ، وكـانت دروع فرقـة (أدان) تعبر عليه ، وتمكنت من فتح ثغرة في دفاعات صواريـــخ (سـام) للدفاع الجوي ، حيث استثمرتها الطائرات الصهيونية خلال الأيام المتبقية من الحرب " .

تعليق

حرب حامية الوطيس ، يجلس قادتها وآمروها في مقراتهم ! أيـن المقـرات الجوالة ؟ هل من المعقول أن الحقيقة كاملة تصل القيادة العامة بعـــد (٦٠) ساعة ؟ شيء لا يصدق . كان القادة والآمرون مشغولين بصد الهجمات علـى الحدود الفاصلة ، وماذا كانت النتيجة ؟ عبور الصهاينة ! !

الخاتمة

توصلت نتيجة لهذا التحليل المطوّل إلى بعض النقاط التي أجدها جديرة بالتدوين ، ولعل غيري يجد غيرها ، لأن مجريات الحرب توحي بالكثير من الأفكار والاستنتاجات .

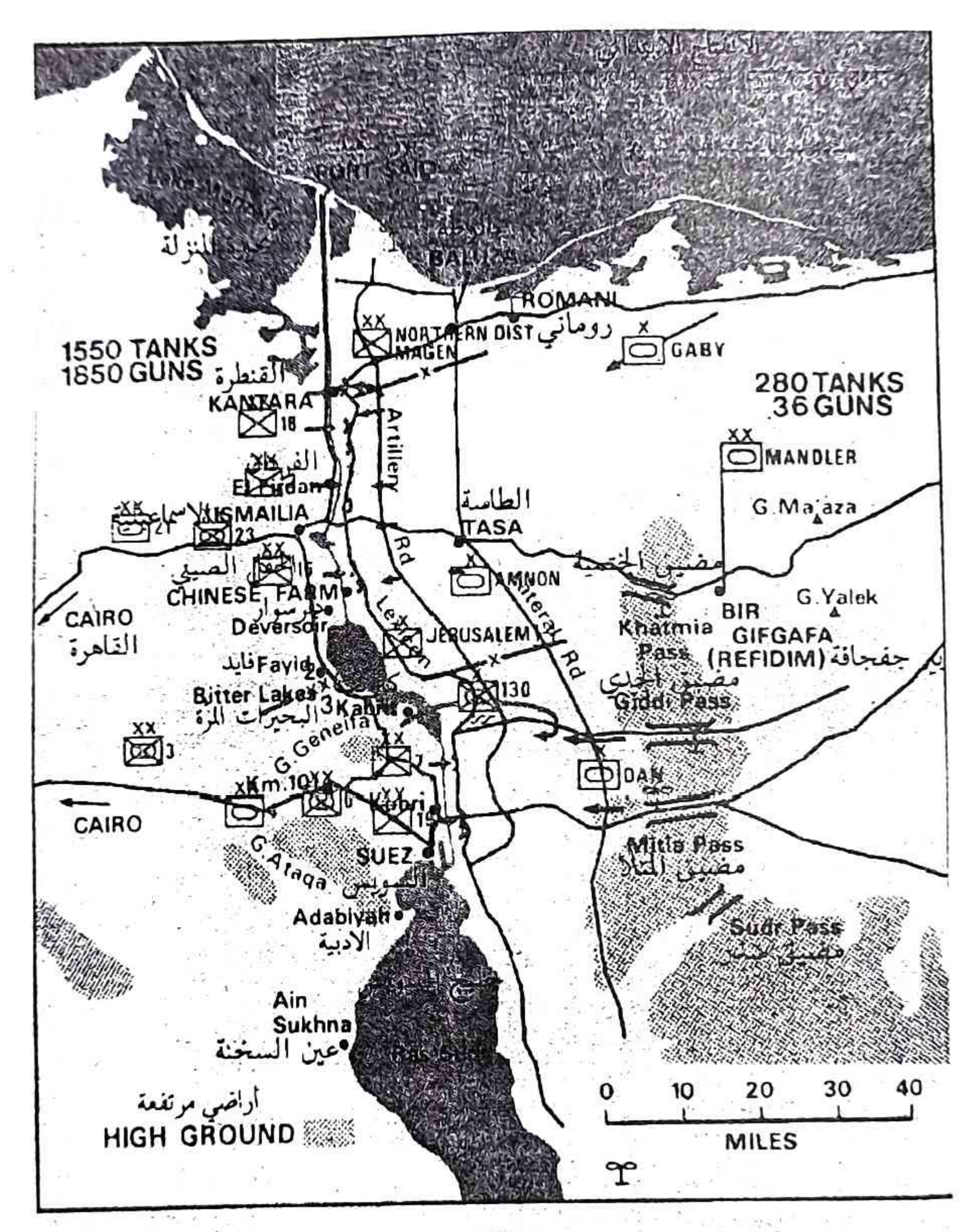
١ . كانت الدول العربية في قتالها مع الصهاينة ، أسيرة ما وفرته الدول المنتجة من اسلحة واعتدة ومعدات ، ومعظمها - ليس جميعها - من الدرجة الثانية ، وهذا يؤكد موضوع الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس ، وصناعة عسكرية عربية .

٢ . وصول المتطوعين الصهاينة من أمريكا ومن كل الاختصاصات ، ووصول الاسلحة والاعتدة والتجهيزات والمواد الحربية جواً ، ومن ثم بحراً أيضاً ، قد عزز موقف الصهاينة وصمودهم ، وأخلّ بميزان القوى .

٣ . الاستعجال في قبول وقف اطلاق النار ، اضاع فرصة كبيرة لتغيير نتائج الحرب ، لأن الصهاينة بلغوا حد الانكسار ، بعد يوم ٢٣ تشرين الأول .

٤ . أثبتت هذه الحرب ضرورة التعاون العسكري العربي ، فقد أعطى نتائج ايجابية برغم قلة المشاركين ، وقلة زمن الاشتراك في المعركة . ولكن مع الاسف ، أن الأمة العربية ابتعدت أكثر عن التعاون العسكري منذ ذلك التاريخ .

وأخيراً وليس اخرا ، أملي أن اكون قد وفقت في ما اعتقدته حيوياً ومفيداً ، وأبدي أسفي على اطالة التعليق على البحوث ، ولكن دراسة بهذا الحجم وهذه الأهمية ، يتعذر تحليلها بأقل من ذلك ، فقد لا توفى حقها . المهم هو تشخيص ما ينفع من الايجابيات للأخذ بها وتوظيفها مستقبلاً ، ووضع السلبيات نصب العين لتجنبها في مواجهات مقبلة ، خاصة وإنها نابعة من ايجابيات العدو التي يجب حرمانه منها . وعسى أن يحقق هذا التحليل فائدة في مجاله .

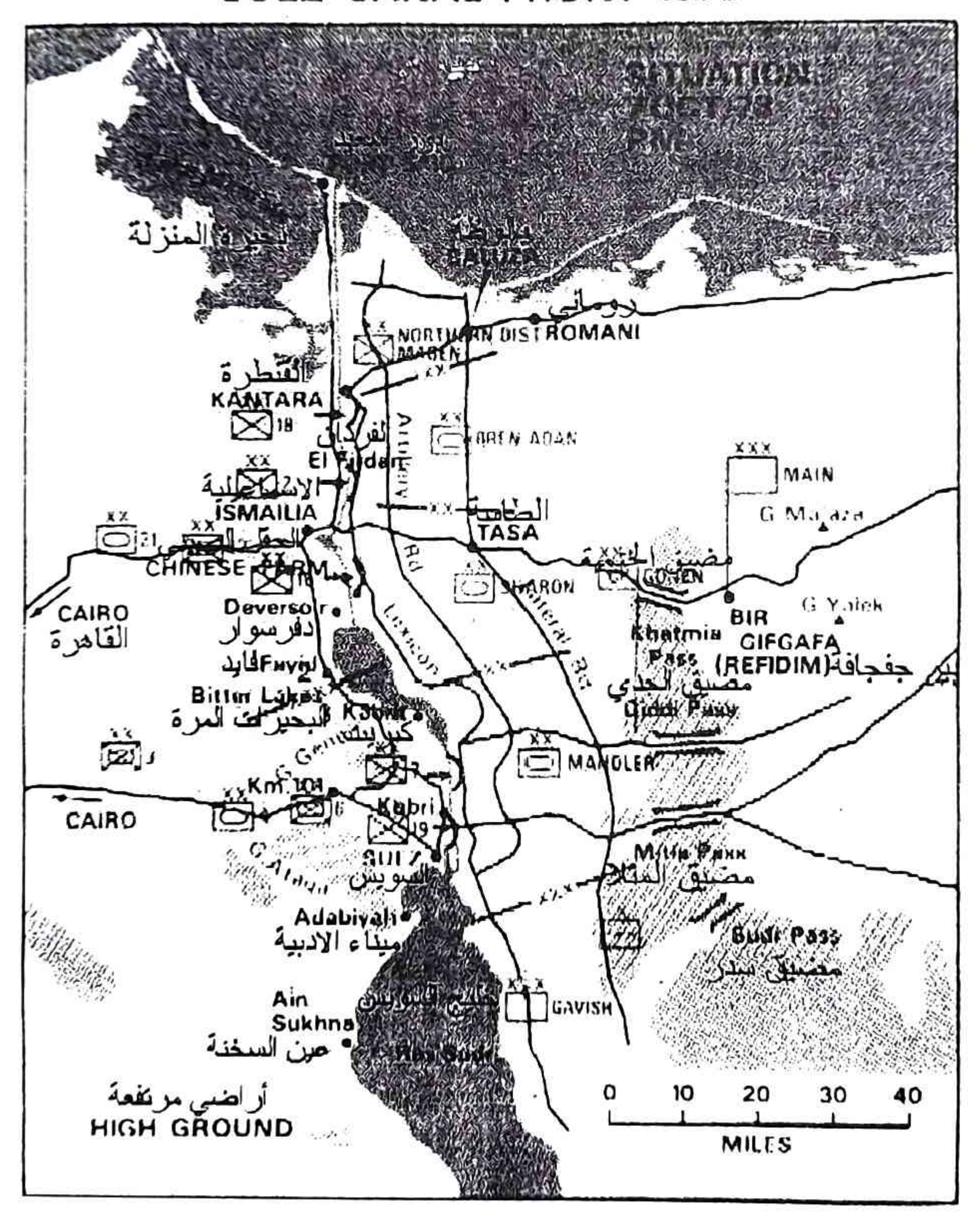


MAP 2

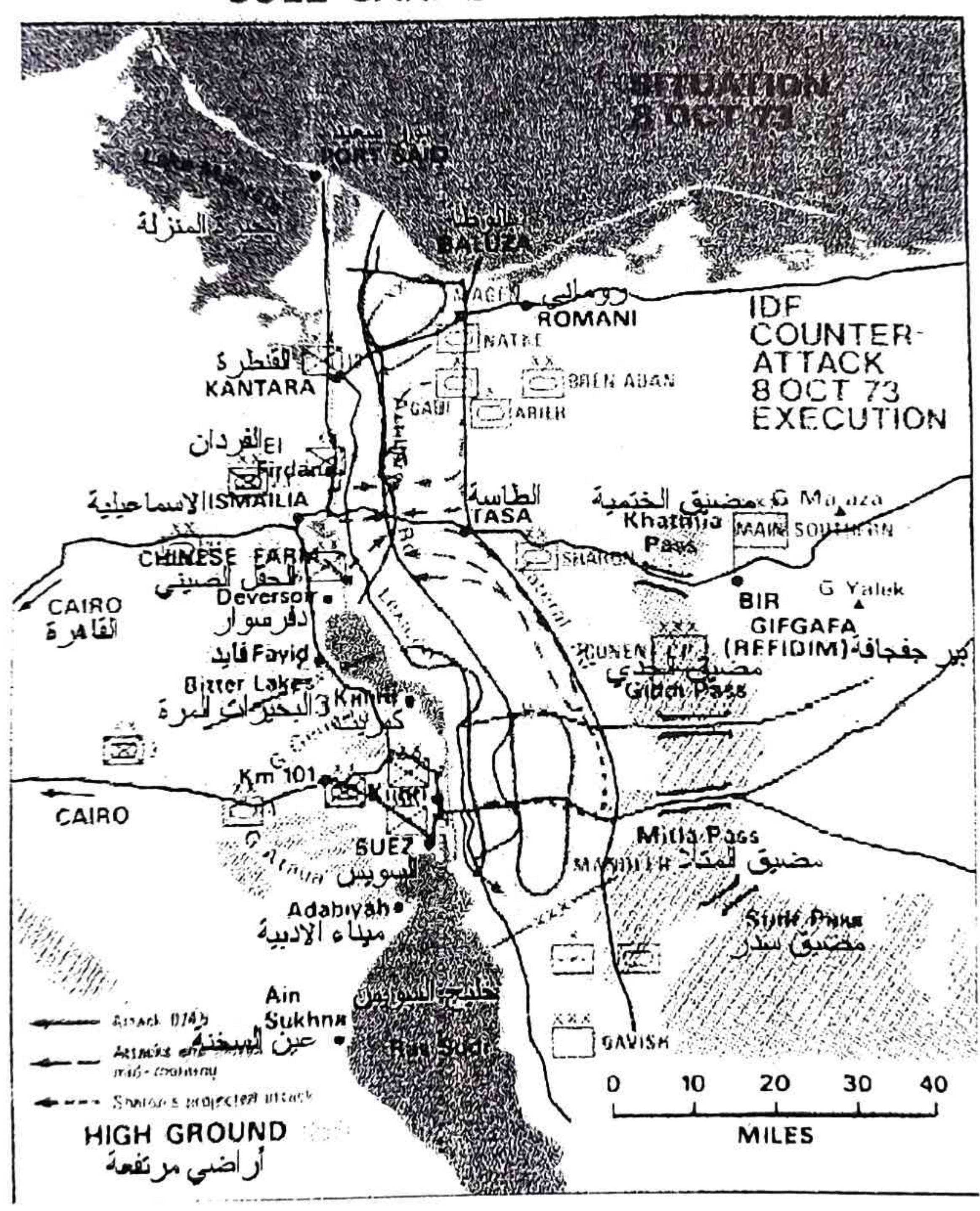
SUEZ CANAL FRONT 1973

جبهة قناة السويس

جبهة قناة السويس
SUEZ CANAL FRONT 1973

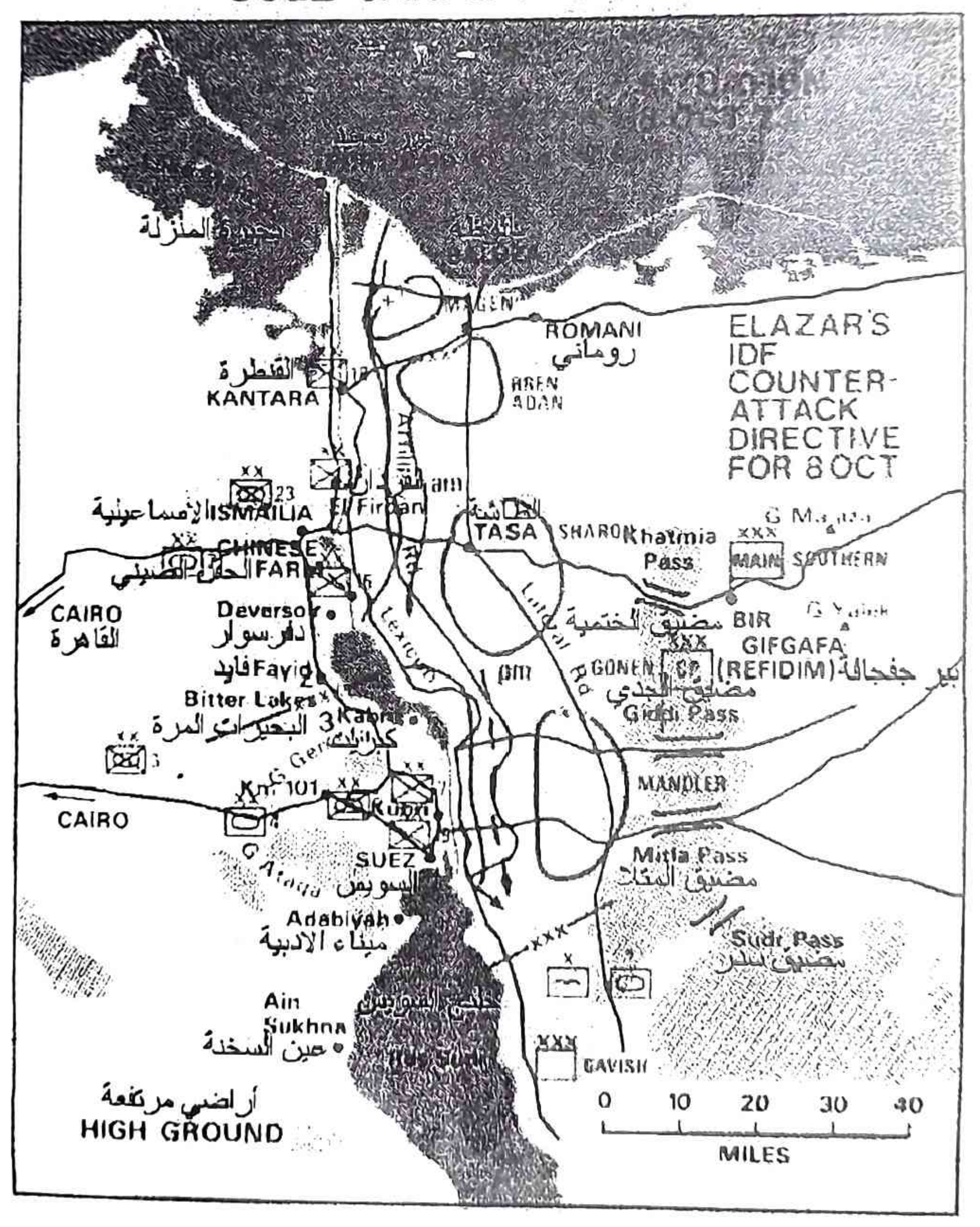


جبهة قناة السويس
SUEZ CANAL FRONT 1973



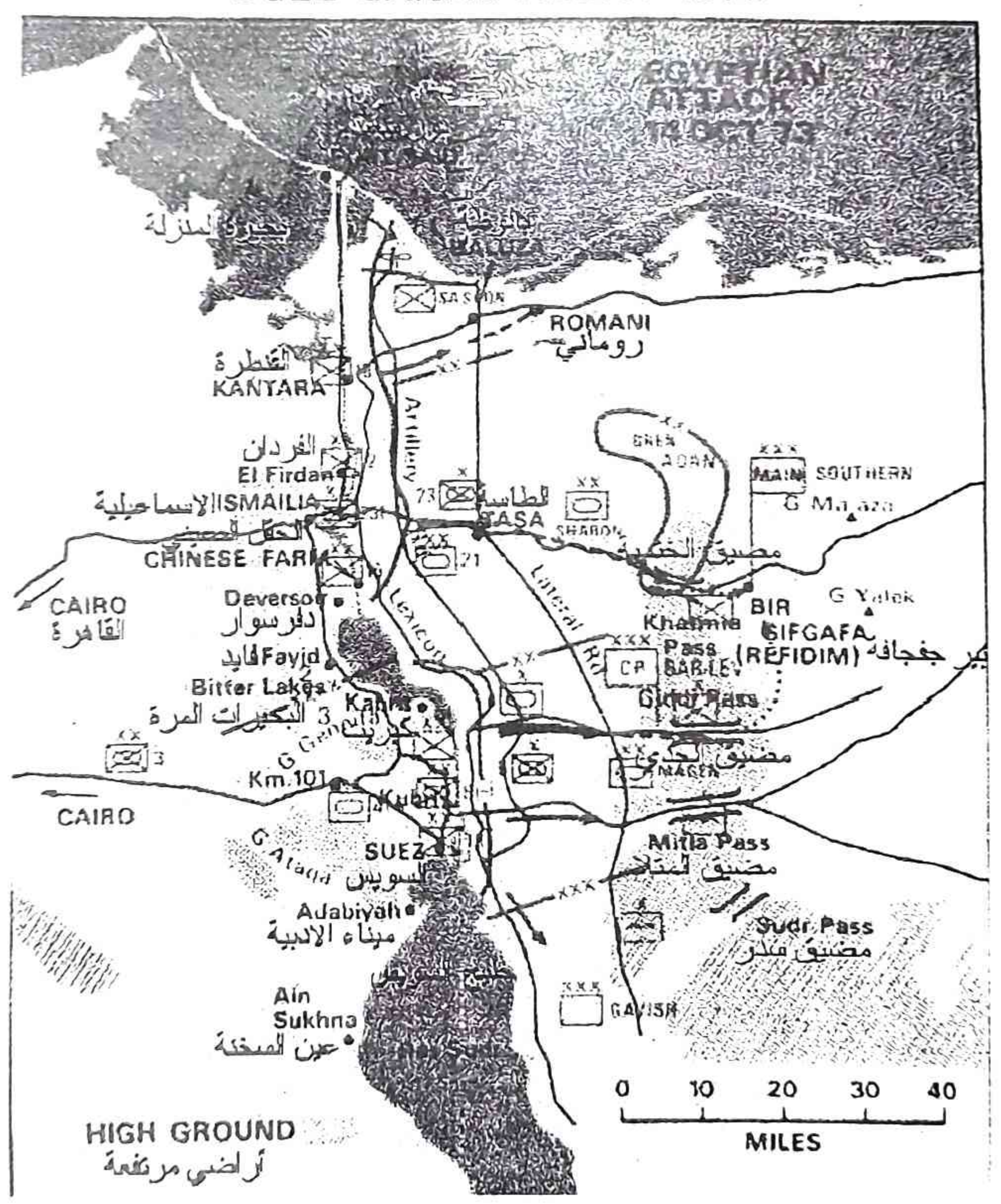
جبهة قناة السويس

SUEZ CANAL FRONT 1973



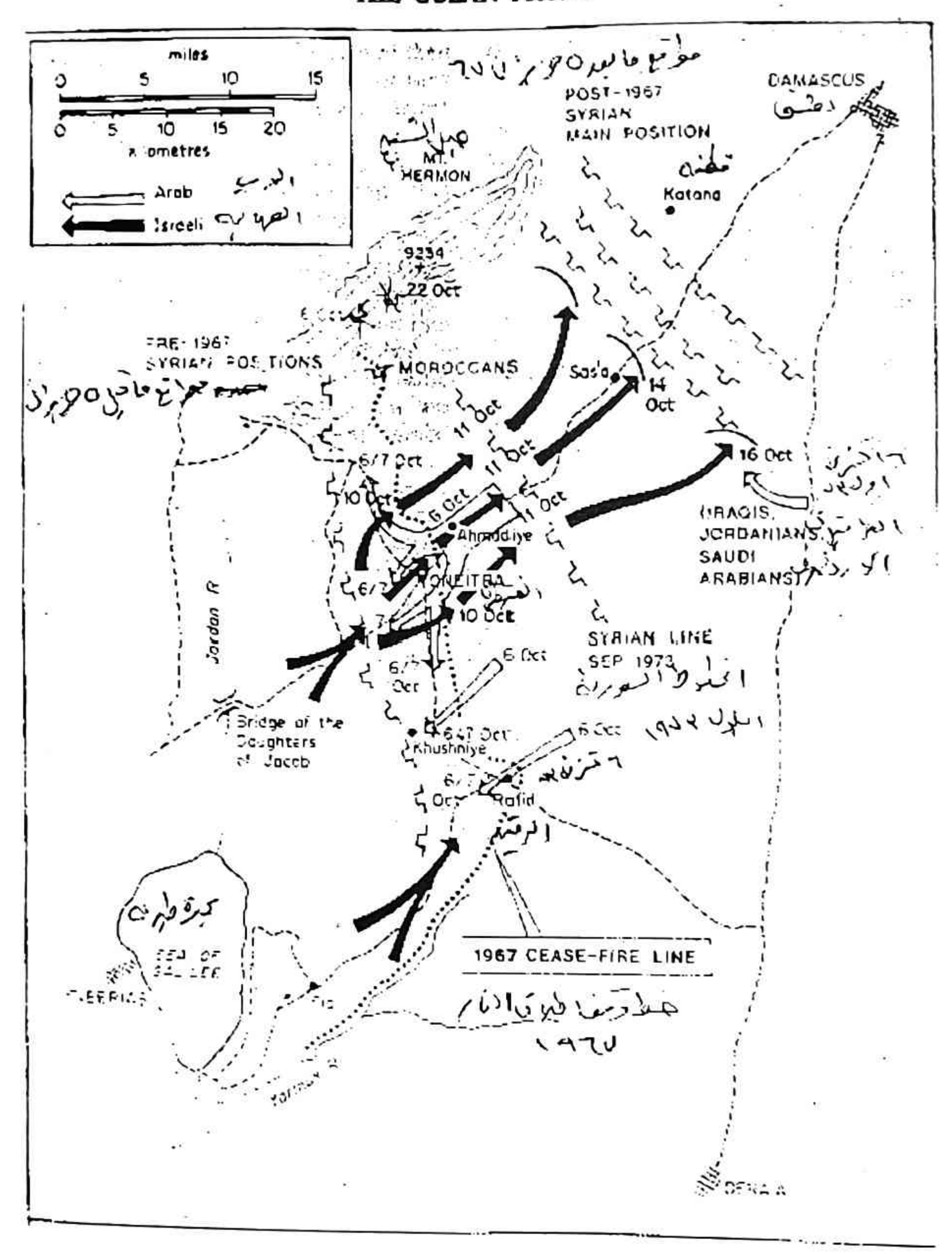
جبهة قناة السويس

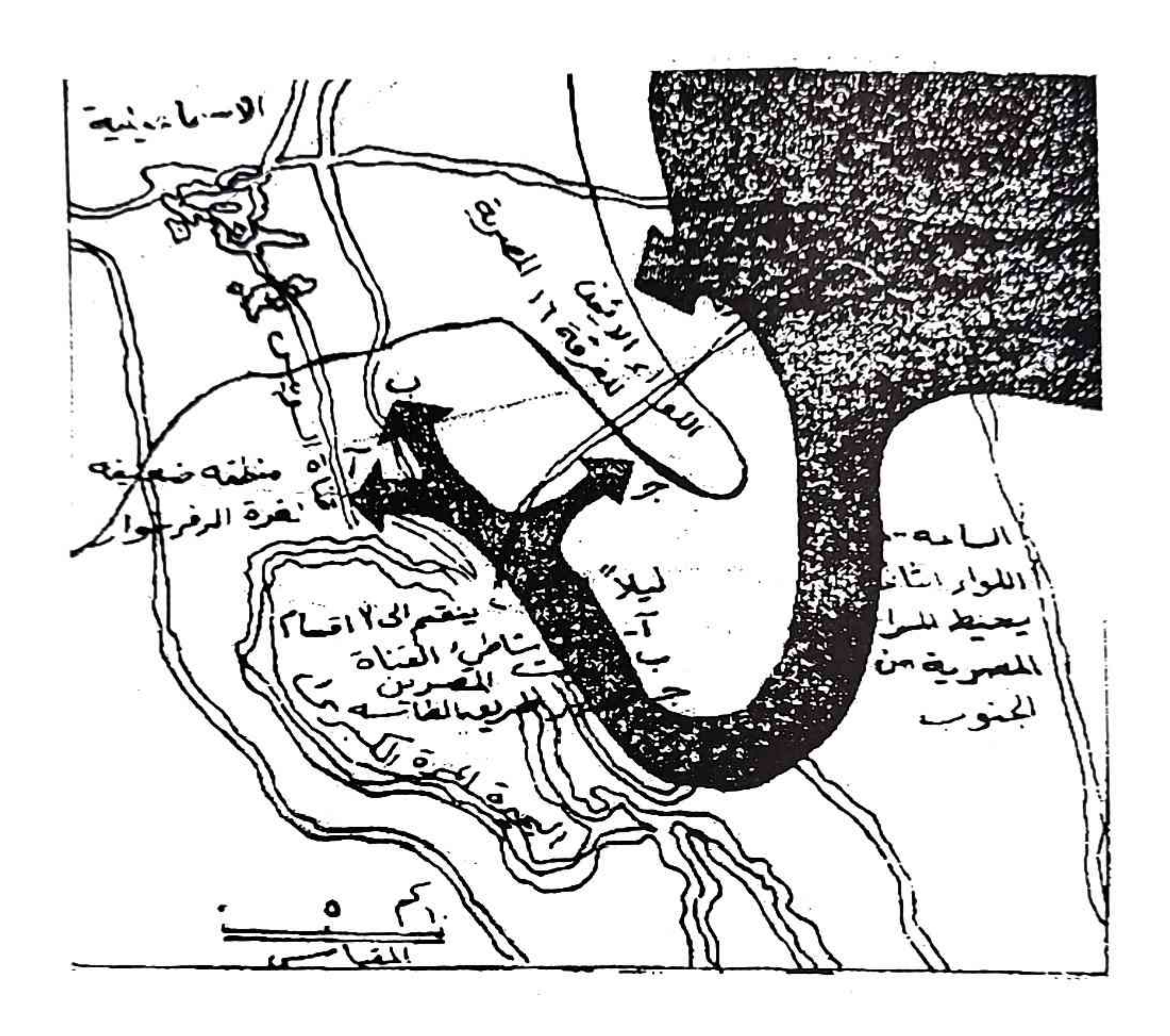
SUEZ CANAL FRONT 1973



جبهة الجولان

THE GOLAN FRONT

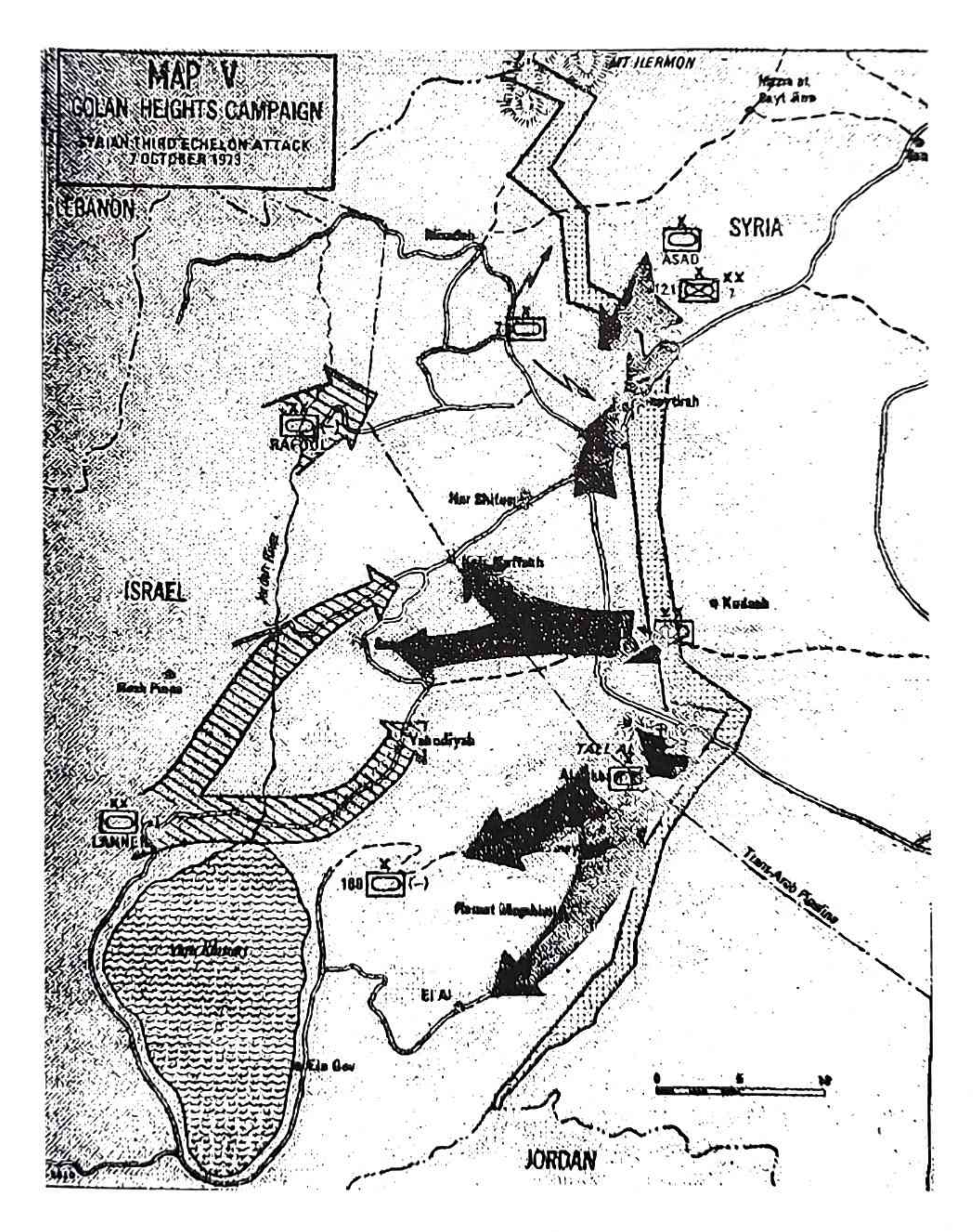




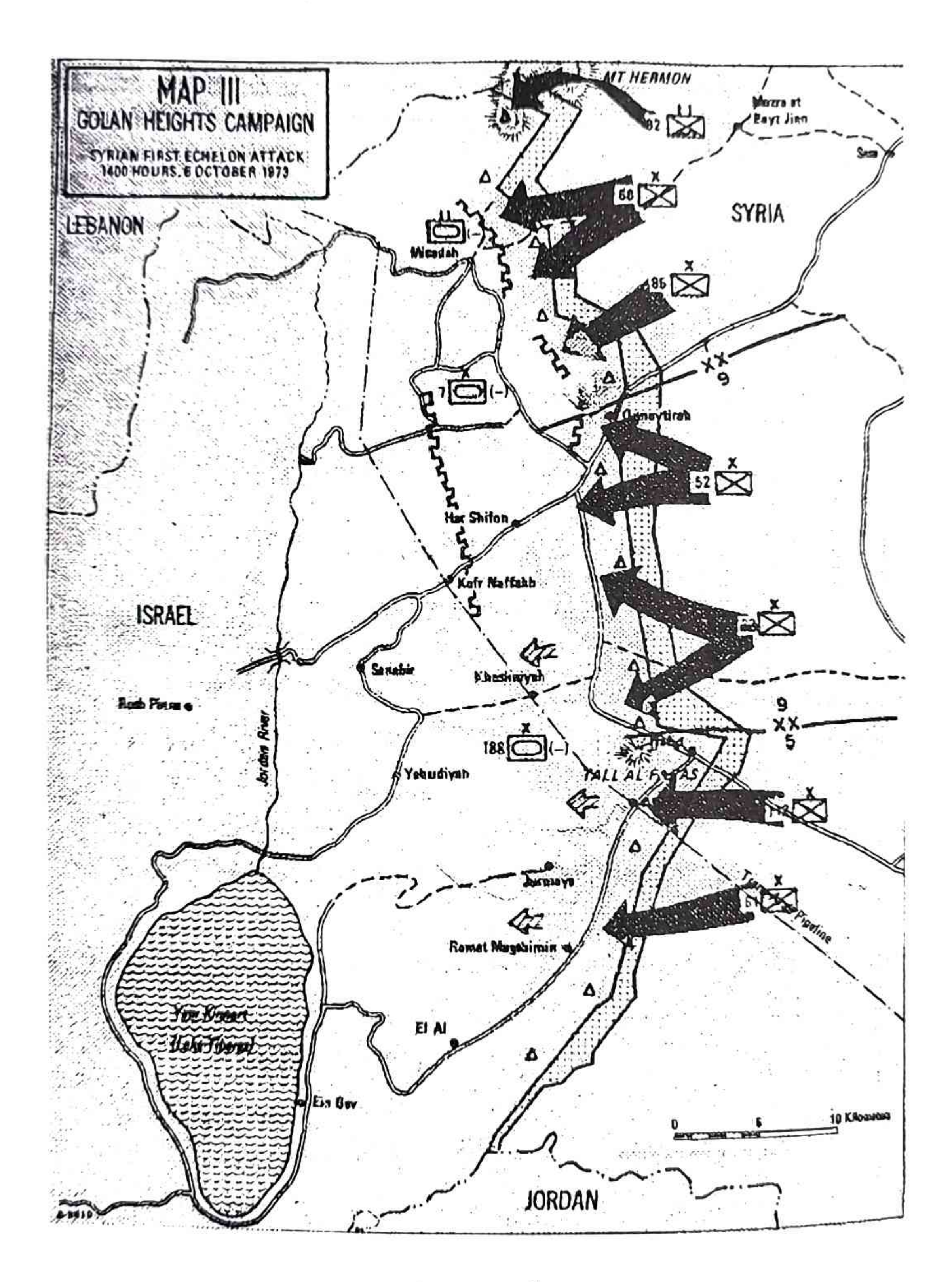
قوات العدو الاسرائيلي – [arrow] اللون الغامق

القوات المصرية – [ellipse] اللون الفاتح

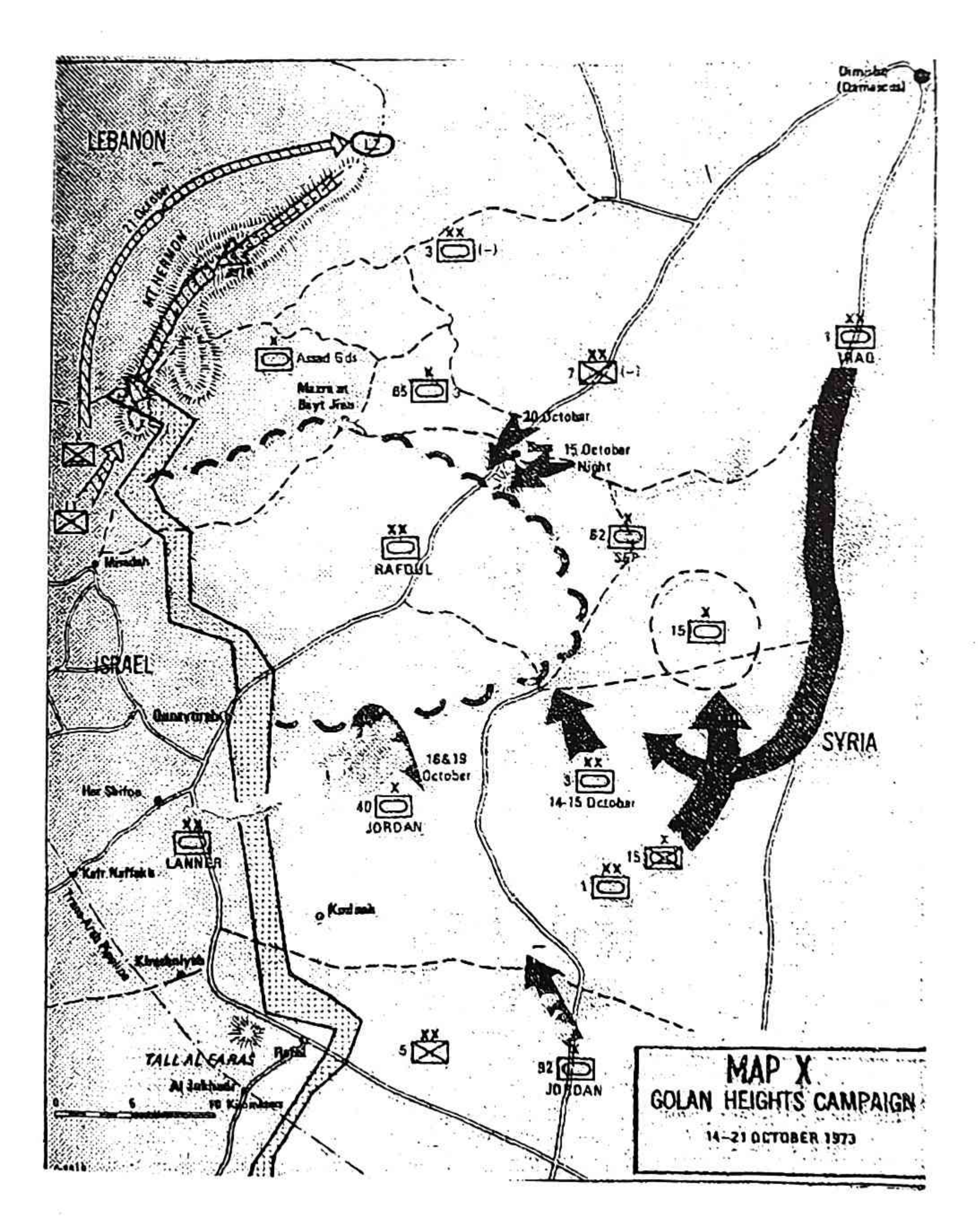
مخطط لاراءة حركات الوية فرقة الجنرال شارون المدرعة مقتبس من كتاب نظرية فاحصة في حرب الشرق الاوسط



معركة مرتفعات الجولان
هجوم القدمة الثالثة السورية
٧ تشرين الأول ١٩٧٣



معركة مرتفعات الجولان
هجوم القدمات السورية الأولى
بالساعة ١٤٠٠ يوم ٦ تشرين الأول ١٩٧٣



معركة مرتفعات الجولان

١٤ – ٢١ تشرين الأول ١٩٧٣

المترجمون والمراجعة العلمية

الفصل الأول	المترجم – اللواء الركن محمد نجم الدين النقشبندي . المراجع – اللواء الركن أمجد حسن عبد اللّه الزهيري .
الفصل الثاني	المترجم – العميد خليل ابراهيم حسين الزوبعي . المراجع – العميد البحري الركن عبد الوهاب عبد الستار القصاب .
الفصل الثالث	المترجم – العميد خليل ابراهيم حسين الزوبعي . المراجع – العميد البحري الركن عبد الوهاب عبد الستار القصاب .
الفصل الخامس	المترجم – العميد البحري الركن عبد الوهاب عبد الستار القصاب .

المساهمون في هذا الكتاب

التـأليف

- الفصل الأول	كلية القيادة والاركان الامريكية - ليفنوورث The 1973 Middle East War Us Army Command and General Staff college Fort Leavenworth - Kansas May 1975 .
- الفصل الثاني	Elezabeth Monroe , Adelphi Papers , 11 International Institute for Stratigic Studies .
- الفصل الثالث	The October 1973 War Maj Genral A H Farar Hockley Adelphi Papers Institute for Stratigic Studies .
- الفصل الرابع	معارك الجبهة المصرية ٦ تشرين الأول/ ٧٣ عبور قناة السويس العميد خليل ابراهيم الزوبعي .
- الفصل الخامس	Security - Suez Canal Octoner 73 Army Field Manual , Volume - 1 Part - 1 The Application of Force .

الفهرست

هذا الكتاب

برغم ما قيل في حرب تشرين الاول 1973 من انها كانت حرباً محدودة الأهداف (وهي كانت كذلك فعلاً) أو انها كانت حرباً للتحريك وليس للتحرير الكامل وهذه أيضا حقيقة أثبتتها الحوادث والوقائع والوثائق ، الا أن ذلك كله لم يكن ليحجب براعة التخطيط السوقي (الستراتيجي) والميداني .

ولعل احد اكبر الانجازات هو خطة المخادعة الستراتيجية الكبرى التي نجحت على الرغم من المظاهر الواضحة لعملية التحشد وبرز بعض المؤشرات القوية عن قرب تحقيق النيات العربية .

مر اكثر من ربع قرن على هذه الملحمة الباسلة ، ورأى قسم الدراسات السياسية في بيت الحكمة أن يقف عليها عارضا أهم الأفكار والتحليلات الاجنبية التي كتب عنها ، وكذلك العربية فعهدة الى فريق من خيرة ضباط قواتنا المسلحة بترجمة وجهات نظر امريكية وبريطانية على مختلف الصور وعرضت خلاصة لتقرير القاضي الصهيوني اغرانات الذي حقق في تقصير القوات الصهيونية الشائن في تلك الحرب لايضاح الصورة .. وعهد بهذا كله الى السيد الفريق الركن طارق محمود شكري وهو من المحللين والكتاب العسكريين المرموقين ليقوم مشكوراً بتحليل وتقديم هذا العمل الى القارئ الكريم ..

بيت الحكمة / جمهورية العراق - بغداد

هاتف : ٤١٤١٢٠١ - فاكس ٨٨٦٣٠١٥ - ص.ب : ٥٣٦٤٠

تصميم الغلاف : محمد السبعاوي

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ٩٩

بغداد لسنة ٢٠٠٢

تصميم الغلاف هدى الجبوري

المطبعة العربية